ألف ليلة وليلة

الكتاب الاول

قد هذّبهُ وصحّحهُ احد الاباء اليسوعيين

١

المطبعة الكاثوليكية

للاباء اليسوعيين في بيروت

١٨٨٨



the THOUSAND & ONE Nights,

VOL I.

المقدَّمة

الحمد لله الذي جعل اخبار السَّلَف قدوةً للخَلَف يأتمّون بآدابهم فيعرضون عن خطائهم ويتعلّقون بصوابهم . وبعد فلا نرى حاجة الى بيان قدر هذا الكتاب مع ما لهُ من الشهرة وبُعد الذكر . بل نقتصر على القول انَّ عامَّة الناطقين بالعربيَّة من اقصى الهند الى اقصى المغرب يستحبُّون قراءتهُ وينزعون الى مطالعتهِ . فضلًا عن ان الأعاجم قد كلفوا بهِ ايّما كلف ونقلوه الى لغاتهم ونشروا منهُ عدة طبعات تزيد على ما نشر منها اهل بلادنا . والحال انَّ مثل هذه الشهرة التي حازها الكتاب واجماع هذا العدد العديد من الناس على استحسانهِ مع اختلاف لغاتهم وتفرّق اهوائهم كل ذلك دليل راهن على اثبات خطره ومزيَّته

وان قيل ما هي مزيَّة هذا الكتاب التي سلبت القلوب وخلبت العقول وحبَّبتهُ الى الجمهور قلنا هي كونهُ وصف طرُق المعايش واتى ببيان الآداب الشرقيَّة على وجهٍ تتمثّل فيهِ للذهن تمثُّلًا حسّيًا وتتصوَّر لهُ تصوُّرًا طبيعيًا . وما أشبهُ الا بمرآة صقيلة تنقل صور الاشياء الى العين . وتُبرزها بقالبها الذي لها بلا مين . وحسبك شاهدًا انه اذا وصف منتزَهًا او حربًا او واقعةً او بلدًا خلتَ انَّ كل ذلك شاخصٌ اليك قائم بين يديك

اما الصناعة التي تفرَّد بها هذا الكتاب فهي انهُ يصيب في تصوير اخلاق النـاس وتمثيل طباعهم على اختلاف مراتبهم من ملك ووزير وغنيّ وفقير ورفيع ووضيع ومتكبر وذليل الى غير ذلك

ومن تفنُّنه في الصنعة انهُ يجمع بين المتضادَّين ويجعل القصَّة بين المتنافرَين حتى تتبيَّن الاطباع بضدّها وتبرز الاشياء بما يخالفهـا . فاذا اخذتَ مثلًا حكاية ابي صير وابي قير رايتهُ جعل الاوَّل دستور الادب والهمَّة في الاعمال والاستقامة والعفَّة يعفو عن الاسـاءة ويغضي على المضرَّة . وصوَّر الثاني بصورة لئيم متقاعس شرّير ماكر حسود . ثم اوقعهُ في الحبالة التي نصبها لاخيهِ وكانت آخرتهُ القتل كفَّـارة عن ذنبه . ولكن اين هذا من قصَّة ضوء المكان واخته نزهة الزمان . فانَّه قد ابدع هنالك في ايضاح المحبَّة الاخويَّة . كما انَّهُ اجاد غاية الاجادة في حكاية ذات الدواهي لِما بيَّن ثمَّة من صفات الماكر وتفنُّنه في الحيل وضروب الخداع

وجملة القول انَّ ما فيه من التفنُّن والانسجام والسلاسة والاعمال الدالَّة على الشجاعة وغرائب الوقائع واختلاف الاوصـاف والاصابة في اعطاء كلّ حالة لبوسها هو الذي حمل النـاس من اعارب واعاجم على تعشُّقه والولوع به

هذا علاوةً عن انَّهُ اذا خاض في مسئلة دينيَّـة لم يتعرَّض لها في شين او في مثلبة بل تكلَّم فيها حسنا . خلافًا لمشارب بعض منتحلي العلم في

هذا العصر الحاضر الذين كانَّهم يتنافسون في امتهان الدينيَّات ويتصدَّون للاستخفاف بها

اما زمن تأليف هذا الكتاب فمُشكِل لا يمكن الجزم بهِ . فقد ذهب بعضهم الى انَّهُ كتاب قديمُ العهد وانَّهُ نُقل من الفارسيَّة الى العربية . واستندوا في ذلك الى كلام الامام المسعوديّ في كتاب مروج الذهب اذ يقول « ... الكتب المنقولة الينا والمترجمة من الفارسيَّة والهنديَّة والروميَّة ... مثل كتاب هزار افسانه . وتفسير ذلك من الفارسيَّة الى العربيَّة : الف خرافة . والخرافة بالفارسيَّة يقال لها افسانه . والناس يسمُّون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرازاد ودينازاد » (١)

والى قول محمد بن اسحق النديم المعروف بابي يعقوب الورَّاق (في الفنّ الاول من المقالة الثامنة من كتاب الفِهرِست) وهو : « اوَّل مَن صنَّف الخرافات وجعل لها كتبًا وأودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان الفُرْس الأُوَل . ثم اغرق في ذلك ملوك الاشغانيَّة وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس . ثم زاد ذلك واتَّسع في ايام ملوك الساسانيَّة . ونقلته العرب الى اللغة العربيَّة وتناوله الفصحاء والبلغاء وهذَّبوه ونمَّقوه وصنَّفوا في معناه ما يُشبهه . فاوَّل كتاب عُمِل في هذا المعنى كتاب هزار افسان ومعناه الف خرافة . وكان السبب في ذلك ان ملكًا من ملوكهم

(١) الجزء الرابع من مروج الذهب الصفحة ٨٩ (طبعة باريز)

كان اذا تزوَّج امرأة وبات معها ليلةً قتلها من الغد . فتزوَّج بجارية من اولاد الملوك ممَّن لها عقل ودراية يُقال لها شهرازاد . فلما حصلت معه ابتدأت تخرفهُ وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ومسألتها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى ان اتى عليها الف ليلة ... الى ان رُزقت منهُ ولداً اظهرته وأوقفته على حيلتها عليهِ . فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يُقال لها دينارزاد فكانت موافقةً لها على ذلك . وقد قيل انَّ هذا الكتاب أُلف لحماني بنت بهمن . قال محمد بن اسحق : والصحيح ان شاء الله ان اوَّل من سمر بالليل الاسكندر وكان لهُ قوم يضحكونهُ ويخرفونهُ لا يُريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس . واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار افسان ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتيَ سمر لانَّ السمر رُبَّما حُدِّث بهِ في عدة ليالٍ . وقد رايتهُ بتمامه دفعاتٍ وهو بالحقيقة كتاب غثّ بارد الحديث » (١)

وقد استنتج بعض أرباب ٱلنَّقد من هذين النقلين انَّ الكتاب مأخوذٌ عن اصلٍ فارسيّ قديم العهد. وتلك مسألةٌ لا نعيرها تمام الصحَّة . والمرجَّح ان الكتاب الفارسيّ « هزار افسانه » هو الذي نبَّه الافكار الى تأليف هذا الكتاب الذي نسجوه على منوالهِ وتركوا فيهِ بعض شذراتٍ بل قصصاً من اصلهِ مثل حكاية شهريار واخيهِ شاه زمان وشهرزاد

(١) كتاب الفهرست الصفحة ٣٠٤

ودنيازاد . ألا ترى انَّ هذه الاسماء فارسيَّة محضة

اما مُجمل الكتاب فعندنا انه تأليفٌ عربيٌّ لا فارسيٌّ لأسباب :

الأوَّل انَّ صاحب الفهرست قال من جملة كلامهِ في الكُتب المنقولة عن الفارسية : « وتناوله الفصحاء والعلماء ونمقوه وهذَّبوهُ وصنَّفوا في معناه ما يُشبهه » . وذلك ممَّا يؤذن انَّ كتاب الف ليلة وليلة لو افترضنا انَّهُ منقول قد وقع فيهِ ايضاً بعض التصرّف 1

الثاني ان مؤلّف الكتاب من المسلمين لامحالة . لأنَّك ايَّان قرأتَ رأيتَهُ يعظِم دينَ الاسلام ويغضّ من دينِ المجوس وغيرهِ . وذلك حجةٌ قاطعةٌ انَّ الكتاب كان ظهوره بعد الاسلام وانه لم يُنقل عن كتابٍ فارسيَّ في عهد الدولة الساسانيَّة او غيرها 2

الثالث انَّه يُكثِر من ذكر هٰرون الرشيد . وهذا برهانٌ ساطع على انَّ الحكايات التي وردَ فيها ذكرهُ قد أُلفتْ من بعدهِ بزمانٍ لأنَّ خلفاءه لم يكونوا ليرضَوا وليرتاحوا ان يُحطّ من قدرهِ او يُنزَّل مثل هذا الملك العظيم منزلة السفَّال والغوغاء 3

الرَّابع اوهل يصحُّ لنا ان نتصوَّر انَّ فارسياً ألَّف حكاياتٍ لقومهِ الفُرس لا يختار لأغلبها مكاناً ألا دمشق وبغداد ومصر . او ليس انَّ كثرة ذكره للدِيار المصريَّة والشاميَّة واتيانهِ على ما فيها من الاخلاق والعادات التي تكاد تكون من مميّزاتها دليلٌ على انَّ الكتاب مصنفٌ عربيٌّ 4

الخامس   ان كثيراً من الحكايات مع ما أدخلَ فيها المؤلِف من التغيير ليست مجهولة النسب ونعلم بالتحقيق الاصل المأخوذة عنهُ . فانَّ خبر سوسنَّة ودانيال مأخوذٌ عن التوراة . وخبر القديس اوستاكيوس ولو لم يذكر اسمهُ مُقتطفٌ ولا شكَّ عن أعمال الشهداء . وهكذا القول عن قصص اسحق الموصليّ وحاتم الطائيّ ومعن بن زائدة وما أشبه . فانَّها مأخوذةٌ عن تآليف عربيَّة

السَّادس   ثمَّ انَّ الاختلافات الواقعة في نسخ الكتاب الخطيَّة وفي طبعاتهِ سواء كان ذلك من جهة ترتيب الحكايات واستيفائها او من جهة تنسيق الليالي (١) او من جهة أساليب التعبير في الخبر الواحد كلُّ هذا يدلّنا على انَّ الكتاب على فرض أنَّهُ نُقل عن الفارسيَّة في اصلهِ فقد تصرَّف فيهِ العرب كلٌّ على هواهُ . فهو اشبهُ بسُبحةٍ قد تبدَّلت خرزاتها ولم يبقَ منها الَّا سِلكها

السابع   ان الذين يدَّعون استناداً الى كتاب الفِهرست انَّ الف ليلة وليلة نُقل من الفارسيَّة الى العربيَّة لو انعموا النظر في ما يلي النَّص الذي اوردناهُ آنفاً لعدلوا عن رأيهم وزعمهم . قال محمَّد بن اسحق :

---

(١) اعلم ان ما بين طبعة برسلو وكلكتا اختلافاً كبيراً من هذه الجهة . لانَّ الاولى تشتمل من بدء الكتاب الى حكاية الأحدب على اكثرَ من مئة ليلة بخلاف الثانية فانهُ قد اجتمع فيها كل ذلك من اول الكتاب الى الموضع المذكور في اربع وعشرين ليلة فقط . وهذا الاختلاف تجدهُ في سائر اجزاء الكتاب

« ابتدأ ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتابٍ اختار فيهِ ألف سَمَر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كلُّ جزء قائمٍ بذاتهِ لا يَعلَق بغيرهِ . وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويُحسنون . واختار من الكتب المصنَّفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسهِ وكان فاضلًا فاجتمع لهُ من ذلك اربعمائة ليلة كل ليلة سَمَر تامّ يحتوي على خمسين ورقة واقل واكثر . ثمَّ عاجلتهُ المنيَّة قبل استيفاء ما في نفسهِ من تتميمهِ الف سَمَر . ورأيتُ من ذلك عدّة اجزاء بخطّ ابي الطيِّب اخي الشافعي » (١) أفليس هذا الكلام أليق بالكتاب الذي تتداولهُ الايدي في ايَّامنا

وبناء عليهِ فعندنا ان النسخ الّتي في أيدينا مجموعةٌ من عدَّة كتب متنوّعة في الأسمار لم يبقَ فيها من الكتاب الفارسيّ الَّا المِحوَر والأسلوب وبضع حكايات . وجُمع غيرها من أخبار العرب وأُخذ غيرها من حكايات الهند والروم وغيرهم . وقد بيَّن علماء الاوربيّين المشابهة بين قصص الف ليلة وليلة وقصص الاقدمين من اليونان فذكروا انَّ الحصان الطائر مثلًا هو بيغاسوس المجنَّح الذي جاء ذكرهُ في أشعار اليونانيين . والقبع الذي يخفي مَن لبسهُ هو كناية عن خاتم جيجس الذي كان يحتجب بهِ عن الابصار . وقد روى هذه الحكاية شيشرون

(١) كتاب الفهرست الصفحة ٣٠٤

نقلًا عن افلاطون (١) . والعلج الاسود المغتذي بلحوم من يطأ ارضه من المسافرين ليس الّا بوليفيموس الذي روى حكايتهُ اوميروس وفرجيليوس (٢) على نمط بارع ونظم بديع . ثم افاضوا في غير ذلك من مقابلات ومشابهات لاحاجة الى ذكرها هنا

الثامن ان عبارة الكتاب ليست عبارة قديمة خالصة وانما هي كعبارة العامة في عصرنا . وذلك مما يُرِينا انهُ كُتِبَ في ايام العباسيين على حين كانت اللغة في رونقها وكمال شبابها

واعتمادًا على ما اوردناه لانعتقد انَّ الكتاب أُلّف قبل القرن الخامس عشر إن اعتبرنا الهيئة التي هو عليها الآن

هذا ولم نألُ جهدًا في مقابلة هذا الكتاب على ما عندنا من نسخ مطبوعة ومخطوطة ولكنَّا قد جرَّدناه من كلّ ما يقدح بالآداب ويضرّ بالاخلاق تعميمًا لفكاهتهِ وتيسيرًا لاقتنائهِ وقراءتهِ في بيوت المتهذّبين . وما أحراهُ ان يُشبَّه بنهرٍ قد تفرَّع الى الف قناةٍ وقناةٍ ولمَّا كانت بعض تلك الأقنية قد تحوَّلت بواليع وقاذورات وجب سدّها حتى لاتبقى الّا المياه الصافية يلتذّ بها الشاربون

(١) راجع الفصل التاسع من الكتاب الثالث في الواجبات لشيشرون وكتاب الجمهورية لافلاطون

(٢) راجع الكتاب التاسع من الاوديسّي لأوميروس والكتاب الثالث من الإنييد لفرجيليوس

كتاب

الف ليلة وليلة

حكاية الملك شهريار واخيه

حُكي (والله اعلم بغيبهِ واحكم . واعزّ واكرم . والطف وارحم) فيما مضى وتقدم . وسلف من احاديث الامم . انهُ كان في قديم الزمان . وسالف العصر والاوان . ملكٌ من ملوك بني ساسان . بجزائر الهند والصين صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان لهُ ولدانِ احدهما كبير والآخر صغير . وكانا فارسَين بطلَين وكان الاكبر أفرس من الاصغر . وقد ملك البلاد وحكم بالعدل في الرعية وأحبهُ اهل بلاده ومملكته . وكان اسمهُ الملك شهريار . وكان اخوه الصغير اسمهُ الملك شاهزمان وكان ملك سمرقند العجم . ولم يزالا مستقرَّين في بلادهما وكل واحد في مملكته . حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة في غاية البسط والانشراح . ولم يزالا على هذه الحالة . فعند ذلك اشتاق الملك الكبير الى اخيهِ الصغير فأمر وزيره ان يسافر اليهِ ويحضر بهِ . فاجابهُ بالسمع والطاعة . وسافر الى ان وصل بالسلامة . ودخل على اخيهِ وبلّغهُ السلام . واعلمهُ ان اخاه مشتاق اليهِ وقصده يزوره فاجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره حاكماً في بلاده وخرج طالباً بلاد اخيه . فلما ابتعد قليلاً تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته تنادم مغنياً وهو يضرب بالعود . فلما رأى هذا الامر اسودّت الدنيا في وجههِ وقال في نفسه . اذا كان

هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه الخائنة اذا غبت عند اخي مدةً ثم انهُ سحب سيفهُ وضرب الاثنين وقتلهما . ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة اخيه . فلما قرب من المدينة أرسل المبشرين الى اخيهِ بقدومه . فخرج اليهِ ولاقاه وسلم عليه وفرح بهِ غاية الفرح وزيّن لهُ المدينة وجلس معهُ يتحدث وينشرح . فتذكر الملك شاهزمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غمٌّ زائد واصفرَّ لونه وضعف جسمه . فلما رآهُ اخوهُ على هذه الحالة ظن في نفسه ان ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك. ثم انهُ في بعض الايام قال لهُ : يا اخي اني اراك قد ضعف جسمك واصفرَّ لونك . فقال لهُ اخوه : يا اخي ان في باطني جرحًا . ولم يخبره بامره . فقال لهُ : اني اريد ان تسافر معي الى الصيد والقنص لعلهُ ينشرح خاطرك فأبى ذلك. فسافر اخوهُ وحده الى الصيد وكان في قصر الملك طيقان تطلُّ على بستان اخيهِ فنظر واذا بباب القصر قد انفتح وخرج منهُ عشرون جارية وعشرون عبدًا وامرأة اخيهِ تمشي بينهم وهي بديعة الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وجلسوا على حافتها واخذوا في الشرب واللعب والغناء وتناشد الاشعار . حتى ولّى النهار

فلما رأى ذلك اخو الملك قال في نفسه ان بليتي اخفّ من هذه البلية وقد انفكَّ ما عنده من الغيرة والغمّ وقال : هذا أعظم مما جرى لي . ولم يزل في أكل وشرب . وبعد هذا جاء اخوهُ من السفر فسلّما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى اخيه الملك شاهزمان فرآه قد ردَّ لهُ لونه واحمرَّ وجههُ وصار يأكل بنهجة بعد ما كان قليل الأكل فقال لهُ اخوه الملك الكبير : يا اخي كنت اراك مصفرَّ اللون والوجه والان قد ردَّ اليك لونك فاخبرني بحالك. فقال لهُ : أمّا تغيُّر لوني فاذكرهُ لك واعفني من اخباري لك بردّ لوني . فقال لهُ : اخبرني

اولا بتغيُّر لونك وضعفك حتى اسمعه . فقال لهُ: يا اخي اعلم انهُ لما ارسلت وزيرك اليَّ يطلبني للحضور بين يديك جهزتُ حالي وقد برزتُ خارج مدينتي ثم اني تذكرت الخرزَةَ التي اعطيتها اياك في قصري فرجعت الى قصري فوجدت زوجتي تنادم مغنياً فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر في هذا الامر . فهذا سبب تغيُّر لوني وضعفي . واما ردّ لوني فاعفني من ذكره . فلما سمع اخوه كلامه قال لهُ: أقسمت عليك بالله الَّا ما اخبرتني عن ردّ لونك . فاخبره بجميع ما رآه . فقال شهريار لاخيهِ شاهزمان: مرادي انظر بعيني . فقال لهُ اخوه شاهزمان : اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختفِ عندي وانت تشاهد ذلك وتحققهُ عياناً . فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك . ثم انهُ جلس في الخيام وقال لغلمانه: لايدخل عليَّ احد . ثم انهُ تنكّر وخرج مختفياً الى القصر الذي فيهِ اخوه وجلس في الطاقة المطلة على البستان ساعة من الزمان واذا بالجواري وسيدتهنَّ دخلنَ مع العبيد وفعلنَ كما قال اخوه الى اذان العصر . فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وتذكر قول الشاعر :

لا تأمننَّ الى النساء ولا تثق بعهودهنّ
فيُرين ودًّا كاذباً والغدر حشوَ ثيابهنّ
بحديث يوسف فاعتبر ستراهُ بعض خدوعهنّ
او ما رأيت أباك آدم خارجاً من اجلهنّ

ثم ان الملك شهريار ذهب الى الجنينة ورمى عنق زوجته والجواري والعبيد وصار لبغضهِ للنساء يتزوج بهنَّ ويقتلهنَّ ففضج الناس وهربوا ببناتهم . ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيهُ ببنتٍ على جري عادته فخرج الوزير وفتَّش فلم يجد بنتاً فتوجه الى منزله وهو مغموم مقهور خائف على نفسه من الملك (قال) وكان لوزير

الملك بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد. وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين. قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء . فقالت لابيها ما لي اراك مغموماً حامل الهمّ والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى :

قُل لمن يحمل همّاً ‏ ‏ انَّ هما لايدومُ
مثل ما يفني سرورٌ ‏ ‏ هكذا تفنى الهمومُ

(قال) فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى لهُ من الاول الى الآخر مع الملك . فقالت لهُ : بالله يا أبتِ زوّجني هذا الملك فاما ان اعيش واما ان اكون فدًى لاولاد المسلمين وخلاصهم من بين يديه . فقال لها : بالله عليكِ لاتخاطري بنفسكِ ابدًا. فقالت لهُ: لابدّ من ذلك . فقال: اخشى عليكِ ان يتمَّ لكِ ما تمَّ على الحمار والثور مع صاحب الزرع . فقالت لهُ : وما الذي جرى لهما

حكاية الثور مع الحمار

قال: اعلمي يا ابنتي انهُ كان لبعض التجار اموال ومواشٍ. وكان لهُ زوجة واولاد. وكان الله تعالى اعطاه معرفة لغات ألسن الحيوانات والطيور وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده في داره حمار وثور . فاتى يوماً الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوساً مرشوشاً وفي معلفهُ شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح . وفي بعض الاوقات يركبهُ صاحبه لحاجة تعرض لهُ ويرجع على حاله . فلما كان في بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار: هنيئاً لك. انا تعبان وانت مستريح . تاكل الشعير مغربلًا ويخدمك صاحبنا وفي بعض الاوقات يركبك

ويرجع وانا دائماً للحرث والطحن . فقال له الحمار : عندما تخرج الى الغيط ويجعلون على رقبتك النير فارقد ولو ضربوك لاتقم او قم وارقد ولما يرجعون بك ويضعون لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف . وامتنع من الاكل والشرب يوماً أو يومين او ثلاثة فتستريح من التعب والجهد . (قال) وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السوّاق الى الثور بعشائهِ اكل منهُ شيئاً يسيراً . فاصبح السوّاق ليأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفاً فحزن عليهِ وقال : هذا سبب انهُ ما قدر أمس يشتغل . ثم جاء الى التاجر وقال لهُ : يا مولاي ان الثور مقصر لم يأكل هذه الليلة العلف ولا ذاق منهُ شيئاً وقد عرف التاجر الامر . فقال : امضِ وخذ الحمار وحرّث عليهِ مكانهُ اليوم كله . (قال) فلما رجع آخر النهار بعد ما حرث عليهِ اليوم كلهُ شكره الثور على تفضلاته لانهُ اراحهُ من التعب في ذلك اليوم فلم يردّ عليهِ الحمار جواباً وندم شدة الندم . فلما كان ثاني يوم جاء الزرّاع واخذ الحمار وحرث عليهِ الى آخر النهار فما رجع الحمار الّا مسلوخ الرقبة ميتاً من التعب فتأملهُ الثور فشكره ومدحه . فقال الحمار : كنت قاعداً بطولي فما خلاني فضولي . ثم قال لهُ : اعلم اني لك ناصح وقد سمعت استاذنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه اعطوه الجزّار ليذبحه ويعمل جلده قطعاً وانا خائف عليك وقد نصحتك والسلام

(قال) فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال بكرة : اسرح معهم . ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المذود بلسانه . كل ذلك وصاحبها يسمع كلامهما . فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السوّاق واخذ الثور وخرج . فلما رأى الثور استاذه حرّك ذيلهُ ومرح فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه . فقالت لهُ زوجته : من اي شيء تضحك . فقال لها : سرّ رأيتهُ وسمعته ولا اقدر أبوح بهِ فأموت . فقالت لهُ : لابدّ ان تخبرني بهِ وبسبب ضحكك ولو

كنت تموت . فقال لها: ما اقدر ان أبيحهُ خوفاً من الموت . فقالت لهُ : انت ما تضحك الَّا عليَّ . ثم انها لم تزل تلحّ وتلجّ عليهِ الى ان غلب منها وضجر فاحضر اولاده وارسل احضر القاضي والشهود واراد ان يوصي ويُبيح لها السرّ ويموت لانهُ كان يحبها محبة عظيمة وهي بنت عمه وام اولاده. وقد كان عمّر من العمر مائة وعشرين سنة . ثم انهُ أرسل واحضر جميع اهلها واهل حارته وقال لهم حكايته انهُ متى قال لاحد سرهُ مات . فقال لها جميع من حضرهما: بالله عليكِ اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجكِ ابو اولادكِ . فقالت لهم : ما ارجع عنهُ حتى يقول لي وادعه يموت فسكتوا عنها

ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجَّه الى دار الدواب يتوضأ ويرجع يقول لهم ويموت . وكان عندهُ ديك وتحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي ويسب الديك ويقول لهُ: انت فرحان واستاذنا رائح يموت. فقال الديك للكلب : وكيف ذلك الامر . فاعاد الكلب على الديك القصة . فقال الديك : والله ان استاذنا قليل العقل . ان لي خمسين زوجة اراضي هذه واصالح هذه واستاذنا ما لهُ الَّا زوجة واحدة ولا يعرف يسوس امره معها . ما لهُ لا يأخذ لها من عيدان التوت ويدخل الى خزانة ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تسأله عن شيء. (قال) فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب قال الوزير لابنته شهرزاد: افعل معكِ مثل ما فعل التاجر بزوجته . فقالت لهُ :وما فعل . قال دخل بها الى الخزانة ثم بعد ما قطع لها من عيدان التوت وخبأها داخل الخزانة دخل الخزانة وقال لها : تعالي حتى اقول لكِ داخل الخزانة واموت ولا ينظرني احد . فدخلت معهُ ثم انهُ قفل باب الخزانة ونزل عليها بالضرب الى ان اغمي عليها . فقالت لهُ : تبتُ . ثم انها قبَّلت يديه ورجليه وتابت

وخرجت هي واياه وفرح الجماعة واهلها وقعدوا في اسر الاحوال الى الممات

(قال) فلما سمعت ابنة الوزير مقالة ابيها قالت لهُ: لابدَّ من ذلك. فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد أوصت اختها الصغيرة وقالت لها: اذا توجهتُ عند الملك أرسل أطلبكِ فاذا جئتِ اليَّ قولي: يا اختي حدثيني حديثاً وكلاماً نقطع بهِ الليل والسهر وانا احدثكِ حديثاً يكون فيهِ ان شاء الله تعالى الخلاص . ثم ان اباها الوزير طلع بها الى الملك . فلما رآه فرح وقال : هل أتيت بحاجتي . فقال : نعم . فبكت شهرزاد . فقال لها : ما لكِ . فقالت : ايها الملك ان لي اختاً صغيرة واريد ان اودّعها . فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير وجلسوا يتحدثون . فقالت لها اختها الصغيرة : باللهِ عليكِ يا اختي حدثينا حديثاً نقطع بهِ سهر ليلتنا . فقالت: حباً وكرامةً ان اذن لي الملك المهذَّب . فلما سمع الملك منهما ذلك وكان قلقاً فرح اسماع الحديث فاذن لها

حكاية التاجر والجني

(الليلة الاولى) . قالت شهرزاد حكي ايها الملك السعيد انهُ كان تاجر من بعض التجار وكان كثير المال والمعاملات في البلاد . فركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد فطلع عليهِ الحرّ فجلس تحت شجرة وحطّ يده في خرجهِ فأخرج كسرة وتمرة فاكل الكسرة والتمرة . فلما فرغ من اكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول فدنا من التاجر وقال لهُ : قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي . فقال لهُ التاجر : كيف قتلت ولدك . قال لهُ : لما اكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي وكان ماشياً فمات من ساعته . فقال التاجر: انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون لا حولَ ولا قوّةَ الَّا باللهِ العليّ

العظيم ان كنت قتلته فما قتلته الّا خطأ مني أُريد ان تعفو عني . فقال الجني: لا بدَّ لي من قتلك ثم انهُ جذبه وبطحه على الارض ورفع السيف ليضربه فبكى التاجر وقال: فوضت امري الى الله وانشد يقول:

الدهر يومان ذا امنٌ وذا حذرُ والعيش شطرانِ ذا صفو وذا كدرُ
قُل للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل عانـد الدهر الّا من لهُ خطرُ
اما ترى الريح ان هبَّت عواصفها فليس تعصف الّا مـا هو الشجرُ
وما ترى البحر تعلو فوقـهُ جيفٌ وتستقـرُّ باقصى قعره الـدررُ
فان تكن عبثت ايدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسهِ الضررُ
ففي السماء نجومٌ لاعداد لها وليس يكسفُ الّا الشمس والقمرُ
وكم على الارض من خضرا ويابسةٍ وليس يُرجَمُ الّا ما لهُ ثمرُ
احسنتَ ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخفْ سوء ما يأتي بهِ القدرُ

فلما فرغ التـاجر من شعره قال لهُ الجني: اقصر كلامك والله لابدَّ لي من قتلك. فقال التاجر: اعلم ايها العفريت اني عليَّ دين ولي مال كثير واولاد وزوجة ورهون فدعني اروح الى بيتي واوصل الى كل ذي حقّ حقهُ واعود اليـك على رأس السنة ولك عليَّ عهد الله وميثاقه اني اعود اليك تفعل بي ما تريد والله على ما اقوله وكيل. فاستوثق منهُ الجني واطلقـه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقـاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة. ثم انهُ قام وتوضأ وأخذ كفنه تحت ابطه وودَّع اهله وجيرانه وجميع اقاربه وخرج رغمًا عن انفه فاقاموا عليهِ الصراخ والعويل. فتمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم رأس السنة الجـديدة. فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له واذا بشيخ كبير قد اقبـل عليهِ ومعهُ غزالة مقيَّدة فسلّم على ذلك التاجر وحيّاه

وقال لهُ ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو مأوى الجان . فاخبره التاجر بما جرى لهُ مع ذلك العفريت فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال : والله يا اخي ما دينك الّا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كُتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر . ثم انهُ جلس الى جانبه وقال : والله يا اخي لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجري لك مع هذا العفريت . ثم انهُ جلس عنده وبينما هما في الحديث ادرك ذلك التاجر الخوف والفزع والغمّ الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه . ثم اقبل عليهما شيخ ثانٍ ومعهُ كلبان اسودان من الكلاب السلوقية فسألهما بعد السلام عليهما واستخبرهما وقال لهما : ما سبب جلوسكما في هذا المكان وهو مأوى الجان . فاخبراه بالقصة من اولها الى اخرها . فما استقرَّ بهم الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعهُ بغلة زرزوريَّة فسلَّم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان فاخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة يا سادة . فجلس عندهم واذا بغبرة قد اقبلت وزوبعةٍ عظيمة من وسط تلك البرّيَّة فانكشفت الغبرة واذا به ذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم وقال لهُ : قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي . ثم انتحب ذلك التاجر وبكى وقامت الشيوخ الثلثة بالبكاء والعويل والنحيب فانتبذ منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبَّل يد ذلك العفريت وقال لهُ : ايها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لي ثُلث دم هذا التاجر . فقال : نعم ايها الشيخ اذا حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه

فقال الشيخ : اعلم ايها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمي ولحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السنّ وأقمت معها نحو ثلثين سنة فلم ارزق منها

ولدًا. فاخذت لي سرّية فرزقت منها ولدًا ذكرًا كأنهُ البدر اذا بدا بعيون وحواجب كاملة فكبر ونشأ وصار ابن خمسة عشر سنة فعرضت لي سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجرٍ عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلًا وتلك الجارية امهُ بقرة وسلمتهما الى الراعي. وجئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وامهِ فقالت لي: امرأتك ماتت وابنك هرب ولم اعلم اين راح. فجلست مدة سنة وانا حزين القلب باكي العين الى ان جاء عيد الله الاكبر فارسلتُ للراعي وأمرتهُ ان يُحضر لي بقرة سمينة فحضر ببقرة سمينة وهي جاريتي التي سحرتها هذه الغزالة. فشمرت اذيالي وأخذت السكين بيدي واردت ان اذبحها فصاحت وولولت وبكت فتعجبت انا من ذلك واخذتني الرأفة فوقفت عنها وقلت للراعي: ائتني بغيرها. فصاحت ابنة عمي هذه اذبحها فما عندي احسن ولا اسمن منها. فتقدمت اليها لاذبحها فصاحت. فقمت وامرت ذلك الراعي بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحمًا ولا لحمًا غير جلد وعظم. فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم واعطيتها الراعي وقلت له: ائتني بعجل سمين فاتاني بولدي فلما رآني ذلك العجل قطع حبلهُ وجاءني وتمرّغ عليَّ وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليهِ فقلت للراعي: ائتني ببقرة ودع هذا. فصاحت عليَّ بنت عمي هذه الغزالة وقالت: لابدَّ لك من ذبح هذا العجل في هذا اليوم فانهُ يوم شريف مبارك لا يذبح فيه الَّا الشيء المليح وليس عندنا بين العجول أسمن منهُ ولا أحسن منهُ. فقلت لها: انظري كيف كان حال البقرة التي ذُبحت بامركِ فها نحن طلعنا منها خائبين وما انتفعنا منها بشيء اصلًا وندمتُ غاية الندم على ذبحها والان لا اقبل منكِ كلامًا في ذبح هذا العجل هذه المرة. فقالت لي: والله العظيم الرحمن الرحيم لابدَّ لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف وان لم تذبحه

فما انت زوجي ولا انا زوجتك . فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب ولم اعلم بقصدها تقدمتُ الى العجل وأخذت بيدي السكين . فأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : ما احسن حديثكِ واطيبه وألذّه واعذبه . فقالت لها : واين هذا مما احدثكم بهِ الليلة القابلة ان عشتُ وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها . ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح . فخرج الملك الى محل حكمه وجاء الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يأمر الوزيرَ بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب وانفضّ الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

(الليلة الثانية) . فقالت دنيازاد لاختها شهرزاد : يا اختي اتمي لنا حديثكِ الذي هو حديث التاجر والجني . قالت : حبًا وكرامةً ان اذن لي الملك . فقال الملك : احكي . فقالت : بلغني ايها الملك السعيد . والوليّ الرشيد . انهُ لما اراد ان يذبح العجل حنّ قلبه وقال للراعي : ابقِ هذا العجل بين البهائم . كل ذلك والشيخ يحدث الجني والجني يتعجب من ذلك الكلام العجيب . قال صاحب الغزالة : يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول : اذبح العجل فانهُ سمين فلم يهُن عليّ ان اذبحه وأمرت الراعي ان يأخذهُ فأخذه وتوجه بهِ . في ثاني يوم بينما انا جالس اذا بالراعي مقبل اليّ وقال : يا سيدي اقول لك شيئًا تسرّ بهِ ولي البشارة . فقلت : نعم . فقال : ايها التاجر ان لي بنتًا وكانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس واعطيتني العجل دخلت عليها فنظرت اليهِ بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت : يا ابتِ بخس قدري عندك حتى انك تُدخل عليّ الرجال الاجانب . فقلت لها : واين الرجال الاجانب ولماذا بكيتِ وضحكتِ . فقالت لي : ان هذا العجل الذي معك ابن استاذنا وهو

مسحورٌ وقد سحرتهُ زوجة ابيهِ هو وامهُ فهذا سبب ضحكي . واما سبب بكائي فمن اجل امهِ كيف ذبحها ابوهُ فعجبتُ من ذلك غاية العجب . وما أيقنتُ بطلوع الصباح حتى جئت اليك لاعلمك

فلما سمعت ايها الجني هذا الكلام من الراعي خرجت معهُ وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت داره فترحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي . ثم ان العجل جاء اليَّ وتمرَّغ عليَّ فقلت لابنة الراعي: أحقٌّ ما تقولين عن ذلك العجل . قالت : نعم ياسيدي انهُ ابنك وحشاشة كبدِك . فقلت لها : ايتها الصبية ان انتِ خلصتهِ فلكي عندي ما تحت يدَ ابيكِ من المواشي والاموال . فتبسمت وقالت : يا سيدي ليس لي رغبة في المال الَّا بشرطين الاول ان تزوجني بهِ . والثاني ان اسحر من سحرتهُ واحبسها والَّا فلست آمنةً من مكرها . فلما سمعت ايها الجني كلام بنت الراعي قلت : ولكِ فوق ما طلبتِ جميع ما تحت يد ابيكِ من الانعام والاموال . واما بنت عمي فدمها لكِ مباح . فلما سمعت كلامي اخذت طاسًا وملأتهُ ماء ثم انها عزمت عليهِ ورشت بهِ العجل وقالت لهُ: ان كنت عجلًا وانت على خلقة الله تعالى دُم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورًا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى . واذا بهِ انتفض وصار انسانًا . فوقعتُ عليهِ وقلت لهُ : بالله عليك احكِ لي ما صنعت بك بنت عمي وبامك فحكى لي ما جرى لهما . فقلت : يا ولدي قد بعث الله لك من خلصك وخلَّص حقك . ثم اني ايها الجني زوجت ابنة الراعي بولدي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وقالت لي: هذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكره النظر اليها

ثم ان بنت الراعي اقامت عندنا اياماً وليالي . وليالي واياماً حتى اختارها

الله اليه وبعد ان توفيت سافر ابني الى بلاد الهند وهي بلاد هذا الرجل الذي جرى لك معهُ ما جرى فعند ذلك اخذت الغزالة بنت عمي وسرت بها من بلدٍ الى بلد أُبصر خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا المكان ورأيت التاجر جالساً يبكي وهذا حديثي . فقال الجني : هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه

فعند ذلك تقدم الشيخ الثاني صاحب الكلبين السلوقيين وقال للجني : ان حكيتُ لك ما جرى لي مع اخويَّ هذين الكلبين ورأيتها اغرب حكاية واعجب تهب لي ثلث دمه . فقال لهُ : ان كانت حكايتك اعجب واغرب فلك ذلك . فقال لهُ الشيخ : اعلم يا سيد ملوك الجان ان هذين الكلبين اخواي وانا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة الاف دينار ففتحت انا دكاناً ابيع فيهِ واشتري وكذلك اخواي كل واحد فتح دكاناً . فما قعدتُ كثيرًا الّا واخي الكبير احد هذين الكلبين باع متاع دكانهِ بالف دينار واشترى بضائع ومتجرًا وسافر فغاب عنَّا سنة كاملة . وبينما انا يوماً في دكاني اذ وقف عليَّ سائل فقلت : يفتح لك الله . فقال لي وقد بكى : ما بقيت تعرفني . فحققتهُ واذا بهِ اخي فقمتُ ورحبتُ بهِ وذهبت بهِ الى البيت فسألتهُ عن حاله فاجابني : لا تسأل لان المال مالَ . والحال حالَ . فقمت وادخلته الحمام والبستهُ حلةً من ملابسي واخذته الى داري . ثم كشفت حسابي وبيع دكاني فوجدت اني قد كسبت الف دينار ورأس مالي الفا دينار فقسمت الربح بين اخي وبيني وقلت لهُ : احسب انك ما سافرت ولا تغربت . فاخذ المال وهو فرحان وفتح لهُ دكانهُ وقعدتُ اياماً وليالي . ثم بعد ذلك قام اخي الثاني وهو الكلب الاخر وباع ما كان عنده وجميع مالهِ واراد السفر فمنعناه فلم يمتنع . فاشترى تجارةً وسافر مع الاسفار وغاب عنا سنة كاملة

ثم انهُ اتاني كما اتى اخوه الكبير فقلت لهُ: يا اخي أما نصحتك ان لا تسافر فبكى وقال: يا اخي هذا مقدَّر (١) وها انا فقير لا املك الدرهم الفرد. عريان ما علي قميص فاخذته ايها الجني وادخلته الحمَّام والبسته ثوبًا جديدًا من ملابسي وجئت بهِ الى دكاني فاكلنا وشربنا وبعده قلت لهُ: يا اخي اني اعمل حساب دكاني في كل رأس سنة مرة والذي اراه زائدًا هو بيني وبينك. فقمت ايها العفريت وعملت

(١) لما كان ذكر القضاء والقدر في هذا الكتاب يتكرر مرارًا رأينا ان نبيّن المراد منها

فاعلم ان قضاء الله عبارة عن علمه السابق وارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على احوالها في اوضاعها. والقدر عبارة عن خروجها الى الوجود العيني باسبابها على الوجه الذي تقرَّر في القضاء. فالافعال الصادرة عن اسباب اضطرارية تُسند الى القدَر الحاتم. واما الافعال الاختياريَّة الصادرة عن العباد فلا شك ان الله سبق وعلِمها. لكنهُ علمها صادرةً عن اختيارهم فلا يُسند اذًا وجودها الى علم الله وقدره بل الى اختيار العباد. ولا تُقيّد حرّيتهم بسابق علمه تعالى ولا يُضطرّون الى فعل من افعالهم لانهم مخيَّرون فيها. والّا لكانت الفضيلة والرذيلة اسمين لا مسمًّى لهما ولَبطل الثواب والعقاب. لان جزاء المرء انما هو متوقف على اعماله الاختياريَّة ان خيرًا وان شرًّا. اما الشر فبارادة الانسان وحده وسماحه تعالى واما الخير فبمعونته عزَّ وجلّ

فلا بدَّ اذًا من ان يقترن سعينا واجتهادنا باسعافه تعالى. قال الابشيهي (في كتاب المستطرف جزء ٢ صفحة ٣١٩) «كلٌّ من القدَر والطلب معين لصاحبه. الا ترى ان من طلب الرزق ثم قعد في بيته ولم يبذر ارضه معتمدًا في ذلك على الله واثقًا بهِ ان ينبت الزرع من غير بذرٍ كان عن المعقول خارجًا ولامر الله كارهًا»

وجاء في نهج البلاغة على لسان عليّ (جزء ٢ صفحة ٩٦) «ويحك لعلَّك ظننت قضاء لازمًا وقدرًا حاتمًا. لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد. ان الله سبحانهُ امر عباده تخييرًا ونهاهم تحذيرًا وكلف يسيرًا ولم يكلف عسيرًا واعطى على القليل كثيرًا ولم يُعصَ مغلوبًا ولم يُطَع مُكرِهًا»

ومثَل ذلك مثل الحافظة في الانسان فانها اذا ما ذكَّرتهُ افعالهُ الماضية لا يغيّر ذكرها حكم هذه الافعال بل يتركها على اوضاعها ان اختياريَّة وان اضطراريَّة. كذلك علم الله السابق لا يغيّر حكمَ افعالنا المستقبلة بل يتركها على ما هي

حساب دكاني فرأيت الفي دينار فحمدتُ الباري سبحانهُ وتعالى . فاعطيت اخي الفاً وبقي معي الف . فقام اخي وفتح دكاناً وقعدنا جملة ايام . وبعد مدةٍ قام عليَّ اخواي وارادا ان اسافر في صحبتهما فلم افعل وقلت لهما : اي شيء كسبتما انتما في سفركما حتى اكسب انا . فما سمعت منهما . واقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري وهما يعرضان عليَّ السفر كل سنة وانا لا ارضى حتى مضت لنا ستُّ سنين فانعمت عليهما بالسفر وقلت لهما : يا اخويَّ ها انا مسافر معكما ولكن هلمَّ ننظر اي شيء معكما من المال . فلم اجد معهما شيئاً بل وذَّرا كل شيء . لانهما كانا عاكفين على الاكل والشرب والملذات . فما كلمتهما ولا قلت لهما شيئاً بل قمت وعملت حساب دكاني وما خليت عندي من المال وكل ما كان عندي من البضائع فوجدت معي ستة الاف دينار ففرحت وقمت قسمتها نصفين وقلت لهما : هذه ثلاثة الاف دينار لي ولكما لكي نتاجر بها . وقمت دفنت الثلاثة الافَ دينار الاخرى احتمالًا ان يجري عليَّ ما جرى عليهما فاجيء واجد ثلاثة الاف دينار نفتح بها دكاكيننا . فارتضيا كلاهما فاعطيت كل واحد الف دينار وبقي لي مثلهما الف دينار . فتضعنا البضائع الواجبة وتجهزنا للسفر واكترينا مركباً ونقلنا اليهِ حوائجنا وسافرنا اول يوم وثاني يوم مدة شهر كامل فدخلنا مدينةً ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير واردنا ان نسافر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها ثياب خلقة مقطعة فقبلت يدي وقالت : يا سيدي هل فيك حسنة ومعروف اجازيك عليهما . قلت : نعم اني احبُّ الحسنة والمعروف وان لم تجازيني . فقالت : يا سيدي تزوجني وخذني الى بلادك فاني قد وهبت نفسي لك فافعل معي معروفاً . واما انا فممَّن يفعل معهُ المعروف والحسنة واجازيك عليها ولا يغرَّنك حالي . فلما سمعت كلامها حنَّ لها قلبي لامرٍ يريده الله عزَّ وجلَّ فاخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب

فرشًا حسنًا واكرمتها ثم سافرنا . اما اخواي فحسداني على مالي وكثرة بضاعتي وصارا يتحدثان في قتلي وأخذ مالي وقالا : نقتل اخانا ويصير المال جميعه لنا . وزيَّن لهما الشيطان اعمالهما وخلياني وبينما انا نائم حملاني وزوجتي ورميانا في البحر . فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني واصعدتني الى جزيرة وغابت عني قليلًا وعادت عند الصباح وقالت : ها انا جاريتك انا التي حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم اني جنية رأيتك فحبك قلبي لله وانا مؤمنة بالله ورسوله فجئتك بالذي رأيتني فيهِ فتزوجت بي وها انا قد نجيتك من الغرق وقد غضبتُ على اخويك ولا بدَّ ان اقتلهما

فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها : اما هلاك اخويَّ فلا . ثم قصصتُ ما جرى لي معهما من اول الزمان الى آخره . فلما عرفت حقيقة امري قالت : انا في هذه الليلة اطير اليهما واغرق مركبهما واهلكهما . فقلت لها : بالله عليكِ لا تفعلي فان المثل يقول : يا محسنًا لمن اساء كفى المسيء فعلهُ . وهما اخواي على كل حال . قالت : والله لا بدَّ لي من قتلهما فتوسلت اليها فيهما . ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحتُ الابواب واخرجت الذي خبأته تحت الارض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع

فلما كان العشاء رجعت الى بيتي فوجدت هذين الكلبين مربوطين في داري فلما رأياني قاما اليَّ وبكيا وتعلقا بي فلم اشعر الَّا وزوجتي قالت : هذان اخواك . فقلت : ومن فعل بهما هذا الفعل . قالت : انا ارسلت الى اختي ففعلت بهما ذلك وما يتخلصان الَّا بعد عشر سنوات . فجئت وانا سائر اليها لتخلصهما بعد اقامتهما عشر سنوات في هذه الحال فرأيت هذا الرجل فاخبرني بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي . فقال الجني : انها

حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمهِ وجنايته

قال الشيخ الثالث صاحب البغلة: انا احكي لك حكاية اعجب من الاثنين وتهب لي باقي دمهِ وجنايته ايها الجني. قال: نعم. فقال الشيخ: ايها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي فسافرتُ وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت اليها وكانت فاجرة فلما رأتني عجلت وقامت اليَّ بكوز فيهِ ماء فتكلمت عليهِ ورشتني وقالت: اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرتُ في الحال كلباً فطردتني من البيت. فخرجت من الباب ولم ازل اسير حتى وصلتُ الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام. فلما رآني صاحب الدكان اخذني ودخل بي بيته. فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني وقالت: تجيء لنا برجل وتدخل بهِ علينا. فقال ابوها: اين الرجل. قالت: هذا الكلب رجل سحرتهُ امرأته وانا اقدر ان اخلصه. فلما سمع ابوها كلامها قال: بالله عليكِ يا ابنتي خلصيه. فاخذت كوزًا فيهِ ماء وتكلمت عليهِ ورشَّت عليَّ منهُ قليلًا وقالت: اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فعدتُ الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها: اريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني. فاعطتني قليلًا من الماء وقالت: اذا رأيتها نائمةً رشَّ هذا الماء عليها وتكلم معها باي كلام اردته فانها تتحوَّل الى ما انت طالب. فاخذت الماء ودخلت الى زوجتي فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت: اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة. فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك ايها السلطان ورئيس ملوك الجان. فقال لها: أصحيح. فهزَّت رأسها وقالت بالاشارة تعني: اي والله هذا حديثي وما جرى لي. فلما فرغ حديثه اهتزَّ الجني من الطرب ووهب لهُ ثلث دمه. فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها اختها: يا اختي ما احلى حديثكِ واطيبه والذهُ واعذبه. فقالت: واين هذا

مما احدثكم بهِ الليلة القابلة ان عشتُ وابقاني الملك . فقال الملك : لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانهُ عجيب . ثم باتوا تلك الليلة الى الصباح فخرج الملك محل حكمه وخرج العسكر والوزير واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وامر الى اخر النهار فانفضَّ الديوان فدخل الملك شهريار الى قصره

(الليلة الثالثة) . فلما اقبل الليل قالت لشهرزاد اختها دنيازاد : يا اختي اتممي لنا حديثكِ . فقالت : حبا وكرامةً . بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الثالث قال للجني حكاية اعجب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب واهتزَّ من الطرب وقال : قد وهبت لك باقي جنايته واطلقتهُ لكم . فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنأوهُ بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده . وما هذا باعجب من حكاية الصياد

حكاية الصيَّاد

قال وكيف ذلك . قالت : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان رجل صياد وكان طاعنًا في السنّ ولهُ زوجة وثلثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انهُ يرمي شبكته كل يوم اربع مرَّات لاغير . ثم انهُ خرج يومـًا من بعض الايام في وقت الظهر واتى شاطئ البحر وحطَّ مقطفه وشمَّر قيصه وخاض في البحر وطرح شبكته وصبر الى ان استقرَّت في الماء وجمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك . فجاء بالطرف للبر ودقَّ وتدا وربطها وتعرَّى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى اطلعها ففرح وخرج ولبس ثيابهُ واتى الشبكة فوجد فيها حمارًا ميتًا وقد خرق الشبكة فلما رأى ذلك حزن وقال : لا حولَ ولا قوَّة الَّا بالله العليّ العظيم . ثم ان الصياد قال : ان هذا الرزق عجيب وانشد يقول :

يا خائضًا في ظلام الليل والهلكه ... اقصر عناك فليس الرزق بالحركه

اما ترى البحر والصياد منتصباً لرزقهِ ونجوم الليل محتبكهْ
قد خاضَ في وسطهِ والموج يلطمهُ وعينهُ لم تزل في كلكلِ الشبكه
حتى اذا باتَ مسروراً بليلتهِ بالحوت قد شقَّ سفُّودُ الردى حنكه
ابتاعهُ منهُ من قد بات ليلتهُ خلواً من البرد في خيرٍ من البركه
سبحان ربيَ يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

ثم قال: هيَّا لابدَّ من كرامةٍ ان شاء الله تعالى وانشد يقول:

واذا بليت بعسرةٍ فالبس لها صبر الكريم فان ذلك احزمُ
لاتشكونَّ الى العباد فانما تشكو الرحيم الى الذي لا يرحمُ

ثم خلصهُ من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وخاض البحر وقال: بسم الله. وطرحها وصبر عليها حتى استقرَّت فثقلت ورسخت اكثر من الاول فظنَّ انهُ سمك فربط الشبكة وتعرَّى وتزل وغطس وعالج الى ان خلصها واطلعها على البرّ فوجد فيها زيراً كبيراً وهو ملآن رملاً وطيناً فلما راى ذلك تأسف وانشد يقول:

يا حُرقة الدهر كُفي ان لم تكُفي فعِفي
خرجت اطلب رزقي وجدت رزقي توفّي
كم جاهلٍ في الثريَّا وعالم متخفي

ثم انهُ رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد الى البحر ثالث مرَّة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرَّت وجذبها فوجد فيها شقفاً وقوارير وعظاماً فاغتاظ جداً وبكى وانشد يقول:

هو الرزق لاحلٌّ لديك ولا ربطُ ولا ادبٌ يعطيكَ رزقاً ولا خطُّ
ولا الحظ والارزاق الّا مقسمٌ فارضٌ بها خصبٌ وارضٌ بها قحطُ

تحطُّ صروفُ الدهر كل مهذبٍ وترفع من لايستحقُّ لهُ الحطُّ
فيا موت زُرْ انَّ الحيوة ذميمةٌ اذا انحطت البازاتُ وارتفع البطُّ
فلا عجبًا ان كنت عاينت فاضلًا فقيرًا وذا نقصٍ بدولتهِ يسطو
فطيرٌ يطوف الارض شرقًا ومغربًا وآخرُ يُعطى الطيباتِ ولا يخطو

ثم انهُ رفع رأسهُ الى السماء وقال : اللهمَّ انك تعلم اني لم ارمِ شبكتي كل يوم الَّا اربع مراتٍ وقد رميت ثلاثًا ولم يأتني شيء. فارزقني اللهمَّ هذه المرَّة برزقي . ثم انهُ سمَّى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرَّت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول ولا قوة الَّا بالله ثم انشد :

أفٍّ للدنيا اذا كانت كذا انا فيها في بلاء واذى
ان صفا عيش امرىء في صبحها جرَّعتهُ ممسيًا كاس الردى
ولقد كنتُ اذا ما قيلَ مَن انعمُ العالمِ عيشًا قيل ذا

ثم تعرَّى وغطس وصار يعالج حتى اخرجها الى البرّ وفتح الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس اصفر ملآن وفمهُ مختوم برصاص عليهِ طبع خاتم سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فلما رآه الصياد فرح وقال: هذا ابيعه في سوق النحاس فانهُ يساوي عشرة دنانير ذهبًا . ثم انهُ حرَّكهُ فوجده ثقيلًا ووجده مسدودًا فقال في نفسه : يا ترى ايُّ شيء في هذا القمقم افتحهُ وانظر ما فيهِ وبعد هذا ابيعه . ثم انهُ أخرج سكينًا وعالج الرصاص الى ان فكَّهُ من القمقم وحطه الى جانب الارض وهزه لينصبَّ ما فيهِ فلم ينزل منهُ شيء فتعجب غاية العجب . ثم انهُ خرج من القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع وانتفض فصار عفريتًا رأسهُ في السحاب . ورجلاه في التراب . براس كالقبة

بايدٍ كالمذاري . برجلين كالسواري . بفم كالمغارة . واسنان كالحجارة . ومناخير كالابريق وعينان كالسراجين اعبس انحس . فلما رأى الصيادُ ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت اسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه . فلما رآه العفريت قال : لا اله الَّا الله سليمان نبيّ الله ثم قال العفريت : يا نبيّ الله لاتقتلني فاني لاعدت اخالف لك قولًا ولا اعصي لك امرًا . فقال لهُ الصياد : ايها المارد تقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة الف وثماني مئة سنة ونحن في آخر الزمان وما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم . (قال) فلما سمع المارد كلام الصياد قال : لا اله الَّا الله ابشر يا صياد . فقال الصياد : بماذا تبشرني . فقال : بقتلك في هذه الساعة شرّ قتلة . قال الصيّاد : يعدمك العافية تستاهل على هذه البشـارة يا قيّم العفاريت زوال الستـر عنك . لاي شيء تقتلني واي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر واخرجتك الى البرّ . فقال العفريت : تمنَّ عليَّ اي موتة تموتها واي قتلة تقتلها . فقال الصياد : ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك . قال العفريت : اسمع حكايتي يا صياد . قال الصياد : قل واوجز في الكلام فان روحي وصلت الى انفي . فقال : اعلم يا صياد اني من الجنّ المارقين وقد عصيتُ سليمان بن داود عليهما السلام انا وصخر الجني . فارسل لي وزيره اصف ابن برخيا فاتى بي كرهًا وقادني وانا ذليل على رغم انفي واوقفني بين يديه . فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض عليَّ الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت . فدعا بهذا القمقم وحبسني فيهِ وختم عليَّ بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجنّ فاحتملوني والقوني في وسط البحر . فأقمت مئة عام وقلت في قلبي : كل من خلصني اغنيته الى الابد . فمرَّت مئة عام ولم يخلصني احد . ودخلت عليَّ مئة اخرى فقلت : كل من خلصني فتحت لهُ كنوز الارض . فما خلصني احد . فمرَّ عليَّ اربع مئة عام

اخرى . فقلت : كل من خاصني اقضي لهُ ثلاث حاجات . فلم يخلصني احد فغضبت غضباً شديداً وقلت في نفسي : كل من خلصني في هذه الساعة قتلتهُ ومنيتـه كيف يموت . وها انت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت

فلما سمع الصياد كلام العفريت قال : يا للعجب . انا ما جئت اخلصك الّا في هذه الايام . ثم قال الصياد للعفريت : اعفُ عن قتلي يعفُ الله عن قتلك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك . فقال المارد : لابدَّ من قتلك فتمنَّ عليَّ اي ميتة تموتها . فلما تحقق ذلك منهُ الصياد راجع العفريت وقال : اعفُ عني اكراماً لما اعتقتك . فقال العفريت : وانا ما اقتلك الّا لاجل ما خلصتني . فقال لهُ الصياد : يا شيخ العفاريت هل اصنع معك مليحاً فتقابلني بالقبيح . ولكن لم يكذب المثل حيث قال :

فعلنـا جميـلًا قابلونا بضـدهِ وهذا لعمري من فعـال الفواجرِ
ومن يفعل المعروف مع غير اهلهِ يُجازى كما جُوزي مُجير ام عامرِ

فلماً سمع العفريت كلامهُ قال لهُ : لا تُطل فلا بدّ من موتك . فقال الصياد : هذا جني وانا انسي وقد اعطاني الله عقلًا كاملًا وها انا ادبر على هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه . ثم قال للعفريت : هل صممت على قتلي . قال : نعم . فقال لهُ : بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام اسألك عن شيء وتصدقني فيه . قال : نعم . ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتزَّ وقال لهُ : سل واوجز . فقال لهُ : انت كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك . فقال لهُ العفريت : وانت لا تصدق اني كنت فيه . فقال الصياد : لا اصدقك ابدًا حتى انظرك فيهِ بعيني

(الليلة الرابعة) . حينئذٍ انتفض العفريت وصار دخاناً على البحر واجتمع

ودخل القمقم قليلاً قليلاً حتى استكمل الدخان داخل القمقم. واذا بالصياد اسرع واخذ سدادة الرصاص المختومة وطبعها على فم القمقم ونادى على العفريت وقال له: تمنَّ عليَّ اي ميتة تموتها. لارمينَّك في هذا البحر وابني لي هنا بيتاً وكل من اتى هنا امنعهُ ان يصطاد واقول له: هنا عفريت كل من اخرجه يُبيّن كيف يموت وكيف يقتله. فلما سمع العفريت كلام الصياد ورأى نفسه محبوساً واراد الخروج فلم يقدر ومنعهُ خاتم سليمان وعلم ان الصياد تحيَّل عليهِ قال: انا كنت امزح معك. فقال له الصياد: تكذب يا احقر العفاريت واقذرها واصغرها. ثم ان الصياد اخرج القمقم الى جانب البحر. فقال له العفريت: لا لا. فقال الصياد: إي اي فرقَّق المارد كلامهُ وخضع وقال: ما تريد ان تصنع بي يا صياد. قال: القيك في البحر. ان كنت اقمت فيهِ الفاً وثمانمئة سنة فانا اجعلك ان تمكث فيهِ الى ان تقوم الساعة أما قلت لك: أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله. فابيت قولي وما اردت الّا ان تغدر بي فرماك الله في يدي فغدرت بك. فقال العفريت: افتح لي حتى احسن اليك. فقال له الصياد: تكذب يا ملعون انا مثلي ومثلك كمثل وزير الملك يونان والحكيم دوبان. فقال العفريت: وما وزير الملك يونان والحكيم دوبان وما قصتهما. فقال الصياد: اعلم ايها العفريت

حكاية وزير الملك يونان

انهُ كان في قديم الزمان. وسالف العصر والاوان. في مدينة الفرس وارض رومان. ملك يقال له يونان. وكان ذا مال وجنود وهيبة واعوان. من سائر الاجناس. وكان في جسده برص وقد اعيى الاطباء والحكماء ولم ينفعه منهم شرب ادوية ولا سفوف ولا دهان. ولم يقدر احد من الاطباء ان يبرئه. وكان

قد دخل الى مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السنّ يقال لهُ الحكيم دوبان وكان قد قرأ الكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعلم تأسيس حكمتها وقواعد امورها ومنفعتها ومضرتها وعلم جميع النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة وعلم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها . ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها اياماً قلائل سمع خبر الملك وما جرى لهُ في بدنه من البرص الذي ابتلاه الله بهِ وقد عجزت عن مداواته الاطباء واهل العلوم . فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولاً ولما اصبح الصباح . واضاء بنوره ولاح . لبس الحكيم افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض بين يديه ودعا لهُ بدوام العزّ والنعم . واحسن ما بهِ تكلم . واعلمه بنفسه فقال : ايها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وان كثيرًا من الاطباء ما عرفوا هذه الحيلة في ذهابه وها انا اداويك ايها الملك ولا اسقيك دواء ولا ادهنك بدهن . فلمّا سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال لهُ : كيف تفعل فوالله ان أبرأتني اغنك لولد الولد وانعم عليك وكلما تمنيته فهو لك وتكون نديمي وحبيبي . ثم انهُ خلع عليهِ واحسن اليهِ وقال لهُ : أتبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان . قال : نعم ابرئك . فتعجب الملك غاية العجب . ثم قال لهُ : ايها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في ايّ الاوقات وايّ الايام فاسرع يا ولدي . قال لهُ : سمعًا وطاعة انهُ يكون غدًا . ثم نزل الى المدينة واكترى لهُ بيتاً وحطّ فيهِ كتبهُ وادويته وعقاقيره . ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجاناً وجوّفهُ وعمل لهُ قبضة وصنع لهُ كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها صعد الى الملك في اليوم الثاني ودخل عليهِ وقبل الارض بين يديه وأمره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالكرة والصولجان . وكان معهُ الامراء والحجاب والوزراء وارباب الدولة . فما استقرّ بهِ الجلوس في الميدان حتى دخل عليهِ

الحكيم دوبان وناولهُ الصولجان وقال لهُ : خذ هذا الصولجان واقبض عليهِ مثل هذه القبضة وامشِ في الميدان واضرب الكرة حتى تعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك فاذا فرغت وحاق بك الدواء فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمَّام واغتسل ونم فقد برئت والسلام . فعند ذلك اخذ الملك يونان الصولجان من الحكيم وأمسكه بيده وركب الجواد ورمى الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وقد قبض بكفه على قبضة الصولجان وما زال يضرب الكرة ويسوق فرَسه خلفها ويضربها حتى عرقت كفه وسائر بدنه وسرى الدواء من القبضة وعرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده . فامره بالرجوع الى قصره ودخول الحمَّام من ساعته . فرجع الملك يونان من وقته وامر ان يُخلوا لهُ الحمَّام . فاخلوهُ لهُ وتسارعت اليهِ الفراشون وتسابقت المماليك واعدوا للملك قماشه ودخل الحمَّام واغتسل غسلًا جيدًا ولبس ثيابه داخل الحمَّام وخرج منهُ وركب الى قصره ونام فيهِ

هذا ما كان من امر الملك يونان . واما ما كان من امر الحكيم دوبان فانهُ رجع الى داره وبات فلمَّا اصبح الصباح برز الى الملك واستأذن عليهِ . فامره بالدخول . فدخل وقبَّل الارض بين يديهِ واشار الى الملك بهذه الابيات وانشد مترنمًا يقول :

سمَت الفضائل اذ دُعيت لها ابا ... واذا دعت يومًا سواك لها ابا
يا صاحب الوجه الذي انوارهُ ... تمحو من الخطب الجسيم غياهبا
ما زال وجهك مشرقًا متهللًا ... كي لا ترى وجه الزمان مقطبا
اوليتني من فضلك المنن التي ... فعلَت بنا فعل السحاب مع الرُبا
وصرفت جُلَّ المال في طلب العلا ... حتى بلغتَ من المعالي مأربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائماً على قدميه واعتنقه واجلسه بجنبه وخلع عليهِ الخلع السنية . وكان الملك لما خرج من الحمّام نظر الى جسده فلم يجد فيهِ شيئاً من البرص وصار جسده نقياً مثل الفضة البيضاء. ففرح الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح . فلما اصبح الصباح ودخل الى الديوان وجلس على سرير ملكه قامت اليهِ الحجّاب واكابر الدولة ودخل عليهِ الحكيم دوبان فلما رآه قام اليهِ مسرعاً واجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل في صحبته وما زال عنده ينادمه طول نهاره . فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفي دينارٍ غير الخلع والانعام واركبه جواده . فانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولم يدهنّي بدهان فوالله ما هذه الاّ حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليساً وانيساً مدى الزمان . وبات الملك يونان مسروراً فرحان لصحة جسمه وخلاصه من مرضه . فلما اصبح خرج الملك يونان وجلس على كرسيه ووقفت ارباب دولته وجلست الامراء والوزراء عن يمينه ويساره . وعند ذلك طلب الملك يونان الحكيم دوبان فدخل عليهِ وقبّل الارض بين يديه فقام لهُ الملك واجلسه بجانبه واكل معه وحيّاه وخلع عليهِ واعطاه ولم يزل يحدّثه الى ان اقبل الليل فرسم لهُ بخمس خلع والف دينار . ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك . فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت بهِ الامراء والوزراء والحجّاب . وكان للملك وزير بشع المنظر نحس لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرّب الحكيم دوبان واعطاه هذا الانعام حسده عليهِ واضمر لهُ الشرّ كما قيل في المعنى : ما خلا جسد من حسد . وقالوا : الظلم كمينٌ في النفس القوةُ تظهره والضعف يُخفيهِ . ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبّل الارض بين يديه وقال

له: يا ملك العصر والاوان انت الذي نشأتُ في احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان اخفيتها عنك كنت خائنًا فان أمرتني ان ابديها ابديتها لك . فقال الملك وقد ازعجه كلام الوزير: وما نصيحتك . فقال: ايها الملك الجليل قالت القدماء . من لم ينظر في العواقب . فما الدهر له بصاحب . وقد رأيت الملك على غير صواب حيث انعم على عدوّه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد احسن اليهِ واكرمه غاية الاكرام وقرّبه غاية القرب وانا اخشى على الملك. فقال له الملك وقد انزعج وتغيّر لونه: من الذي تزعم والى مَن تشير . قال له الوزير: يا ايها الملك ان كنت نائمًا فاستيقظ فانا اشير الى الحكيم دوبان . فقال الملك: ويلك هذا صديقي وهو اعزّ الناس عندي لانهُ داواني بشيء قبضته بيدي وابرأني من مرضي الذي عجزت فيهِ الاطباء. وهو لا يوجد مثلهُ في هذا الزمان ولا في الدنيا غربًا ولا شرقًا وانت تقول عنهُ هذا المقال. وانا من اليوم ارتب له الرواتب واجري عليهِ في كل شهر الف دينار ولو قاسمته ملكي لكان قليلًا وما أظنّ انك تقول ذلك الّا حسدًا

(الليلة الخامسة) . ثم قالت شهرزاد: بلغني ايها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره: ايها الوزير انت داخلك الحسد من اجل هذا الحكيم وتريد قتله. وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز . فقال الوزير: العفو يا ملك الزمان وكيف كان ذلك . فقال الملك:

حكاية الملك السندباد

حُكي والله اعلم انهُ كان ملك من ملوك الفرس وكان يحبّ الفرج والتنزه والصيد والقنص وكان له باز ربّاه ولا يفارقه ليلًا ولا نهارًا. وكان طول الليل يرفعه على يده واذا خرج للصيد يأخذه معهُ وعمل له طاسًا من الذهب معلقًا في رقبتـه

يسقيه منهُ . فبينما الملك جالس واذا بامير الرُّخّة يقول: يا ملك الزمان هذا اوان الخروج للصيد. فأمر الملك بالخروج واخذ البازَ على يده وساروا الى ان وصلوا الى وادٍ وضربوا حلقة الصيد واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد فقال الملك: كل من قفزت الغزالة فوق دماغه قتلته. فضيّقوا عليها حلقة الصيد. واذا بالغزالة اقبلت على الملك وثبتت على رجليها وحطت يديها على صدرها كانها تريد تقبيل الارض امام الملك. فطأطأ الملك للغزالة . ففرّت من فوق دماغه وراحت للبرّ . فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليهِ . فقال: ياوزير ماذا يقول العسكر . فقال : يقولون انك قلت كل من قفزت الغزالة فوق رأسهِ يقتل . فقال الملك : وحياة رأسي لاتبعنَّهـا حتى اجيء بها فطلع الملك تابعاً الغزالة ولم يزل وراءها الى جبـل من الجبال فارادت ان تعبر الغار فسيّب الباز وراءها فصار يلطسها في عينيهـا الى ان اعماها ودوّخها . فسحب الملك دبوساً وضربها فقلبهـا ونزل فذبحها وسلخها وعلقها في قربوس السرج وكانت ساعة حرّ وكانت الغابة مقفرة لا يوجد فيها ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملـك لابساً كفوفاً من جلد السرادق فاخذ الطاس من رقبة الباز وملأهُ من ذلك الماء ووضع الماء قدامه. واذا بالباز لطس الطاس فقلبهُ فاخذ الملك الطاس ثانياً واخذ النقط النـازلة حتى ملأهُ وظن ان الباز عطشان فوضعهُ قدامهُ فلطسهُ ثانياً وقلبهُ فانقبض الملك من الباز وقام ثالث مرة وملأ الطاس وقدمهُ للحصان فقلبهُ الباز بجناحه . فقال الملك : الله يخيبك يا اشأم الطيور حرمتني الشرب وحرمت نفسك وحرمت الحصان. وضرب الباز بالسيف فرمى اجنحته فصار الطير يقيم راسه ويقول بالاشارة : انظر الذي فوق الشجرة فرفع الملك عينهُ فرأى فوق الشجرة حية والذي يسيل سمّها . فندم الملـك على قصّ اجنحة الباز . ثم قام وركب حصانه وسار

ومعهُ الغزالة الى ان وصل الى الوطاق بمتاعه فاعطى الغزالة الطباخ وقال لهُ: خذها اشوها وجلس الملك على الكرسي والباز على يده. فشهق الباز ومات. فصرخ الملك حزنًا وأسفًا على قتل الباز لانهُ خلصهُ من الهلاك

هذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال لهُ ايها الملك العظيم الشأن وما الذي فعلتهُ من الضرر ورأيت منهُ سوءًا. وانما افعل هذا شفقة عليك ولاجل ان تعلم صحة ذلك والَّا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك. قال الملك يونان: وكيف كان ذلك

حكاية الوزير المحتال

فقال الوزير: اعلم ايها الملك انهُ كان لبعض الملوك ولدٌ مولعٌ بالصيد والقنص وكان معه وزير لابيه قد امره ابوه الملك ان يكون معه اينما توجه. فخرج الولد يومًا من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فسارا جميعًا فنظرا وحشًا كبيرًا فقال الوزير لابن الملك: دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنهُ الوحش في البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف اين يروح ولا اين يسير واذا بجارية على راس الطريق وهي تبكي. فقال لها ابن الملك: من انتِ. قالت: انا بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرّية فادركني النعاس فوقعت من على الدابّة ولم اعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرةً. فلما سمع ابن الملك كلامها رثى لحالها وحملها على ظهر دابّته واردفها وسار حتى مرّ بخربة فقالت لهُ الجارية. ياسيدي اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى خربةٍ ثم تعوّقت فاستبطأها فدخل خلفها وهي لاتعلم به فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها: يااولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين. فقالوا لها: ائتينا به يا امنا حتى نرعاه في بطوننا. فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن

بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأتهُ كالخائف الوجل وهو يرتعد . فقالت له: ما بالك خائفاً . فقال لها: ان لي عدواً وانا خائف منه . فقالت الغولة: انك تقول: انا ابن ملك . قال لها: نعم . قالت له: مالك لا تدفع لعدوك شيئاً من المال ترضيه بهِ . فقال لها: انه لا يرضى الّا بالروح وانا خائف منهُ وانا رجل مظلوم. فقالت لهُ: ان كنت مظلوماً كما تزعم استعن بالله فانه يكفيك شرّه وشرّ ما تخافُ منهُ . فرفع ابن الملك راسهُ الى السماء وقال: يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء اللهمَّ انصرني على عدوّي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير. فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنهُ. وانصرف ابن الملك الى ابيهِ وحدَّثه بحديث الوزير فدعا الملكُ الوزيرَ وقتله

وانت ايها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك شرّ القتلات . والذي قد احسنت اليهِ وقرّبته منك يعمل على هلاكك. أما ترى انهُ أبرأَك من المرض من ظاهر الجسد بشيء امسكتهُ بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيء تُمسكهُ ايضاً . فقال الملك يونان: صدقت يا وزير وقد يكون كما ذكرت ايها الوزير الناصح وان هذا الحكيم اتى جاسوساً في طلب هلاكي وان يكن ابرأني بشيء امسكتهُ بيدي يقدر ان يهلكني بشيء اشمّه. ثم ان الملك يونان قال لوزيره: ايها الوزير كيف العمل فيه. فقال له الوزير: ارسل خلفه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شرّه وتستريح منهُ واغدر بهِ قبل ان يغدر بك . فقال الملك يونان: صدقتَ ايها الوزير . ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدَّره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى :

يا خائفاً من دهرهِ كُن آمناً ... سلّم امورك للذي مدَّ الثرى
ان المقدَّر كائنٌ يا سيدي ... فلك الامان من الذي ما قُدِرا

فلما دخل الحكيم على الملك أنشد يقول :

اذا لم أقم في بعض حقك بالشكر فقل لي لمن اعددتُ نظمي اونثري
لقد جدتَ لي قبل السؤال بأنعمٍ أتتني بلا مطلٍ لديك ولا عذر
فما ليَ لا أعطي ثناءك حقهُ واثني على جدواكَ في السرّ والجهرِ
ساذكر ما اوليتني من صنائع يخفّ بها همي وان اثقلت ظهري

وايضاً في المعنى:

كُن عن همومك معرضاً وكِلِ الامورَ الى القضا
أبشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى بهِ ما قد مضى
فلربَّ أمرٍ متعبٍ لك في عواقبهِ رضى
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضاً

وقال ايضاً في المعنى:

سلم امورك للطيف العالمِ وارح فؤادك من جميع العالمِ
واعلم بان الامر ليس كما تشا بل ما يشاء الله احكم حاكمِ

وقال ايضاً في المعنى:

طِب وانشرح وانسَ الهموم جميعها ان الهموم تزيل لبَّ الحازمِ
لاينفع التدبير عبداً عاجزاً فاتركهُ تسلم في نعيم دائمِ

فقال الملك للحكيم دوبان : أتعلم لماذا احضرتك . فقال الحكيم: لايعلم الغيب الّا الله تعالى. فقال لهُ الملك: احضرتك لاقتلك وأعدمك روحك. فتعجب الحكيم دوبان من تلك المقالة غاية العجب وقال : ايها الملك لماذا تقتلني واي ذنبٍ بدا مني . فقال لهُ الملك: قد قيل لي انك جاسوس وقد اتيت تقتلني وها انا اقتلك قبل ان تقتلني. ثم ان الملك صاح على السياف وقال لهُ: اضرب رقبة

هذا الغدَّار وأرحنا من شرّه · فقال الحكيم للملك: ابقني يبقِك الله ولا تقتلني يقتلك الله · ثم انهُ كرَّر عليهِ القول مثل ما قلت لك ايها العفريت وانت لاتدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان: اني لا آمن الَّا ان اقتلك فانك ابرأتني بشيء مسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيء اشمُّه او غير ذلك · فقال الحكيم: ايها الملك هذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح · فقال الملك: لا بدَّ من قتلك من غير مهلة · فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قال في المعنى:

ميمونةٌ من سمات العقل عاريةٌ   لكن ابوها من الالباب قد خُلقا
لم يمشِ في يابسٍ يوماً ولا وحلٍ   الَّا بنورِ هُداهُ يتقي الزَلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وعصب عينيه وشهر سيفه والحكيم يبكي ويقول للملك: ابقني يُبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله وأنشد يقول:

نصحت فلم افلح وخانوا فافلحوا   واورثني نُصحي لدارِ هوانِ
فان عشت لم انصح وان متُّ فالعنوا   ذوي النصح من بعدي بكل لسانِ

ثم ان الحكيم قال للملك: هذا جزائي منك · تجازيني مجازاة التمساح · فقال الملك: وما حكاية التمساح · فقال الحكيم: لا يمكنني ان اقولها وانا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يُبقك الله · ثم ان الحكيم بكى بكاء شديداً فقام بعض خواص الملك وقال: ايها الملك هب لي دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنباً وما رأيناه الَّا ابرأك من مرضك الذي اعيا الاطباء والحكماء · فقال لهم الملك: لم تعرفوا سبب قتلي هذا الحكيم · وذلك لاني ان ابقيته فانا هالك لامحالة ومن ابرأني من المرض الذي كان بي بشيء امسكتهُ بيدي يمكن ان يقتلني بشيء اشمه فانا اخاف ان يقتلني وياخذ عليَّ البرطيل لانه جاسوس وما جاء الا ليقتلني فلا بدَّ من

قتله . وبعد ذلك آمن على نفسي . فقال الحكيم : ابقني يُبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله. فلما تحقق ايها العفريت ان الملك قاتله لامحالة قال له : ايها الملك ان كان لا بد من قتلي فامهلني حتى انزل الى داري واوصي اهلي وجيراني ان يدفنوني وابرئ نفسي واهب كتب الطب. وعندي كتاب خاص الخاصّ اهديه لك هدية تدّخره في خزانتك. فقال الملك للحكيم : وما في ذلك الكتاب . قال فيه شيء لا يحصى واقلّ ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت راسي وفتحت ثلث ورقات وقرأت ثلثة اسطر من الصفحة التي على يسارك فان الراس يكلمك ويجاوبك عن جميع ما سألته عنه. فتعجب الملك غاية العجب واهتزّ من الطرب وقال له: ايها الحكيم اذا قطعت راسك تُكلمني . قال: نعم ايها الملك . فقال الملك: هذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله محفوظاً. فنزل الحكيم الى داره وقضى اشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني خرج الحكيم الى الديوان وخرجت الامراء والوزراء والحجّاب والنوّاب وارباب الدولة جميعاً وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم طلع على الديوان ووقف قدام الملك محفوظاً ومعهُ كتاب عتيق ومُكحلة فيها ذرور وجلس وقال : ائتوني بطبق. فاتوه بطبق وكبّ فيه الذرور وفرشه وقال: ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تفتحه حتى تقطع راسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق ومر بكبسه على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمه ينقطع ثم افتح الكتاب اول سطر. ثم ان الملك امر بضرب رقبته فاخذ الكتاب منهُ وقام السياف وضرب رقبته فطاح الرأس في وسط الطبق وكبسه على الذرور فانقطع دمهُ ففتح الحكيم عينيه وقال : افتح الكتاب ايها الملك. ففتحه الملك فوجده ملصقاً فحطّ اصبعه في فمه وبلها بريقه وفتح اول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الّا بجهد. ففتح الملك ست اوراق ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة . فقال الملك: ايها الحكيم ما فيه شيء مكتوب

فقال الحكيم: افتح زيادة على ذلك. ففتح ثلاثاً أخر فما كان الّا قليل من الزمان حتى سرى فيه السمّ لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموماً فعند ذلك تزعزع الملك وصاح وقال: سرى فيَّ الدواء. وانشد الحكيم دوبان يقول:

تحكموا واستطالوا في تحكمهم وعن قليلٍ كأنَّ الحكم لم يكنِ
لو انصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحنِ
واصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمنِ

فلما فرغ رأس الحكيم من كلامه سقط الملك من وقتهِ ميتاً. فاعلم ايها العفريت انهُ لو ابقى الملك يونان الحكيمَ دوبان لابقاه الله ولكن ابى وطلب قتله فقتله الله. وانت ايها العفريت لو ابقيتني لابقاك الله

(الليلة السادسة). قالت شهرزاد: بلغني ايها الملك ان الصياد قال للعفريت: لو ابقيتني كنت ابقيتك لكن ما اردت الّا قتلي فها انا اقتلك بحبسك في هذا القمقم والقيك في هذا البحر. فصرخ المارد وقال: بالله عليك ايها الصياد لاتفعل وابقني انت ولا تؤاخذني بعملي فاذا كنت انا مسيئاً كُن انت محسناً وفي الامثال السائرة: يامحسناً لمن اساء كفى المسيءُ فعلهُ. ولا تعمل كما عملت امامةُ مع عاتكة. فقال الصياد: وما عملت امامة مع عاتكة. فقال العفريت: ما هذا وقت حديث وانا في هذا السجن حتى تطلقني منهُ وانا احدثك بهِ. فقال الصياد: خلِ عنك هذا الكلام لابدَّ من القائك في البحر ولا سبيل الى اخراجك ابداً فاني كنت استعطفك واتضرع اليك وانت لاتريد الّا قتلي بغير ذنب استوجبه منك ولا فعلت معك سوءا ابداً ولم افعل معك الّا خيراً لكوني اخرجتك من السجن فلمّا فعلت معي ذلك علمت انك رديء الاصل. واعلم اني اذا رميتك في هذا البحر فلاجل ان يرميك فيه ثاني مرة كلُّ من يخرجك اخبره بما جرى لي معك

واحذره وتنقيم بهذا البحر الى اخر الزمان حتى تهلك. قال لهُ العفريت: اطلقني فهذا وقت المروّة وانا اعاهدك اني لا اسوءك ابدًا بل انفعك بشيء يغنيك. (قال) فاخذ عليهِ الصياد العهد انهُ اذا اطلقه لا يؤذيه ابدًا بل يعمل معهُ الجميل. فلما استوثق منهُ وحلفه باسم الله الاعظم فتح لهُ الصياد القمقم فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتاً سويا ورفس القمقم فرماه في البحر

فلما رآه الصياد رمى القمقم في البحر ايقن بالهلاك وقال: هذه ليست علامة خير. ثم انهُ قوّى قلبهُ وقال: ايها العفريت قال الله تعالى: واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلاً. وانت قد عاهدتني وحلفت انك لا تغدر بي يغدر بك الله فانهُ غيور يُمهل ولا يُهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان: ابقني يبقك الله. فضحك العفريت ومشى قدامه وقال: ايها الصياد اتبعني. فمشى الصياد وراءه وهو لا يصدق بالنجاة ومشى الى ان خرجا الى ظاهر المدينة وصعدا جبلًا وتزلا الى برّية متسعة واذا هما ببركة ماء. فنزل في وسطها وقال للصياد: اتبعني فتبعه الى وسط البركة فوقف العفريت وامر الصياد ان يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة فرأى فيها السمك الملوّن الابيض والاحمر والازرق والاصفر. فتعجب الصياد من ذلك ثم انهُ اخرج شبكته وطرحها وجذبها فوجد فيها اربع سمكات كل سمكة بلون. فلما رآها الصياد فرح فقال لهُ العفريت: ادخل بها على السلطان وقدمها لهُ فانهُ يعطيك ما يغنيك. وبالله اقبل عذري فاني في هذا الوقت لم اعرف طريقاً وانا في هذا البحر مدة الف وثماني مئة عام ما رأيت ظاهر الدنيا الَّا في هذه الساعة. ولا تصطد من هذه البركة الَّا مرةً كل يوم. وودَّعه وقال لهُ: لا توحشني الله. ثم دقّ الارض برجله فانشقت الارض وبلعته. ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى لهُ مع العفريت وكيف كان الامر. ثم اخذ السمك ودخل

الى منزله واخذ ماجوراً ثم ملأه ماء وحطَّ فيهِ السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء وحمل الماجور فوق راسه وقصد بهِ قصر الملك كما امره العفريت . فلما طلع الصياد على الملك وقدم لهُ السمَك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمَك الذي قدمه الصياد لانهُ لم يرَ في عمره صفته ولاشكله . فقال الملك : اعطوا هذا السمَك للجارية الطباخة . وكانت هذه الجارية اهداها لهُ ملك الروم منذ ثلثة ايام وهو لم يجربها في طبيخ فامر الوزير ان تقليه . فقال لها : يا جارية الملك يقول لكِ : ما اذخرتكِ يا دمعتي الَّا لشدتي فرجينا اليوم على صنعتك وحسن طبيخكِ وان السلطان اتاه واحد بهدية . ورجع الوزير بعد ما اوصاها وأمره ان يُعطي الصياد اربع مئة دينار فاعطاه الوزير اياها فاخذها في حجره وراح يجري الى بيته وهو يقع ويقوم ويعثر ويظنّ ان ذلك مناماً . ثم اشترى لعياله ما يحتاجون ورقد وهو فرحان مسرور

هذا ما كان من امر الصياد . واما ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك ونظفته ونصبت الطاجنَ ثم انها تركت السمك فما هو الا استوى وجهه وقلبتهُ على الوجه الثاني واذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منه صبية كاملة الوصف وهي لابسة كوفية حرير بهدَّابٍ ازرق وفي اذنيها اقراط وفي معاصمها زوج اساور وفي اصابعها خواتم بفصوص من الجواهر الثمينة وفي يدها قضيب من الخيزران . فغرزت القضيب في الطاجن وقالت : ياسمك هل انت على العهد مقيم . فلما رأت الجارية ذلك غُشيَ عليها . والصبية اعادت القول ثانياً وثالثاً والسمك رفع رأسهُ من الطاجن وقال بلسان فصيح : نعم نعم ثم انشد يقول :

ان عدتِ عدنا وان وافيتِ وافينا ... وان هجرتِ فانَّا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من موضع ما اتت والتحم الحائط كما

كان . ثم افاقت الجارية من غشيتها فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت : من اول غزواته انكسرت عصاه . ووقعت على الارض مغشياً عليها . وفيما هي على هذا الحال اذا بالوزير قد جاء فرآها الدرديبس . لا تعرف السبت من الخميس . فحركها برجله فافاقت وبكت واعلمت الوزير بالقصة وبالذي جرى . فتعجب الوزير وقال : ما هذا الأامر عجيب . ثم انهُ ارسل الى الصياد فاتوا بهِ فصرخ عليهِ الوزير وقال لهُ : ايها الصياد جي . لنا باربع سمكات مثل التي جئت بها . فخرج الصياد الى البركة وطرح الشبكة وجذبها واذا باربع سمكات مثلها فاخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها : قومي اقليها قدامي حتى ارى هذه القضية . فقامت الجارية واصلحتها ووضعت الطاجن على النار وطرحتها فيهِ فما استقرّ السمَك في الطاجن الّا والحائط قد انشقّ والصبية ظهرت وهي في هيئتها الاولى وفي يدها القضيب فغرزتهُ في الطاجن وقالت : يا سمك يا سمَك هل أنت على العهد القديم مقيم . واذا بالسمك رفعت رؤُوسها وقالت هذا البيت السابق وهو :

ان عدتِ عدنا وان وافيتِ وافينا وان هجرتِ فـأنّا قد تكافينا

(الليلة السابعة) . ولما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من موضع ما جاءت والتحم الحائط . فعند ذلك قام الوزير وقال : هذا امر لا يجب اخفاؤُه على الملك . ثم انهُ تقدم الى الملك واخبره بالقصة وبما شاهد قدامه . فقال الملك : لا بد ان انظر بعيني . فارسل الى الصياد وامره ان ياتي باربع سمكات مثل الاولى وامهله ثلثة ايام . فذهب الصياد واتاه بالسمك في الحال فامر الملك ان يعطوه اربع مئة دينار . ثم التفت الملك الى الوزير وقال لهُ : قم انت واقلِ السمك هنا قدامي . فقال الوزير : سمعاً وطاعةً . فاحضر الطاجن وهيَّأ السمك ووضع الطاجن على النار ورمى فيه السمك واذا بالحائط قد انشق وخرج منهُ عبد اسود كانهُ طود من

الاطواد . او من بقيــة قوم عاد . وفي يده فرع من شجرة خضراء وقـال بكلام مزعج : يا سمك يا سمك هل انتَ على العهد القديم مقيم . فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال :نعم نعم نحن على العهد

ان عدتِ عدنا وان وافيتِ وافينا وان هجرتِ فـانَّا قد تكافينـا

فاقبل العبد على الطاجن وقلبه بالغصن الذي في يده وخرج من موضع ما اتى . فنظر الوزير والملك الى السمك فرآه صار مثل الفحم فانذهل الملك وقال : هذا امر لا يمكن السكوت عنه وان هذا السمك لهُ شانٌ . فامر الملك باحضار الصياد فلما حضر قال لهُ الملك : ويلك من اين هذا السمك . فقال لهُ : من بركة بين اربعة جبال تحت هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك . فالتفت الملك الى الصياد وقال : مسيرة كم يوم . قال لهُ : يامولانا السلطان مسيرة نصف ساعة . فتعجب السلطان وامر بخروج العسكر وركوب الجيش من وقته والصياد معه قدامه يلعن العفريت الى ان صعدوا الجبل ونزلوا الى برية متسعة لم يروها مدة عمرهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون فنظروا تلك البرية والبركة في وسطها بين اربعة جبال والسمك فيهـا اربعةُ الوان احمر وابيض واصفر وازرق فوقف الملـك وتعجب وقال للعسكر ولمن حضر : هل احد منكم رأى هذه البركة . فقالوا : لا ياملك الزمان لم نرها مدة عمرنا . فسألوا الطاعنين في السنّ . فقالوا : عمرنا ما رأينا هذه البركة في هذا المكان . فقال الملك : والله لا ادخل مدينتي ولا اجلس على تخت ملكي حتى اعرف امر هذه البركة وهذا السمك . ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبــال ثم دعى بالوزير وكان وزيرًا خبيرًا عاقلًا لبيبًا عالمًا بالامور . فحضر بين يديه فقـال لهُ : اني احببت ان اعمل شيئًا واخبرك بهِ وخطر ببالي ان انفرد بنفسي في هذه الليلة وابحث عن خبر هذه البركة وهذا السمك . فاجلس انت على جانب خيمتي وقل للامراء والوزراء

والحجّاب والنوّاب وكل من سأل عني ان السلطـان متوعك وامرني ان لا أعطي احدًا دستورًا بالدخول عليهِ ولا تُعلم احدًا بقصدي. فما قدر الوزير ان يخالفه. ثم ان الملك غيَّر حليته وتقلّد سيفه وتسلق احد الجبال ومشى بقية ليلته الى الصبـاح ثم مشى يومه كله وقد اشتدّ عليهِ الحرّ بمشيه يومه وليلته. ثم مشى الليلة الثانية الى الصباح. فلاح لهُ سواد من بعيد ففرح وقال: لعلي اجد من يخبرني بقضيـة البركة والسمك. فاقترب فوجد قصرًا مبنيًا بالحجارة السود مصفحًا بالحـديد وبابه احد مصراعيهِ مفتوح والآخر مغلق. ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقًا لطيفًا فلم يسمع جوابًا فدق ثانيًا وثالثًا فلم يسمع جوابًا فدقّ دقًا مزعجًا فلم يجبهُ احد. فقال: لا شكّ انهُ خالٍ. فشجع نفسهُ ودخل من باب القصر الى دهليز وصرخ وقال: يا اهل القصر رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد. واعاد ثانيًا وثالثًا. فلم يسمع جوابًا فقوَّى نفسه وثبَّت جنانه ودخل من الدهليز الى وسط القصر. فلم يجد فيـهِ احدًا غير انهُ مفروش بالحرير والاقطاع المكوكبة والستـائر المرخاة وفي وسط القصر رحبة واربعة اواوين ومصطبة وايوان قبال ايوان وشاذروان وفسقية عليها اربعة سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من افواهها كالدُرّ والجوهر ودائر القصر طيور وعلى القصر شبكة من الذهب تمنعها من الصعود. ولم يرَ احدًا. فتعجب الملك وتأسف لكونه لم يرَ احدًا يستخبـر منهُ عن تلك البرّية والبركة والسمك والجبال والقصر. ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بانينٍ من كبـد حزينٍ وهو يترنم ويقول:

أخفيت ما ألقاه منك وقد ظهر ... والنوم من عيني تبـدَّل بالسهر
يا دهر لا تبـقِ عليَّ ولا تـذر ... هـا مهجتي بين المشقـة والخطر
ما ترحمون عزيزَ قـومٍ ذلَّ في ... شرع الهـوى وغنيَّ قومٍ افتقـر

كنّا نغار من النسيم عليكمُ   لكن اذا نزل القضا عميَ البصر
ما حيلةُ الرامي اذا التقت العدا   فاراد يرمي السهم فانقطع الوتَر
واذا تكاثرت الهموم على الفتى   اين المفرُّ من القضا ومن القدَر

فلما سمع السلطان الانين نهض قائمًا وتبع الحسّ فوجد سترًا مرخىً على باب مجلس. فرفع الستر فرأى خلفه شابًا جالسًا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شابٌ مليح بقدّ رجيح ولسان فصيح وجبين ازهر وخدٍّ احمر وشامة كما قال الشاعر:

ومهفهفٍ من شعرهِ وجبينهِ   مُشي الورى في ظلمةٍ وضياء
لاتنكروا الخال الذي في خدّهِ   كلُّ الشقيق بنقطةٍ سوداء

ففرح الملك حين رآه وسلّم عليهِ والصبيُّ جالسٌ وعليهِ قباء حرير بطراز من الذهب المصري وفوق راسه تاج مكلل بالجواهر. ولكن عليهِ اثر الحزن. فسلّم عليهِ الملك. فردَّ عليهِ باحسن سلام وقال: يا سيدي انت اعزُّ من القيام ولي المعذرة. فقال الملك: قد عذرتك ايها الفتى وانا ضيف عندك واتيتك في حاجة مهمة اريد تخبرني عن هذه البركة وعن هذا السمك وعن هذا القصر وعن سبب وحدتك فيهِ وسبب بكائك. فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خدوده وبكى بكاءً شديدًا حتى غرق صدره ثم انشد يقول:

قولوا لمن نادم الايام لو نامت   كم اقعدت نائبات الدهر كم قامت
ان كنت نمت فعين الله ما نامت   لمن صفا الوقت والدنيا لمن دامت

ثم تنفس الصعداء وانشد:

سلّم الأمر الى ربّ البشرْ   واترك الهمّ ودع عنك الفكرْ
لاتقل فيما جرى كيف جرى   كلُّ شيءٍ بقضاء وقدَر

فتعجب الملك وقال لهُ: ما يُبكيك ايها الشاب. فقال: وكيف لا ابكي وهذه حالتي. فاعتبر الملك حال الشاب واذا هو نصفهُ التحتاني حجرٌ الى قدميهِ وما سوى ذلك الى شعر راسه بشرٌ

فلما رأى الملك الشاب بهذه الحالة حزن حزناً عظيماً وتأسف وتأوَّه وقال: يا فتى لقد زدتني همّاً على همي كنت اطلب السمك وخبره وصرت الان اسأل عن خبره وخبرك فلا حول ولا قوَّة الَّا بالله العلي العظيم عجل عليَّ يا فتى ببث الحديث. فقال: اعطني سمعك وبصرك. فقال الملك: ان سمعي وبصري حاضر. فقال الشاب: ان لهذا السمك ولي امراً عجيباً لو كُتب بالابر. على أماق البصر. لكن عبرةً لمن اعتبر. فقال الملك: وكيف ذلك. فقال: يا سيدي اعلم ان والدي كان ملك هذه المدينة واسمه محمود. وهو صاحب الجزائر السود. وهو في هذه الجبال الاربعة فاقام في الملك سبعين عاماً ثم توفي والدي وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة بحيث اني اذا غبت عنها لاتأكل ولا تشرب حتى تراني عندها فقعدتْ في صحبتي خمس سنين الى ان راحت في بعض الايام الى الحمَّام فامرتُ الطباخ ان يسرع لنا في شيء ويجهز لنا عشاء وطعاماً ثم دخلتُ هذا القصر ونمت موضع ما ننام وامرت جاريتين ان تجلس عندي واحدة على راسي والثانية عند رجليَّ وقد تشوَّشت لغيابها ولم يأخذني نوم غير ان عيني مغمضة ونفسي يقظانة. فسمعت الجارية التي عند رأسي تقول للتي عند رجلي: يا مسعودة مسكين سيدنا ومسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الساحرة. فقالت لها: نعم لعن الله النساء الخائنات ولكن مثل سيدنا وشبابه لايصلح لمثل هذه. فقالت التي عند راسي: ان سيدنا مغفَّل لا يسأل عنها فقالت الاخرى: ويلكِ وهل سيدنا عنده علم او هي تخليه في اختياره الاَّ تعمل لهُ عملاً في قدح الشراب

الذي يشربه كل ليلة قبل المنام وتضع فيهِ البنج فيرقد ولا يشعر بما يجري ولا يعلم
اين تذهب ولا اين تروح فبعد ما تسقيهِ الشراب تلبس اثوابها وتخرج من عنده
وتغيب الى الفجر وتأتي اليهِ وتبخ عند انفه بشيء فيستيقظ من منامه. فلما سمعتُ
كلام الجواري صار الضياء في وجهي ظلاماً وما ايقنتُ ان الليل اقبل فجاءت
بنت عمي من الحمام فمددنا السماط واكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة
ثم دعت بالشراب الذي اشربهُ عند المنام فناولتني الكاس فاهرقتها. وجعلت اني
اشربه مثل عادتي ورقدت في الوقت والساعة وصرت اغطّ كاني نائم واذا هي
قالت : نم ليلتك لاتقم ابداً اني كرهتك وكرهت صورتك وملّت نفسي من
عشرتك ولا ادري متى يقبض الله روحك . ثم قامت ولبست افخر ثيابها وتبخرت
واخذتْ سيفي وتقلدتهُ وفتحت ابواب القصر وخرجت. فقمت وتبعتها حتى خرجتْ
من القصر وشقت اسواق المدينة الى ان انتهت الى باب المدينة فتكلمت بكلام لا
افهمه فتساقطت الاقفال وانفتح الباب وخرجت وانا خلفها وهي لا تشعر حتى
انتهت الى بين الكيمان واتت خصاً فيهِ قبة مبنية بطوب ولها باب فدخلتْ وتسلقتُ
انا على سطح القبة واشرفت عليهما واذا بنت عمي قد دخلتْ على عبد اسود لهُ
شفة كالغطا . وشفة كالوطا . وشفة تلقط الرمل على الحصا . وهو مبتلىً وراقد
على قش قصب لابسٌ هداماً خلقة فقبلتْ الارض بين يديه فرفع ذلك العبد راسهُ
اليها وقال لها : ويلكِ لاي شيء كان قعودكِ الى هذه الساعة. فقالت : يا سيدي
ما تعلم اني متزوجة بابن عمي وانا اكره صورته وابغض صحبته ولولا اني اخشى على
خاطرك ما كنت تركت الشمس تطلع الَّا ومدينته خراب يزعق فيها البوم والغراب
ويأويها الثعالب والذئاب وانقل حجارتها الى خلف جبل قافٍ . فقال العبد :
تكذبين يا ملعونة وانا احلف وحق فتوة السودان ولا تظني مروَّتنا مروَّة البيضان

من هذا اليوم ان بقيتِ تقعدين الى هذا الوقت لا اصاحبكِ . يا ملعونة انكِ تلعبين بنا شقف لكف يا قذرة يا اخس البيضان . فلما سمعت كلامهُ وانا انظر وارى واسمع ما جرى صارت الدنيا في وجهي ظلاماً وما عرفت روحي في اي موضع انا وبنت عمي واقفة تبكي عليهِ وتتذلل لهُ وتقول للعبد : ياسيدي اذا غضبت علي من يقيني واذا طردتني من يؤاويني . وما زالت تبكي وتتضرَّع لهُ حتى رضي عنها . ففرحت وقامت وقالت : ياسيدي ما عندك ما تأكل جاريتك . فقال لها : اكشفي اللكن فان تحتهُ عظام فيرانٍ مطبوخة فكليها وقومي لهذه القوارة فيها بقية مزر فاشربيها . فقامت واكلت وشربت وغسلت يديها وفمها . فلما نظرتُ الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي تأكدتُ انها خائنة وغبت عن الوجود فنزلت من على القبة وانا متلثم ودخلت واخذت السيف الذي جاءت بهِ بنت عمي وسحبتهُ وهممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولاً على رقبته فظننت انهُ قد قُضي عليهِ

(الليلة الثامنة) . ولكن لما ضربت العبد لاجل ان اقطع راسه لم اقطع الوريدين بل قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت اني قتلتهُ فشخر شخيراً عالياً فهربت بنت عمي فرجعتُ الى خلفي ورددت السيف الى موضعه واتيت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي الى الصباح . واذا بنت عمي جاءت ونبهتني واذا بها قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت : يا ابن عمي لا تعارضني فيما افعل فانهُ بلغني ان والدتي توفيت وان والدي قُتل في الجهاد واخوتي احدهم مات ملسوعاً والاخر مات في الردم فيحق لي ان ابكي واحزن . فلما سمعت كلامها سكتُّ عنها وقلت : افعلي ما بدا لكِ فاني لا اخالفكِ . فقعدت في حزنٍ وبكاء وتعديد سنة كاملة من الحول الى الحول . وبعد السنة قالت لي : اريد ان تبني لي في قصرك مدفناً مثل القبة وأفرده للحزن واسميه بيت الاحزان . فقلت لها : افعلي ما

بدا لكِ. فبنت لها بيتاً للحزن وبنت في وسطهِ قبةً ومدفناً مثل الضريح ثم نقلت العبد وانزلته فيهِ . وهو بقي لا ينفعها ابدًا بنافعة لكن يشرب الشراب ومن يوم جرحته ما تكلم لان اجله ما فرغ وصارت كل يوم تأتيهِ بكرةً وعشياً وتنزل الى القبة وتبكي وتعدده وتسقيهِ الشراب والمساليق بكرةً وعشيةً . ولم تزل على هذا الحال الى ثاني سنة وانا اطوّل روحي عليها ولا التفت اليها. الّا انهُ يوماً من الايام دخلتُ عليها على غفلة منها فوجدتها تبكي وتقول: لِما تغيبت عن ناظري يا نزهة خاطري حدثني يا روحي كلمني ياصديقي وانشدت تقول :

عدمتُ وجودي في الورى بعد بعدكم ... فان فؤادي لا يحبُّ سواكمُ
خذوا أعظمي والروح اين سرتمُ ... واين حللتم فادفنوني حذاكمُ
ونادوا باسمي عند قبري يجيبكم ... انين عظامي عند اصغا صداكمُ

ثم انشدت وهي تبكي :

فيوم الاماني يوم فوزي بقربكم ... ويوم المنايا يوم اعراضكم عني
اذا بتُّ في خوفٍ اهدَّد بالردى ... فوصلكمُ عندي ألذُّ من الامنِ

ثم قالت وانشدت :

ولو انني اصبحت في كل نعمةٍ ... وكانت لي الدنيا وملك الاكاسره
لما سويت عندي جناح بعوضةٍ ... اذا لم تكن عيني لشخصك ناظره

فلما فرغت من كلامها وبكائها قلت لها : يا بنت عمي يكفيكِ من الحزن . فما يغنيكِ من البكاء . ما بقي ينفع . قالت : لا تتعرَّض لي فيما اعمله وان اعترضت لي قتلت نفسي فسكتُّ عنها وخليتها وحالها . فلم تزل في حزن وبكاء وتعديدٍ سنة اخرى . وبعد السنة الثالثة دخلت يوماً من الايام وانا مغتاظ لحادث عرض لي وقد طال لي هذا العناء الشديد فوجدتها نحو الضريح داخل القبة وهي تقول :

يا سيدي لا اسمع منك ولا كلمة واحدة . يا سيدي لما لا تردُّ عليَّ جوابًا ثم أنشدت تقول :

يا قبرُ يا قبرُ هل زالت محاسنهُ   ام زال منك ضياكَ المنظرُ النضرُ
يا قبرُ ما انتَ لا ارضٌ ولا فلكٌ   فكيف يجمع فيك الشمس والقمرُ

فلما سمعت كلامها وشعرها ازددت غيظاً على غيظي وقلت : اواه الى كم ذا الحزن وانشدت اقول :

يا قبرُ يا قبرُ هل زالت مساخمهُ   ام زال منك ضياكَ المنظر القذرُ
يا قبرُ ما انتَ لا حوضٌ ولا قِدرٌ   فكيف يجمع فيكَ الفحم والكدرُ

فلما سمعتْ كلامي وثبت قائمة وقالت : ويلك انت الذي فعل معي هذا الفعل وجرح صديقي واوجعني وشبابه ولهُ ثلاث سنين لا هو ميت ولا هو حي . فقلت لها : نعم انا فعلت ذلك . ثم اني اخذت سيفي وجرَّدته في كفي . وصوَّبتهُ نحوها لاقتلها . فلما سمعت كلامي ورأتني مصمماً على قتلها ضحكت وقالت : تخسأ هيهات ان يرجع ما فات . او تحيى الاموات . لقد امكنني الله بمن فعل بي هذا . وكانت في قلبي منهُ نارٌ لا تطفأ ولهيبٌ لا يخفى . ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا افهمه وقالت : اخرج بسحري نصفك حجرًا ونصفك بشرًا فصرت كما ترى وبقيت لا اقوم ولا اقعد ولا انا ميت يُعرف ولا انا حي يوصف . فلما صرت هكذا سحرَت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان . وكانت مدينتنا اربعة صنوف مسلمين ونصارى ويهودًا ومجوسًا فسحرَتهم سمكاً فالابيض المسلمون والاحمر المجوس والازرق النصارى والاصفر اليهود . وسحرت الجزائر الاربع اربعة جبال محيطة بالبركة . ثم انها كل يوم تضربني وتعذبني بالسوط مئة ضربة حتى يسيل دمي وتتفسخ اكتافي . ثم تلبسني ثوب شعر صفة اللباس

على نصفي الفوقاني وتلبسني هذه الثياب الفاخرة من فوق . ثم ان الشاب بكى وانشد يقول :

صبرًا لحكمك يا الهي والقضا   انا صابرٌ ان كان فيهِ لك الرضا
جاروا علينا واعتدوا وتجبروا   فلعلَّ بالفردوس ان نتعوَّضا
قد ضقتُ بالامر الذى قد نالني   فوسيلتي بالمصطفى والمرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال : ايها الشاب زدتني همًا على همي . بعد ان فرجت عني غمي . ولكن يافتى اين هي واين المدفن الذي فيهِ العبد المجروح . فقال الشاب : ان العبد في القبة في مدفنهِ راقدٌ . وهي في ذلك المجلس الذي يحاذي الباب تجيءُ مرةً في كل يوم عندما تطلع الشمس . فاول ما تجيءُ تأتيني وتجردني من اثوابي وتضربني بالسوط مائة جلدة وانا ابكي واصيح ولا لي حركة حتى ادفعها عن نفسي . وبعد ان تجلدني تنزل للعبد بالشراب والمسلوقة تسقيهِ . وغدًا من باكر تجيءُ . قال الملك : وحقك يافتى لافعلنَّ معك معروفًا أذكر بهِ ويؤَرخونهُ الى اخر الزمان . ثم جلس الملك يتحدث معهُ الى ان اقبل الليل وناما . فقام الملك في وقت السحر وتجرد من اثوابه وسلَّ سيفهُ ونهض الى المحل الذى فيهِ العبد فنظر الى الشمع والقناديل وبخورات وادهانٍ وصار يقصد العبد حتى اتاه وضربه ضربة فقتله وحملهُ على ظهرهِ ورماه في بئرٍ كانت في القصر . ثم نزل والتفَّ باثواب العبد ورقد داخل الضريح والسيف معهُ مسلولٌ في طوله . فبعد ساعة اتت الملعونة الساحرة . فاول ما دخلت جرَّدت ابن عمها من ثيابه واخذت سوطًا وضربتهُ فقال : اواه يكفيني ما انا فيهِ يا بنت عمي . ارحميني يا بنت عمي . فقالت : كنت انت رحمتني وابقيت لي صديقي . وضربتهُ حتى تعبت وسال الدم من جنبيه . ثم البستهُ اللباس الشعري والنسيج من فوقه ونزلت الى العبد ومعها قدح

الشراب وطاس المسلوقة ونزلت في القبة وبكت وولولت وقالت : يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني . وانشدت تقول هذه الابيات :

حتى متى هذا الصدود وذا الجفا فلقد جرى من ادمعي ما قد كفى
فلكم تطيل الهجر لي متعمدًا ان كان صدك حاسدي فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت : يا سيدي كلمني وحدثني . اما الملك فخفض صوته وعقد لسانه وتكلم بكلام السودان وقال : اوّاه أوّاه لاحول ولا قوّةَ الّا بالله العلي العظيم . فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها . ثم انها استفاقت وقالت : يا سيدي هو صحيح . والملك اضعف صوته وقال : يا ملعونة انتِ تستاهلي من يكلمكِ ويحدثكِ . قالت : وما السبب . قال : السبب انكِ طول النهار تعاقبين زوجكِ وهو يستغيث وقد حرمني النوم من العشاء الى الصباح وهو يتضرع ويدعو عليَّ وعليكِ وقد اقلقني واضرني ولولا هذا لكنت تعافيت . فهذا الذي منعني عن جوابكِ . فقالت : عن اذنك اخلصه مما هو فيه . فقال لها الملك : خلصيهِ واريحينا . فقالت : سمعًا وطاعةً . وقامت وخرجت من القبة الى القصر واخذت طاسًا وملأتهُ ماء وتكلمت عليهِ بكلام . فغلى الطاس وبقبق وصار يغلي كما تغلي القدر على النار . ثم رشتهُ بالماء وقالت : بحق ما تلوته وقلته ان كنت صرت هكذا بسحري ومكري فاخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى . واذا بالشاب انتفض وقام على قدميهِ وفرح بخلاصه . ثم قالت لهُ : اخرج ولا ترجع الى هنا والّا قتلتك . وصرخت في وجههِ فخرج من بين يديها . وعادت الى القبة ونزلت وقالت : يا سيدي اخرج لي حتى انظرك وافرح بسلامتك . فقال لها الملك بكلام ضعيف : اي شيء عملتِ . ارحتني من الفرع . ولم تريحيني من الاصل . فقالت : يا حبيبي يا سيدي وما هو الاصل . قال : ويلًا لكِ يا ملعونة

أهل هذه المدينة والاربع الجزائر . كل ليلةٍ اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسهُ ويستغيث ويدعو عليَّ وعليكِ . فهذا هو سبب منع عافيتي . فروحي وخلصيهم عاجلًا وتعالي خذي بيدي واقيميني فقد توجهتْ لي العافية

فلما سمعتْ كلام الملك وهي تظنه العبد وهي فرحانة قالت : يا سيدي على رأسي وعيني باسم الله . ثم نهضت وقامت وهي مسرورة تجري وخرجت الى البركة واخذت من مائها قليلًا

(الليلة التاسعة) . ثم انها تكلمت على الماء بكلام لايفهم فتراقص السمك ورفع رأسهُ . وقام في الحال وانفك عن اهل المدينة السحر وصارت المدينة عامرة والبياعون يبيعون ويشترون وصار كل واحد في صناعتهِ ورجعت الجزائر كما كانت . ثم ان الصبية الساحرة جاءت الى الملك في الحال وقالت له : ناولني يدك الكريمة وقم . فقال الملك بكلام خفي : تقرَّبي مني . فدنت . فسلَّ الملك سيفهُ وضربها في صدرها فخرج السيف يلمع من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين . ورماها على الارض شطرين . وخرج فوجد الشاب المسحور واقفاً في انتظاره فهنَّاه بالسلامة وقبَّل الشاب يده وشكره فقال لهُ الملك : أتقعد في مدينتك ام تجيءُ معي الى مدينتي . فقال الشاب : يا ملك الزمان أتدري ما بينك وبين مدينتك . فقال الملك : يومان ونصف . فعند ذلك قال لهُ الشاب : ايها الملك ان كنت نائماً فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة كاملة للمجدّ المسافر وما اتيت في يومين ونصف الَّا لان المدينة كانت مسحورة وانا ايها الملك لاافارقك لحظة عين ففرح الملك ثم قال : الحمد لله الذي منَّ عليَّ بكَ وانت ولدي لاني طول عمري لم ارزق ولدًا ثم تعانقا وفرحا فرحاً شديدًا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وامر الملك الذي كان مسحورًا اربابَ دولته ان يتجهزوا للسفر ويهيئوا اسبابه وجميع

ما يحتاج اليهِ الحال. فشرعوا في التجهيز مدة عشرة ايام. وخرج هو والسلطان وقلبهُ ملتهبٌ على مدينته كيف يغيب عنها. ثم انهما سافرا ومعهما خمسون مملوكاً وهدايا عظيمة. وما زالا مسافرَين ليلاً ونهاراً سنة كاملة. وكتب الله لهما بالسلامة حتى وصلا الى مدينة السلطان وارسلا فاعلما الوزير بوصول السلطان وسلامته. فخرج الوزير والعساكر بعد ما قطعوا الرجاء من الملك. فاقبل العسكر وقبلوا الارض بين يديه وهنأوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي. ثم اقبل على الوزير واعلمه بكل ما جرى على الشاب. فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هنأهُ بالسلامة. ولما استقرَّ الحال انعم السلطان على ناس كثيرين وقال الملك للوزير: عليَّ بالصياد الذي كان اتانا بالسمك. فارسل الى الصياد الذي كان سبباً لخلاص اهل المدينة فاحضره وخلع عليهِ وسأله عن حاله وهل لهُ اولاد. فاخبره ان لهُ ابناً وبنتين فارسل الملك واحضرهم وتزوج بينتٍ واعطى الشاب البنت الاخرى وجعل الولد خازنداراً. ثم قلّد الوزيرَ وارسله سلطاناً الى مدينة الشاب التي هي الجزائر السود وارسل معهُ الخمسين مملوكاً الذين جاءوا معهُ واعطاه من الخلع لسائر الامراء. فقبل الوزير يديه وخرج وسافر من وقته وساعته. واستقرَّ السلطان والشاب. واما الصياد فانهُ صار اغنى اهل زمانه وصارت ابنتاه من زوجات الملوك الى ان اتاهما الممات. وما هذا باعجب مما جرى للحمّال

حكاية الحمّال والثلث بنات

انهُ كان رجل من الحمّالين في مدينة بغداد وكان عزباً. فبينما هو في بعض الايام واقفٌ في السوق متكئاً على قفصه اذ وقفت عليهِ امرأة ملتفة بازار موصلي من حرير. بخف مزركش. بحاشية قصب وبشريط لاعب. فوقفت والتفتت

الى الحمّال وقالت بكلام عذب فصيح : هات قفصك واتبعني . فما صدق الحمّال الكلام حتى اخذ القفص واسرع وقال : يا نهار السعادة يا نهار التوفيق وتبعها الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب . فنزل رجل نصراني فاعطتهُ ديناراً واخذت منهُ شيئاً من الزيتون فحطته في القفص وقالت : احمل واتبعني . فقال الحمّال : هذا نهار مبارك ونهار سعيد بالقبول . فحمل القفص وتبعها . فوقفت على دكان تُباع فيهِ الفواكه واشترت منـهُ تفاحاً شامياً وسفرجلاً عثمانياً وخوخاً عمانياً وياسميناً حلبياً ونوفراً دمشقياً وخياراً اقلامياً وليموناً مصرياً ونارنجاً سلطانياً ومرسيناً ريحانياً وتمرحناً واقحواناً وشقائق النعمان وبنفسجاً وجلناراً ونسريناً وحطت الجميع في قفص الحمّال وقالت : احمل . فحمل وتبعها . فوقفت على الجزار وقالت لهُ : اقطع عشرة ارطال لحم فقطع لها واعطتهُ الثمن ولفتهُ في قرطاس موزٍ وجعلتهُ في القفص وقالت : احمل يا حمال . فحمل وتبعها . ثم اتت الصبية ووقفت على النقلي واخذت منهُ قلب فستق مما يصلح للنقل وزبيباً تهامياً وقلب لوز وقالت للحمال : احمل واتبعني . فحمل القفص وتبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقاً وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك محشوَّة وصابونية واقراص ليمونية وميمونية وامشاط واصابع ولقيمات القاضي واخذت من جميع اصناف الحلوى في طبق وحطتــهُ في القفص . فقال لها الحمــّال : لو كنتِ اعلمتني لاتيت بالجحيش تُحمل عليهِ هذه الامور . فتبسمت وضربت بيدها على كتفه وقالت لهُ : اسرع في مشيك وخلِّ عنك الكلام الكثير واجرك حاصل ان شاء الله تعالى . ثم وقفت على العطـــار واخذت منهُ عشرة امواه ماء ورد وماء زهر وماء نوفر ومـــاء خلاف واخذت ابلوجين سكر واخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعوداً وعنبراً ومسكاً واخذت شمعاً اسكندرانيـاً وحطت الجميع في القفص

وقالت : احمل قفصك واتبعني . فحمل القفص وتبعها بهِ الى ان اتت داراً مليحةً وقدامها رحبة فسيحة عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بغلقين من الابنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر . فوقفت الصبية على البـاب وادارت النقاب عن وجهها ودقت دقاً لطيفاً والحمّال واقف واذا بالباب قد انفتح بمصراعيهِ فنظر الحمال الى من فتحت لها الباب واذا بها ذات كمال واعتدال . فقالت الصبية البوابة للخوشكاشه : ادخلي من الباب وحطي عن هذا الحمال المسكين . فدخلت الخوشكاشة ووراءها البوابة والحمّال ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مهندسة مليحة ذات تراكيب وعقودات وكشك وسدلات وخزائن عليها ستور مرخيات . وفي وسط القاعة بركة كبيرة ملآنة ماء وفيها زورق وفي صدر القـاعة سرير من العرعر مرصع بالجوهر مرخيٌّ عليهِ ناموسية من الاطلس الاحمر ازرارها لؤلؤ في قدر البندق واكبر . وبرزت من داخلها صبية بطلعة مضيئة واخلاق فيلسوفية . وكانها بعض الكواكب العلويَّة كما قال فيها الشاعر :

كأنَّما تبسمُ عن لؤلؤٍ منضـدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحِ
وطُرَّةٍ كالليـل مَسبولةٍ وبهجةٍ تخجل ضوء الصباحِ

(قال) فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت مهـلاً الى ان صارت في وسط القاعة عند اختيها وقالت : ما وقوفكما . انزلا عن راس هذا المسكين الحمـال فجاءت الدلَّالة من قدام والبوابة من خلف وساعدتهما الثالثة وحططنَ القفص عن الحمال وافرغنَ ما في القفص ووضعن كل شيء في محله واعطـينَ الحمّال دينارين وقلنَ لهُ : توجه يا حمال . فنظر الى الصبايا وما عنـدهنَّ من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب وتوقف عن الخروج . فقالت لهُ الصبية : ما لك . لِمَ لا تروح . كأنك استقللت الاجرة . ثم التفتت الى اختها

وقالت لها : اعطيه دينارًا آخر . فقال الحمَّال : يا سيدتي ما استقللت الاجرة . واجرتي ما تساوي درهمين . وانما اشتغل قلبي وسرّي بكنَّ وكيف انتنَّ وحدكنَّ ولا احد يؤنسكنَّ وانتنَّ تعرفنَ ان المائدة لا تقف الَّا على اربعة وما لكنَّ رابع كما قيل :

اما ترى اربعًا للهوِ قد جمعت　　جنكٌ وعودٌ وقانونٌ ومزمارُ
ووافقتها من المشموم اربعةٌ　　وردٌ وآسٌ ومنثورٌ ونوّارُ
وليس يُحسن ذا الَّا باربعةٍ　　خمرٌ وروضٌ وترنيمٌ ودينارُ

وانتنَّ ثلاثة فتحتجنَ الى رابع يكون رجلًا عاقلًا لبيبًا حاذقًا وللاسرار كاتمًا . فلما سمعنَ كلامهُ اعجبهنَّ وضحكنَ منهُ وقلنَ : ومَن لنا بذلك ونحن نخاف ان نودع السرّ من لا يحفظه وقد قرأنا في بعض الاخبار ما قال ابو نواس واجاد :

من اطلع الناس على سرّه　　استوجب الكيَّة في جبهته

فلما سمع الحمَّال كلامهنَّ قال : وحياتكنَّ اني رجل عاقل امين قرأت الكتب وطالعت التواريخ والشاعر يقول في كلامه :

ما يكتمُ السرَّ الَّا كل ذي ثقةٍ　　والسرُّ عند خيار الناس مكتومُ
السرُّ عندي في بيتٍ لهُ غلقٌ　　ضاعت مفاتيحه والباب مختومُ

فلما سمعت البنات الشعر والنظم وما ابداه قلنَ لهُ : ما ندعك تجلس عندنا الَّا بشرط وهو ان تكون اديبًا رصينًا لا تسأل عمَّا لا يعنيك والَّا طردناك وضربناك . فقال الحمَّال : رضيت على الراس والعين وها انا بلا لسان . فقامت الخوشكاشة وشدَّت وسطها وصفت القناني وروقت المدام وعملت الخضرة على جانب البحرة واحضرت ما يُحتاج اليهِ . ثم قدَّمت المدام وجلست هي واختاها

وجلس الحمال . ثم قدمت باطية المدام وملأت اول قدح وشربتهُ والثاني والثالث . ثم ملأت وناولت اختها الاخرى . ثم ملأت وناولت الحمال وقالت :

اشرب هنيًا ممتعًا بالعوافي   ان هذا الشراب للداء شافي

فاخذ الكاس بيده وشكر وانشد يقول :

لا تشرب الكاس الَّا مع اخي ثقةٍ   وطاهر الاصلِ منسوبًا الى السلفِ
فالراح كالريح ان هبت على عطرٍ   طابت وتُنتن ان مرّت على الجيفِ

ثم انهُ بعد انشاده شرب وانشد يقول :

كل شيءٍ من الدماء حرامٌ   شربهُ ما خلا دمَ العنقودِ

ثم ملأت الكاس وناولتها لاختها الوسطى فاخذتها من يدها وشكرتها وشربت . ثم ملأت وناولت صاحبة السرير . وملأت كاسًا اخرى وناولتها الحمال فشكر لها وشرب وانشد يقول :

هاتها باللهِ هاتِ   من كؤُوسٍ مترعاتِ
واسقني منها بكاسٍ   انها ماء الحياةِ

ثم تقدم الى صاحبة المحل وانشد يقول :

على الباب عبدٌ من عبيدكِ واقفٌ   بجودكِ والاحسان ما زال معترفْ

فقالت لهُ : والله لاقبلك . طب نفسًا واشرب هنيًا وعافية تجري مجاري الصحة . فشرب طنين القدح وملأ وناولها وترنم وانشد يقول :

ناولتها شبه مصباحٍ مشعشعةً   صرفًا كأن سناها ضوء مقباسِ

(قال) فاخذت الصبية القدح وشربتهُ وتزلت عند اختها وما زالوا يشربون وهم في ضحك وغناء واشعار وموشحات

ثم ان الحمال لما طاب لهُ الاكل والشرب والراحة طلب من البنات ان يبقى

خادماً عندهنَّ . فقلنَ : ما تبقى خادماً عندنا الّا بشرط ان تدخل تحت الحكم ومهما رأيت لا تسأل عنهُ . ولا عن سببه . فقال : نعم . فقلنَ : قم واقرأ الكتابة التي على الباب . فقام الى الباب فوجد مكتوباً عليهِ بماء الذهب : من يتكلم فيما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه . فقال الحمّال : اشهدنَ عليَّ اني لا اتكلم فيما لا يعنيني . ثم قامت الحوشكاشة وجهزت مأكولاً فاكلنَ ثم اوقدنَ الشموع والقناديل وغرسنَ في الشموع العنبر والعود وقعدنَ على الشراب بمذاكرة ذوي الالباب وقد غيرنَ ذلك المقام بغيره وصففنَ فاكهة طريَّة وكذلك المشروب . ولا زلنَ في اكل وشرب ومنادمة ونقل وضحك ساعة من الزمان . واذا هنَّ بالباب يُدق . فلم يختلّ نظامهنَّ . واذا بواحدة منهنَّ قامت الى الباب ثم عادت وقالت : قد كمل صفاؤُنا في هذه الليلة . قلنَ : وما ذلك . قالت : على الباب ثلثة اعجام قلندريَّة محلوقوا الذقون والروس والحواجب والثلثة عورٌ بالعين الشمال وهذا من اعجب الاتفاق . وهم كمن قد حضر من السفر الان وحالة السفر ظاهرة عليهم وقد وصلوا الى بغداد وهذا اول دخولهم بلدنا . واما سبب دق الباب فانهم لم يجدوا موضعاً يبيتون فيهِ . فقالوا : عسى صاحب هذه الديار يعطينا مفتاح الاصطبل او خربة نبيت فيها الليلة . فقد ادركهم المساء . وهم غرباء ما يعرفون احداً يلتجئون اليهِ ويا اختي لكلٍ واحد منهم شكل وصورة مضحكة . فلم تزل تتلطف باختيها حتى قالتا لها : دعيهم يدخلون واشرطي عليهم ان لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم . ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلثة العور وهم محلوقوا الذقون والشوارب فسلموا وتأخروا وقام لهم البنات ورحبنَ بهم وهنأنهم بالسلامة وأقعدنهم . فنظر القلندريَّة الى محل ظريف . ومقام نظيف . فيهِ خضرة . وشموع توقد . وبخور يتصاعد . ونقل وفواكه ومدام وآداب البنات

الثلاث . فقالوا جميعاً : والله طيب . ثم التفتوا الى الحمال فوجدوه جذلان تعبان سكران . فلما عاينوه ظنوا انهُ منهم وقالوا : هو قلندري مثلنا وهو غريب او من البادية . فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وحملق عينيه فيهم وقال لهم : اقعدوا بلا فضول اما قراتم ما على الباب . وما بالفقراء انتم . وردتم علينا تطلقون لسانكم فينا . قالوا : نحن نقول نستغفر الله يا فقير راسنا بين يديك . فضحكت البنات وقمنَ واصلحنَ بين القلندريَّة والحمال وقدمنَ للقلندريَّة الاكل فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم ودارت الكاس بينهم . فقال الحمَّال للقلندريَّة : وانتم يا اخواننا ما معكم حكاية او نادرة تحكوها لنا . فدبَّت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفًّا وعودًا وجنكاً اعجمياً . فقام القلندريَّة فاصلحوا الآلات واخذ واحد منهم الدفَّ والآخر العود والآخر الجنك وضربوا بها وغنَّوا وصرخت البنات بصوت عالٍ . وبينما هم كذلك اذ بالباب يُطرق فقامت البوابة تبصر خبر الباب

قالت شهرزاد : ايها الملك وكان السبب لدق الباب انهُ تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد يتفرَّج ويسمع ما يتجدَّد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته . وكان من عادته انهُ يتنكَّر في صفة التجار . فلما نزل تلك الليلة وشقَّ المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا الآلات والغناء . فقال الخليفة لجعفر : اشتهي ان ندخل الى هذه الدار ونسمع هذه الاصوات ونرى اصحابها . فقال جعفر : يا امير المؤمنين هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا منهم شرٌّ . فقال : لا بدَّ من دخولي واريدك ان تحتال حتى ندخل عليهم . فقال جعفر : سمعاً وطاعة . ثم تقدم جعفر وطرق الباب . فخرجت البوابة وفتحت الباب فتقدم جعفر وقال : ياسيدتي نحن ناس تجار من طبريَّة ولنا في

بغداد عشرة ايام وبعنا تجارتنا ونحن نازلون في خان التجار وقد دعانا تاجر في هذه الليلة فدخلنا الى منزله فقدم لنا طعاماً فاكلنا . ثم تنادمنا عنده ساعة . فاذن لنا في الانصراف . فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيهِ فلعلَّ من صدقاتكم ان تدخلونا هذه الليلة عندكم نبيت ولكم الثواب . فنظرت البوابة اليهم وهم متزيون كالتجار وعليهم الحشمة . فدخلت على اختيها واخبرتهما بحديث جعفر فتأسفتا عليهم وقالتا لها : دعيهم يدخلون . فرجعت وفتحت لهم الباب . فقالوا لها : ندخل باذنك . قالت : ادخلوا . فدخل الخليفة وجعفر ومسرور . فلما رأتهم البنات قمنَ لهم واجلسنهم وكرَّمنهم وقلنَ : مرحباً واهلاً بالضيوف ولنا عليكم شرط . فقالوا : وما هو . قالوا : لاتتكلموا فيما لايعنيكم تسمعوا ما لا يرضيكم . فقالوا : نعم . ثم انهم جلسوا للشراب والمنادمة . فنظر الخليفة الى الثلثة القلندريَّة فوجدهم عوراً بالعين الشمال فتعجب من ذلك . ونظر الى البنات وما هنَّ فيهِ من الكمال والجمال فتحير وتعجب . ثم اخذا في المنادمة والحديث . فقلنَ للخليفة : اشرب . فقال : انا عازم على الحج فقامت البوابة وقدمت سفرة مزركشة واقعدت عليها باطية صينية وقلبت فيها ماء خلاف وادخلت فيها قطعة ثلج وابلوج سكر . فشكرها الخليفة وقال في نفسه : لأجزينَّها في غداة غدٍ على فعلها من الخير . فلما تحكم الشراب قامت السيدة وخدمتهم . ثم اخذت بيد الخشكاشة وقالت : يا اختي قومي نقضي دَيننا . فقالت الاختان : نعم . فعند ذلك قامت البوابة قدامها وذلك بعد ان نظفت المقام ورمت القشور وغيَّرت البخور ومسحت وسط القاعة واصعدت القلندريَّة الى جانب الايوان على صفة واخذت الخليفة وجعفراً ومسروراً الى جانب القصر على صفة وصرخت على الحمال وقالت : ما أقلَّ مودتك . أنت ما انت غريب . انت من اهل الدار . فقام الحمال وشدَّ وسطه

وقال : ماتريدين . فقالت : قف مكانك . ثم قامت الخشكاشة ونصبت في وسط القاعة كرسياً وفتحت خوشكانة وقالت للحمال: ساعدني . فرأى كلبتين سوداوين في رقابهما زناجير . فقالت للحمال : خذهما . فاخذهما الحمال وخرج بهما الى وسط القاعة . فقامت الصبية صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها واخذت سوطاً وقالت للحمال: قدم كلبة منهما . فقدمها وجرّها في الزنجير والكلبة تبكي وتحرّك راسها الى الصبية . فنزلت الصبية عليها بالضرب على راسها والكلبة تصرخ . ولا زالت تضربها حتى كلّت سواعدها . فرمت السوط من يدها وضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموع الكلبة بيدها وقبّلت راسها . ثم قالت للحمال : خذها وهات الثانية . فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى . فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وعيي صبره ليعرف خبر هاتين الكلبتين . فغمز جعفراً . فالتفت اليهِ وقال بالاشارة: أُسكت . ثم التفتت الصبية الى البوابة فقالت لها : قومي اقضي ما عليكِ . فقالت : نعم . ثم انها قامت وصعدت على السرير وهو من العرعر مصفَّح بصفائح الذهب والفضة . ثم قالت للبوابة والخشكاشة : هاتيا ما عندكما فقامت البوابة وجلست على كرسي بجانبها . واما الخشكاشة فانها دخلت مخدعاً وخرجت ومعها كيس اطلس بشراريط خُضر وبشمستين من ذهب ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس فاخرجت منهُ عود غناء فاصلحت اوتاره وشدّت ملاوِيَهُ واصلحته اصلاحاً جيداً وانشدت تقول :

رُدُّوا على جفني النوم الذي سُلبَ   وخبّروني بعقلي آينما ذهبا
عِلمتُ لمّا رضيتُ الودّ منزلةً   انّ المنام على جفنيَّ قد غضبا

(قال) فلما سمعت الصبية ذلك الغناء قالت : اه اه اه . ووقعت على الارض مغشياً عليها . فرأى الخليفة ضرب المقارع والسياط فتعجب غاية العجب

فقامت البوابة ورشت الماء عليها . فلما عاين الجماعة ذلك تكدر خاطرهم ولم يعلموا القصة ولا الخبر . فعند ذلك قال الخليفة لجعفر : ما ظنك في هذه الصبية وما هذا الضرب . فانا لا اقدر اسكت الّا ان اقف على حقيقة الحال وخبر هذه الصبية وخبر الكلبتين السوداوين . فقال جعفر : يا مولانا قد شرطنَ علينا ان لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا . ثم قالت الصبية : بالله يا اختي اوفيني وأتيني . فقالت الخوشكاشة : حباً وكرامةً واخذت العود واسندتهُ الى صدرها وجسّتهُ باناملها وانشدت تقول :

ان شكونا بُعدًا فماذا نقولُ ... أو بلغنا شوقًا فاين السبيلُ
او بعثنا رسْلًا تترجمُ عنـا ... ما يؤدي شكوى الودود رسولُ
ليس الّا تـأسفٌ ثم حزنٌ ... ودموعٌ على الخـدود تسيلُ
ايها الغائبون عن شخص عيني ... وهمُ في الفؤاد مني حلولُ
أتراكم فهل علمتم بعهـدي ... فهو طول الزمان ليس يحولُ

(قال) فلما سمعت القصيدة الثانية صرخت وقالت : والله طيّب . ثم وقعت على الارض مغشياً عليها . فقامت الخشكاشة ورشت عليها الماء . فقامت وجلست . ثم قالت لاختها الخشكاشة : زيديني واوفي دَيني فما بقي غير هذا الصوت فاحضرت الخشكاشة العود وانشدت تقول هذه الابيات :

حتى متى هذا الصدود وذا الجفـا ... فلقد جرى من ادمعي ما قد كفى
ولكم تطيل الهجرَ لي متعمـدًا ... ان كان صدكَ حاسدي فقد اشتفى

(قال) فلما سمعت الصبية الثالثة قصيدتها صرخت ووقعت على الارض مغشياً عليها ثالث مرة فبان ضرب المقارع . فقالت القلندريّة : ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنّا نمنا على الكيمان . فقد تعكّر مقامنـا بشيء يقطع القلب . فالتفت الخليفة

اليهم وقال لهم : لمَ ذلك . قالوا : قد اشتغل سرنا بهذا الامر . فقال الخليفة: أما انتم من هذا البيت . قالوا : لا ولا رأينا هذا الموضع الَّا في هذه الساعة . فتعجب وقال : فيكون الرجل الذي عندكم يعرف خبرهم . ثم غمز الحمال وسألوه عن الاحوال . فقال الحمَّال : كلنا بالجهل سواء وانا نشأت في بغداد وعمري ما دخلت هذه الدار الَّا في هذا النهار . فقالوا : حسبنا انك منهم والان نراك نظيرنا . ثم ان الخليفة قال : نحن سبعة رجال وهم ثلاثة نساء ليس لهنَّ رابع فاسألوهنَّ عن حالهنَّ فان لم يجبننا طوعاً اجبننا كرهاً . واتفق الجميع على ذلك . فقال جعفر : ما هذا رأيي . دعوهنَّ فنحن ضيوف عندهنَّ وقد شرطنَ علينا شرطاً وقد قبلنا شرطهنَّ كما علمتم . فالاولى السكوت عن هذا الامر وقد بقي من الليل القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله . ثم غمز الخليفة وقال لهُ : ما بقي الَّا ساعة وفي غد تحضرهنَّ بين يديك وتسألهنَّ عن قصتهنَّ . فرفع الخليفة راسهُ وصرخ مغضباً وقال : ما بقي لي صبر عن خبرهنَّ فدع القلندريَّة يسألونهنَّ . فقال جعفر : ما هذا برأيي . فتفاوضوا في الكلام وكثر بينهم القال والقيل فيمن يسألهنَّ قبلاً . قالوا : الحمَّال . فقالت لهم الصبية : يا جماعة لاي شيء انتم مضطربون . فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها : يا سيدتي ان هؤلاء الجماعة يحبون ان تحدثيهم بخبر الكلبتين وما قصتهما وكيف انتِ تعاقبينهما وتعودين فتبكين وتقبلينهما . وان تخبريهم عن اختكِ وضربها بالمقارع . وهذا سؤالهم لكِ والسلام . فقالت الصبية صاحبة المكان للضيوف : صحيح ما يقول عنكم . فقال الجميع : نعم . الَّا جعفرًا فانهُ سكت . فلما سمعت الصبية كلامهم قالت : والله لقد اذيتموني يا ضيوفنا الاذية البالغة وتقدَّم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه وما كفاكم اننا ادخلناكم منزلنا واطعمناكم زادنا وما

لكم ذنب بل الذنب لمن اوصلكم الينا . ثم شمرت عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت : عجلوا . واذا بباب خرستانة قد فُتح وخرج منهُ سبعة عبيد وبايديهم سيوف مسلولة فقالت : كتّفوا هؤلاء الكثيري الكلام واربطوا بعضهم ببعض . ففعلوا وقالوا : ايها السيدة ارسمي لنا بضرب رقابهم . فقالت : امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم . فقال الحمال : يا سترَ الله . يا سيدتي لاتقتليني بذنب غيري والجميع اخطأوا ودخلوا في الذنب الّا انا . والله لقد كانت ليلتنا طيّبة لو سلمنا من هؤلاء القلندريّة الذين لو دخلوا مدينة عامرة اخربوها . ثم قال :

ما احسن الغفران من قادرٍ لاسيما عن غير ذي ناصرِ
بحرمة الودّ الذي بيننا لا تقتلي الاول بالآخرِ

فلما فرغ الحمال من شعره ضحكت الصبية

(الليلة الحادية عشرة) . ولما ضحكت من غيظها اقبلت على الجماعة وقالت : اخبروني بخبركم فما بقي من اعماركم الّا ساعة . ولو لم تكونوا اعزاء او اكابر قومكم او حكّاماً لما كنتم تجرأتم . فقال الخليفة : ويلكَ يا جعفر اخبرها بنا والّا قتلنا غلطاً وحسن لها القول قبل ان يحل بنا المكروه . فقال جعفر : من بعض ما تستاهل . فزعق عليهِ الخليفة وقال : الهزل لهُ وقت والجدّ لهُ وقت . هذا والصبية اقبلت على القلندريّة وقالت لهم : انتم اخوة . قالوا : لا ما نحن الّا فقراء واعجام . فقالت لواحد منهم : انت ولدت اعور . قال : لا . انا قد جرى لي حديث عجيب وامر غريب لما قُلعت عيني . ولي حكاية لو كتبت بالابر . على أماق البصر . لصارت عبرة لمن اعتبر . (قال) وسألت الثاني والثالث . فقالوا مثل الاول . وقالوا : يا مولاتنا كل واحد منا من بلد وابن ملك وحاكم على

بلاد وعباد . فالتفتت الصبية اليهم وقالت : كل واحد منكم يقصّ عليَّ حكايته وما سبب مجيئه الى عندنا ثم يملّس على راسهِ ويروح الى حال سبيله. فاول ما تقدم الحمال فقال: يا سيدتي انا رجل حمّال حمّلتني هذه الخوشكاشة وجاءت بي من بيت النبّاذ الى دكان الجزار ومن دكان الجزّار الى الفاكهاني ومن عنده الى النقلي ومن النقلي الى الحلواني والعطار ومنهُ الى هنا وجرى لي معكنّ ما جرى وهذا حديثي والسلام . فضحكت الصبية وقالت لهُ : ملس على راسك ورح . فقال: ما اروح حتى اسمع حديث رفقائي

فتقدم القلندري الاول وقال لها : يا سيدتي اعلمي ان سبب حلق ذقني وقلع عيني ان والدي كان ملكًا ولهُ اخ وكان اخوه ملكًا في مدينة اخرى. واتفق ان امي ولدتني وولد ابن عمي في يوم واحد . ومضت سنين واعوام وايام حتى كبرنا. وكنت ازور عمي في كل قليلٍ واقعد عنده اشهرًا عديدة . فاكرمني ابن عمي غاية الاكرام . وذبح لي الاغنام . وروَّق لي المدام . وجلسنا للشراب . فلما تحكم الشراب منا قال لي ابن عمي : يا ابن عمي لي اليك حاجة مهمة واريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله . فقلت لهُ : حبًا وكرامةً . فاستوثق مني بالأيمان العظام . ونهض من وقتهِ وساعته وغاب قليلًا وعاد وخلفه امرأةٌ متزرة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغًا عظيمًا . فالتفت اليَّ والمرأة خلفه وقال : خذ هذه المرأة واسبقني الى الجبّانة الفلانية. ووصفها لي فعرفتها . وقال لي : ادخل بها الى التربة وانتظرني هناك . فلم يمكنّي المخالفة ولم اقدر ان اردّ سؤاله لاجل اليمين التي حلفتها . فاخذتُ المرأة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها . فلما استقرَّ بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعهُ طاسٌ فيهِ ماء وكيس فيهِ جبس وقدوم . ثم انهُ اخذ القدوم وجاء الى قبرٍ في وسط التربة ففكّهُ ونقل احجاره الى ناحية التربة . ثم بحث

بالقدوم في ارض القبر. ثم انكشف عن طابق حديد قدر الباب الصغير في الارض. فرفعه فبان من تحته سلّم معقودة . ثم التفت الى المرأة وقال لها : دونكِ وما تختارين . فنزلت المرأة من على تلك السلّم . فالتفت اليَّ وقال : يا ابن عمي تمام المعروف اذا نزلتُ انا في ذلك الموضع رُدّ الطابق وردّ عليهِ التراب كما كان على الطابق . وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في الطاس اعجن بهِ الجبس ولبس القبر كما كان اولًا في دائر الاحجار حتى لايراها احد ويقول: هذا فتح جديدًا وبطنهُ عتيق. لان لي سنة كاملة وانا اعمل فيهِ وما يعلم بي الّا الله. وهذه حاجتي اليك . ثم قال لي : لا اوحش الله منك يا ابن عمي . ثم نزل في السلم . فلما غاب عن عيني قمت ورددت الطابق وفعلت ما امرني بهِ وبقي القبر كما كان . وانا في خمار سكران . ورجعت الى قصر عمي وكان عمي في الصيد والقنص . فنمت تلك الليلة . فلما اصبح الصباح تفكرتُ في الليلة الماضية وما جرى فيها على ابن عمي وندمت حيث لاينفع الندم على ما فعلت معهُ وطاوعته فظننت انهُ كان مناماً . فأخذت اسأل عن ابن عمي فما كان احد يجيبني عنهُ . فخرجت الى المقابر والجبّانة وفتشت على التربة فلم اعرفها. ولم ازل ادور تربةً تربةً وقبرًا قبرًا حتى اقبل الليل ولم اهتدِ عليها . فرجعت الى القصر ولم آكل ولم اشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي بحيث لااعلم لهُ حالًا . فاغتممت غمًّا شديدًا فنمت ليلتي وبتُّ مهمومًا الى الصباح . فجئت ثانيًا الى الجبّانة وانا افتكر في ما فعلته بابن عمي وندمت على سماعي منهُ . وقد درت في الترَب جميعًا فلم اعرف تلك التربة وذلك القبر . فندمت على ذلك ودمت على هذا الحال سبعة ايام . فلم اعرف لها طريقًا . فزاد بي الوسواس حتى كدت ان اجنّ . فلم اجد فرجًا دون ان سافرت ورجعت الى ابي . فساعة وصولي الى مدينة ابي نهض جماعة على باب

المدينة وكتفوني. فتعجبت كل العجب وانا ابن سلطان المدينة وهم خدم ابي وغلماني. فلحقني منهم خوف زائد. فقلت في نفسي: يا ترى ما جرى على والدي. وسألت الذين مسكوني عن سبب ذلك فلم يردُّوا عليَّ جوابًا. فبعد حينٍ قال لي بعضهم وكان خادمًا عندي: ان اباك قد غدر بهِ الزمان وتآمر عليهِ العساكر وقتله الوزير وقعد مكانه. ونحن نترقبك بامره. فاخذوني وانا غائب عن الدنيا من هذه الاخبار التي سمعتها عن ابي. فلما تمثلت بين يديه وكان بيني وبين الوزير عداوة قديمة وسبب تلك العداوة اني كنت مولعًا بضرب قوس البندق. ولما كنت يومًا من الايام واقفًا على سطح قصري اذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفًا. فاردت ان اضرب الطير واذا بالبندقة اخطأت ووقعت في عين الوزير فقلعتها بالقضاء والقدر كما قيل في بعض الامثال الماضية:

مشيناها خُطًا كُتبت علينا ومن كُتبت عليهِ خطًا مشاها
ومن كانت منيتهُ بارضٍ فليس يموت في ارضٍ سواها

قال القلندري: فلما انقلعت عين الوزير لم يقدر ان يتكلم لان والدي كان ملك المدينة. فهذا سبب العداوة بيني وبينه. فلما وقفت قدامه وانا مكتّف امر بضرب عنقي. فقلت لهُ: باي ذنبٍ تقتلني. فقال: اي ذنب اعظم من هذا واشار الى عينه المقلوعة. فقلت لهُ: هذا فعلته خطأ. فقال: ان كنت فعلته خطأ فانا افعله عمدًا. ثم قال: قدموه فقدموني بين يديه. فمدَّ اصبعه في عيني اليمنى قلعها. فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني. ثم كتفني وحطني في صندوق وقال للسياف. تسلم هذا واشهر حسامك وخذهُ واذهب بهِ الى ظاهر المدينة واقتله ودع الوحوش والطيور تأكلهُ. فخرج بي السياف وسار حتى خرج من المدينة الى وسط البرية واخرجني من الصندوق وانا مكتف اليدين مغلول

الرجلين واراد ان يعصب عيني ويقتلني بعد ذلك فبكيت بكاء شديداً حتى ابكيتهُ ونظرتُ اليه وانشدت اقول هذه الابيات :

جعلتكم درعاً حصيناً لتمنعوا سهام العدى عني فكنتم نصالها
وكنت أُرجيكم لكل ملمةٍ اذا اعوزت يدّي اليمين شِمالها
ذعوا قصة العذّال عني بمعزلٍ وخلوا العدى ترمي عليَّ نبالها
اذا أنتمُ لم تحرسوني من العدى فكنتم سكتم لا عليَّ ولا لها

وقال ايضاً :

واخوانٍ حسبتهم دروعاً فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاماً صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف ابي ولي عليهِ الاحسان قال : يا سيدي كيف افعل وانا عبد مأمور . ثم قال لي : فُز بعمرك ولا تعدْ الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال بعضهم :

ونفسكَ فز بها ان خِفت ضيماً وخلِّ الدار تنعى من بناها
فانكَ واجدٌ ارضاً بارضٍ ونفسكَ لم تجد نفساً سواها
عجبتُ لمن يعيشُ بدار ذلٍّ وارض الله واسعةٌ فلاها
ولا تبعث رسولك في مهمٍ فما للنفس ناصحةٌ خلاها
وما غلظت رقاب الاسد حتى بانفسها تولّت ما عناها

فقبّلتُ يديه وما ايقنتُ بالنجاة وهان عليَّ قلع عيني بنجاتي من القتل . وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليهِ واعلمته بما جرى على والدي وبما جرى لي من قلع عيني . فبكى بكاء شديداً وقال : لقد زدتني همّاً على همي وغمّاً على غمي . فان ابن عمك قد عدم ولا اعلم ما جرى عليهِ منذ ايام ولم يخبرني

احد بخبره وبكى حتى أغمي عليهِ . فحزنت عليهِ حزنًا شديدًا . فاراد ان يحط على عيني دواء، فرآها صارت جوزةً فارغة . فقال : ياولدي بعينك ولا بروحك . (قال) ولم يمكنني السكوت على ابن عمي الذي هو ولده فاعلمته بكل ما جرى . ففرح عمي بما قلتهُ لهُ فرحًا شديدًا عند سماع خبر ابنهِ وقال : قم ارني التربة . فقلت : يا عمي لا اعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرارًا وفتشت عنها فلم اعرف مكانها . ثم اتيت انا وعمي الى الجبَّانة ونظرت يمينًا وشمالاً فعرفتها ففرحت انا وعمي فرحًا شديدًا ودخلت انا واياه التربة . ورفعنا التراب والطابق ونزلت انا وعمي قدر خمسين درجةً . فلما وصلنا الى آخر سلَّم اذا بدخان طلع علينا حتى غشَّى ابصارنا . فقال عمي كلمة لا يخجل قائلها : لا حول ولا قوة الَّا بالله العليّ العظيم . ثم مشينا واذا نحن بقاعة ملآنة دقيقًا ومن الحبوب والمأكول وغير ذلك . ورأينا في وسط القاعة كلّة مرخاة على سرير . فنظر عمي الى السرير فوجد ابنهُ والمرأة التي قد نزلتْ معهُ صارا فحمًا اسود كانهما أُلقيا في جب من نار . فلما نظر عمي ذلك بصق في وجههِ وقال : تستاهل يا خنزير . هذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو اشد واقوى

(الليلة الثانية عشرة) . ثم ان القلندري قال : ان عمي ضرب ولده بسرموجته وهو راقد فحمًا اسود . فتعجبت من فعله وحزنت على ابن عمي وكيف صار هو والصبية فحمًا اسود . فقلت : بالله يا عمي زوّل عن قلبك غصة . لقد اشتغل سرّي وخاطري واغتممت بما قد جرى على ولدك وكيف بقي فحمًا اسود هو والصبية . وما كفاهما ما هما فيهِ حتى ضربتهُ بالسرموجة . فقال : يا ابن اخي هذا ولدي من صغره مولع بحب اخته وكنت انهاه عنها واقول : هما صغيران . فلما كبرا امسكته وزجرته زجرًا بليغًا وقلت لهُ : انكفَّ عمَّا انت فيهِ لئلا تبقى بين

الملوك بالمعاير والنقصان الى آخر الزمان . وتسيّر اخبارنا مع الركبان . واياك ان تصدر منك هذه الفعال فاني اسخط عليك واقتلك . وحجبتهُ عنها وحجبتها عنهُ . وكانت الخائنة تحبهُ محبة عظيمة وقد أغواهما الشيطان وزيّن لهما اعمالهما . فلما رآني حجبتهُ حفر لهُ هذا النفق الذي تحت الارض وسوّاه ونقل اليهِ المأكول كما تراه . وتغفَّلني لمَّا خرجت الى الصيد واتى هذا المكان . فغار عليهِ الحقّ وعليها واحرقهما وعذاب الآخرة اشد واقوى . ثم بكى وبكيت معهُ ونظر اليَّ وقال : انت ولدي عوض عنهُ . وتفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها وكيف قتل الوزيرُ والدي وجلس مكانهُ وقلع عيني وما تمَّ على ولد عمي من الحوادث الغريبة . ثم بكيت وبكى عمي معي

ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان . ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقرّ بنا الجلوس حتى سمعنا صوت طبول وبوقات وكوسات ورماح ابطال . وزمجرة رجال . وقعقعة لجم . وصهيل خيل . وانطبقت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل . فحارت عقولنا ولم نعرف ما الامر . فسألنا عن الخبر . فقيل : ان الوزير الذي اخذ مملكة ابيك جهز العساكر وجمع الجيوش واستخدم العربان وجاءنا بعساكر كعدد الرمال لا يحصى لهم عدد . ولا يقوى عليهم احد . وقد هجموا على المدينة على غفلة واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليهِ المدينة . فبقي عمي وهربت انا من جانب المدينة وقلت : اذا وقعت في يده قتلني . وتجدَّدت عليَّ الاحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لابي وعمي وكيف كان الامر . فان ظهرتُ عرفني اهل المدينة وعسكر ابي فيكون قتلي وهلاكي . فما وجدت شيئاً انجو بهِ الّا احلق لحيتي وشواربي . فحلقتهما وغيرت اثوابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة لعلَّ احداً يوصلني الى امير المؤمنين وخليفة رب

العالمين حتى اخبره وابثّ قصتي وما جرى لي. فوصلت الى هذه المدينة الليلة فوقفت حائرًا اين امضي. واذا بهذا القلندري واقف. فسلمت عليهِ وقلت لهُ: غريب. فقال: وانا غريب. فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاء وسلَّم علينا وقال لنا: غريب. فقلنا لهُ: ونحن غريبان. فمشينا وقد هجم علينا الظلام. فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق لحيتي وشواربي وقلع عيني. فقالت الصبية: ملّس على رأسك ورُح. فقال لها: لا اروح حتى اسمع خبر غيري. فتعجبوا من حديثه. فقال الخليفة لجعفر: والله ما رأيت ولا سمعت مثل الذي جرى لهذا القلندري

ثم تقدم القلندري الثاني وقبّل الارض وقال: يا سيدتي انا ما وُلدت اعور. ولي حكاية عجيبة لو كُتبت بالابر. على آماق البصر. لكانت عبرةً لمن اعتبر. وهي اني كنت ملكًا ابن ملك. وقرأت القرآن على سبع رواياتهِ. وقرأت الكتب وعرضتها على مشايخ العلم. وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء. واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت اهل زماني. وفاق خطي خطوط سائر الكتبة. وشاع ذكري في جميع الاقاليم والبلدان وعند عامة الملوك. فسمع بي ملك الهند فارسل الى ابي يطلبني وارسل لابي هدايا وتحفًا تصلح للملوك. فجهزني ابي في ستة مراكب. وسرنا في البحر مدة شهر كامل. فوصلنا الى البرّ واخرجنا خيلًا كانت معنا في المركب وشددنا الهدايا على عشرة جمال ومشينا قليلًا. واذا بغبار قد علا وثار. حتى سدّ الاقطار. وبعد ساعة من النهار. انكشف الغبار. وبان من تحته خمسون فارسًا ليوث عوابس. بحديد لوابس. فتأملناهم واذا هم عرب قطّاع طريق. فلما رأونا ونحن نفرٌ قليل ومعنا عشرة اجمال محملة هدايا لملك الهند هجموا علينا وقدموا السنان بين ايدينا. فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم: نحن رسل ملك الهند المعظم فلا تؤذونا. فقالوا: نحن لسنا في ارضه. ولا

تحت حكمه . ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت انا بعد ان جُرحت جرحا بليغاً . واشتغلت عني العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا . فصرت لا ادري اين اذهب . وكنت عزيزاً فصرتُ ذليلاً . وسرت الى ان اتيت رأس الجبل فأويت الى مغارة الى ان طلع النهار . ولم ازل كذلك حتى وصلت الى مدينة امينة حصينة ولّى عنها الشتاء ببرده . واقبل عليها الربيع بورده . وطلعت ازهارها . وتدفقت انهارها . وغرّدت اطيارها كما قال فيها الشاعر حيث وصفها :

مدينةٌ ما بها لساكنها مروّعٌ والامان صاحبها
كأنها جنةٌ مزخرفةٌ لاهلها قد بدت عجائبها

قال : ففرحت بوصولي اليها . وقد تعبت من المشي وعلاني الهمّ والاصفرار فتغيرت حالتي وانا لا ادري اين اسلك . فاجتزت خياطاً في دكان فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورحّب بي وانبسط معي وآنسني وسألني عن سبب غربتي . فاخبرته بما جرى لي من اوله الى آخره فاغتم لاجلي وقال : يا فتى لا تظهر ما عندك فاني اخاف عليك من ملك هذه المدينة وانهُ اكبر اعداء ابيك ولهُ عنده ثار . ثم احضر لي مأكولاً ومشروباً . فأكلت وأكل معي وقضينا الليل مسامرةً . وافرد لي محلّاً الى جانب حانوته واتاني بما احتاج اليهِ من فراش ولحاف فاقمت عنده ثلثة ايام فقال لي : ما تعرف صنعة تكتسب منها . فقلت لهُ : اني فقيه عالم كاتب حاسب خطّاط . فقال : صنعتك كاسدة في بلادنا وما في مدينتنا من يعرف علماً ولا كتابة غير الكسب . فقلت : والله لا ادري شيئاً غير الذي ذكرته لك . فقال : شد وسطك وخذ فاساً وحبلاً واحتطب من البرّية حطباً تتقوت بهِ الى ان يُفرّج الله عنك . ولا تعرّفهم بنفسك يقتلوك . ثم اشترى لي

فأساً وحبلاً وسلّمني الى بعض الحطّابين واوصاهم بي . فخرجت معهم واحتطبتُ نهاري كلهُ فاتيت بحمل على رأسي فبعتهُ بنصف دينـار فأكلت ببعضهُ وابقيت بعضهُ . ودمت على هذا الحال مدة سنة . فبعد السنة اتيت يوماً على عادتي الى البريّة وتوغّلت فيهـا فوجدت غوطة اشجار فيها حطب كثير . فدخلت الغوطة فوجدت اصل شجرة غليظة فحفرت حولها وأزلت التراب عنها . فعثرت الفأس في حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هي في طابق خشب . فكشفتهُ فبان تحتهُ سلّم فنزلت الى اسفل السلّم فرأيت باباً فدخلتهُ فرأيت قصرًا من احسن البنيـان . مشيد الاركان . فوجدت فيهِ صبية كالدرّة السنية

فلما نظرت اليها سجتُ خالقها لما ابدع فيها من الحسن والجمال . فنظرتْ اليَّ وقالت : انت من تكون انسيٌّ ام جني . فقلت لهـا : انسي . فقالت : ومن اوصلك الى هـذا المكان الذي لي فيهِ خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيهِ انسيًا ابدًا . فحكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر . فصعب عليهـا حالي وبكت وقـالت : وانا ايضاً اعلمك بقصتي . اعلم اني بنت الملك افيتـاموس صاحب جزيرة الابنوس . وكان قـد زوجني بابن عمي . فليلة زفافي اختطفني عفريت اسمهُ جرجيس بن رجموس ابن خالة ابليس . فطـار وتزل بي في هذا المكان ونقل فيهِ كل ما احتـاج اليهِ من الحلل والحلي والقماش والمتاع والطعام والشراب وغير ذلك . وفي كل عشرة ايام ياتيني بما احتاج اليهِ ثم يذهب لحـال سبيله . وعاهـدني اذا عرض لي حاجة ليلاً او نهـارًا ان المس بيدي هذين السطرَين المكتوبَين على القبَّة فما ارفع يدي الا وأراه عندي . ولهُ اليوم اربعة ايام وبقي لهُ ستة ايام حتى ياتي . ثم نهضتْ على اقدامها فمسكتني من يدي وادخلتني من باب مقنطر . فجلستْ على مصطبة واجلستني الى جانبها وأتت بسكّر ممسك

وسقتني . ثم قدّمتْ لي مأكولاً فأكلنا وتحادثنا ساعة . ثم قالت : والله كنت ضيقة الصدر وانا تحت الارض وحدي ولم أجد من يحدثني خمسةً وعشرين سنةً . فالحمد لله الذي ارسلك لي . ثم قالت : يا فتى هل لك في الشراب . فقلت : افعلي . فعمدَت الى خزانة واخرجت شراباً عتيقاً مختوماً . ونصبت خضرة . فاخذتْ وانشدتْ تقول :

لو علمنا قدومكم لنشرْنا ... مهجة القلب او سواد العيونِ
وفرشنا خدودنا للقاكم ... ليكون المسير فوق الجفونِ

فلما فرغتْ من شعرها اثنيت عليها وشكرتها على حسن صنيعها وذهب همي وغمي وجلسنا في منادمة . فسكرت سكرًا حتى غبت عن الوجود . فقمت اتمايل يمينًا وشمالاً وقلت لها : قومي اخرجكِ من تحت الارض وأُرِحكِ من هذا الجني . فضحكتْ وقالت : هيهات ان يمكنك ذلك . فقلت وقد غلب عليَّ السكر : انا الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب ودعي العفريت يجيْ حتى اقتلهُ فاني تعوَّدتُ قتل العفاريت . فلما سمعت كلامي اصفرَّ لونها وقالت لي : بالله لا تفعل وانشدتْ :

انَّ شيئًا هلاك نفسك فيهِ ... ينبغي ان تصون نفسك عنهُ

ثم انشدت :

ياطالبًا للفراق مهلًا ... وخيلهُ سُبَّقٌ عتاقُ
اصبر فطبع الزمان غدرٌ ... وآخر الصحبة الفراقُ

فلما فرغت من شعرها لم التفت لكلامها ورفستُ القبة رفسًا قويا

(الليلة الثالثة عشرة) . ولمَّا رفستُ القبة ما شعرتُ الَّا الاقطار قد اظلمت . وأرعدَت وابرقت . وتهزهزت الارض . واطبقت الدنيا . فطار

السكر من رأسي وقلت لها : ما الخبر . قالت : العفريت قد وصل الينا . أما حذّرتك من هذا . والله لقد آذيتني . انجُ بنفسك واصعد من المكان الذي جئت منهُ . فمن شدة خوفي نسيت حذائي وفأسي . فلما صعدتُ درجتين والتفتُّ لانظر واذا بالارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر هائل وقال : ما هذه الزعجة التي ازعجتني بها . ما مصيبتكِ . فقالت : ما اصابني شيء غير ان صدري ضاق . فاردت ان اشرب شراباً يشرح صدري فثقل عليَّ رأسي فوقعتُ على القبة . فقال لها العفريت : تكذبين ياخائنة . ونظر في القصر يميناً وشمالاً فرأى الحذاء والفأس . فقال لها : ما هذا الّا لبس الانس . مَن جاء اليكِ . فقالت : ما نظرت هذا الّا الساعة كانهما تعلقا معك . فقال العفريت : هذا كلام محال . ثم انهُ شبحها بين اربع سكك وجعل يعاقبها ويقرّرها . فما كان ليهون عليَّ ان اسمع بكاءها فصعدتُ على السلّم وانا من الخوف ارجف . فلما وصلت الى اعلى الموضع رددتُ الطابق كما كان وسترتهُ بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم . وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون . وكيف لها خمس وعشرون سنة وما جرى لها بسببي . وافتكرت في ابي ومملكته وكيف صرت حطّاباً . وقد تكدّر عيشي بعد ان صفا الوقت فبكيتُ وقلت هذا البيت :

اذا ما اتاك الدهر يوماً بنكبةٍ فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار . وهو لي في الانتظار . فقال : اني بتُّ البارحة وقلبي عندك وخفت عليك من وحش وغيره فالحمد لله على سلامتك . فشكرته على شفقته عليَّ ودخلت خلوتي وجعلت اتفكر في ما جرى لي ولمت نفسي على كثرة فضولي ورفسي هذه القبة . وانا في هذا الحساب واذا بصديقي الخيّاط دخل عليَّ وقال لي : يا فتى في الدار شيخ

عجمي يطلبك ومعهُ فاسك وحذاؤك قد جاء بهما الى الحطابين وقال لهم : انا خرجت وقت اذان المؤذن الى صلوة الفجر فعثرت بهما ولم اعلم لمن هما . دلوني على صاحبهما . فدلهُ الحطابون عليك وقد عرفوا فاسك . وهو قاعد في دكاني فاخرج اليهِ واشكره وخذ فاسك وخفك . فلما سمعت هذا الكلام اصفرَّ لوني وتغيَّر كوني . فبينما انا كذلك واذا بارض خلوتي انشقت وطلع منها العجمي واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقرَّ لهُ بشيء . فاخذ الفاس والخفَّ وقال لها : ان كنتُ جرجيس . من ذريَّة ابليس . فانا اجيءُ بصاحب هذا الفاس والحذاء . ثم جاء لهذه الغاية الى الحطابين ودخل عليَّ ولم يمهلني بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل وغاص في الارض وانا لااعلم بنفسي . ثم طلع بي القصر الذي كنت فيهِ فرأيت الصبية مشبوحة والدم يسيل من اجنابها . فذرفت عيناي الدمع فاخذها العفريت وقال لها : أما هذا هو الذي دخل ههنا . فنظرت اليَّ وقالت لهُ : لااعرف هذا ولا رأيتهُ ألا في هذه الساعة . فقال لها العفريت : اما تقرّي مع ما نالكِ من العقوبة . فقالت : ما رأيته عمري وما يحلّ من الله ان اكذب عليه . فقال لها العفريت : ان كنتِ لم تعرفيهِ خذي هذا السيف واضربي عنقه . فاخذت السيف وجاءتني ووقفت على راسي فاشرت لها بحاجبي ودمعي يجري على وجنتي ففهمت اشارتي وقالت : كل هذا بسببك . فاشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالي يقول :

يترجمُ طرفي عن لساني فتعلمُ ويُبدي لها ما في ضميري اكتمُ
ولما التقينا والدموع سواجم خرست وطرفي عنكمُ يتكلمُ
تشير فادري ما تقول بطرفها واومي اليها بالبنان فتفهمُ

(قال) فلما فرغت من الشعر رمت الصبية السيف من يدها وقالت :

كيف اضرب عنق من لا اعرفه ولا اساء اليَّ . ما يحلُّ هذا في ديني وتأخرتُ . فقال العفريت : ما يهون عليكِ قتله ولا تقرّين عنه وبعد هذا لا يحن على الجنس الّا الجنس . ثم التفت اليَّ العفريت وقال : يا انسي وانت ما تعرف هذه . فقلت : ومن تكون هذه رما رأيتها قطّ الّا في هذه الساعة . قال : فخذ هذا السيف واضرب عنقها وانا اطلقك تروح واني اتحقق انك لا تعرفها ابدًا . فقلت : نعم : واخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي . فقالت لي بحاجبها اي : ما قصرت معك أهكذا تقابلني . ففهمت ما قالت واشرت اليها بعيني اني سأفديكِ بروحي . فكتب لسان حالنا حيث يقول :

كم صامتٍ حدثت عينهُ خليلهُ بالذي اضمرا
فما احسن اللحظ في وجههِ وما ارشق الطرف اذ عبّرا
فهذا باجفانهِ كاتبٌ وذاك بمقلتهِ قد قرا

(قال) فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت : ايها العفريت الشديد . والبطل الصنديد . اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين ما استحلّت ضرب عنقي فكيف يحلّ لي ان اضرب عنقها ولم ارها عمري . فلا افعل ذلك ابدًا ولو سُقيت كاس الموت والردى . فقال العفريت : انتما بينكما مودة . فاخذ العفريت السيف وضرب يد الصبية قطعها ثم ضرب الثانية قطعها فقطع اربعة اطرافها باربع ضربات وانا انظر وايقنت بالموت وقد اشارت اليَّ بعينها كالمودّع . ثم ان العفريت ضرب راسها . ثم التفت اليَّ وقال : يا انسي لا بدَّ لي ان اقتلك فتمنَّ عليَّ . فقلت : وما اتمناه عليك . قال : تمنَّ عليَّ اي صورة اسحرك فيها اما صورة كلب او حمار او قرد . فقلت وقد طمعت ان يعفو عني : والله ان عفوتَ عني يعفُ الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذكَ . وتضرعت غاية

التضرع وبقيت بين يديه وقلت لهُ : انا مظلوم . فقال : لا تطل عليَّ الكلام ما يبعد عليَّ قتلك ولكن اخيّرك . فقلت : ايها العفريت ان العفو عني هو اليق بك فاعفُ عني كما عفا المحسود عن الحاسد . فقال العفريت : وكيف كان ذلك

حكاية الحاسد والمحسود

زعموا ايها العفريت انهُ كان في مدينة رجلان يسكنان في بيتين بحائط واحد ملصقين وكان احدهما يحسد الآخر ويصيبه بعينه ويبالغ في اذيته وكل وقت يحسده وزاد بهِ حسده حتى انهُ امتنع عن الطعام ولذيذ المنام . والمحسود لا يزداد الَّا خيرًا وكلما حسده جاره تحسنت حالهُ . فبلغ المحسودَ حسد جاره لهُ واذيته لهُ فرحل من جواره وابتعد عن ارضه وقال : والله لاهجرنَّ الدنيا لاجله . وسكن في مدينة اخرى واشترى لهُ فيها ارضًا وكان في تلك الارض بئر قديمة فعمَّر لهُ بها زاوية واشترى لهُ كل ما يحتاج اليهِ . وعبد الله تعالى فيها واخلص عبادته . وجاءته الفقراء والمساكين من كل جانب وشاع خبره في تلك المدينة . ثم اتصل خبره بجاره الحاسد لهُ بما وصل اليهِ من الخير . فقدم عليهِ مع اكابر المدينة . فدخل الزاوية فتلقاه الجار المحسود بالرحب والسعة واكرمه غاية الاكرام . فقال لهُ الحاسد : لي معك كلام وهو سبب سفري اليك واريد ان ابشرك فقم وامشِ معي في زاويتك . فقام المحسود واخذ بيد الحاسد وتمشيا الى آخر الزاوية . فقال الحاسد : قل لفقرائك يدخلون الى خلواتهم فانا ما اقول لك الَّا سرًّا بحيث لا احد يسمعنا . فقال المحسود لفقرائه : ادخلوا الى خلواتكم . ففعلوا كما امرهم بهِ ومشى بهِ قليلًا الى ان وصل بهِ الى البئر القديمة فدفع الحاسد المحسود فالقاه في البئر ولم يعلم بهِ

احد . وخرج وراح في سبيله وظن انهُ قتلهُ . وكانت البئر مسكونة من الجنّ فحملوه على ايديهم واقعدوه على الصخرة وقال بعضهم لبعض : تعرفون من هذا . قالوا : لا : قال قائل منهم : هذا الرجل المحسود الذي هرب من حاسده وسكن مدينتنا وانشأ هذه الزاوية وآنسنا بذكره وقراءته وقد جاءه الحاسد فاجتمع بهِ وتحيل عليهِ حتى رماه عندكم وقد اتصل خبره في هذه الليلة بسلطان هذه المدينة وعزم على زيارته في الغداة لاجل بنته . فقال بعضهم : وما الذي بابنته . قال : بها جنون ولو عرف دواءها لكان ابرأها . ودواؤها اهون شي . . قال بعضهم : وما دواؤها . قال : عند هذا العابد قطٌّ اسود في آخر ذَنَبه نقطة بيضاء بقدر الدرهم . فلو أخذ منها سبع شعرات من الشعر الابيض وبخرها بها نجت من المارد ولا يعود اليها ابدًا وتبرأ لوقتها

ايها العفريت هذا كلهُ جرى والمحسود يسمع . فلما اصبح الصباح . وطلع الفجر ولاح . جاء الفقراء الى الشيخ فوجدوه طالعاً من البئر فعظم في اعينهم . ثم عمد المحسود الى القطّ الاسود وأخذ من النقطة البيضاء التي في ذنبه سبع شعرات . وما طلعت الشمس الّا والملك قد جاء في عسكره فدخل هو واكابر دولته وامر بقية عسكره بالوقوف . فلما دخل الملك على المحسود رحب بهِ وقرَّبه وقال لهُ : هل اكاشفك بما جئتني بهِ . قال : نعم . قال: انك جئت تزورني وفي نفسك ان تسألني عن ابنتك . فقال الملك : نعم ايها الشيخ الصالح . فقال المحسود : ارسل من يأتي بها وارجو ان شاء الله تعالى انها تبرأ في هذه الساعة . ففرح الملك وارسل اعوانه فجاءوا بها وهي مكتفة مغللة . فاجلسها المحسود وستر عليها سترًا واخرج الشعر وبخرها بهِ . فصاح الذي كان على رأسها ومضى عنها وعاد اليها عقلها وسترت وجهها . فقالت : ما هذه الاحوال ومن جاء بي الى هذا المكان .

وفرح السلطان فرحاً ما عليهِ من مزيد وقبَّل عينيها وقبَّل يدي الشيخ المحسود . ثم انهُ التفت الى اكابر دولتهِ وقال : ماذا تقولون . ما يستأهل مَن شفى ابنتي . قالوا : يتزوج بها . قال : صدقتم . ثم زوَّجهُ بها . وصار المحسود صهر الملك . وبعد قليل مات الوزير. فقال الملك : من نعمل وزيراً . فقالوا صهرك : فعملوا المحسود وزيراً. وبعد قليل مات السلطان. قالوا: من نعمل ملكاً . قالوا : الوزير . فعملوا الوزير سلطاناً وصار ملكاً حاكماً . ففي يوم من الايام ركب مركبه وكان الحاسد ماراً في طريقهِ واذا بالمحسود بدَست مملكته بين امرائهِ ووزرائه وارباب دولته . فوقعت عينه على حاسده فالتفت الى بعض وزرائه وقال : ائتني بذلك الرجل ولا ترجفه . فغاب واتاه بالحاسد جاره . فقال : اعطوه الف مثقال من خزانتي واحملوا لهُ عشرين حملاً من المتجر وارسلوا معهُ حارساً يوصله الى بلده . ثم انهُ ودعهُ وانصرف عنهُ وما عاقبه على ما فعل بهِ

انظر ايها العفريت الى عفو المحسود عن الحاسد وكيف حسده في البداية ثم آذاه وسافر اليه . ثم بلغ بهِ الى ان رماه في البئر واراد قتله ولم يقابله على أذاه بل صفح عنهُ وعفا عنه . ثم بكيت بين يديه البكاء الشديد الذي ما عليهِ من مزيد وانشدت :

صفح الكرام فلم تزل اهل النهى ... يهبون للجانين ما يجنونهُ
فلقد حويتُ على الذنوب باسرها ... فاحوِ من الصفح الجميل فنونهُ
فمن ابتغى عفو الذي هو فوقهُ ... فليعفُ عن ذنب الذي هو دونهُ

فقال العفريت : لا تطل عليَّ الكلام . اما القتل فلا تخف منهُ واما العفو عنك فلا تطمع فيه ولكني اسحرك . ثم اقتلعني من الارض وطار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا تحتي كانها قصعة في وسط الماء . ثم حطني على جبل

واخذ قليلاً من التراب وهمهم عليه وعزَّم ورشني بهِ وقال : اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد . فمن ذلك الوقت صرت قرداً ابن مائة سنة . فلما رأيت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على نفسي وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وقد انحدرت من على الجبل الى اسفل فوجدت برًّا متسعاً فسافرت مدة الشهر فانتهى بي السير الى شاطئ البحر المالح . فوقفت ساعة واذا انا بمركب في وسط البحر وقد طاب ريحه وهو طالب البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البرّ وصبرت الى ان اتى المركب فنزلت فيهِ . فقال واحد من الركاب : اخرجوا هذا المشؤوم عنا . فقال الرئيس : نقتله . وقال الآخر : اقتله بهذا السيف . فمسكت ذيل الرئيس وبكيت وسالت دموعي فحنَّ عليَّ الرئيس وقال : يا تجار هذا القرد قد استجار بي وقد اجرته وهو في ذمامي فلا احد يعكر عليهِ ولا يشوشه . ثم ان الرئيس صار يحسن اليَّ ومهما تكلم بهِ افهمه واقضي حوائجه كلها واخدمه في المركب فحبني . ثم ان المركب طاب لهُ الريح مدة خمسين يوماً فارسينا على مدينة عظيمة وفيها عالمٌ عظيم لا يُحصي عددهم الا الله . فساعة وصولنا وقف مركبنا واذا قد اقبل الينا مماليك من جهة ملك المدينة فصعدوا الى مركبنا وهنأوا التجار بالسلامة وقالوا : ملكنا يهنئكم بالسلامة وقد ارسل اليكم هذا الدرج الورق وكل واحد منكم يكتب سطرًا واحدًا فان الملك كان لهُ وزير خطاط وقد مات واقسم السلطان وحلف الأيمان العظام بان لايوزّر الّا من يكتب مثل خطه . ثم ناول التجار درج ورق طوله عشرة اذرع في عرض ذراع فكتب كل من كان يعرف الكتابة الى آخرهم . فقمت وانا في صورة القرد وخطفت الدرج من ايديهم . فخافوا اني اقطعه فنهروني فاشرت اليهم : اني اكتب . فاشار لهم الرئيس . خلوه يكتب فان خلط وخرفش طردناه عنا وان احسن الكتابة اتخذته ولدًا . فاني ما رأيت

قردًا افهم منهُ . ثم اني مسكت القلم واستمددت من الدواة حبرًا وكتبت بالقلم الرقاعي هذين البيتين :

لقد كتب الدهر فضل الكرام وفضلك للآن لا يُكتبُ
فلا أيتم الله منك الورى لانكَ للفضلِ امٌّ وأبْ

وكتبت بقلم الريحان :

لهُ قلمٌ عمَّ الاقاليم نفعهُ وعمَّ جميع العالمين منافعُ
فما نيل مصرٍ مثل نائلك الذي يمدُّ الى الامصار خمسًا اصابعُ

وكتبت بقلم الثُلث :

وما من كاتبٍ الّا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبَت يداهُ
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرُّك في القيامة ان تراهُ

وكتبت بقلم النسخ :

لما نبئنا بالفراق تحكمت فينا بذاك حوادث الايامِ
عدنا لافواه المحابر نشتكي ألم الفراق بألسن الاقلامِ

وكتبت بقلم الطومار :

ان الخلافة لاتدوم لواحدٍ ان كنت تنكر ذا فاين الاولُ
اغرس من الفعل الجميل غرائسًا فاذا عُزلتَ فانها لاتعزلُ

وكتبت بقلم المحقق :

اذا فتحتَ دواة العزّ والنعمِ فاجعل مدادكَ من جودٍ ومن كرَمِ
واكتب بخيرٍ اذا ما كنت مقتدرًا بذاك شرّفت فضلًا نسبة القلمِ

ثم ناولتهم الدرج وكتبوا كل واحد سطرًا . ثم اخذوه وذهبوا بهِ الى الملك . فلما نظر الملك الى الدرج فلم يعجبهُ خط احدٍ الّا خطي . فقال للجماعة :

توجهوا الى صاحب هذا الخط واركبوه بغلة وجيئوا به بآلات الطرب والبسوه حلةً سنية واحضروه اليَّ . فلما سمعوا كلام الملك تبسموا . فغضب الملك منهم وقال : يا ملاعين أتضحكون مني لاجل امرٍ اقولهُ لكم . فقالوا : ايها الملك ان لضحكنا سبباً . فقال : وما هو . فقالوا : ايها الملك انت تأمرنا ان نحضر لك الذي كتب هذا الخط والحال ان الذي كتبهُ قردٌ وليس هو آدمي وهو مع رئيس المركب . فقال : أحقاً ما تقولون . قالوا : اي والله وحق نعمتك . فتعجب الملك من كلامهم واهتزَّ من الطرب وقال : اريد ان اشتري هذا القرد من الرئيس . ثم بعث رسولاً الى المركب ومعهُ البغلة والحلة وآلة الطرب وقال : لا بدَّ ان تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتجيئوا بهِ من المركب . فساروا الى المركب واخذوني من الرئيس والبسوني الحلة واركبوني البغلة فاندهش الخلائق وانقلبت المدينة لاجلي وصاروا يتفرجون عليَّ . فلما اصعدوني الى الملك ولاقاني قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات . ثم امرني بالجلوس فجلست على ركبتي . فتعجبت الخلائق الحاضرون من ادبي وكان اكثرهم تعجباً الملك . ثم امر الملك الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبقَ الّا انا وحضرة الملك والطواشي ومملوك صغير . ثم امر الملك فقدموا سفرة الطعام وفيها ما هش وطار . وتناغى في الاوكار . من القطا والسمانَى وسائر اصناف الطيور . فاشار الملك اليَّ ان آكل معهُ . فقمت وقبّلت الارض بين يديه وجلست اكلت معهُ . ثم رُفعت السفرة . فغسلت يديَّ سبع مرات واخذت الدواة والقلم وكتبت اقول هذه الابيات :

عُجْ بالغرانيق في ربع السكاريجِ وابكِ لفقد القلايا والطياهيجِ
واندب بنات القطا ما زلت اندبها مع للدجاج واصناف الفراريجِ
يالهف قلبي على لونين من سمكٍ على رغيفٍ من الخبز المعاريجِ

لله درّ الشوا ما كان اطيبهُ والدهن يُغمس في خلّ السكابيجِ
ما هزّني الجوع الّا بتُّ معتكفاً على الهريسة طهو الطهابيجِ
تروعهُ عند أكلٍ في فكاهتهِ على الموائد اصناف الدبابيجِ
يا نفس صبراً فان الدهر ذو عجبٍ ان ضاق يوماً اتانا بالتفاريجِ

ثم قمت وجلست بعيداً . فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال : يا العجب قردٌ ويكون عنده هذه الفصاحة والخط . والله ان هذا من اعجب العجب . ثم قُدِّم للملك مشروب خاصّ في زجاج فشرب الملك . ثم ناولني فقبلت الارض وشربت وكتبت :

أحرقوني بالنار واستنطقوني وجدوني على البلاء صبورا
لاجل هذا حُملت فوق الايادي ولثمت من الملوك الثغورا

وايضاً :

هتفَ الصبح بالدجى فاسقنيها خمرةً تترك الحليم سفيها
لست ادري لرقةٍ وصفاء هي في كاسها ام الكاس فيها

(قال) فقرأ الملك الشعر فتحسر وقال : لو كان هذا الادب في انسان لفاق اهل عصره وزمانه . ثم قدم الملك رقعة شطرنج وقال : هل لك ان تلعب معي . فاشرت براسي : نعم وتقدمت ووضعت الشطرنج ولعبت معهُ مرتين وانا اغلبه . فحار عقل الملك . ثم اخذت الدواة والقلم وكتبت على الرقعة هذين البيتين :

جيشان يقتتلان طول ضحاهما وتخاصمٌ في كل وقتٍ زائدُ
حتى اذا جُنّ الظلام عليهما ناما وضمهما فراشٌ واحدُ

قال : فلما قرأ الملك هذين البيتين عجب وطرب ولحقتهُ الحيرة وقال لخادمه : امضِ الى سيدتك سيدة الحسن وقل لها : كلمي الملك حتى تجي تتفرج على

هذا القرد العجيب . فغاب الخادم وعاد ومعهُ السيدة . فلما نظرتْ اليَّ غطت وجهها وقالت : يا ابي كيف طاب على قلبك ان ترسل اليَّ لتريني الرجال . فقال : ياسيدة الحسن ما عندي سوى المملوك الصغير والمقدَّم الذي ربَّاكِ وانا ابوكِ فممَّن تغطين وجهكِ . فقالت ان هذا القرد شابٌ ابن ملك وابوه اسمهُ افتيماروس صاحب جزائر ابنوس وهو مسحور سحرهُ العفريت جرجيس . الذي هو من ذرّيَة ابليس . وقتل زوجته بنت ملك افتاموس . وهذا الذي تزعم انهُ قرد هو رجل عالم عاقل . فتعجب الملك من ابنته ونظر اليَّ وقال : أحق ما تقول عنك . فقلت برامي : نعم . وبكيتُ . فقال الملك لابنته : من اين عرفتِ انهُ مسحور . فقالت : يا ابتِ كان عندي وانا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة فعلمتني السحر وصناعته وقد حفظته واتقنتهُ وحفظت منهُ مائة وسبعين بابًا من ابوابه اقلّ باب فيهِ اجعل حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل اهلها سمكًا في وسطها . فقال ابوها : يا ابنتي بحياتي خلصي لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيري لانهُ شاب ظريف لبيب . فقالت لهُ : حبًا وكرامةً . ثم اخذت بيدها سكينًا وعملت دائرة وسط القصر

(الليلة الرابعة عشرة) . قالت شهرزاد : وكتبتْ عليها اسماء وطلسمات وعزَّمت وقرأت كلامًا يفهم وكلامًا لايفهم . فبعد ساعةٍ اظلمت علينا الدنيا واذا بالعفريت قد تدلّى علينا في صفته وهيئته . لهُ ايدٍ كالمذاري . وارجل كالسواري . وعينان مثل شعلتي النار . ففزعنا منهُ . فقالت بنت الملك : لا اهلاً بكَ ولا سهلاً . فانقلب العفريت في صورة اسد وقال لها : يا خائنة نقضتِ العهد واليمين . اما تحالفنا بان لايتعرَّض احدٌ منا للآخر . فقالت لهُ : يا لعين . ومثلك لهُ عندي يمين . فقال العفريت : خذي ما جاءكِ . ثم فتح الاسد فمهُ

وهجم على الصبية فاسرعت واخذت شعرةً من شعرها وهزّتها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفاً ماضياً وضربت بهِ ذلك الاسد فصار نصفين وانقلب راسهُ عقرباً فانقلبت الصبية حية عظيمة وهجمت على هذا اللعين وهو في صفة عقرب فتقاتلا قتالاً شديداً . ثم انقلبت العقرب عقاباً فانقلبت الحية نسراً وصارت وراء العقاب وطلبتهُ ساعةً زمانية . فانقلبت العقاب قطاً اسود فانقلبت الصبية ذئباً ابلق فتقاتلا في القصر ساعةً زمانية فرأى القط نفسه مغلوباً فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة وقعدت الرمانة في وسط فسقية القصر . فجاءها الذئب فارتفعت في الهواء ووقفت على بلاط القصر فانكسرت . وانتثر الحبّ كل حبةٍ وحدها وامتلأَت ارض القصر حبّ رمان. فانتفض الذئب وصار ديكاً والتقط ذلك الحبّ حتى لم يترك ولا حبة . فبالامر المقدّر بقيت حبة في جانب الفسقية . فصار الديك يصيح ويرفرف باجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول . وصرخ علينا صرخةً تخيَّل لنا عندها ان القصر قد انقلب علينا ودار في ارض القصر كله فرأى الحبة التي اختبأَت في جانب الفسقية فانقضّ عليها ليلتقطها واذا بالحبة غاصت في وسط الماء الذي في الفسقية وصارت سمكة وغارت في قعر الماء . فانقلب الديك حوتاً كبيراً ونزل خلفها وغاب ساعة . ثم سمعنا صراخاً علا فارتجفنا . فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار يفتح فمهُ . يخرج منهُ نار ومن عينيه وانفهُ نارٌ ودخانٌ . وخرجت الصبية وهي جمرة نار عظيمة فتقاتلا هي واياه ساعة حتى انعقدت عليهما النيران . وانحبس الدخان في القصر فخفنا واردنا ان نغطس في الماء خشيةً من الحريق والهلاك . فقال الملك : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم . انّا لله وانّا اليهِ راجعون . يا ليتنا ما كلفناها خلاص هذا القرد حتى اننا اتعبناها هذا التعب العظيم مع هذا العفريت الملعون الذي ما

تقدر عليهِ كل العفاريت الموجودة في الدنيا . ويا ليتنا ما عرفنا هذا القرد . لا بارك الله فيهِ ولا في ساعته . قصدنا ان نعمل معهُ جميلًا لوجه الله تعالى ونخلصهُ من السحر فابتلينا بتعب القلب

اما انا يا سيدتي فكنت مربوط اللسان لا اقدر اتكلم معهُ بشيء . ثم ما شعرنا الّا والعفريت قد صرخ من تحت النيران . وصار عندنا في الايوان . ونفخ في وجوهنا بالنار . فلحقتهُ الصبية ونفخت في وجههِ فاصابنا الشرار منها ومنهُ . فاما شرارها فلم يؤذنا واما شراره فلحقني في عيني شرارة منهُ فطمستها وانا في صورة القرد . ولحق الملك شرارةٌ منهُ في وجههِ احرقت نصف وجههِ ولحيته وحنكه التحتاني واوقعت صف اسنانه التحتانية ووقعت شرارة في صدر الخصي فاحترق ومات من وقته وساعته فايقنا بالهلاك وأيسنا من الحياة . فبينما نحن كذلك اذ بقائل يقول : الله اكبر الله اكبر . فتح ونصر . واذا ببنت الملك قد احرقت العفريت واذا بهِ قد صار كومة رمادٍ واقبلت الصبية الينا وقالت : الحقوني بطاس ماء . فجاءوها بهِ فتكلمت عليها بكلام لا نفهمهُ . ثم رشتني بالماء وقالت : اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى . (قال) فانتفضت فاذا انا بشرٌ كما كنت ولكن ذهبت عيني . فقالت الصبية : النار النار يا والدي ما بقيتُ اعيش . وما انا معودة قتال الجنّ ولو كان من الانس قتلته من زمان وما تعبت الّا وقت تفرُّق حبوب الرمانة والتقاط حبها ونسيت الحبة التي فيها روح الجني فلو التقطتها لمات من ساعته . ولكن ما علمت بالقضاء والقدر فاذا هو قد اتى وجرى لي معهُ حربٌ شديدة تحت الارض وفي الهواء والماء . وكلما كنت افتح عليهِ بابًا يفتح عليَّ بابًا الى ان فتح عليَّ باب النار . وقليلٌ من يفتح عليهِ باب النار وينجو منهُ . وانما ساعدني عليهِ القدر حتى حرقته قبلي . وكنت اعهد منهُ التدين

بدين الاسلام . واما انا فميتة فخليفتي الله عليكم . ثم انها استغاثت ولم تزل تستغيث من النار فاذا شرار اسود قد صعد الى صدرها وسرى الى وجهها . فلما وصل الى وجهها بكت وقالت : اشهد ان لا اله الّا الله وان محمدًا رسول الله . ثم نظرنا اليها واذا بها كومة رماد الى جانب كومة العفريت فحزنّا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا ارى ذلك الوجه المليح الذي يعمل معي هذا الخير يصير رماداً لكن حكم الله لا يُردّ . فلما رأى الملك ابنتهُ صارت كومة رماد نتف بقية لحيته ولطم وجههُ وشقّ اثوابهُ وفعلتُ كما فعل وبكينا عليها فاقبل الحجّاب وارباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم وكومتي رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة . فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجواري واقاموا المأتم سبعة ايام وقام الملك وامر ان يبنى على رماد ابنته قبةٌ عظيمة واوقدوا فيها الشموع والقناديل . واما رماد العفريت فانهم ذروه في الهواء الى لعنة الله . ثم مرض السلطان مرضاً اشرف منهُ على الموت ودام مرضهُ شهرًا . ثم تعافى ونبتت لحيتهُ فطلبني وقال لي : يا فتى قد قضينا زماننا في اهنأ عيش آمنين من نوائب الزمان حتى اقبلتَ علينا . يا ليتنا ما كنا رأيناك ولا رأينا يوم طلعتك القبيحة فيها نحن صرنا في حالة العدم بسببك . اولاً عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل . وثانيًا جرى لي من الحريق ما جرى وعدمت اضراسي ومات خادمي وقبل ذلك وبعده ما رأينا منك شيئًا . لكن الكل من الله عليك وعلينا والحمد لله حيث خلصتك ابنتي واهلكت نفسها . فاخرج ياولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدَّر علينا وعليك فاخرج بسلام وان عدتُ رأيتك قتلتك . وصرخ عليَّ فخرجت يا سيدتي من عنده وما أوثق بالنجاة ولا ادري اين اتوجه . وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف خلوني في الطريق وسلامتي

منهم ومشيت شهرًا ودخلت في المدينة غريبًا واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الارض وخلاصي من العفريت بعد ان كان عازمًا على قتلي وما عبر قلبي من المبتدإ والمنتهى لحمدت الله وقلت : بعيني ولا بروحي . ودخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة وحلقت لحيتي ولبست مسحًا اسود وقصدت الحج يا سيدتي وفي كل يوم ابكي واتفكر في المصائب التي جرت عليَّ وقلع عيني وكل ما افكر في ما جرى لي ابكي وانشد واقول هذه الابيات :

تحيّرتُ والرحمنِ لاشكَّ في امري — وحاطت بي الاحزان من حيث لا ادري
ساصبر حتى يعجز الصبر من صبري — واصبر حتى يقضي الله من امري
ساصبر مغلوبًا بغير توجعٍ — كما يصبر الظمآن في ازمن الحرِّ
ساصبر حتى يعلم الصبر انني — صبرتُ على شيء أمرَّ من الصبرِ
ولا شيء مثل الصبر مرٌّ وانما — امرُّ من الامرين ان خانني صبري
سرائر سرّي ترجمان سريرتي — اذا كان سرُّ السرّ سرَّك في سرّي
ولو ان ما بي بالجبالِ لهدّمت — وبالنار اطفاها وبالريح لم تسرِ
ومن قال ان الدهر فيهِ حلاوةٌ — فلا بدَّ من يومٍ أمرَّ من المرِّ

ثم سافرت الاقطارَ . ووردت الامصار . وقصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المؤمنين واخبره بما جرى لي . فوصلت بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفًا حائرًا . فقلت : السلام عليك وتحدثت معهُ . واذا باخينا الثالث قد اقبل علينا وقال : السلام عليكم انا رجل غريب . فقلنا له : ونحن غرباء وقد وصلنا هذه الليلة المباركة . فتمشينا نحن الثلاثة وما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا اليكم وهذا سبب حلق لحيتي وشواربي وقلع عيني . فقالت : ان حكايتك غريبة ملّس على راسك واخرج

الى حال سبيلك . فقال : لا اخرج حتى اسمع حديث رفقتي

فتقدم القلندري الثالث وقال : ايها السيدة الجليلة ما قصتي مثل قصتهما بل قصتي اعجب واغرب . وهي سبب حلق لحيتي وقلع عيني . ان هذين جاءهما القضاء والقدر . وانا جلبت القضاء بيدي والهمَّ لروحي . وذلك اني كنت ملكاً ابن ملك ومات والدي واخذت الملك من بعده وحكمتُ وعدلت وأحسنت للرعية وكان فيَّ محبة للسفر وركوب البحر . وكانت مدينتي على البحر والبحر متسعٌ وحولنا جزائر كثيرة عظيمة في وسط البحر . وكان لي في البحر خمسون مركباً للمتجر وخمسون مركباً اصغر للفرجة . ومائة وخمسون قطعةً معدة للحرب والجهاد . فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب . واخذت معي زاد شهر كامل وسافرت عشرين يوماً . فلما كانت ليلة من الليالي هبَّت علينا رياح مختلفة وهاج البحر علينا هيجاتٍ عظيمة . وتلاطمت الامواج فأيسنا من الحيوة . وتزلت علينا ظلمة شديدة وقلت : ليس المخاطر بمحمود ولو سلم . فدعونا الله تعالى وابتهلنا اليه . وما زالت الارياح تختلف والامواج تلطم الى ان انفجرَ الفجر فهدأت الريح وصفا البحر وبعده اشرقت الشمس . ثم اننا اشرفنا على جزيرة وخرجنا الى البرّ وطبخنا شيئاً ناكله فأكلنا . ثم اخذنا راحةً يومين وسافرنا عشرين يوماً فاختلفت علينا المياه وعلى الرئيس واستغرب الرئيس البحر فقلنا للناظور : اكشف البحر واطلع البطية . فصعد للسارية ثم نظر وقال للرئيس : يا رئيس رأيت عن يميني سمكاً على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سواداً من بعيد يلوح ساعةً اسود وساعةً ابيض . فلما سمع الرئيس كلام الناظور ضرب عمامته في الارض ونتف لحيته وقال للناس : ابشروا بهلاكنا نحن الجميع فلا يسلم منّا احد وشرع يبكي ونحن الجميع نبكي على انفسنا . فقلت : ايها الرئيس اخبرنا بما رأى

الناظور. فقال: اعلم يا سيدي اننا تهنا في يوم هاجت علينا الارياح وما هدأت الريح الّا بكرة النهار واقمنا يومين وتهنا في البحر وقد مضى علينا احد عشر يوماً من تلك الليلة ولا لنا ريحٌ ترجعنا الى ما نحن قاصدين. وآخر النهار غداً نصل الى جبل حجر اسود وهو يسمّى حجر المغناطيس وتجرّنا المياه غصباً الى تحته فتنفسخ المركب ويروح كل مسمار في المركب الى الجبل ويلتصق بهِ لان الله تعالى ركب في حجر المغناطيس سراً وهو ان جميع الحديد يذهب اليهِ. وفي ذلك الجبل حديدٌ كثير لا يعلمه الّا الله تعالى حتى انهُ تكسّر من قديم الزمان مراكب كثيرة على ذلك الجبل. ومما يلي البحر قبّة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة وفوق القبة فارسٌ وفرس من النحاس. وفي يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلّق في صدره لوح من رصاص منقوش عليهِ اسماء وطلاسم. فقال لي: ايها الملك ما يهلك الناسَ الّا الراكبُ على هذه الفرس وما الخلاص الّا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس. ثم انهُ يا سيدتي بكى الرئيس بكاء شديداً فتحققنا اننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه واوصى احتمال ان لا يسلم. فلم ننم تلك الليلة. فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل وساقتنا المياه غصباً اليه. فلما صارت المراكب تحته خرجت المسامير وكل حديدٍ فيها طلب حجر المغناطيس واشتبك فيه. وعند آخر النهار درنا حولهُ فمنّا من غرق ومنّا من نجا واكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا بعضهم ببعض لان الامواج واختلاف الرياح قذفت كلًّا الى جانب. اما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريد من شقائي وعذابي وبلوتي. فركبت لوحاً من الالواح فضربتهُ الريح فالتصق بالجبل فاصبت طريقاً متطرقاً الى أعلاه كهيئة السلالم منقورة في الجبل فسمّيتُ الله تعالى

(الليلة الخامسة عشرة): ثم اني لما سميت الله ودعوته وابتهلت اليهِ

وتعلقت بالنقر الذي في الجبل وقد تسلقت قليلاً أذن الله ان تسكن الريح في تلك الساعة واعانني على الصعود فسلمتُ وصعدت الجبل فلم يكن لي دأب الا القبة وفرحت بسلامتي غاية الفرح . فدخلت القبة وتوضأت وصليت ركعتين شكراً لله على سلامتي . ثم اني نمت تحت القبة فسمعت في منامي قائلاً يقول : يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك احفر تحت رجليك تجد قوساً من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشاً عليها طلسمات . فخذ القوس والنشاب وارم الفارس الذي على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم . فاذا رميت الفارس يقع في البحر والقوس يقع عندك . فخذ القوس وادفنه في موضع الفرس . فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوي الجبل ويطلع عليهِ زورق فيهِ شخص نحاس غير الذي رميته يجيءُ اليك وفي يده مقذاف . فاركب معهُ ولا تسمِّ الله تعالى . فانهُ يقذف ويسافر بك مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة . فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك . فهذا يتمّ لك اذا لم تسمِّ الله . ثم استيقظت من نومي وقمت بنشاط وفعلت مثلما قال الهاتف ورميت الفارس فوقع في البحر ووقعت القوس عندي . فاخذت القوس ودفنتها . فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل وساواني . فلم البث غير ساعة حتى رأيت زورقاً في وسط البحر آتياً اليَّ فحمدت الله تعالى . فلما وصل اليَّ الزورق وجدت فيهِ شخصاً من النحاس في صدره لوحٌ من الرصاص منقوش باسماء وطلسمات . فطلعت في الزورق وانا ساكت لا اتكلم . فقذف الشخص اول يوم والثاني والثالث الى تمام العشرة ايام فنظرت ورأيت جزائر السلامة . ففرحت فرحاً عظيماً ومن شدة فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت . فلما فعلت كذلك قذفني الزورق في البحر ثم رجع وانقلب في البحر فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلّت

سواعدي وتعبت. ولم ازل في الهلكات . ثم تشهدت وايقنت بالموت . فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني وقذفتني قذفة حتى صرت فوق البرّ لما يريد الله . فقمت وعصرت ثيابي ونشفتها ونشرتها على الارض وبتُّ . فلما اصبحت لبست اثوابي وقمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها ودرتُ حولها فوجدت الموضع الذي انا فيهِ جزيرةً صغيرةً والبحر محيطٌ بها فقلت: كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها . فبينما انا متفكر في امري وانا اتمنى الموت نظرت من بعيدٍ مركباً فيهِ ناس وهو قاصد الجزيرة التي انا فيها فقمت وقعدت على شجرة . واذا بالمركب قد التصق وخرج منهُ الى البر عشرة عبيد ومعهم مساحٍ ومشوا الى ان وصلوا الى وسط الجزيرة فحفروا في ارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى المركب ونقلوا منهُ خبزًا ودقيقًا وسمنًا وعسلاً واغنامًا والآلات التي يحتاج اليها المسكن . وما زال العبيد في صعود ونزول الى المركب الى ان نقلوا جميع ما في المركب الى الحفرة . وبعد ذلك خرجوا ومعهم ثياب احسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما ابقى وعركه الدهر فما استبقى كانهُ مفنًى ملقى . في خرقة زرقا . تمرّ فيها الارياح غربًا وشرقًا . كما قال فيهِ الشاعر :

قد أرعشَ الدهر ايَّ رعشٍ والدهر ذو قوّةٍ وبطشِ
قد كنت امشي ولست اعيا واليوم اعيا ولست امشي

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الطابق ونزل الجميع في الطابق وغابوا ساعة او اكثر . ثم طلع العبيد والشيخ ولم يطلع الصبيُّ معهم . ثم ردوا باب الطابق كما كان ونزلوا في المركب وغابوا عن عيني . فلما توجهوا قمت ونزلت من على الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وطوّلت روحي حتى

رفعت جميع التراب فانكشف الطابق . فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون . فرفعتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخرها فوجدت بنياناً نظيفاً مفروشاً بانواع البسط والحرير والصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مخدة وفي يده مروحة وبين يديه مشموم ورياحين وهو وحده فلما رآني اصفرَّ لونه . فسلمت عليهِ وقلت له : ارِح روحك . وهدِّئ روعك . لاباس عليك . انا انسي مثلك وابن ملك وانما ساقتني المقادير اليك اونسك على وحدتك فما قصتك وما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك . فلما تحقق اني من جنسه فرح وردَّ لونه وقرَّبني اليهِ وقال : يا اخي قصتي عجيبة . وذلك ان والدي تاجر جوهري ولهُ تجارة وعبيد ومماليك تجار يسافرون لهُ في المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد ولهم معاملات واموال متسعة ولم يرزق ولداً قطّ فرأى في منامه انهُ يرزق ولداً في عمره قِصَر . فاصبح والدي في صراخ وبكاء . فلما كانت الليلة القابلة حبلت والدتي بي فأرَّخ تاريخ حبلها وانقضت ايامها فولدتني ففرح والدي واولم الولائم واطعم الفقراء والمساكين لكونه رُزقني في آخر عمره . فجمع المنجمين واهل التقاويم وحكماء الزمان واصحاب التواريخ والمواليد فكشفوا ميلادي وقالوا لهُ : ولدك يعيش خمس عشرة سنة وعليهِ مخاطر ان سلم منها عاش زماناً طويلاً . وسبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليهِ فارس وفرس من نحاس والفارس في صدره لوح من رصاص فمتى وقع الفارس من على فرسه يموت ولدك بعد خمسين يوماً وقاتله هو الذي يرمي الفارس ملك اسمهُ عجيب بن خصيب . فاغتمَّ ابي غماً شديداً ثم انهُ ربَّاني واحسن تربيتي الى ان بلغت خمس عشرة سنة ومن مدة عشرة ايام جاء ابي الخبر ان الفارس وقع في البحر وان الذي رماه اسمهُ عجيب بن الملك خصيب . فخاف عليَّ ابي من القتل

فنقلني الى هذا المكان وهذه قصتي وسبب وحدتي . فلما سمعت قصتهُ تعجبت وقلت في نفسي : انا الذي عملت هذا كله . وانا والله لا اقتله ابداً . ثم قلت : يا مولاي كفيت الردى ووقيت الاذى وان شاء الله تعالى لا ترى همًّا ولا غمًّا . وانا اقعد عندك واخدمك وارجع الى حال سبيلي . وبعد ان اؤنسك في هذه الايام توصلني الى بعض المماليك لِاسافر معهم الى بلادي . وجلست احدثه الى الليل . فقمت واوقدت شمعةً كبيرة واشعلت القناديل وجلسنا بعد ان مددنا شيئاً من الأكل فاكلنا . وقمت مددت شيئاً من الحلوى فتحلينا وجلسنا نحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره . فنام فغطيتهُ وقمت انا فنمت . فلما اصبحت قمت وسخنت قليلاً من الماء ونبهته برفق فاستيقظ . فأتيته بالماء المسخن فغسل وجههُ وقال : جُزيت خيرًا يا فتى والله متى سلمت من الذي انا فيه ومن الذي اسمهُ عجيب بن خصيب خليت ابي يكافئك . واما اذا متُّ فالسلام عليك . فقلت لهُ : لا كان يومٌ يصيبك فيهِ شرٌّ وجعل الله يومي قبل يومك . ثم قدمت شيئاً من الاكل فاكلنا وعملت لهُ بخورًا فطاب ووضعت لهُ المنقلة ولعبت انا واياه . ثم اكلنا شيئاً من الحلوى ولعبنا الى الليل . فقمت اوقدت المصابيح وقدمت شيئاً من الاكل وقعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام وغطيته ونمت ولم ازل يا سيدتي اياماً وليالي وبقي لهُ في قلبي محبة وسلوت همي وقلت في نفسي : كذب المنجمون والله لا اقتله . ولم ازل اخدمه واُنادمه واحادثه الى تسعة وثلاثين يوماً . وليلة الاربعين فرح الصبي وقال : يا اخي الحمد لله الذي نجاني من الموت وهذا ببركتك وبركة قدومك . واسأل ان يردك الى بلدك . ولكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل واغسل جسدي . فقلت : حبًا وكرامة . وسخنت لهُ ماء بكثرة ودخلت بهِ عليهِ وغسلت جسده غسلًا

جيداً ودلكته وخدمته . وغيّرت له اثوابه وفرشت تحته فرشاً عالياً فجاء الصبي واستلقى عليه ونام من الاستحمام وقال : يا اخي اقطع لنا بطيخة وذوّب بها سكّر نبات . فدخلت الخزانة فلقيت بطيخة مليحة ووجدتها في طبق فكاملتهُ وقلت : يا سيدي ما عندك سكين . فقال : ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية . فقمت وانا مستعجل واخذت السكين ومسكتها من نصلها ورجعت الى خلفي فعثرت رجلي وتبطشت على الصبي والسكين في يدي فاسرعت السكين بما كتب في الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات من ساعته

فلما قضى نحبه وعلمت اني قتلته صرخت صرخةً عظيمة ولطمت وجهي وشققت اثوابي وقلت : انّا لله وانّا اليه راجعون . يا مسلمون هذا الصبي بقي لهُ من الخطر الذي اخبر بهِ المنجمون والحكماء الى تمام الاربعين يوماً ليلةٌ واحدة وكان اجل هذا المليح على يدي . فياليتني متُّ قبلهُ ولم اقطع هذه البطيخة . ما هذا الّا مصائب وغصص ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولاً

(الليلة السادسة عشرة) . ولما تيقنت اني انا قتلته قمت وخرجت من السلم ورددت التراب ونظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب يشقُّ البحر طالباً البر . فخفت وقلت : الساعة يجيئون ويصيبون ولدهم مقتولاً فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة . فعمدت الى شجرة عالية وطلعتها واستترت باوراقها . فما استقررت فوق الشجرة الّا وقد خرج العبيد وطلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي . فجاءوا الى الموضع وازالوا التراب فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائماً وجههُ يضيءُ من اثر الحمام وهو لابس ثياباً نظافاً والسكين مغروزة في صدره . فصرخوا وبكوا ولطموا وجوههم ودعوا بالويل والثبور وغشي على الشيخ ساعةً طويلة . ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ لا يعيش بعد ولده . ولفوا الصبي في اثوابه وارخوا عليهِ

ملاءةً من الحرير وذهبوا الى المركب . وطلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدوداً فوقع على الارض واخذ التراب على راسه ولطم وجهه ونتف لحيته وتفكر في قتل ولده فزاد بكاؤُه وغشي عليهِ فطلع عبدٌ منهم فجاء بقطع حرير ومدوا الشيخ على المقعد وجلسوا عند رأسه . هذا كلهُ وانا في الشجرة فوق رؤُسهم انظر ما يجري وقد شاب قلبي قبل ان يشيب راسي بما قاسيت من الهموم والاحزان وانشدت اقول :

وكم للهِ من لطفٍ خفيّ ... يدقّ خفاهُ عن فهم الذكيِّ
وكم امرٍ تُساء بهِ صباحاً ... فتأتيك المسرة بالعشيِّ
وكم يسرٍ أتى من بعد عسرٍ ... ففرّج كربةَ القلب الشجيِّ

فيا سيدتي لم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب الغروب . ثم استفاق ونظر الى ولده وما جرى لهُ والذي خاف منهُ وقع فيه ولطم وجهه وراسه وانشد هذه الابيات :

القلبُ من فرقة الاحباب منصدع ... وان دمعي من الآماق ينهملُ
شطَّ المرام بهم بعداً فوا اسفي ... ما حيلتي فيهم ما القول ما العملُ
فليتني لم اكن انظرهمُ ابداً ... ما حيلتي سادتي ضاقت بي السبلُ
كيف السلوّ بسلوانٍ وقد لعبت ... نار الاسى بفؤادي وهي تشتعلُ
ما كان احسننا والدار تجمعنا ... ونحن في غبطة والعيش متصلُ
حتى رُمينا بسهم البين فرّقنا ... من ذا الذي لسهام البين يحتملُ
اذ نابنا في عزيز القوم نائبة ... فريد عصرٍ لهُ بالحسن مكتملُ
انشدتهُ ولسان الحال يسبقني ... يا ليت يا ولدي لم يأتِك الاجلُ
كيف السبيل الى لقياك من عجلٍ ... نفديك يا ولدي بالروح لو قبلوا

لهفي عليكَ من الايام يا اسفي ما عنكَ بدٌّ فمن ذا عنك يشتغلُ
ابوك اضحى بهِ شوقٌ اليك واذ حلَّ المماتُ بكم ضاقت بي الحيلُ
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ما صنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده . فصرخ العبيد وا سيداه . واخذوا التراب على رؤوسهم وزادوا في البكاء واتزلوه في المركب الى جانب ولده . وارخوا قلع المركب فغابوا عن عيني . فنزلت من فوق الشجرة ونزلت الطابق وتفكرت في الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول :

ارى آثارهم فاذوب شوقاً واسكب في مواطنهم دموعي
وأسأل من قضى بالبعد عنهم يمنُّ عليَّ يوماً بالرجوعِ

ثم اني يا سيدتي خرجت من الطابق وكنت في النهار اطوف في الجزيرة وبالليل انزل الى القاعة فاقمت على ذلك شهرًا وانا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب وهو كل ما مرَّ يوم من الايام ينشف البحر الى ان قلَّ الماء من جهة الغرب وانقطع تياره . فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت وايقنت بالسلامة . وقمت خضتُ ما بقي من البحر وخرجت الى البر الاصيل فلقيت كثبان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب . فقوَّيت روحي وقطعت الرمل واذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتعل اشتعالاً قويًا . فقصدتها لعلي اجد فرجًا وانشدت اقول :

عسى ولعلَّ الدهر يلوي عنانهُ ويأتي بخيرٍ والزمان غيورُ
ويسعف آمالي ويقضي حوائجي وتحدثُ من بعد الامور امورُ

ثم اني قصدت النار . فلما قربت اليها رأيت قصرًا بابهُ من النحاس الاصفر . فلما اشرقت عليهِ الشمس اضاء من بعيد كانهُ نار . ففرحت برؤيته وجلست

مقابلاً بابه . فلم يستقرّ بي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة . ومعهم شيخ كبير . الّا ان الشباب عور بالعين اليمنى . فتعجبت من صفتهم واتفاقهم في عوَرهم . فلما رأوني سلموا عليَّ وسألوني عن حالي وقصتي . فحكيت لهم ما جرى لي وما تمَّ بي من المصائب . فتعجبوا لحديثي واخذوني واطلعوني على القصر . فرأيت في دائر القصر عشرة تخوتٍ وكل تخت فراشهُ ولحافه ازرق . وفي وسط تلك التخوت تخت صغير . وهو مثلها كل ما عليهِ ازرق . فلما دخلنا صعد كل شاب تخته وقام الشيخ الى ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت وقال: يافتى اجلس في هذا القصر ولا تسأل عن احوالنا ولا عن عور اعيننا . ثم قام الشيخ وقدم لكل واحدٍ طعاماً في اناء وشراباً في اناء . وقدم لي كذلك . وبعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي وما جرى لي وانا اخبرهم الى ان ذهب اكثر الليل . فقال الشباب : ايها الشيخ قدّم انا راتبنا فقد جاء وقته . فقال : حبًّا وكرامةً . ثم قام ودخل الى مخدعٍ في القصر وغاب وعاد وعلى رأسه عشرة اطباق كل واحد مغطى بغطاء ازرق . فقدَّم لكل شاب طبقاً . ثم اوقد عشر شموع وغرز على كل طبق شمعة . ثم كشف الاغطية فبان من تحتها في الاطباق رماد ودقّ فحم وسواد القدر . فشمر الجميع عن سواعدهم وبكوا وانتحبوا وسخموا وجوههم وخبطوا اثوابهم . ولطموا وجوههم . ودقوا على صدورهم وصاروا يقولون : كنا قاعدين بطولنا . ما خلاَّنا فضولنا . ولم يزالوا على هذا الى قرب الصبح . فقام الشيخ وسخن لهم ماء فغسلوا وجوههم ولبسوا اثواباً غير الاول

فلما رأيت ذلك يا سيدتاه ذهب عقلي . وحار فكري . واشتغل سرّي . ونسيت ما جرى لي ولم استطع السكوت دون اني كلمتهم وسألتهم وقلت لهم: اي شيء اوجب هذا بعد انشراحنا وتعبنا . وانتم بحمد الله تعالى فيكم عقل

تام . وهذه الافعال لايفعلها غير المجانين . فاسألكم باعز الاشياء عليكم الّا ما قلتم لي خبركم وسبب قلع اعينكم وسخامة وجوهكم بالرماد والسواد . فالتفتوا وقالوا لي : يا فتى لايغرّك شبابك واعدل عن سؤالك . ثم قاموا وقت معهم فقدم الشيخ شيئاً من المأكول . فبعد ما اكلنا ورفعت الاواني قعدوا يتحدثون الى ان اقبل الليل . فقام الشيخ واوقد الشموع والقناديل وقدم لنا الاكل والشرب . فلما فرغنا قعدنا للمحادثة والمنادمة الى نصف الليل . فقال الشباب للشيخ : هات لنا راتبنا فقد جاء وقت النوم . فقام الشيخ واتى بالاطباق وفيهما الرمل الاسود . ففعلوا مثل ما فعلوا اول ليلة وانا قاعد عندهم على هذا الحال مدة شهر . وهم كل ليلة يسخمون وجوههم بالرماد ثم يغسلونها ويغيرون اثوابهم . وانا اتعجب من ذلك وازداد وسواسي بحيث اني امتنعت من الاكل والشرب . فقلت لهم : ايها الفتيان ان لم تزيلوا همي وتخبروني عن سبب تسخيم وجوهكم تركتكم . فقالوا : كتمان سرنا اصلح . فبقيت متحيراً في امرهم وانا امتنع من الاكل والشرب . فقلت لهم : لابدّ ان تخبروني ما سبب ذلك . فقالوا : هذا فيه مشقة عليك لانك تبقى مثلنا . فقلت : لابدّ من ذلك والّا دعوني اسافر من عندكم الى اهلي واستريح من نظري هذه الاحوال . والمثل يقول : عينٌ لاتنظر . قلبٌ لايحزن . فعمدوا الى كبش ذبحوه وسلخوه وقالوا لي : خُذ هذا السكين وادخل هذا الجلد ونحن نخيطه عليك . فانهُ يأتيك طيرٌ اسمهُ الرخّ فيرفعك ويحطك على جبل فشقّ الجلد واخرج منهُ فيخاف منك الطير فيروح ويخليك . فامشِ نصف نهار تلقَ قدامك قصراً غريب الصفة فادخل فيهِ وقد بلغت مناك . فدخولنا الى القصر هو سبب سخامة وجوهنا وقلع عيوننا . واما نحن اذا حكينا لك يطول شرحنا فان كل واحد منا جرت لهُ حكاية في قلع عينه اليمنى . ففرحت بذلك . ثم فعلوا بي ما قالوا .

وحملني الطير وحطني على الجبل . فخرجت من الجلد ومشيت حتى دخلت القصر واذا فيهِ اربعون جارية كالاقمار. فلما رأينني قلنَ جميعاً : اهلاً وسهلاً بك ومرحباً يا مولانا . ثم انهنَّ اجلسنني على مرتبة عاليـة واتينني بطعام . فاكلت انا واياهنَ . وقدمنَ لي الشراب وقام منهنَّ خمسة ففرشنَ حصيرةً ووضعنَ حولها من المشموم والفواكه والنقل اشياء كثيرة. واحضرنَ المدام . فجلسنا للشراب واخذت الجواري عوداً وغنينَ عليهِ ودارت الكؤوس والطاسات بيننا فدخل عليَّ من الفرح ما انساني هموم الدنيا جميعها

وحيث كان رأس السنة الجديدة قلنَ لي : ليتنا ما عرفناكَ فان سمعت منا كان فيه صلاح حالك . وصرنَ يبكينَ . فتعجبت وقلت لهنَّ : ما الخبر . فقلنَ : انا نحن بنات ملوكٍ ونحن مجتمعات هنا مدة سنينٍ نغيب اربعين يوماً ونقعد سنة نأكل ونشرب . ونلذُّ ونطرب . ثم نغيب . وهذا دأبنـا ونخشى انك تخالفنا بعد ان نغيب عنك فيما نامرك بهِ . فها نحن نسلمك مفاتيح القصر وفيـهِ اربعون خزانة . فانت تفتح هذه التسعة والثلثين بابـاً واحذر ان تفتح الباب الاربعين . فتفارقنا . فقلت لهنَّ : لا افتحه

وبعد ان قضينا سُنة الوداع خرجنَ وطرنَ . فقعدت في القصر وحدي . ولما قرب المساء فتحت الخزانة الاولى ودخلتها فوجدت فيها بيتـاً كأنه الجنّة . وفيهِ بستان اشجـاره مخضرة . وثماره يانعة . واطياره صادحة . ومياهه متدفقـة . فارتاح بها خاطري وتمشيت بين الاشجار . وشممت روائح الازهار . وسمعت غناء الاطيار . وهي تسبح الواحد القهـار . ورأيت لون التفاح بين احمرار واصفرار . ثم نظرت الى السفرجل واستروحت عرفه المزري برائحـة المسك والعنبر . وهو كما قال الشاعر واخبر :

حاز السفرجل لذَّاتِ الورى فغدا على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعماً ونشر المسكِ رائحةً والتبر لوناً وشكل البدر تدويرا

ثم نظرت الى برقوقٍ . يروق العينَ حسنه كأنه ياقوتٌ مخلوق . ثم خرجت من ذلك المكان . واغلقتُ باب الخزانة كما كان . ولما كان الغد فتحت خزانةً اخرى ودخلتها فوجدت فيها ميداناً كبيراً . وفيه نخل كبير ونهر جارٍ واشجار الورد والياسمين . والمردَقوش والنسرين . والنرجس والمنثور مفروشة بحافتهِ . وقد هبَّت الرياح على تلك الرياحين . فانتشر ذلك الطيب يميناً وشمالاً وحصل لي من ذلك الحبور التام . ثم خرجت من ذلك المكان . واغلقت باب الخزانة كما كان . ثم فتحت باب الخزانة الثالثة فرأيت فيه قاعة كبيرة مفروشة بالرخام الملوَّن والمعادن الثمينة والاحجار الفاخرة . وفيها اقفاصٌ من الصندل والعود فيها طيور تغني مثل الهزار والمطوَّق والشحرور والقمريّ والنوبيّ المغرد . فطاب قلبي من ذلك وانفرج همي ونمت في ذلك المكان الى الصباح . ثم فتحت باب الخزانة الرابعة فوجدت فيها بيتاً كبيراً وفي ذلك البيت اربعون خزانة مفتحة الابواب . فدخلت فيها فرأيت من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والزمرد والجواهر النفيسة ما لايوصف بلسان . فاندهش عقلي من ذلك وقلت : هذه الاشياء اظن انها لاتوجد في خزانة ملك من الملوك . وانشرح حينئذٍ خاطري وزال همي فقلت : انا الان ملك عصري وهذه الاموال من فضل الله عندي . ولم ازل اتنقل من موضع الى موضع حتى مضت تسعة وثلثون يوماً وقد فتحت في هذه المدة الخزائن كلها الا الخزانة التي منعنني عن فتح بابها . فبقي خاطري ياسيدتي مشتغلاً بتلك الخزانة التي هي تمام الاربعين . وحكم عليَّ الشيطان لاجل شقاوتي بان افتحها فلم اجد صبراً عن ذلك . ولم يبق من الميعاد الا يوم واحد . فقمت

الى الخزانة المذكورة وفتحت بابها ودخلت فوجدت فيها رائحة ذكية لم استروح مثلها . وخامرت عقلي تلك الرائحة فوقعت مغشياً عليَّ مقدار ساعة . ثم قويت قلبي ودخلت الخزانة فرأيت ارضها مفروشة بالزعفران . وفيها قناديل من ذهب ومشمومات يضوع نشر المسك والعنبر منها . وهي تتقد نوراً . ورأيت مبخرتين عظيمتين كل واحدة منهما مملوءة من العود والعنبر والمعسل . وقد تعطر المكان من عرفها . ونظرت ياسيدتي جواداً ادهم كسواد الليل اذا اظلم وقدامه معلف من البلور الابيض . فيه سمسم مقشور . ومعلف آخر مثله فيه ماء ورد ممسك . والجواد مشدود ملجم . وسرجه من الذهب الاحمر . فلما رأيته تعجبت منه وقلت في نفسي : ان هذا لابدَّ له من شان عظيم . واضلني الشيطان فاخرجتهُ وركبتهُ فلم يبرح من مكانه . فرفستهُ فلم يتحرك . فاخذت المقرعة وضربته بها . فلما احس بالضربة صهلَ صراخاً بصوت كالرعد القاصف . وفتح له جناحين فطار بي وغاب عن الابصار في جو السماء ساعةً ثم حطني على سطح وانزلني وضربني بذيله على وجهي فقلع عيني اليمنى وسيلها على خدّي وذهب عني . فنزلت من على السطح فوجدت العشرة الشباب العور فقالوا لي : لا مرحباً بك ولا اهلاً . فقلت لهم : ها انا قد صرت واحداً مثلكم واشتهي ان تعطوني اطباق السواد اسخم بها وجهي وتقبلوني اجلس عندكم فقالوا : والله لا تجلس عندنا واخرج من هنا . فلما طردوني وضاق بي الامر وافتكرت في ما جرى عليَّ خرجت من عندهم حزين القلب . باكي العين . وقلت : كنت قاعداً بطولي . فما خلّاني فضولي . فحلقت لحيتي وشواربي وطفت في بلاد الله وكتب الله لي السلامة . حتى وصلت الى بغداد في مساء هذه الليلة فوجدت هذين الاثنين الواقفين حائرين فسلمت عليهما وقلت : انا غريب . فقالوا : ونحن ايضاً غريبان

واتفق لنا نحن الثلاثة القلندرية انــا عور من اليمين . وهذا ياسيدتي سبب حلق لحيتي وقلع عيني . فقالت لهُ: ملّس على رأسك ورح . فقال : والله لا اروح حتى اسمع قصة هولاء . ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم: احكوا لي خبركم . فتقدم جعفر وحكي لها الحكاية التي قالها للبوَّابة عند دخولهم . فلمــا سمعت كلامه قالت : وهبتكم لبعضكم فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق . فقال الخليفة للقلندرية : ياجماعة اين انتم قاصدون الآن والفجر ما لاح . فقالوا : والله ياسيدنا لاندري الى اين نذهب . فقال لهم الخليفة : سيروا وبيتوا عندنا . وقال لجعفر : خذهم واحضرهم لي غداً نؤرخ ما جرى . فامتثل جعفر ما امرهُ بهِ الخليفة . ثم ان الخليفة صعد قصره ولم يعترهِ منــام في تلك الليلة . فلما اصبح الصباح جلس على كرسي المملكة والتفت الى جعفر بعــد ان حضر ارباب الدولة وقال : ائتني بالثلاث الصبــايا والكلبتين والقلندرية . فنهض جعفر واحضرهم بين يديه فادخل الصبايا تحت الاستار . والتفت اليهنَّ جعفر وقال : قد عفونا عنكنَّ بما اسلفتنَّ من الاحسان الينا ولم تعرفننا . فها انا اعرّفكنَّ بنــا . انتنَّ بين يدي الخــامس من بني العباس هارون الرشيد اخي موسى الهادي بن المهديّ محمد ابن ابي جعفر المنصور بن محمد اخي السفّاح بن محمد فلا تخبرْنهُ الا حقاً . فلما سمعت الصبــايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدّمت الكبيرة وقالت : ياامير المؤمنين لي حديث لو كتب بالابر . على آمــاق البصر . لصار عبرة لمن اعتبر . ونصيحةً لمن ينتصح

(الليلة السابعة عشرة) . ولما تقدمت الصبية بين يدي امير المؤمنين قالت : لي حديث عجيب . وهو ان هاتين الكلبتين السوداوين اختــاي . ونحن كنــا ثلث اخوات شقــائق من ام واب . واماً هاتان البنتان فالواحدة التي عليهــا اثر

الضرب والاخرى الخوشكاشة من ام اخرى . فلما مات والدنا اخذ كلٌّ حصتهُ من الميراث . وبعد ايام تُوفيت والدتي . وخلفت لنا ثلثة آلاف دينار . فاخذت كل بنت ميراثها الف دينار . وكنت انا اصغرهنَّ سنًا فتجهزَت أُختايَ وتزوَّجت كل واحدة برجلٍ وقعدتا مدةً . ثم ان كلًّا من زوجيها عبى متجرًا واخذ من زوجته الف دينار وسافروا جميعًا وتركوني . فغابوا خمس سنين . وضيع زوجاهما المال وافلسا وتركاهما في بلاد الناس . فبعد خمس سنين جاءتني الكبيرة في صفة متسولة وعليها ثياب ممزقة وإزارٌ وسخ قديم وهي في انحس الاحوال . فلما رأيتها ذهلت عنها ولم اعرفها . ثم اني لما عرفتها قلت لها : ما هذا الحال . فقالت : يااختي ما بقي الكلام يفيد وجرى القلم بما حكم . فارسلتها الى الحمام والبستها حلّةً وقلت لها : يااختي انتِ عوض ابي وامي والارث الذي اصابني قد جعل الله فيه البركة وانا ازكيه واحوالي جليلة وانا وانتِ سواء . واحسنت اليها غاية الاحسان فقعدت عندي مدة سنة كاملة . وقد اشتغل خاطرنا على اختنا الاخرى . فما كان قليلٌ الّا وجاءت بزيٍّ انحس مما جاءت بهِ الاخت الكبيرة . فعملتُ معها اكثر مما عملت مع الاولى . ثم انهما بعد مدة قالتا لي : يااختاه انا نريد الزواج اذ ليس لنا صبر على القعود بلا زوج . فقلت لهما : ياعيوني ما بقي في الزواج خير والآن الرجل الجيد عزيز الوجود . ولم ارَ فيما ذكرتما صلاحًا وانتما جربتما الزواج . فلم تقبلا كلامي وتزوجتا بغير رضاي . فجهزتهما من مالي وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فقعدتا مدةً يسيرةً فلعب عليهما زوجاهما واخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما . فجاءتا اليَّ واعتذرتا وقالتا : لا تؤاخذينا فانتِ اصغر منا سنًا . واكمل عقلًا . وما بقينا نذكر الأزواج ابدًا . فاتخذينا جواري عندكِ نأكل لقمتنا . فقلت : مرحبًا بكما يااختيَّ ما عندي

اعزّ منكما وقبلتهما وزدتهما اكراماً. ولم تزل على هذه الحالة سنةً كاملة. ثم اردت ان اجهز لي مركباً الى البصرة . فجهزتُ مركباً كبيراً وحملت فيه البضائع والمتاجر وما نحتاج اليه في المركب وقلت : ياختيَّ هل لكما ان تقعدا في المنزل حتى اسافر وارجع او تأتيا معي . فقالتا : نسافر معكِ فانّا لانطيق فراقكِ. فاخذتهما . وكنت قسمتُ مالي نصفين اخذت معي النصف . والنصف الثاني اودعته وقلت : ربّما يصيب المركب شيءٌ ويكون في العمر مدة . فاذا رجعنا نجد شيئاً ينفعنا . وسافرنا اياماً وليالي . فتاهَ بنا المركب وغفل الرئيس عن الطريق ودخل المركب بحراً غير البحر الذي نريده ولم نعلم ذلك مدةً وطابت لنا الريح عشرة ايام . وبعد عشرةٍ صعد الناظور ينظر فقال : البشارة . ونزل وهو فرحان وقال : رأيت صفة مدينة وهي مثل الحمامة . ففرحنا وما مرّت علينا ساعةٌ من النهار الا وقد لاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للرئيس : ما اسم هذه المدينة التي اشرفنا عليها . فقال : لا اعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمري هذا البحر . ولكن جاء الامر بسلامة . فما بقي الا ان تدخلنَ هذه المدينة وتعرضنَ بضائعكنَّ فان حصل لكنَّ بيع فبعنَ واستبضعنَ مهما كان فيها . وان لم يحصل لكنَّ بيع نرتاح يومين ونتزوّد ونسافر . فدخلنا المدينة وخرج الرئيس اليها وغاب ساعة واتانا وقال : اخرجنَ الى المدينة وتعجبنَ من صنع الله في خلقه واستعذنَ من سخطه . فخرجنا الى المدينة . فلما اتيت الباب رأيت اناساً بايديهم عصيٌّ على باب المدينة فدنوت منهم واذا هم ممسوخون وقد صاروا احجاراً . فدخلنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخاً احجاراً سوداً لافيها ديّار ولا نافخ نار . فاندهشنا من ذلك فشققنا الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيةً على حالها ففرحنا وقلنا : لعلهُ ان يكون لهذا شان . فتفرقنا في شوارع المدينة

وكل واحدة اشتغلت عن رفيقتها بالكسب والمال والنسائج . واما انا فصعدت الى القلعة فوجدتها محكمة . فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب والفضة . فعند ذلك رأيت الملك جالساً وعنده حجّابهُ ونوّابهُ ووزراؤه وعليه من الملابس شيءٌ يحير فيهِ الفكر . فلما قدمت الى الملك وجدته جالساً على كرسي مرصّع بالدرّ والجوهر وعليهِ حلة من الذهب كل جوهرة فيها تضيءُ مثل النجمة وحوله خمسون مملوكاً وقوفاً لابسين انواع الحرير . وفي ايديهم السيوف مجردة . فلما نظرت ذلك دهش عقلي . ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم . فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير منقوشة بقضبان الذهب ووجدت الملكة نائمة . وعليها حلّةٌ من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بانواع الفصوص وفي عنقها قلائد وعقود . وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ على حاله وهي ممسوخة حجراً اسود . ووجدت باباً مفتوحاً فصعدت اليه وهو مكان بسبع درجات فوجدته موضعاً مرخّماً مفروشاً بالبسط المذهّبة . ووجدت فيه سريراً من العرعر مرصعاً بالدر والجوهر ورمانتين من الزمرد وعليه كلّة مرخية منظومة باللؤلؤ . ونظرت نوراً خارجاً من باب الكلة . فصعدتُ فوجدت جوهرةً قدر بيضة الاوزّة على كرسيّ صغير . وهي تتوقد كالشمعة ونورها ساطع . ونظرتُ مفروشاً على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر . فلما نظرت ذلك تعجبت . ورأيت في ذلك المكان شموعاً موقدة فقلت : لابدّ ان احداً اوقد هذه الشموع . ثم اني مشيت ودخلت الى موضع غيره وصرت افتش وادور في الاماكن ونسيت نفسي مما لحقني من العجب من تلك الاحوال . وغرقت في فكري الى ان دخل الليل . فاردت الخروج فلم اعرف الباب وتهت فعدت الى الكلة التي فيها الشموع الموقدة . وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيئاً من القرآن .

واردت النــوم فلم استطع ولحقني القلق . فلما انتصف الليــل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن لكنه ضعيف ففرحت وتبعت الصوت الى ان جئت الى مخدع فرايت بابهُ مردوداً . ففتحت البــاب ونظرت المكان فاذا هو معبــد ومحراب وفيه قناديل معلقة موقدة وشمعتان وفيهِ سجادةٌ مفروشةٌ وعليهــا شابٌ جالسٌ حسن المنظر وقدامه ختمة مكرسة وهو يقرأ . فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينــة . فدخلتُ وسلمت عليه . فرفع بصره وردَّ عليَّ السلام . فقلت لهُ : اسألك بحق ما تلوته الّا ما اجبتني عن سؤالي . والشاب ينظر اليَّ ويتبسم وقــال : ايتهــا الامة اخبريني انتِ عن سبب دخولكِ هذا المكان وانا اخبركِ بمــا جرى عليَّ وعلى اهل هذه المدينة وبسبب خلاصي . فاخبرته بخبري . فتعجب من ذلك . ثم اني سألته عن خبر اهل هذه المدينة فقال : امهليني يا اختي ثم طبق الختمة ووضعها في كيس اطلس واجلسني الى جانبــه . فنظرت اليه فاذا هو كالبــدر اذا زهر . حسن الاوصاف ليّن الاعطــاف حسن المنظر . كانهُ قالب سكّر . معتدل القوام كما قيل فيه هذه الابيات :

رصدَ المنجم ليلهُ فبدا له طيف الخليل يميس في برديهِ
وعطاردٌ اعطاهُ فرط ذكائهِ وابى السهى نظر الوشاة اليهِ
فغدا المنجم حائرًا مما رأى والبدرُ باس الارض بين يديهِ

وقد البسه الله تعالى حلة الكمال . وطرّزها من عذاره بالبهاء والجمال . وقيل في المعنى :

قسماً بجودتهِ وصدق لسانهِ وبطيب مولدهِ وعالي قدرهِ
ما المسك ان عرفوه الّا عرفهُ والريح عنبر نشرها من نشرهِ
وكذلك الشمس المنيرة دونهُ مما حكتهُ قلامةٌ من ظفرهِ

فنظرت اليهِ نظرة ٠ اعقبتني الف حسرة ٠ وتعلق قلبي بمحبته ٠ فقلت لهُ : يا مولاي اخبرني عمّا سألتك ٠ فقال : سمعاً وطاعة ٠ اعلمي يا امة الله ان هذه المدينة مدينة والدي وهو الملك الذي نظرتهِ على الكرسي وهو حجر اسود ممسوخ عليهِ ٠ واما الملكة التي قد نظرتها في الكلة فهي امي وجميع اهلها مجوس كانوا يعبدون النار ٠ دون الملك الجبار ٠ وكانوا يقسمون بالنار والنور ٠ والظل والحرور ٠ والفلك الذي يدور ٠ وكان ابي ليس لهُ ولدٌ ورُزقني في آخر عمره ٠ فرباني حتى نشأت وقد سبقت لي السعادة ٠ وكان عندنا عجوز طاعنة في السن تؤمن بالله ورسوله في الباطن ٠ وتوافق اهلي في الظاهر ٠ وكان ابي يعتقد فيها بما يرى عليها من الامانة والعفة ٠ وكان يكرمها ويزيد في اكرامها ٠ وكان يعتقد انها في دينه ٠ فلما كبرت سلمني ابي اليها وقال : خذيه ربيهِ وعلميهِ احوال ديننا واحسني تربيته وقومي بخدمته ٠ فاخذتني العجوز وعلمتني دين الاسلام من الوضوء وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتني القرآن وقالت : لاتعبد سوى الله تعالى ٠ فلما تممت ذلك قالت لي : ياولدي اكتم هذا الامر عن ابيك ولا تعلمه بهِ لئلا يقتلك ٠ فكتمته عنهُ ولم ازل على هذا الحال مدة ايام قلائل وقد ماتت العجوز ٠ وزاد اهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم ٠ فبينما هم على ما هم فيهِ اذ سمعوا منادياً ينادي باعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعهُ القريب والبعيد يقول : يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النيران ٠ واعبدوا الله الملك الرحمن ٠ فحصل عند اهل المدينة فزع واجتمعوا عند ابي وهو ملك المدينة وقالوا لهُ : ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فاندهشنا من شدة فزعه ٠ فقال لهم : لا يهولنكم الصوت ولا يُخيفكم ولا يردنّكم عن دينكم ٠ فمالت قلوبهم الى قول ابي ٠ ولم يزالوا مكبين على عبادة النار وزادوا في طغيانهم الى مدة سنة لميعاد ما سمعوا الصوت الاول ٠ فظهر

لهم ثانيًا فسمعوه وثالثًا على ثلث سنين في كل سنة مرّة . فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليهِ حتى نزل بهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا احجارًا سودًا هم ودوابهم وانعامهم . ولم يسلم من اهل هذه المدينة غيري . ومن يوم جرت هذه الحركة وانا على هذه الحالة في صلاة وصيام وتلاوة قرآن . وقد عيل صبري من الوحدة وما عندي من يؤنسني . فعند ذلك قلت لهُ وقد سلب لبي : يا هذا الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والفقهاء وتزداد علمًا وفهمًا وفقهًا . واعلم ان الجارية التي قدامك سيدة قومها وحاكمة على رجالٍ وخدم وغلمان وعندي مركب موسق بالمتجر . وقد رمتنا المقادير الى هذه المدينة حتى كان ذلك سببًا في اطّلاعنا على هذه الامور وكان النصيب في اجتماعنا . ولم ازل أحسن لهُ التوجه وأُلاطفه واتحيَّل عليه حتى قبل وانعم بهِ

(الليلة الثامنة عشرة) . قالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى قال لها : نعم . قالت الصبية : فبتُّ تلك الليلة وانا لا اصدق ما انا فيه من الفرح . فلما اصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن واخذنا ما خفّ حمله . وغلا ثمنه . ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون عليّ : فلما رأوني فرحوا واخبرتهم بما رأيتُ وحكيت لهم قصة الشاب وسبب سخط هذه المدينة وما جرى لهم . فتعجبوا من ذلك . ولما رأتني اختايَ هاتان الكلبتان ومعي ذلك الشاب حسدتاني عليه وصارتا في غيظ واضمرتا المكر . ثم صعدنا الى المركب فرحين بل طائرين من الفرح بالكسب واقمنا ننتظر الريح حتى طابت لنا فنشرنا القلوع وسافرنا . فقعدت اختاي عندنا وصرنا نتحدث . فقالتا لي : يا اختنا ما تصنعين مع هذا الشاب الحسن . فقلت لهما : قصدي اتخذه بعلًا . ثم التفتُّ اليهِ واقبلت عليه وقلت : يا سيدي قصدي ان اقول

لك شيئاً لا تخالفني فيه . وهو انهُ اذا وصلنا الى بغداد مدينتنا فانا اقدم نفسي لك جارية برسم الحرم وتكون لي بعلاً واكون انا لك اهلاً . فقال : سمعاً وطاعة . والتفتُ الى اختيَّ وقلت لهما : يكفيني هذا الشاب وكل من كسب شيئاً فهو لهُ . فقالتا لي : نِعم ما فعلتِ . لكنهما اضمرتا لي الشرَّ . ولم نزل سائرين وطابت لنا الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا الامان وسافرنا اياماً قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا اسوارها فادركنا المساء . فلما اخذنا النوم قامت اختاي وحملتاني بفراشي ورمتاني في البحر وكذلك فعلتا بالشاب وكان لا يحسن العوم فغرق وكتبهُ الله من الشهداء . واما انا ليتني كنت غرقت معهُ ولكن قدَّر الله اني كنت من السالمين . فلما سقطتُ في البحر رزقني الله قطعة خشب . فركبتها وضربتني الامواج الى ان رمتني على سواحل جزيرة . فلم ازل امشي في الجزيرة باقي ليلتي . ولما اصبح الصباح رأيت طريقاً على قدر قدم ابن آدم متصلة من الجزيرة الى البرّ وقد طلعت الشمس . فنشفت اثوابي في الشمس واكلت من ثمار الجزيرة وشربت من مائها وسرت في الطريق . ولم ازل سائرة الى ان قربت من البرّ . وقد بقي بيني وبين المدينة ساعتان . واذا انا بحية عامدة اليَّ وهي في غلظ النخلة تسعى سعياً مسرعاً وقد اقبلت نحوي . فرأيتها تأخذ يميناً وشمالاً حتى وصلت عندي فاذا بلسانها قد تدلى على الارض مقدار شبر وهي تجرف التراب بطولها وخلفها ثعبان طاردها وهو طويل رقيق طول رمح وهي هاربة منه وتلتفت يميناً وشمالاً وقد قبض ذنبها فسال دمعها وقد تدلى لسانها من شدة الخوف . فاخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتحت الحية جناحين وطارت في الجو حتى غابت من عيني . وجلست اتعجب من ذلك وقد تعبت ولحقني النعاس فنمت موضعي ساعة . فلما افقت وجدت

تحت رجلي جارية ومعها كلبتان وهي تكبس رجلي . فاستحييت منها وقعدت جالسةً وقلت لها : يا اختي من تكونين . فقالت : ما اسرع ما نسيتني انا الذي عملتِ معي الجميل وزرعتِ المعروف وقتلتِ عدوي . فانا الحية التي خلصتني من الثعبان فاني جنية وهذا الثعبان جني فانهُ عدوّي وما نجاتي منهُ الّا بكِ . فلمّا نجيتني منهُ طرت في الريح ورحت الى المركب الذي رماكِ منهُ اختاكِ فنقلت جميع ما فيهِ الى بيتكِ وغرّقتهُ . واما اختاكِ فجعلتهما كلبتين سوداوين . فاني عرفت جميع ما جرى لكِ معهما . واما الشاب فانهُ غرق . ثم حملتني والكلبتين ورمتنا فوق سطح داري . فرأيت جميع ما كان في المركب من الاموال في وسط بيتي ولم يضع منهُ شي.

ثم ان الحية قالت لي : وحق النقش الذي على خاتم سيدنا سليمان عليهِ السلام ان لم تضربي كل واحدة منها كل يوم ثلثمائة سوط جئت وجعلتكِ مثلهما . فقلت : سمعاً وطاعةً . فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب واشفق عليهما وهما يعرفان انهُ ما لي ذنب في ضربهما ويقبلان عذري وهذه قصتي وحكايتي . (قال صاحب الحكاية) فتعجب الخليفة من ذلك . ثم قال للصبية الثانية : وانتِ ما سبب الضرب الذي على جسدكِ . فقالت : يا امير المؤمنين اني كان لي والدٌ فتوفي وخلّف مالاً كثيراً . فاقمت بعده مدةً يسيرة وتزوجت برجل اسعد اهل زمانهِ . فاقمت معهُ سنة ومات فورثت منهُ ثمانين الف دينار ذهباً وهي حصتي بالفريضة الشرعية . وقفت في السعادة وشاع خبري فعملت عشر حلل كل حلة بالف دينار . فبينما انا جالسة في يوم من الايام اذ دخلت عليَّ عجوز بخد مشموط . وحاجب ممطوط . وعيون مجورة . واسنان مكسورة ووجه اغش . ولحظ اعمش . ورأس اغبر . وشعر اشهب . وجسم اجرب .

وقدّ مائل . ولون حائل . ومخاط سائل . كما قال فيها القائل :

عجوز النحس ابليسُ يراها · تعلمهُ الخديعة من سكوتِ
تقود من السياسة الف بغلٍ · اذا نفروا بخيط العنكبوتِ

فلما دخلت العجوز سلمت عليَّ . وقبلت الارض بين يديَّ وقالت لي : عندي بنت يتيمة والليلة عملت عرسها وجلاها ونحن غرباء في هذه المدينة ولا نعرف احدًا من اهلها . وقد انكسرت قلوبنا . فارتجي الاجر والثواب بان تحضري جلاها . حتى اذا سمعت سيدات مدينتنا بانكِ حضرتِ فيحضرنَ فتكونين جبرتِ خاطرها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الّا الله تعالى . وبكت وقبّلت رجليَّ . وجعلت تقول هذه الابيات :

حضوركم لنا شرفُ · ونحن بذاك نعترفُ
فان غبتم فلا عوضٌ · لنا عنكم ولا خلفُ

فاخذتني الرحمة والرأفة فقلت : سمعًا وطاعةً . وقلت لها : انا اعمل معها شيئًا لوجه الله تعالى . وما اجلوها الّا بحالي ومصاغي . ففرحت العجوز وطأطأت رأسها على رجليَّ تقبلهما وقالت : الله يجازيكِ خيرًا ويجبر قلبكِ مثل ما جبرتِ قلبي . ولكن سيدتي لا تُتعبي نفسكِ من هذا الوقت . ولكن تجهزي للعشاء حتى اجيء آخذكِ . وقبلت يدي وذهبت . فقمت وهيأتُ نفسي وحالي واذا بالعجوز قد اقبلت وقالت : يا سيدتي ان سيدات البلد قد حضرنَ واخبرتهن بحضوركِ ففرحنَ وهنَّ في انتظاركِ متطلعاتٍ الى قدومكِ فقمت واتزرت واخذت جواريَّ معي . وسرت حتى اتينا الى زقاق مكنوس مرشوش هبَّ فيهِ النسيم وراق . فقدمنا الى باب مقنطر بقبّة من الرخام مشيدة البنيان . وفي داخلها قصر قد قام من التراب . وتعلّق بالسحاب . ومكتوب على الباب هذه الابيات :

انا دارٌ بنيت للافراحِ طول دهري للبسط والانشراحِ
وبوسطي فسقيةٌ في اندفاقٍ بمياهٍ تزيلُ الاتراحِ
وعليها من الزهور شقيقٌ نوز آسٍ ونرجسٍ واقاحِ

فلما وصلنا الى الباب طرقتهُ العجوز ففتح لنا ودخلنا . فوجدنا دهليزًا مفروشًا بالبسط ومعلقًا فيهِ قناديل موقدة وشموع مصفوفة . وفيهِ الجواهر والمعادن . فمشينا في الدهليز الى ان دخلنا قاعةً لا يوجد لها نظير مفروشة بفرش الحرير . معلقة فيها القناديل موقدة والشموع صفين . وفي صدر القاعة سرير من العرعر . مرصع بالدرّ والجوهر . وعليهِ كلة اطلس مزرّر . ولم نشعر الّا وصبية خرجت من وراء الكلة . فنظرت اليها يا امير المؤمنين فاذا هي اكمل من البدر اذا بدر . بجبين ازهر كالصبح اذا اسفر . كما قال الشاعر :

كأنَّ طرَّتها من فوق غرَّتها ليل الهموم على صبح المسراتِ

فنزلت الصبية من الكلة وقالت لي : مرحبًا واهلًا وسهلًا بالاخت العزيزة الجليلة والف مرحبًا . ثم انشدت تقول هذه الابيات :

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدمِ
وأنشدت بلسان الحال قائلةً اهلًا وسهلًا باهل الجود والكرمِ

ثم جلست وقالت لي : يا اختي انَّ لي اخًا قد رآكِ في بعض الافراح والمواسم . وهو شاب احسن مني . وقد احبَّكِ قلبهُ حبًا شديدًا لانكِ حزتِ من الكمال والفضائل باوفى نصيب . وسمع انكِ سيدة قومكِ . وهو ايضًا سيد قومه . فاراد ان يصل حبله بحبلكِ . ويريد ان يتزوج بكِ بسنة الله ورسوله وما في الحلال من عيب . (قالت) فلما سمعت كلامها ورأيت نفسي قد انحزت في الدار قلت للصبية : سمعًا وطاعة . ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابًا وخرج منهُ شابٌ

مليح الشباب . نقيُّ الأثواب . بقدّ واعتدال . وحسن وجمال . وبهاء وكمال . ورخيم الدلال . بحاجب كقوس نبال . وعيون تختلس القلوب بالسحر الحلال . كما قال فيهِ بعض واصفيه :

لهُ وجهٌ كانوار الهلالِ وآثار السعادة كاللآلي

وايضاً لله درّ قائله :

بدا بحسن تبارك اللهُ جلَّ الذي صاغه وسوّاهُ
قد حاز كل الجمال منفردًا كل الورى في جمالهِ تاهوا
قدكتب الحسن فوق وجنتهِ اشهد ان لامليح الّا هو

فلما نظرتهُ مال قلبي اليهِ واحببته . وتحدثت معهُ ساعة . ثم صفقت الصبية ثاني مرة واذا بخزانة قد انفتحت وخرج منها قاضٍ ومعهُ اربعة شهود فسلّموا وجلسوا . وكتبوا لي الكتاب على الشاب وانصرفوا . فالتفت الشاب اليَّ وقال لي : ليلةٌ مباركة . ثم قال : يا سيدتي اشرط عليكِ شرطاً . فقلت : يا سيدي وما الشرط . فقام واحضر لي مصحفاً وقال : احلفي انكِ لاتنظرين احدًا غيري ولا تميلين اليه . فحلفت . ففرح فرحاً شديدًا وقدموا لنا السماط فاكلنا وشربنا حتى اكتفينا . ولم نزل في حالة هناء وسرور مدة شهر . وبعد الشهر استأذنته في اني اسير الى السوق واشتري شيئًا من النسائج . فأذن لي في الرواح فاتزرت واخذت العجوز معي وجاريةً ونزلت الى السوق . فجلست على دكان شاب تاجر تعرفهُ العجوز . فقالت لي : هذا ولد صغير مات ابوهُ وخلف لهُ مالاً كثيرًا وعنده متجر عظيم مهما طلبتهِ وجدتهِ وما عند احد في السوق احسن من بضائعه . ثم قالت لهُ : هات اعزّ ما عندك من النسائج لهذه الصبية . فقال : سمعاً وطاعةً . فاثنت عليهِ العجوز . فقلت : ما لنا حاجة الى ثنائك عليهِ ومرادنا ان نأخذ حاجتنا

منه ونعود الى منزلنا . فاخرج لنا ما طلبناه واخرجنا لهُ الدراهم . فأبى ان يأخذ شيئاً وقال : هذه ضيافتكم اليوم عندي . فقالت العجوز : ان لم تأخذ الدراهم اعطيتك في الحال بضاعتك . فقال : لا آخذ منكِ شيئاً . والجميع هديّة من عندي في قبلة واحدة . فقلت : اعوذ بالله من ذلك . فلما رأى نفوري حرد عليَّ ولطمني وعضني عضة قويّة حتى غرزت اسنانه في خدي وغشي عليَّ . واخذتني العجوز في حضنها . فلما افقت رأيتهُ قفل الدكان وهرب والدم نازل من وجهي . والعجوز قد احترقت وابدت حزناً وتأسفت . ثم قالت لي : قومي بنا الى البيت ارقدي وتمارضي وارمي عليكِ الغطاء . وانا اجيء لكِ بدواء تداوي بهِ هذه العضة فتبرأ سريعاً . فبعد ساعة قمت من مكاني وانا في غاية الفكر واشتدَّ بي الخوف ومشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت البيت وصرت في حالة المرض . فلما دخل الليل واذا بزوجي دخل وقال : ما الذي اصابكِ يا سيدتي في هذه الخرجة . فقلت لهُ : ما انا طيبة في رأسي وجعٌ . فنظر اليَّ ثم اوقد شمعةً وقرب مني وقال : ما هذا الجرح الذي في خدكِ . فقلت : اني لما استأذنتك وخرجت في هذا النهار اشتري النسيج زاحمني حمل حطب فشرَّط نقابي وجرح خدي كما ترى فان المكان ضيق في هذه المدينة . فقال : غداً اذهب الى الحاكم واقول لهُ يشنق كل حطّاب في المدينة . فقلت : بالله عليك لا تحتمل خطيئة احد فاني ركبت حماراً فعثر بي فوقعت على الارض فصادفني عود خدش خدي وجرحني . فقال : غداً اواجه جعفراً البرمكيَّ واحكي لهُ الحكاية فيقتل كل حمَّار في هذه المدينة . فقلت : انت تضيع الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء الله وقدره . فقال : لابدَّ من ذلك والحَّ عليَّ بالكلام ونهض قائماً . فنفرت منهُ واغلظت كلامي عليه . فعند ذلك يا امير المؤمنين اتهمني وقال : خنتي اليمين وصاح صيحةً

عظيمة فانفتح الباب وطلع منهُ سبعة عبيد سود فأمرهم فسحبوني من فراشي ورموني وسط الدار . وأمر عبدًا منهم ان يمسكني من اكتافي ويجلس على رأسي وامر الثاني ان يجلس على ركبتي ويمسك رجلي . وجاء الثالث وفي يده سيف فقال لهُ : يا سيدي أأضربها بالسيف فاقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة ليأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الأيمان . فاشتد غضب زوجي وانشد يقول هذه الابيات :

اذا كان لي فيمن احب مشاركٌ   منعت الهوى روحي ليتافني وجدي
وقلت لها يا نفس موتي كريمةً   فلا خير في حبٍّ يكون مع الضدِّ

ثم قال للعبد : اضربها يا سعد . فلما تحقق العبد الامر جلس عليَّ وقال : يا سيدتي اذكري الشهادة وما كان لكِ من الحوائج اخبرينا بهِ . فان هذا آخر حياتكِ . فقلت لهُ : يا عبد الخير تمهل عليَّ قليلًا حتى أوصيك . فرفعت رأسي ونظرت الى حالي وكيف صرت في الذلّ بعد العزّ فجرَت عبرتي وبكيت بكاء شديدًا فنظر اليَّ زوجي بعين الغضب . فالتفتُّ اليهِ وانشدت اقول هذه الابيات :

أقمتم فراقي في الهوى وقعدتمُ   واسهرتمُ جفني القريح ونمتمُ
وألفتمُ بين السهاد وناظري   فلا القلب يسلاكم ولا الدمع يكتمُ
وعاهدتموني ان تقيموا على الوفا   فلما تملكتم فؤادي غدرتمُ
ولم ترحموا وجدي بكم وتلهفي   أأنتم صروف الحادثاتِ أمنتمُ
سألتكمُ باللّٰه ان متُّ فاكتبوا   على لوح قبري ان هذا متيمُ
لعلَّ شجيًّا عارفًا لوعة الهوى   يمرّ على قبر المحبّ فيرحمُ

فلما فرغت من شعري بكيت : فلما سمع الشعر ونظر الى بكائي ازداد غيظًا على غيظه وانشد يقول :

تركت حبيب القلب لا عن ملالةٍ ولكن جنى ذنباً يؤدي الى الترك
اراد شريكاً في المحبة بيننا وايمان قلبي لا يميلُ الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت وتضرعت لهُ وقلت في نفسي : اخدعيهِ بالكلام لعلهُ يعتقني من القتل ولو كان يأخذ جميع ما املك . ثم شكوت اليهِ ما اجده وانشدت اقول هذه الابيات :

وحقك لو انصفتني ما قتلتني ولكن حكم البين ما فيهِ منصفُ
وحملتني ثقل الغرام وانني لأعجز عن حمل القميص واضعفُ
وما عجبي اتلاف روحي وانما عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرفُ

فلما فرغت من شعري بكيت . فنظرني ونهرني وشتمني . وانشد يقول هذه الابيات :

تشاغلتم عنَّا بصحبة غيرنا واظهرتم الهجران ما هكذا كنَّا
سأتركم من حيث ما قد تركتمُ ونصبر عنكم حتى صبركمُ عنَّا
ونشغل عنكم مذ شغلتم بغيرنا ونجعل قطع الوصل منكمُ لا منَّا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال لهُ : وسّطها وارحنا منها فليس لنا فيها فائدة . فبينما نحن يا امير المؤمنين نتشاجر بالاشعار وقد تحققت الموت وايست من الحيوة وسلمت امري لله تعالى اذا بالعجوز دخلت ورمت نفسها على اقدام الشاب وبكت وقالت : يا ولدي بحق تربيتي لك وخدمتي ان تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنباً يوجب ذلك . وانت شابٌّ صغير اخاف عليك ان تدخل في اثمها . وقد قيل : كل قاتل مقتول . وايّ شيء هذه الدنية اتركها عنك وعن بالك وقلبك . ثم بكت ولم تزل تلحّ عليهِ حتى رضي وقال : عفوت عنها لكن لا بدَّ ان اعمل اثرًا يظهر عليها بقية عمرها . ثم امر العبيد فجذبوني

ومددوني وقام الغلام واحضر قضيباً من سفرجل ونزل بهِ على جسدي بالضرب. ولم يزل يضربني على ظهري وجنبي حتى غبت عن الوجود من شدة الضرب وقد أيست من حياتي. فامر العبيد انهُ اذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم تدلهم على البيت فيرموني في بيتي الذي كنت فيهِ سابقاً. ففعلوا ما امرهم بهِ سيدهم ورموني في بيتي وراحوا. ولا زلت انا في غشوتي حتى لاح الصباح. فلاطفت حالي بالمراهم والادوية وداويت جسمي وبقيت اضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى ورقدت ضعيفة طريحة الفراش اداوي روحي اربعة اشهر حتى استفقت وشفيت. وجئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر. فوجدتها خراباً والزقاق مهدوماً من اوله الى اخره ولم اعلم خبرها. فجئت الى اختي هذه التي من ابي فوجدت عندها هاتين الكلبتين السوداوين. فسلمت عليها واخبرتها بخبري وجميع حديثي. فقالت لي: يا اختي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم. الحمد لله الذي جاء الامر بسلامة وجعلت تقول:

وما الدهر الّا هكذا فاصطبر لهُ اذا اشتدَّ ضيق فانتظر بعدهُ فتحا

ثم اخبرتني بخبرها وبالذي جرى لها مع اختيها وما قد صرنَ اليه. فقعدت انا وهي لا نذكر خبر الزواج على السنتنا. ثم صاحبتنا هذه الصبية الخشكاشة. وفي كل يوم تخرج تشتري لنا ما نحتاج اليهِ من المصالح في يومنا وليلتنا وصرنا على هذه الحالة الى هذه الليلة التي مضت. فخرجت اختنا تشتري لنا شيئاً على جري عادتها فوقع لنا ما وقع بمجيء الحمال وهؤلاء الثلثة القلندرية. فتحادثنا معهم وادخلناهم عندنا واكرمناهم. ولم يذهب من الليل برهة حتى اجتمعنا بثلثة تجار محتشمين من الموصل. فقصوا علينا حكاياتهم وتحادثنا معهم وكنا شرطنا عليهم شرطاً فخالفوا فيهِ. فاننا قابلناهم على مخالفتهم واستخبرناهم عما جرى لهم. فحكوا

لنا حكايتهم وما جرى لهم فعفونا عنهم وانفصلوا عنا وما نشعر اليوم الّا ونحن بين يديك. وهذه حكايتنا . فتعجب الخليفة منها وجعل لها تاريخًا في خزانته

(الليلة التاسعة عشرة) . وعند ذلك أمر الخليفة ان تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها في خزانة الملك . ثم انهُ قال للصبية الاولى : هل عندكِ خبر بالعفريتة التي سحرت اختيكِ . قالت : يا امير المؤمنين انها اعطتني شيئًا من شعرها وقالت : متى اردتِ حضوري فاحرقي من هذا الشعر شعرةً فاحضر اليكِ عاجلًا ولو كنت خلف جبل قاف . فقال الخليفة : احضري لي الشعر . فاحضرته الصبية . فاخذه الخليفة وحرقه . فلما ظهرت رائحته اهتزَّ القصر وسمعوا دويًا وقرقعة . واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة . فقالت : السلام عليك يا خليفة الله . فقال : وعليكِ السلام ورحمة الله وبركاته . فقالت : اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلًا ولا اقدر ان اكافيها عليهِ وهي انقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت ما فعلت معها اختاها فما رأيت الّا اني انتقم منهما واسحرهما كلبتين بعد ان اردت قتلهما فخشيت ان يصعب عليها . والان ان اردت خلاصهما يا امير المؤمنين اخلصهما كرامةً لك ولها فاني من المسلمين . فقال لها : خلصيهما وبعد ذلك نشرع في امر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها . فاذا ظهر لي صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها . فقالت العفريتة : يا امير المؤمنين ها انا اخلصهما وادلُّك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها واخذ مالها وهو اقرب الناس اليك . ثم ان العفريتة اخذت طاسًا من الماء وعزَّمت عليه وتكلمت بكلام لا افهمه ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما : عودا الى صورتكما الاولى البشريَّة . فعادتا الى صورتهما التي كانتا عليها . ثم قالت العفريتة : يا امير المؤمنين ان الذي ضرب الصبية ولدك الامين اخو المأمون فانهُ كان يسمع بحسنها

وجمالها فاحتال وتزوجها بالحلال وهو ما لهُ ذنب في ضربها فانهُ اشترط عليها وحلفها أيمانًا عظامًا ان لا تفعل شيئًا وقد ظن انها خانت اليمين . فاراد قتلها فخاف الله تعالى فضربها هذا الضرب واعادها الى مكانها

فلما سمع الخليفة ذلك من كلام العفريتة وعلم ضرب الصبية تعجب كل العجب وقال : سبحان الله العليّ العظيم الذي منّ عليّ بخلاص هاتين البنتين من السحر والعذاب ومنّ عليّ بخبر هذه الصبية . والله لاعملنّ عملًا يكتب بعدي . ثم احضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى . فاخبره على وجه الحقّ . ثم احضر القضاة والشهود واحضر القلندريّة الثلاثة واحضر الصبية الاولى واختيها اللتين كانتا مسحورتين وزوجهنّ الثلاثة القلندريّة الذين اخبروا انهم كانوا ملوكًا وعملهم حجابًا عنده واعطاهم ما يحتاجون اليه واجرى لهم جرايات وانزلهم في قصر بغداد . وردّ الصبية المضروبة لولده الامين وجدّد كتابه عليها واعطاها مالًا كثيرًا وأمر ان تبنى الدار احسن مما كانت . ثم انّ الخليفة تزوج بالخوشكاشة وافرد لها بيتًا وجواري لخدمتها ورتب لها رواتب وجعل لها بيتًا بسراريه . فتعجب الناس من كرم الخلفية وسماحة نفسه وحكمته

حكاية الصبية المقتولة

قالت دنيازاد لاختها شهرزاد : يا اختاه هذه قصة جميلة لطيفة لا يُسمع مثلها قطّ . ولكن احكي لي قصة أخرى لنقضي ما بقي من سهر ليلتنا هذه . قالت : حبًا وكرامةً ان أذن لي الملك . فقال الملك : قصّي قصتكِ واعجلي . فقالت : زعموا يا ملك الزمان وسالف العصر والاوان . ان الخليفة هارون الرشيد احضر ليلةً من الليالي وزيره جعفرًا وقال لهُ : أريد ان ننزل الى المدينة ونسأل العامة

عن احوال الحكام المتولين وكل من شكوا منهُ عزلناه ومن شكروه اوليناه . فقال جعفر : سمعاً وطاعةً . فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وشقوا المدينة ومشوا في الاسواق والشوارع اجتازوا بزقاق . فرأوا شيخاً كبيراً على راسهِ شبكة وقفة وفي يدهِ عصاً وهو ماشٍ على مهله ينشد ويقول :

يقولون لي انت بين الورى ... بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعونيَ من قولكم ... فلا علم الّا مع المقدره
فلو رهنوني وعلمي معي ... وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما ادركوا ... قبول الرهان الى الآخره
فاما الفقير وحال الفقيـ ... ـر وعيش الفقير فما اكدره
وفي الصيف يعجز عن قوتهِ ... وفي البرد يدفا على المجمره
تليهِ الكلاب اذا ما مشى ... ذليلًا مهانًا فما احقره
اذا ما شكا حاله لامرئٍ ... وبيّن عذراً فلن يعذره
اذا كان هذا حياة الفقيـ ... ـر فأصلحُ ما كان في المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر : انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه . ثم ان الخليفة تقدّم اليه وقال لهُ : ياشيخ ما صنعتك . فقال : ياسيدي انا صياد وعندي عيلة وخرجت من بيتي من نصف النهار والى هذا الوقت لم يقسم الله لي شيئاً اقوت بهِ عيالي . وقد كرهت نفسي وتمنيت الموت . فقال الخليفة : هل لك ان ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطئ دجلة وترمي شبكتك على بختي ومهما طلع اشتريه منك بمائة دينار . ففرح لما سمع الكلام وقال : على رأسي ارجع معكم . ثم ان الصياد رجع معهم الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها . ثم انهُ جذب الخيط وجر الشبكة اليه

فطلع في الشبكة صندوقٌ مقفلٌ ثقيـل الوزن • فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلًا. فاعطى للصياد مائة دينار وانصرف. وحمل الصندوق مسرور وجعفر وصعدا به مع الخليفة الى القصر واوقدا الشموع والصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسرا الصندوق فوجدا فيـهِ قفة خوص مُخيطة بخيط صوف احمر • فقطعا القفة فرأيا فيها بساطاً فرفعا البساط فوجدا إزاراً ووجدا فيه صبيةً • كانها سبيكة فضة • مقتولة مقطعة • فلما نظرها الخليفة تأسف وجرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال : يا كلب الوزراء تُقتل القتلى في زمني ويُرمَون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي يوم القيامة • لابد ان آخذ حقَّ هذه الصبية ممن قتلها ولاقتلنَّهُ شرَّ قتلة. وقال لجعفر : وحقّ اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ان لم تأتني بالذي قتـل هذه لأنتصف لها منه لاشنقنَّكَ على باب قصري انت واربعين من بني عمك • واغتاظ الخليفة غيظاً شديداً • فقال لهُ جعفر: أمهلني ثلثة ايام • قـال : امهلتك • فخرج جعفر ونزل المدينة وهو حزين وقـال في نفسه : من اين اعرف من قتـل هذه الصبية حتى أحضره للخليفـة • وان احضرت لهُ غيره يصير متعلقاً بذمتي • ولا أدري ما اصنع • ثم ان جعفراً جلس في بيتـه ثلثة ايام وفي اليوم الرابع ارسل الخليفة اليه بعض الحجَّاب يطلبه • فذهب اليه • فقال لهُ الخليفة : اين قاتل الصبية • قال جعفر : يا امير المؤمنين : هـل انا اعلم الغيب حتى اعرف قاتلهـا • فاغتاظ الخليفة وامر بشنقهِ تحت قصره وامر مناديًا ينـادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على شنق جعفر البرمكي وزير الخليفة وشنق اربعين برمكيًا من اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج يتفرج • فخرجت النـاس من جميع الدور يتفرجون على شنق جعفر واولاد عمه • ولم يعلموا سبب شنقهم • ونصبوا الخشب وأوقفوهم تحته لاجل الشنق • وصاروا ينتظرون

الاذن من الخليفة و كانت الاشارة ظهور المنديل . وصار الخلق يتباكون على جعفر واولاد عمه . فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن الوجه نقي الاثواب بوجه اقمر . وطرفٍ أحور . وجبينٍ أزهر . وخدٍ احمر . وعذارٍ أخضر . وخال كأنه قُرص عنبر . وما زال يدفع الناس الى ان وقف بين يدي جعفر . فقال له سلامتك من هذه الوقفة ياسيد الامراء . وكهف الفقراء . أنا الذي قتل القتيلة التي وجدتموها في الصندوق . فاشنقني وخذ حقها مني . فلما سمع جعفر كلام الشاب وما ابداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب . فبينما هما في الكلام واذا بشيخ كبير طاعنٍ في السن يدفع الناس ويشق الخلائق الى ان وصل الى جعفر والشاب . فسلم عليهما فقال : ايها الوزير . والسيد الخطير . لاتصدق كلام هذا الشاب فيما يقول . فانهُ ما قتل الصبية الَّا انا . فخذ حقها مني . او اطالبك بين يدي الله تعالى ان لم تفعل . فقال الشاب : ايها الوزير هذا شيخ كبير خرفان لايدري ما يقول . وانا الذي قتلتها . فخذ حقها مني . فقال الشيخ : ياولدي انت صغير تشتهي الدنيا وانا كبير شبعت من الدنيا . وانا أفديك بروحي وافدي الوزير وبني عمهِ وما قتل الصبية الا انا . فبالله عليك عجل بشنقي فلا حياة لي بعدها . فلما نظر الوزير الى ذلك تعجب واخذ الشابَّ والشيخ وصعد بهما الى الخليفة وقبّل الارض وقال : ياامير المؤمنين قد احضرنا قاتل الصبية . فقال الخليفة : اين هو . فقال : ان هذا الشاب يقول انه هو القاتل وهذا الشيخ يكذبهُ ويقول انهُ هو القاتل . وها هما بين يديك . فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال : من منكما قتل هذه الصبية . فقال الشاب : انا . وقال الشيخ : ما قتلها الَّا انا . فقال الخليفة لجعفر : خذ الاثنين واشنقهما . فقال جعفر : اذا كان احدهما قتل فشنق الثاني ظلم . فقال الشاب : وحقّ

من رفع السماء وبسط الارض انا الذي قتلت الصبية . وادّى امارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة . فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة من قصتهما وقال : ما سبب قتلك لهذه الصبية بغير حق واي شيء سبّب اقرارك بالقتل من غير ضرب . ومجيئك بنفسك في هذا . وقولك خذوا حقّها مني . فقال الشاب : اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي وبنت عمي . وهذا الشيخ ابوها وهو عمي . وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلثة اولاد ذكور . وكانت تحبني وتخدمني ولم ارَ عليها سوءًا . وكنت انا ايضًا احبها حبًا عظيمًا الى ان كان اول هذا الشهر فمرضت مرضًا شديدًا فاحضرت لها الاطباء . فتوجهت لها العافية قليلًا قليلًا فاردت ان أُدخلها الحمام فقالت : اني اريد شيئًا قبل دخول الحمام فقد اشتهيته . فقلت لها : سمعًا وطاعةً وما هو . فقالت : اني اشتهي تفاحة اشمها واعض منها عضةً . فدخلت من ساعتي المدينة وفتشت عن التفاح فلم اجده . ولو كانت الواحدة بدينار لاشتريتها . فشق عليّ ذلك وذهبت الى البيت وقلت لها : يا بنت عمي والله ما لقيت شيئًا . فتشوشت وهي ضعيفة وزاد عليها الضعف تلك الليلة كثيرًا . فبتّ وانا متفكرٌ . فلما اصبح الصباح خرجتُ من بيتي ودرت على البساتين واحدًا واحدًا فلم اجد فيها . فصادفني خوليٌّ كبير فسألتُهُ عن التفاح . فقال : يا ولدي هذا شيء قلّ ان يوجد وهو معدوم . ولا يوجد الّا في بستان امير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند الخوليّ يدّخره للخليفة . فجئتُ الى البيت وقد حملتني محبتي لها ومودتي على ان هيأتُ نفسي وسافرت خمسة عشر يومًا ليلًا ونهارًا في الذهاب والاياب . وجئتها بثلث تفاحات اشتريتها من خوليّ البصرة بثلثة دنانير . ودخلتُ وناولتها اياها فلم تفرح بها وتركتها الى

جانبها . وكان قد زاد بها الضعف والحمى ولم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت . فخرجتُ من البيت وذهبت الى دكّاني وجلست في بيعي وشرائي. فبينما انا جالس وسط النهار واذا بعبد اسود دخل عليَّ وفي يده تفاحة من تلك التفاحات الثلث يلعب بها . فقلت لهُ : ياعبد الخير من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها . فضحك وقال : اخذتها من صاحبتي. وانا كنت غائبًا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلث تفاحات فقالت لي : ان زوجي سافر من شانها الى البصرة واشتراها بثلثة دنانير . فاخذت منها هذه التفاحة. فلما سمعت يا امير المؤمنين كلام العبد اسودّت الدنيا في وجهي وقمت اغلقت دكّاني وجئت الى البيت وانا عادم العقل من شدة الغيظ . ونظرت الى التفاح فلم اجد الّا اثنتين . فقلت لها : اين الثالثة . فقالت لا ادري ولا اعرف . فتحققت قول العبد . فقمت واخذت سكينًا وجئت من خلفها وما كلمتها حتى ركبت على صدرها ونحرتها بالسكين . وقطعت رأسها ووضعتها في القفة بسرعة . وغطيتها بالازار وخيطتهُ ووضعت عليها شقةً من البساط وانزلتها في الصندوق واغلقتهُ وحملتها على بغلتي ورميتها في دجلة بيدي . فبالله عليك يا امير المؤمنين عجل بشنقي فاني خائف من مطالبتها لي يوم القيامة . فاني لمّا رميتها في بحر دجلة ولم يعلم بها احد رجعت الى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي . ولم يكن لهُ علم بما فعلتُ في امه فقلت لهُ : ما يُبكيك يا ولدي. فقال : اني أخذت تفاحةً من التفاح الذي عند امي ونزلت بها الى الزقاق العب مع اخوتي . واذا بعبدٍ اسود طويلٍ خطفها مني وقال لي : هذه جاءتك من أين . فقلت لهُ : هذه سافر لها ابي وجاء بها من البصرة من اجل امي وهي ضعيفة . واشترى ثلث تفاحات بثلثة دنانير . ثم اخذها ولم يلتفت اليَّ . فاعدت عليهِ القول ثانيًا

وثالثاً ولم يلتفت اليَّ وضربني وراح بها . فخفت من امي ان تضربني من شأن التفاحة . فغبت انا واخوتي خوفاً منها الى ظاهر المدينة وقد امسى المساء علينا وانا خائفٌ منها . فبالله يا ابي لا تقل لها شيئاً فتزداد ضعفاً على ضعفها . فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي . وتحققتُ انها قُتلت ظلماً . ثم اني بكيت بكاء شديداً . واذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان . فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل واقمنا المناحة خمسة ايام ولم نزل الى هذا اليوم نتأسف على قتلها ظلماً. وكلُّ ذلك كان بسبب العبد . وهذا سبب قتلها . فبحرمة اجدادك عجل بقتلي فلا حياة لي بعدها . وخذ حقَّها مني . فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال : اني لا اشنق الَّا العبد الملعون ولاعملنَّ عملاً يشفي العليل ويُرضي الملك الجليل

(الليلة العشرون) . ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له : أحضر لي هذا العبد الملعون الذي جرت منه هذه القضية وان لم تحضره فانت عوضه . فنزل جعفر يبكي ويقول هذه موتة ثانية ولا كل مرة تسلم الجرَّة . وليس في هذا الامر حيلة . والذي سلَّمني في الاول يسلّمني في الثاني . والله ما بقيت اخرج من بيتي ثلثة ايَّام . والحق تعالى يفعل ما يشاء . ثم اقام في بيته ثلثة ايام وفي اليوم الرابع أحضر القضاة والشهود وودَّع اولادهُ وهو يبكي . واذا برسول الخليفة اتاهُ وقال لهُ: ان امير المؤمنين في اشدّ ما يكون من الغضب وأرسل يطلبك وحلف انهُ لا يمرّ هذا النهار الَّا وانت مشنوق . فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكى اولاده وعبيده مع كل من في الدار . فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها اكثر من اولاده جميعاً فضمها الى صدره وقبلها وبكى على

فراقها فوجد في جيبها شيئاً مكتّلاً فقال لها : ما الذي في جيبكِ . فقالت لهُ : يا ابتِ تفاحةٌ مكتوب عليها اسم مولانا الخليفة جاء بها عبدنا ريحان ولها معي اربعة ايّام وما اعطاني اياها حتى اخذ مني دينارين . فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وحطّ يده في جيب ابنته واخرج التفاحة فعرفها وقال : يا قريب الفرج . ثم انهُ امر باحضار العبد فحضر . فقال لهُ : ويلك يا ريحان . من اين لك هذه التفاحة . فقال العبد : والله يا سيدي ان كان الكذب انجى . فالصدق انجى وانجى . هذه التفاحة ما سرقتها لا من قصرك ولا من قصر الحضرة ولا من بستان امير المؤمنين . وانما هذه قصتها اني من مدة خمسة ايّام مشيت فدخلت الى بعض ازقة المدينة . فنظرت صغاراً يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منهُ وضربته فبكى وقال : يا فتى هذه لأمي وهي مريضة وقد اشتهت على ابي تفاحاً فسافر الى البصرة وجاءها بثلث تفاحات بثلثة دنانير . فسرقتُ منها واحدةً العب بها . ثم بكى . فلم التفت اليهِ واخذتها وجئت الى هنا فاخذتها سيدتي الصغيرة بدينارين ذهباً وهذه حكايتي . فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لحصول الفتنة وقتل الصبية بسبب عبدهِ وحزن لنسبة العبد لهُ وفرح بخلاص نفسه ثم انشد يقول :

اذا كانت مُصيبتك بعبدٍ فتجعلهُ لنفسك من فداها
فانك واجدٌ خَدَماً كثيراً ونفسك لم تجد نفساً سواها

ثم انهُ أمسك بيد العبد وذهب بهِ الى الخليفة وحكى لهُ قصته من اولها الى آخرها . فتعجب الخليفة كل العجب وضحك حتى انقلب وأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيراً بين الناس . فقال جعفر : لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فما هي اعجب من حديث الوزير نور الدين المصري وشمس الدين اخيه

حكاية الوزير نور الدين واخيه

فقال الخليفة : هات واي شيء اعجب من هذه الحكاية . فقال جعفر : يا امير المؤمنين لا احدثك الَّا بشرط ان تعتق عبدي من القتل . فقال : ان كان اعجب مما اتفق لنا وهبت دمه لك . وان لم يكن باعجب قتلت عبدك . فقال جعفر : اعلم يا امير المؤمنين انهُ كان في سالف الزمان بارض مصر سلطان صاحب عدل واحسان . يحب الفقراء ويجالس العلماء . وكان لهُ وزير عاقل خبير لهُ علم بالامور والتدبير . وكان شيخًا كبيرًا لهُ ولدان كانهما قمران لم يرَ مثلهما في الحسن والجمال . وكان اسم الكبير شمس الدين محمد واسم الصغير نور الدين عليّ . وكان الصغير اميز من الكبير في الصباحة والملاحة . حتى انهم في بعض البلدان سمعوا بهِ فسافروا الى بلاده لاجل روية جماله . فاتفق ان والدهما مات . فحزن عليهِ السلطان واقبل على الولدين وقرَّبهما وخلع عليهما وقال لهما : انتما في مرتبة ابيكما فلا تكدرا خاطركما . ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا المأتم على ابيهما الى تمام شهر . ثم دخلا في الوزارة وصار الحكم بايديهما كما كان بيد ابيهما . وكان اذا اراد السلطان السفر يسافر واحد منهما معهُ . فاتفق في ليلة من الليالي وكانت ليلة سفر الكبير مع السلطان بينما هما يتحدثان اذ قال الكبير للصغير يا اخي قصدي ان اتزوج انا وانت في ليلة واحدة . فقال الصغير : افعل يا اخي ما تريد فاني موافقك على ما تقول . فاتفقا على ذلك . ثم ان الكبير قال لاخيه : ان قدَّر الله وخطبنا بنتين ووضعتا في يوم واحد واراد الله وجاءت زوجتك بصبي وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما ويصيران اولاد عمّ . فقال نور الدين : يا اخي ما تأخذ من ولدي في مهر بنتك . فقال : آخذ من ولدك لبنتي ثلثة الاف

دينار وثلثة بساتين وثلث ضياع وان كتب الشاب بغير هذا لا يصح . فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال : ما هذا المهر الذي شرطتهُ على ولدي . اما تعلم انا اخوان ونحن الاثنان بفضل الله وزيران ونحن في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي من غير مهر . وان كان لا بدَّ من مهر فتجعل شيئًا معلومًا ليظهر للناس . فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى . وولدي ذكر ونُذكَر بهِ بخلاف ابنتك . فقال : وما لها . فقال : لا نذكر بها بين الامراء ولكن انت تريد ان تفعل معي كما فعل بعضهم . قيل : ان بعض الناس قدم على بعض اصحابه فقصده في حاجة فقال : بسم الله نقضي حاجتك ولكن غدًا . فأنشد في الجواب :

اذا كان في الحاجات مهلًا الى غدٍ   فذاك يكون الطرد للمتفكر

فقال شمس الدين لاخيهِ : اراك تقصر وتعمل ابنك افضل من بنتي . لا شك انك ناقص عقل ولا لك اخلاق حيث تذكر شركة الوزارة . وانا ما ادخلتك معي في الوزارة الَّا شفقة عليك ولكي تساعدني وتكون لي معينًا ولا اكسر بخاطرك وحيث ان هذا القول قولك فلا ازوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبًا . فلما سمع نور الدين كلام اخيهِ اغتاظ وقال : وانا ما بقيت ازوج ابني بابنتك . فقال شمس الدين : انا لا ارضاه لها بعلًا ولولا اني في السفر . لكنت عملت معك العبر . ولكن عندما ارجع من سفري أُريك ما تقتضي مروَّتي . فلما سمع نور الدين من اخيه ذلك الكلام امتلأ غيظًا وغاب عن الدنيا وكتم ما به . وبات كل واحد في ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر وغدا في الجيزة وقصد الاهرام وصحبةُ الوزير شمس الدين . واما ما كان من امر اخيه نور الدين فبات تلك الليلة في اشدّ ما يكون من الغيظ . فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح . وعمد الى خزانته واخذ

منها خرجاً صغيراً وملأه ذهباً وتذكر قول اخيه واحتقاره اياه فانشد وجعل يقول هذه الابيات :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقهُ   وانصب فان لذيذ العيش في النصبِ
ما في المقرّ ارى عزّاً ولا ادباً   سوى العنا فدع الاوطان واغتربِ
اني رأيت وقوف الماء يفسدهُ   ان ساح طاب وان لم يجرِ لم يطبِ
والبدر لولا أفولٌ منهُ ما نظرت   اليهِ في كل حينٍ عين مرتقبِ
والأسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت   والسهم لولا فراق القوس لم يصبِ
والتبرُ كالترب ملقىً في معادنهِ   والعود في ارضهِ نوعٌ من الحطبِ
فان تغرّب هذا عزّ مطلبهُ   وان تغرّب ذاك زاد في الذهبِ

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشدّ لهُ على بغلة النوبة بسرجها المضرَّب . وهي بغلة زرزوريّة عالية الظهر كانها قبة مبنية سرجها ذهب . وركاباتها هندية وعليها عباءة كسرويّة . وامرهُ ان يجعل عليها بساط حرير وسجادةً وجعل الخرج من تحت السجادة . ثم قال للغلام والعبيد : قصدي اطوف خارج المدينة واروح نواحي القليوبية وابيت ثلث ليالٍ فلا احد منكم يتبعني فان لي ضيق صدر . وأسرع وركب البغلة واخذ معهُ شيئاً قليلاً من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر . فما جاء عليهِ الظهر حتى دخل مدينة بِلبيس فنزل عن بغلته فاستراح واراح البغلة واخذ شيئاً من الزاد فأكله واخذ من بلبيس ما يأكله وعلفاً لبغلته واستقبل البرّ . فما جاء عليهِ الليل حتى دخل بلداً يقال لهُ السعديّة فبات بها واخرج شيئاً اكله وحط الخرج تحت راسه وفرش البساط ونام في مكان البرية والغيظ غالب عليهِ . ثم انهُ بات في ذلك المكان . فلما اصبح الصباح ركب وسار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب . فنزل في بعض الخانات . واقام

ثلاثة ايام حتى استراح واراح البغلة واستنشق الهواء. ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرًا لايدري الى اين يذهب . ولم يزل سائرًا الى ان اقبل على مدينة البصرة . ولم يشعر بذلك حتى نزل في الخان فانزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة واعطى البغلة بعدتها للبواب ليسيّرها . فاخذها وسيّرها . فاتفق لوزير البصرة انهُ كان جالسًا في شباك قصره . فنظر الى البغلة ونظر ما عليها من العدة المثمَّنة فظنها بغلة موكب ومركوب وزراء او ملوك . فتفكر في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه : ائتني بهذا البواب . فذهب الغلام واتاه بالبواب . فتقدم البواب وقبّل الارض وكان الوزير شيخًا كبيرًا . فقال للبواب : من يكون صاحب البغلة وما صفاته . فقال البواب : يا سيدي صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل عليهِ هيبة ووقار . من اولاد التجار . فلما سمع الوزير كلام البواب قام وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب . فلما رأى نور الدين الوزير قادمًا عليهِ قام ولاقاه وسلم عليه فرحب بهِ الوزير ونزل من على جواده واحتضنه واجلسه عنده وقال لهُ : يا ولدي من اين اقبلت وماذا تريد . فقال نور الدين : يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر وكان ابي وزيرًا فيها وقد انتقل الى رحمة الله تعالى . واخبره بما جرى لهُ من المبتدإ الى المنتهى ثم قال: وقد عزمت على نفسي اني لا اعود ابدًا حتى اشقّ جميع المدن والبلدان . فلما سمع الوزير كلامهُ قال لهُ : يا ولدي لاتطاوع النفس فترميك في الهلاك فان البلاد خرابٌ وانا اخاف عليك من عواقب الزمان . ثم انهُ حمل خرجه على بغلته واخذ البساط والسجادة واخذ نور الدين معهُ الى بيته وانزله في مكان ظريف واكرمه واحسن اليه واحبه حبا شديدًا وقال لهُ : يا ولدي انا بقيت رجلًا كبيرًا ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني الله بنتًا تعادلك في الحسن ومنعت عنها خطيبين كثيرين وقد وقع حبك في قلبي . فهل

لك ان تقبل ابنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلاً . فان كنت تقبـل ذلك اذهب بك الى سلطان البصرة واقول لهُ : انهُ ولد اخي وأُوصلك الى ان اجعلك وزيره مكاني والزم انا بيتي . فاني صرت رجلاً كبيرًا . فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق براسه وقال : سمعًا وطاعة . ففرح الوزير وأمر غلمانه ان يضعوا لهُ طعامًا وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة التي تجري فيها اعراس الامراء . ثم جمع اصحابه ودعا اكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه فقال : اني كان لي اخٌ وزيرٌ بالديار المصرية ورزقه الله ولدين . وانا كما تعلمون رزقني الله بنتًا وكان اخي اوصاني ان ازوّج بنتي باحد اولاده فاجبتـه الى ذلك . فلمَّا حقَّ الزواج ارسل اليَّ احد اولاده وهو هذا الشاب الحاضر . فلمَّا جاءني جئت لاكتب كتابه على بنتي وهو اولى من الغريب . وبعد ذلك ان شاء يقعد عنـدي وان شاء السفر اسيّره هو وزوجته الى ابيه . فقالوا جميعًا : نِعم ما رأيت . ونظروا الى الشـاب فلمَّا رأوه اعجبهم . فاحضر الوزير الشهود والقضاة وكتبوا الكتاب واطلقوا البخور وشربوا السكّر ورشوا ماء الورد وانصرفوا . واما الوزير فأمر غلمانه ان يأخذوا نور الدين ويدخلوا بهِ الحمَّام واعطاه الوزير ثوبًا من خاص ملبوسه وارسل لهُ المناشف والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه . فلمَّا خرج ولبس الثوب صار كالبدر اذا زهر ليلة اربعة عشر . فلمَّا خرج من الحمـَّام ركب بغلته . ولم يزل سائرًا حتى وصل الى قصر الوزير . فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبَّل يديه

(الليلة الحادية والعشرون) . اما الوزير فانهُ رحَّب بهِ وقال لهُ : في غد اذهب بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير . هذا ما كان من امر نور الدين . واما ما كان من امر اخيهِ فانهُ غاب مع السلطان مدةً في السفر ورجع فلم يجد اخاه فسأل عنهُ الخدَّام . فقالوا لهُ : من يوم سافرت مع السلطان ركب

بغلته بعدَّة الموكب وقال : انا رائحٌ ناحية القليوبية اغيب يوماً او يومين فانَّ صدري ضاق . ولا احد يتبعني . ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع لهُ خبرًا . فتشوَّش شمس الدين على فراق اخيه واغتمَّ غمًّا شديدًا لفقده وقال في نفسه : ما هو الَّا مما نهرته في تلك الليلة فأخذ على خاطره وخرج مسافرًا . فلا بد ان ارسل خلفه . ثم طلع واعلم السلطان وكتب بطاقات وارسل البريد الى نوابه في جميع البلاد . واما نور الدين في مدة العشرين يوماً التي غابوها فكان قطع بلادًا بعيدة . ففتشوا ولم يقعوا لهُ على خبر فرجعوا . ويئس شمس الدين من اخيه وقال : لقد فرَّطت في اخي بكلامي لهُ على زواج الاولاد . وما كان ذلك الَّا من قلة عقلي وعدم تدبيري . ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها

ثم ان زوجة شمس الدين وزير مصر وضعت بنتاً لا يرى في مصر احسن منها . ووضعت في اليوم نفسه زوجة نور الدين ولدًا ذكرًا لا يرى في زمانه احسن منهُ كما قال فيهِ الشاعر :

ومهفهفٍ من شعرهِ وجبينهِ تغدو الورى في ظلمةٍ وضياء
لاتنكروا الخال الذي في خدهِ كل الشقيق بنقطةٍ سوداء

وقال آخر :

ان جيءَ بالحسن كي يقاس بهِ ينكس الحسن رأسهُ خجلا
او قيل يا حسنُ هل رأيت كذا فقال أمَّا كذا رأيت فلا

فسماه بدر الدين حسناً وفرح بهِ جده وزير البصرة وصنع الولائم وعمل سُمُطاً تصلح لاولاد الملوك . ثم ان وزير البصرة اخذ معهُ نور الدين وذهب الى السلطان . فلما اقبل قدامهُ قبَّل الارض بين يديه وكان فصيح اللسان . ثابت

الجنان . صاحب حسن واحسان . فأنشد يقول :

دامَ لكَ الانعامُ يا سيدي ودمتَ ما دام الضحى والمسا
وعشتَ ما غرَّدَ طيرٌ وما غنت على اغصانها الورقا

فقام لهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال . وقال لوزيره : من هذا الشاب . فقال له الوزير قصتهُ من اولها الى اخرها . وقال لهُ : هذا ابن اخي . فقال لهُ : وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع بهِ . فقال : يا مولانا السلطان انهُ كان لي اخ وزير بالديار المصريَّة وقد مات وخلَّف ولدين فالكبير جلس مكان والده وزيرًا وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت اني لا ازوّج بنتي الَّا لهُ . فلما جاء زوَّجته بها وهو شاب وانا صرت شيخًا كبيرًا وقلَّ سمعي وعجز تدبيري . والقصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانهُ ابن اخي وزوج ابنتي وهو اهل للوزارة . لانهُ صاحب راي وتدبير . فنظر السلطان اليهِ فلاق بخاطره . وانعم اليهِ بما اراده الوزير وقدمه في الوزارة وأمر لهُ بخلعة عظيمة . وامر لهُ السلطان ببغلة من خاص مركوبه وعيَّن لهُ الرواتب والجوامك . فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما في غاية الفرح وقالا : هذا بكعب المولود حسن . ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم الى الملك وقبل الارض وانشد يقول :

سعاداتٌ تجدّد كل يومٍ واقبالٌ وقد كِيد الحسودُ
فما زالت لكَ الايام بيضًا وايام الذي عاداكَ سودُ

فامره السلطان الجلوس في مرتبة الوزارة . فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس في امورهم واحكامهم كما جرت عادة الوزراء . وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وعقله وتدبيره وتصرفه . فحَبَّهُ وقرَّبه اليه . ولما انصرف الديوان

نزل نور الدين الى بيته وحكى لعمه ما وقع . ففرح ولم يزل نور الدين في الوزارة حتى انهُ لايفارق السلطان لا في ليل ولا في نهار . وزاد لهُ الجوامك والجرايات الى ان اتسع لهُ الحال . وصار لهُ مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر . وصار لهُ عبيد ومماليك وعمّر املاكا كثيرة ودواليب وبساتين وصار عمر ولده حسن اربع سنين . فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه في التراب . ثم اشتغل نور الدين بتربية ولده . فلما اشتدَّ وصار لهُ من العمر سبع سنين احضر لهُ فقيها يقرئه في بيته واوصاه بتعليمه وادبه وحسن تربيته . فاقرأه وعلّمه فوائد في العلم ودرَّسه القرآن في مدة سنوات . وما زال حسن يزداد جمالًا وقدًّا واعتدالًا كما قيل :

قمرٌ تكامل في سماء جمالهِ   والشمس تشرق من شقائق خدّهِ
ملك الجمال باسره فكأنما   حسن البريَّة كلها من عندهِ

وقد ربَّاه الفقيه في قصر ابيه ومن حين نشأ لم يخرج من قصر الوزارة . ففي يوم من بعض الايام اخذه والده نور الدين والبسه حلةً من افخر ملبوسه واركبه بغلةً من خيار بغاله . وذهب بهِ الى السلطان ودخل بهِ عليه . فنظر الملك بدر الدين حسن ابن الوزير نور الدين فاعجبه وحبَّه . واما اهل المملكة فلما مرَّ عليهم اول مرة وهو ذاهب مع ابيهِ الى الملك بهتوا من حسنه وجلسوا في طريقه ينتظرون عودهُ عليهم ليتروَّوا من حسنه وجماله وقدّه واعتداله كما قيل فيهِ هذه الابيات :

بدا فقالوا تبارك الله   جلَّ الذي صاغهُ وسوّاه

فلما رآه السلطان انعم عليه وحبَّه وقال لابيه : يا وزير لابدَّ انك دائما تحضره معك . فقال : السمع والطاعة . وعاد الوزير بولده الى منزله . وما زال كل يوم يذهب بهِ الى السلطان الى ان بلغ الولد من العمر خمس عشرة سنة فضعف

والده نور الدين الوزير . فاحضر ولده وقال : يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء واريد ان اوصيك بعض وصايا فافهم ما اقول لك . وصار يوصيه على حسن عشرة الناس والتدبير . ثم ان نور الدين تذكر اخاه واوطانه وبلاده . فبكى على فرقة الاحباب ومسح دموعه وانشد يقول :

ان شكونا بعداً فماذا نقولُ او بلغنا شوقاً فكيف السبيلُ
او بعثنا رسلاً تترجم عنا ما يؤدّي شكوى المحب رسولُ
انتمُ يا من غبتمُ عن جفوني انكم في لبّ فؤادي حلولُ
هل تظنون انتمُ انَّ عهدي بعد طول الصدود ليس يحولُ
ام تناسيتمُ على البعد صباً شفهُ فيكم البكا والنحولُ
واذا ضمنا واياكمُ الحيْ لي هناك معكم عتابٌ يطولُ

فلما فرغ من انشاده وبكائه التفت الى ولده وقال له : اعلم قبل ما اوصيك ان لك عماً وهو وزير بمصر فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد انك تأخذ درجاً وتكتب فيهِ ما اقول لك . فاخذ بدر الدين حسن درجاً من الورق وصار يكتب فيهِ كما قال ابوهُ . فملأه مما جرى له من الاول الى الآخر . وكتب له تاريخ زواجه وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيره . وان عمره دون الاربعين من يوم النزاع . وهذا كتابي اليه والله خليفتي من بعد ذلك عليه . ثم طوى الدرج وختمه وقال : يا ولدي حسن احفظ الوصية فان الرقعة فيها اصلك وحسبك ونسبك . فان اصابك شيء من الامور فاعمد الى مصر واسأل عن عمك واستدلّ عليه واعلمه اني متّ غريباً مشتاقاً اليهِ . فاخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخبّطها بين البطانة والظهارة ولف عليها شاشة وهو يبكي على ابيه وعلى فراقه وهو صغير . وقال نور الدين : اني اوصيك بخمس وصايا اولها . ان لا تعاشر احداً

تسلم من شرّه فان السلامة في العزلة ولا تخالطه ولا تباشره فاني سمعت الشاعر يقول :

ما في زمانك من ترجو مودته ولا صديق اذا جار الزمان وفى
فعش فريدًا ولا تركن الى احدٍ فقد نصحتك فيما قلتهُ وكفى

الثانية : يا ولدي لا تجر على احد يجر عليك الدهر . فالدهر يوم لك ويوم عليك . الدنيا قرض بوفاء . ولقد سمعت الشاعر يقول :

تأنَّ ولا تعجل لامرٍ تريدهُ وكن راحمًا للناس تدعى براحمِ
فما من يدٍ الّا يد الله فوقها ولا ظالمٍ الّا سيبلى بظالمِ

الوصية الثالثة : الزم الصمت واشتغل بعيبك عن عيوب الناس . فقد قيل : من لزم الصمت نجا . وسمعت الشاعر يقول :

الصمت زينٌ والسكوت سلامةٌ فاذا نطقت فلا تكن مهذارًا
فلئن ندمت على سكوتك مرّةً فلتندمنَّ على الكلام مرارًا

الرابعة : يا ولدي احذرك من شرب الخمر . فان الخمر رأس كل فتنة . والخمر مذهبة العقول . الحذر الحذر من شرب الخمر لاني سمعت الشاعر يقول :

تركت النبيذ وشرّابه وصرت حديثًا لمن عابهُ
شرابٌ يضلُّ سبيل الهدى ويفتح للشرّ ابوابهُ

الخامسة : يا ولدي صن مالك فيصونك . احفظ مالك يحفظك ولا تفرط في مالك فتحتاج الى اقلّ الناس . صن الدراهم فهي المراهم لاني سمعت بعضهم يقول :

ان قلّ مالي فلا خلٌّ يصاحبني او زاد مالي فكل الناس خلاني

فكم صديقٍ لبذل المال صاحبني   وصاحبي عند فقد المال خلّاني

وما زال نور الدين يوصي بدر الدين حسناً حتى زهقت روحه واقام الحزنُ في بيته . وحزن عليهِ السلطان وجميع الامراء ودفنوه . ولم يزل بدر الدين على والده في حزن مدة شهرين . وهو لا يركب ولا يخرج الى الديوان ولا يقابل السلطان . فاغتاظ السلطان عليه فاقام مكانه بعض الحجاب واجلسه وزيرًا وأمره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعمارته واملاكه . فنزل الوزير الجديد يختم عليها ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويذهب بهِ الى السلطان يعمل فيه ما يقتضي رأيه . وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير المتوفَّى . فلما سمع بهذه القضية ساق جواده وأتى مسرعاً الى بدر الدين حسن فوجده جالساً على باب داره وهو منكس الراس حزين منكسر القلب . فترجَّل لهُ المملوك وقبَّل يده وقال له : يا سيدي وابن سيدي العجل العجل . قبل حلول الاجل . فارتجف حسن وقال : ما الخبر . قال : السلطان غضب عليك ورسم بالحوطة عليك . والبلاء يجيئ من خلفي اليك . ففُز بنفسك . فقال لهُ : هل في الامر مهلة حتى ادخل الى بيتي اصحب شيئاً من الدنيا استعين بهِ على الغربة . فقال المملوك : يا سيدي قم الان وخلِّ عنك الدار . فنهض وهو يقول :

ونفسكَ فُز بها ان خفت ضيماً   وخلِّ الدار تنعى من بناها
فانك واجدٌ ارضاً بارضٍ   ونفسكَ لم تجد نفساً سواها
ولا تبعث رسولك في مهمٍّ   فما للنفس ناصحةٌ سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى   بانفسها تولَّت ما عناها

فلما سمع كلام المملوك غطى راسهُ بذيله وخرج يمشي الى ان صار خارج المدينة . فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره

المتوفى يختم على ماله واماكنه . ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويذهب بهِ الى السلطان ليقتله . فتأسف الناس على حسنه وجماله

فلما سمع كلام الناس خرج على راسه وهو لا يعلم اين يذهب . ولم يزل سائرًا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده . فدخل المقبرة وشقَّ القبور الى ان جلس على قبر ابيه وارخى ذيل فرجيتــه من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبًا عليها هذه الابيات :

يا من لهُ وجهٌ بدا يحكي الكواكب والندا
لا زال عزُّك دائمًا وعلوُّ مجـدك سرمدا

فبينما هو عنــد تربة ابيه اذ قدم عليهِ يهودي كانهُ صيرفي ومعهُ خرج فيهِ ذهب كثير . فتقدم اليهودي الى حسن البصري وقال لهُ : يا سيدي مالي اراك متغيرًا . فقال لهُ : اني كنت نائمًا في هذه الساعة فرأيت ابي يعــاتبني على عدم زيارتي لهُ . فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولا ازوره فيكون صعبًا عليَّ . فقال لهُ اليهودي : يا سيدي ان اباك كان ارسل مراكب للتجارة وقدم منهـا البعض ومرادي اشتري منك وسق اول مركب قدم بهذا الالف دينــار ذهبًا واخرج اليهودي كيسًا ملآن من الذهب وعدَّ منهُ الف دينار واعطاها حسن ابن الوزير . فقــال اليهودي : اكتب لي ورقة واختمها . فاخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها : كاتبها حسن ابن الوزير باع لاسحاق اليهودي جميع وسق اول مركب يدخل لابيهِ بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل : فاخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي ويتذكر ما كان فيه من العزّ وينشد ويقول :

ما الــدار مذ غبتم يا سادتي دارُ كلّا ولا الجار مذ غبتم لنا جارُ
ولا الانيس الذي قد كنت اعهدهُ بهــا انيسي ولا الاقمار اقمارُ

غبتم فاوحشتمُ الدنيا بعدكمُ واظلمت بعدكم دورٌ واقطارُ
ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا يعرى من الريش لا تحويه اوكارُ
قد قلَّ صبري واضنى بعدكم جسدي وكم تهتَّكَ يوم البين استارُ

ثم بكى بكاء شديدًا ودخل عليهِ الليل فاسند راسهُ الى قبر ابيه فادركه النوم ولم يزل نائمًا حتى طلع القمر فتدحرج راسهُ عن القبر ونام على ظهره وصار وجههُ يلمع في القمر . وكانت المقبرة عامرة من الجان المؤمنين فخرجت جنيَّة فرأت حسنًا نائمًا . فلما رأتهُ تعجبت من حسنه وجماله وقالت : سبحان الله ما هذا الشاب الَّا كانهُ من ولدان الجنة . ثم طارت الى الجوّ تطوف على عادتها فرأت عفريتًا طائرًا فسلَّم عليها . فقالت لهُ : من اين انت قادم . فقال : من هنا . فقالت : هل لك ان تروح معي حتى تنظر حسن هذا الشاب النائم في التربة . فقال لها : نعم . فسارا حتى نزلا على القبر . فقالت : هل رأيت في عمرك مثل هذا . فنظر العفريت اليه وقال : سبحان من لا شبيه له ولكن يا اختي ان اردتِ احدثكِ بما رأيت . قالت : وما هو . فقال لها : اني رأيت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير شمس الدين وعمرها قريب من عشرين سنة ولها حسن وجمال وبهاء وكمال . وقدّ واعتدال . فلما جاوزت هذا السن سمع بها السلطان بمصر فاحضر الوزير اباها وقال لهُ : اعلم ايها الوزير انه بلغني ان لك بنتًا وانا اريد اخطبها منك . فقال لهُ الوزير : يا مولانا السلطان اقبل عذري وارحم عبرتي . فانك تعرف ان اخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكي في الوزارة وقد خرج وهو غضبان لاني جلست واياه وحدثته عن سبب الزواج والاولاد . فكان سببًا لغيظه وانا حالف اني لا ازوج بنتي الَّا بابن اخي من يوم ولدتها امها اي من نحو ثماني عشرة سنة . ومن مدة قريبة سمعت ان اخي تزوج بنت

وزير البصرة وجاء منهـا ولدٌ ولا ازوج بنتي الّا لهُ كرامةً لاخي وأرّخت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت . وهي على اسم ابن عمها . والبنات لمولانا السلطان كثيرات . فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضباً شديداً وقال : مثلي مَن يخطب من مثلك بنتاً تمنعها مني وتحتج بحجة باردة . وحياة راسي لا ازوجها الّا اقلّ خدمي رغماً عن انفك . وكان عند الملك سائس احدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء . فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر . وقد تركتُه وهو بين مماليك السلطان . وهم موقدون الشموع حوله ويسخرون منهُ على باب الحمام . واما بنت الوزير فجالسة تبكي بين المواشط . وهي اشبه الناس بهذا الشاب وقد منعوا اباها ان يراها وما رأيت يا اختي ابشع من هذا الاحدب . واما الصبية فهي احسن من هذا الشاب

(الليلة الثانية والعشرون) . وعند ذلك قالت الجنية للعفريت : تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه . فردها العفريت وقال : والله يا اختي ان الصبية احسن من هذا . ولكن لايصلح لها الّا هو . فانهما مثل بعضهما اخوان وولدا عمّ يا خسارتها مع هذا الاحدب . فقالت لهُ : يا اخي دعنا نحمله ونروح بهِ الى الصبية التي تقول عنها . وننظر من منهما هو احسن . فقال العفريت : سمعاً وطاعة هذا كلام صواب ولا هناك احسن من هذا الرأي الذي تقولينه . انا احمله ثم انهُ حمله وطار بهِ الى الجو ورافقتهُ العفريتة الى ان نزل بهِ الى مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبّههُ فاستيقظ من النوم . فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة فنظر يميناً وشمالاً وهو لا يجد نفسه الّا في مدينة غير مدينة البصرة . فاراد ان يصرخ فوكزه العفريت وكان العفريت قد اتاه بحلة فاخرة والبسه اياها . واوقد لهُ شمعةً وقال لهُ : اعلم اني جئت بك وانا رائحٌ اعمل معك شيئاً لله . فخذ هذه

الشمعة وامشِ الى ذلك الحمّام واختلط بالناس ولا تزل تمشي معهم الى ان تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشَ احدًا وقف فوق يمين العروس الاحدب . وكلما جاءتك المواشط والمغنيات حطّ يدك في جيبك تجده ملآن ذهبًا فخذ وارم لهنّ ولا تتوهم انك اذا ادخلت يدك لا تجد جيبك ملآن ذهبًا . فنقط كل من جاءتك بالحفنة ولا تخشَ من شيء . وتوكل على الذي خلقك . فما هذا بحولك بل هذا بامر الله

فلما سمع بدر الدين حسن من العفريت هذا الكلام قال : ياترى اي شيء تكون هذه الصبية وما سبب الاحسان . ثم مشى واوقد الشمعة وجاء الى الحمام فوجد الاحدب راكبًا الفرس . فدخل بدر الدين حسن بين الناس وهو على تلك الحالة والصورة الحسنة وكان عليهِ كما ذكرنا الطربوش والشاش والفرجية المنسوجة بالذهب . وما زال ماشيًا في الزينة وكلما وقفت المغنيات والناس ينقِّط ويحطُّ يده في جيبه يلقاه ملآن ذهبًا فيقبض ويرمي في الاطار الذي للمغنية فيملأُ الاطار دنانير . فاحتارت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله . ولم يزالوا على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردّت الحجاب الناس ومنعوهم . فقالت المغنيات : لا ندخل الّا ان يدخل هذا الشاب معنا لانهُ غمرنا باحسانه ولا نجلو العروسة الّا وهو حاضر . فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح واجلسوه بمرأى من العروس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين . وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة ضاربة لثامًا وهنّ صفوف يمينًا وشمالًا من تحت المنصة الى صدر الايوان الذي عند المجلس الذي تخرج منهُ العروسة . فلما نظرت النساء بدر الدين حسنًا وما عليهِ من الحسن والجمال ووجهه يضيءُ كانهُ الهلال . قالت المغاني للنساء الحاضرات : اعلمنَ ان هذا المليح ما نقطنا الّا بالذهب

الاحمر فلا تقصّرنَ في خدمته . ثم دعون على ذلك السائس الاحدب وعلى من كان لهُ سبباً في زواجه هذه الصبية . وصرنَ كلما دعونَ لبدر الدين حسن دعون على ذلك الاحدب . ثم ان المغنيات ضربنَ بالدفوف وزعقنَ بالمواصل واقبلت المواشط وبنت الوزير بينهنَّ وقد طيّبنها وعطرنها وحسنَّ شعرها وبخّرنها والبسنها الحليّ والحلل من لباس الملوك الاكاسرة . ومن جملة ما عليها ثوبٌ منقوش بالذهب الاحمر وفيهِ صور الوحوش والطيور . وهو مسبول عليها من فوق ثيابها وقلدنها بعقدٍ يمنيّ يساوي الالوف . وقد حوى كل فصّ من جوهر . ما حاز مثلهُ تبّع ولا قيصر . والعروسة كانها البدر اذا بدا في ليلة اربعة عشر . فاحدق بها النساء كالنجوم . وكان بدر الدين حسن البصري جالساً والناس ينظرون اليه وكلهم احدقوا بهِ وبقي السائس الاحدب وحده كانهُ قرد وكلما اوقدوا لهُ الشمعة تنطفئ ولم يبقَ لهُ صوت وصار قاعدًا في الظلام . واما بدر الدين حسن فانهُ صار قدامه شموع في ايدي الناس . فلما نظر حسن الى العروس وحده في الظلام ونظر هؤلاء الناس محدقين بهِ وهذه الشموع الموقدة تحيَّر وتعجب . ثم انهُ لما رأى ابنة عمه فرح واستبشر

واما العروسة فانها لما فتحت عينها قالت : اللهمَّ اجعل هذا بعلي وارحني من هذا السائس الاحدب . واخذوا يجلون العروسة الى آخر السبع خلع على بدر الدين حسن البصري . والسائس الاحدب جالس وحدهُ . فلما فرغوا من ذلك أذنوا للناس في الانصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد ولم يبقَ الّا بدر الدين حسن والسائس الاحدب . ثم ان المواشط ادخلنَ العروسة ليغيّرنَ ما عليها من الحلي والحلل . فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى بدر الدين حسن وقال : يا سيدي آنستنا الليلة وغمرتنا باحسانك فما تقوم تروح .

فقال : بسم الله . ثم قام وخرج من الباب . فلقيه العفريت فقال لهُ : قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة ادخل انت . واذا اقبلتْ العروسة فقل لها : انا زوجكِ والملك انما عمل هذه الحيلة خوفاً عليكِ من العين . وهذا الذي رأيتهِ هو سائس من سياسنا . فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس خرَج ودخل بيت الراحة . فطلع لهُ العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صفة فأر وقال : زيق . فقال الاحدب : ما حالك . فكبر الفأر حتى صار قطاً وقال : ميا ميا . وكبر حتى صار كلباً وقال : عوه عوه . فلما نظر السائس ذلك فزع وقال : اخسأ يا مشؤوم . والكلب كبر وانتفخ حتى صار جحشاً ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق . فانزعج وقال : الحقوني يا اهل البيت . واذا بالحمار كبر وصار قدر الجاموس وسد عليهِ المكان وتكلم بكلام ابن ادم وقال : ويلك يا احدب يا انتن . اما السائس فارتعدت فرائصهُ واشتبكت اسنانهُ بعضها ببعض . فقال لهُ العفريت : قد ضاقت عليك الدنيا وما وجدتَ من تتزوج بها الّا هذه الابنة . فسكت . فقال له : ردَّ الجواب والّا اسكنتك التراب . فقال : ما لي ذنب الّا انهم غصبوني . ولكن انا تائب الى الله ثم اليك . فقال لهُ العفريت : اقسم عليك ان خرجتَ هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس قتلتك فاذا طلعت الشمس اخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدًا وسأحرسك الى طلوع الشمس

هذا ما كان من قصة الاحدب . وأما ما كان من قصة بدر الدين حسن البصري فانهُ خلّى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس واذا بالعروسة اقبلت ومعها عجوز فوقفت في باب البيت وقالت : قم خذ هذه وداعة الله . ثم ولّت العجوز

هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وسيدة الحسن بنت عمه . واما ما كان من امر العفريت فانهُ عندما رقد بدر الدين حسن قال للعفريتة : قومي ودعينا نأخذ الشاب الى مكانه لئلا يدركنا الصبح لان الوقت قريب . فعند ذلك تقدمت العفريتة واخذتهُ وطارت بهِ وهو على حاله . وما زالت العفريتة طائرة بهِ والعفريت يحاذيها الى ان ادركهما الصباح في اثناء الطريق وصاح المؤذنون بحيَّ على الفلاح . فأذن الله ملائكته ان ترمي العفريت بشهب من نار فاحترق . وسلمت العفريتة فنزلت ببدر الدين في موضع ما اخذت الشهبُ العفريت . ولم تتعدَّ بهِ خوفًا عليه . وكان بالامر المقدَّر انهما وصلا دمشق الشام فوضعتهُ العفريتة على باب من ابوابها وطارت . فلما طلع النهار وفُتحت ابواب المدينة وخرج الناس نظروا شابًا مليحًا بقميص وسراويل وطاقية . وهو مما قاسى من السهر غرقان في النوم فلما رأوه قالوا : ليته صبر حتى لبس حوائجه . وقال الآخر : مساكين اولاد الناس لا بدَّ انهُ خرج هذه الساعة من الخمَّارة لبعض شغلهِ فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قاصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقًا فنام هنا . وقد خاض الناس فيهِ بالكلام . واذا بالهواء هبَّ على بدر الدين فانتبه فوجد روحه على باب مدينة . وعليهِ ناسٌ . فتعجب وقال : اين انا يا جماعة الخير . وما سبب اجتماعكم وما حكايتي معكم . فقالوا: نحن رأيناك عند اذان الصبح ملقىً نائمًا ولا نعلم من امرك غير هذا. فأين كنت هذه الليلة . فقال بدر الدين حسن : يا جماعة كنت هذه الليلة في مصر . فقال واحد : انت تأكل حشيشًا . وقال بعضهم : انت مجنون تكون بائتًا في مصر وتصبح نائمًا في مدينة دمشق . فقال لهم : يا جماعة الخير لم اكذب عليكم وانا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وفي نهار امس كنت بالبصرة . فقال واحد :

طيّب . وقال الآخر : هذا الشاب مجنون وصفقوا عليهِ بالكفوف . وتحدثت الناس بعضهم مع بعض وقالوا : يا خسارة شبابهِ والله ما في جنونه شكٌّ ابدًا . ثم انهم قالوا له : أدر بالك وارجع لعقلك . فقال بدر الدين حسن : كنت البارحة في عرس في ديار مصر . فقالوا : لعلّك حلمت ورأيت هذا الذي تقول في المنام . فتوهم حسن في نفسه وقال لهم : ما هذا منام ولا رأيتهُ في الاحلام الّا اني رحت وقد جلوا العروسة قدّامي وكان الثالث الاحدب قاعدًا . يا اخي ما هذا منام ولو كان منامًا فأين الكيس الذهب واين شاشي وثيابي . ثم قام ودخل المدينة وشق شوارعها واسواقها . فازدحمت الناس عليهِ . فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلًا شاطرًا يعني لصًّا فتاب الله عليه من الحرام وفتح لهُ دكان طباخ . وكان اهل دمشق كلهم يخافون منهُ ومن شدة بأسه . فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه . فلما نظر الطباخ الى بدر الدين حسن ونظر حسنه وجماله وقعت في قلبه محبته فقال له : من اين انت يا فتى فاحكِ لي حكايتك فأنك صرت عندي اعزّ من روحي . فحكى له ما جرى من المبتدإ الى المنتهى . فقال له الطباخ : يا سيدي بدر الدين اعلم ان هذا امر عجيب وحديث غريب . ولكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بكَ . واقعد عندي في هذا المكان . وانا ما لي ولد فاتخذك ولدي . فقال له بدر الدين : نعم يا عمّ . فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين اقمشة مفتخرة والبسهُ اياها وتوجّه واياه الى القاضي واشهد على نفسه انهُ ولده وقد اشتهر بدر الدين حسن في مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم . وقد استقر حاله عند الطباخ على هذه الحالة

هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وما جرى له . واما ما كان من امر

سيدة الحسن بنت عمه فانها لما لم تجد بدر الدين حسن اعتقدت انهُ خرج لحاجة فجلست تنتظره ساعة. واذا بابيها قد دخل وهو مهموم مما جرى عليه من السلطان وكيف غصبهُ وزوَّج ابنتهُ غصباً لاحد غلمانهِ وهو قطعة سائس احدب. وقال في نفسهِ: اقتل هذه البنت واريحها من هذا الملعون. فمشى الى ان وصل الى الكلة ووقف على بابها وقال: يا سيدة الحسن. فقالت لهُ: لبيك يا سيدي. ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الارض وزاد وجهها نوراً وجمالاً. فلما نظرها ابوها وهي بتلك الحالة قال لها: يا ملعونة انتِ فرحانة بهذا السائس. فلما سمعت سيدة الحسن كلام والدها تبسمت وقالت: بالله يكفي ما جرى امس والناس يضحكون عليَّ ويعيروني بهذا السائس الذي ما يجيءُ في قلامة ظفر زوجي. فلا تهزأ بي ولا تذكر لي ذلك الاحدب. فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقَّت عيناه وقال لها: ويلكِ اي شيء هذا الكلام الذي تقولينهُ لعلكِ رضيتِ بالسائس الاحدب. فقالت: بالله عليك لا تذكره ولا تعمل مزاحاً فما كان السائس الَّا مستأجراً بعشرة دنانير. واخذ اجرتهُ وراح وجئت انا ودخلت الكلة فنظرت زوجي قاعداً بعد ما جلتني عليهِ المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقراء الحاضرين. فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجههِ ظلاماً وقال لها: يا فاجرة ما هذا الذي تقولينهُ اين عقلك. فقالت لهُ: يا ابتِ لقد فتتَّ كبدي. حسبك تثاقلاً عليَّ فهذا زوجي سيأتي عن قريب وتتحققهُ. فقام والدها وهو متعجب ودخل الى بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب فبهت فيهِ الوزير وقال: ما هذا الَّا الاحدب. فقال لهُ: يا احدب. فقال تغوم تغوم. وظن انهُ ما يكلمهُ الَّا العفريت. فصاح عليهِ الوزير وقال: تكلم والَّا قطعت راسك بهذا السيف. فعند ذلك قال الاحدب: يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في

هذا المكان ما رفعت راسي فبالله عليك ارفق بي . فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال لهُ : ما تقول . فانا ابو العروسة ما انا عفريت . فقال : كفاك فانت رائح تأخذ روحي فرُح الى حال سبيلك قبل ان يأتيك الذي فعل معي هذه الفعال . فانتم ما جئتم بي الَّا لتزوجوني اخت العفاريت . فقبحًا لمن زوجني بها ولمن كان السبب فيها

(الليلة الثالثة والعشرون) . ولما سمع الوزير كلام الاحدب قال لهُ : قم واخرج من هذا المكان . فقال لهُ : هل انا مجنون حتى اروح معك بغير اذن العفريت . فانهُ قال لي : اذا طلعت الشمس اخرج ورح الى حال سبيلك . فطلعت الشمس ام لا . فاني لا اقدر اطلع من موضعي الَّا ان تطلع الشمس . فعند ذلك قال الوزير : من اتى بك الى هذا المكان . فقال : اني جئت البارحة الى هنا لازيل ضرورتي واذا بفأرٍ طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموس وقال لي كلامًا دخل في اذني فخلَّاني وراح . قبح الله العروسة ومن زوجني بها . فتقدم اليهِ الوزير واخرجهُ فخرج وهو يجري وما صدق ان الشمس طلعت وذهب الى السلطان واعلمهُ بما اتفق لهُ مع العفريت . واما الوزير ابو العروسة فانهُ دخل الى البيت وهو حائر العقل في امر ابنتهِ فقال : يا ابنتي اكشفي لي خبرك . فقالت : ان العروس الذي كنت أُجلى عليهِ البارحة هو شاب مليح وان كنت لا تصدقني فهذا شاشهُ بلفته على الكرسي . فلما سمع والدها هذا الكلام دخل الكلة فوجد شاش بدر الدين حسن ابن اخيهِ . ففي الحال اخذه في يده وقلبه وقال : هذه عمامة وزراء لانها موصلية . ثم نظر الى حِرزٍ مخيَّط في طربوشه . فأخذه وفتقهُ واخذ الثوب فوجد الكيس الذي فيهِ الالف دينار ففتحهُ فوجد فيهِ ورقة فقراها فوجد فيها مبايعة اليهودي باسم بدر الدين حسن بن نور الدين علي المصري ووجد

الالف دينار . فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخةً وخرَّ مغشياً عليهِ . فلما افاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال : لا اله الّا الله القادر على كل شيء . وقال : يا ابنتي أتعرفين من الذي اقترنتِ بهِ . قالت : لا . قال : انهُ ابن اخي وهو ابن عمكِ وهذه الالف دينار مهركِ فسبحان الله . فليت شعري كيف اتفقت هذه القصة . ثم فتح الحرز المخيَّط فوجد فيهِ ورقة مكتوباً فيهـا تاريخ بخط اخيهِ نور الدين المصري ابي بدر الدين حسن . فلما نظر خطَّ اخيهِ انشـد وقال هذه الابيات :

اری آثارهم فاذوب شوقاً واسكب في مواطنهم دموعي
وأسأل من بفرقتهم رماني يمـنُّ عليَّ يومـاً بالرجوعِ

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيـهِ تاريخ اقـترانه ببنت وزير البصرة وتاريخ مولد بدر الدين حسن وتاريخ عمره الى حين وفاته . فتعجب واهـتزَّ من الطرب وقابل ما جرى لهُ فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر متوافقين تاريخاً ورأى ولادة بدر الدين وولادة بنته سيدة الحسن ايضاً متوافقتين . فاخذ الورقة وذهب بهـا الى السلطان واعلمه بما جرى من اول الامر الى آخره . فتعجب الملك وامر ان يؤرخ هذا الامر في الحال . ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيهِ ذلك اليوم فما اتى . وثاني يوم وثالث يوم الى سبعة ايام . فما وقع لهُ على خبر . فقال : لاعملنَّ عمـلًا ما سبقني اليه احد . فاخذ دواة وقلماً وكتب في ورقة صورة نصب البيت جميعه وان الخزانة موضع كذا والستارة الفلانية موضع كذا وكتب جميع ما في البيت . ثم طوى الكتاب وامر برفع المتاع واخذ الشاش والطربوش واخذ الفرجية والكيس وابقـاها عنده وقفل عليها بقفل من حديد وختم عليهِ الى ان يصل ابن اخيهِ حسن البصري

واما بنت الوزير فتمت اشهرها وولدت ولدًا مثل القمر يشبه والده في الحسن والكمال والبهاء والجمال فطيبوه وكحلوا مقلته وسلموهُ الى المربيات وسموه عجيبًا . فصار يومهُ بشهر . وشهره بسنة . فلما مرَّ عليهِ سبع سنين اعطاه لفقيهٍ واوصاه ان يربيه ويقرئه ويحسن تربيته . فاقام في المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم ويقول لهم : من فيكم مثلي . انا ابن وزير مصر . فقام الاولاد واجتمعوا يشكونهُ العريف مما قاسوه من عجيب . فقال لهم العريف : غدًا عند ما يجيْ اعلمكم شيئًا تقولونه لهُ فيتوب عن المجيْ للمكتب . وذلك انهُ اذا جاء غدًا فاقعدوا حولهُ وقولوا لبعضكم بعضًا ما يلعب معنا هذه اللعبة الَّا من يقول لنا عن اسم امه وابيهِ . ومن لا يعرف اسم امه وابيهِ فهو ابن حرام فلا يلعب معنا . فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحاطت بهِ الاولاد فقالوا : نحن نلعب لعبةً ولكن ما يلعب معنا الَّا من يقول لنا عن اسم امه وابيه . فقالوا : طيب . فقال واحد منهم : اسمي ماجد وامي علويَّة وابي عز الدين . وقال الآخر مثل قوله : والآخر كذلك . الى ان جاء الدور الى عجيب فقال : انا اسمي عجيب وامي سيدة الحسن وابي شمس الدين الوزير بمصر . فقالوا لهُ : ان الوزير ما هو ابوك . فقال لهم عجيب : الوزير ابي حقيقةً . فعند ذلك ضحكت عليهِ الاولاد وصفقوا لهُ بايديهم وقالوا : ما يُعرف لهُ اب . قُم من عندنا فلا يلعب معنا الَّا من يعرف اسم ابيه . ففي الحال تفرقت الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه . فضاق صدره وانخنق بالبكاء . فقال لهُ العريف : نعرف ان الوزير جدك ابو امك سيدة الحسن لا ابوك . واما ابوك فلا تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للاحدب السائس . ولا لك اب يُعرف ولا تعد انت فتمتهن صغار الكتَّاب دون ان تعرف لك ابًا . الا ترى ان ابن البياع يُعرف بابيه . وانت

جدك وزير مصر واما ابوك فلا نعرفه ونحن نقول مالك أب. فاصحَ لعقلك. فلما سمع من العريف والاولاد هذا الكلام وتعييرهم له قام من ساعته ودخل على والدته سيدة الحسن وشكا لها وهو يبكي ومنعهُ البكا من الكلام . فلما سمعت امهُ كلامهُ وبكاءه التهب قلبها بالنار عليه وقالت : يا ولدي ما الذي ابكاك فاحكِ لي قصتك . فحكى لها عجيب ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال لها: يا والدتي من هو ابي . فقالت له: ابوك وزير مصر. فقال لها : لاتكذبي عليَّ فان الوزير ابوكِ انتِ لا ابي انا . فمن هو ابي . فان لم تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخنجر . فلما سمعت والدتهُ ذكر ابيهِ بكت لذكر ولد عمها وتذكرت جلاها على بدر الدين حسن البصري وما جرى لها معه وانشدت تقول هذه الابيات :

اقاموا الوجد في قلبي وساروا ... وقد شطت بهم تلك الديارُ
وبان تجلُّدي من حيث بانوا ... وفارقني وعزَّ الاصطبارُ
ومُذ ساروا سرى عني سروري ... وقد عُدم القرار فلا قرارُ
واجروا بالفراق دموع عيني ... فادمعها ببعدهم غزارُ
اذا ما اشتقت يوماً ان اراهم ... وطال بهم حنينٌ وانتظارُ
امثل شخصهم في وسط قلبي ... لحزنٌ واشتياقٌ وافتكارُ
ايا من ذكرهم اضحى دثاري ... وما لي غير ودهم شعارُ
احبَّتنا الى كم ذا التمادي ... وكم هذا التباعد والنفارُ

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها . واذا بالوزير دخل عليهما فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال : ما يبكيكما . فاخبرتهُ بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى هو ايضاً. ثم تذكر اخاه وما اتفق له معهُ وما اتفق لابنته . ولم يعلم ما في

باطن الامر . ففي الحال قام الوزير ومشى حتى صعد الى الديوان ودخل على الملك واخبره بالقصة وطلب منهُ الاذن في السفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن اخيه . وطلب من السلطان ان يكتب لهُ مراسيم لسائر البلاد ان يأخذ ابن اخيهِ في اي موضع وجده . ثم بكى بين يدي السلطان فرقَّ لهُ قلبه وكتب لهُ مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك الوزير ودعا للسلطان وودَّعه . وفي الحال نزل وتجهز للسفر واخذ ما يحتاج اليهِ وبنتهُ وولده عجيباً وسافر اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار وانهار كما قال فيها الشاعر :

من بعد يومي في دمشق وليلتي ... حلف الزمان بمثلها لا يغلطُ
بتنا وجنح الليل في غفلاتهِ ... ومن الصباح عليهِ فرعٌ اشمطُ
والطلّ في تلك الغصون كأنهُ ... درٌّ يصافحهُ النسيم فيسقطُ
والطير يقرأُ والغدير صحيفةٌ ... والريح تكتب والغمام ينقطُ

فنزل الوزير في ميدان الحصى ونصب خيامهُ وقال لغلمانه : نأخذ الراحة هنا يومين . فدخلت الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني امية الذي ما في الدنيا مثله . وخرج عجيب هو وخادمه ودخلا المدينة يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب بنبوت لو ضرب بهِ جمل ما عطس . فلما نظر اهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله . وبهائه وكماله . وهو غلام بديع الجمال . رخيم الدلال . الطف من نسيم الشمال . واحلى للظمآن من الماء الزلال . والذّ من العافية لصاحب السقام . تبعهُ جمٌّ غفير يجري وراءه ويسبقه وقعدوا في الطريق حتى يمرَّ بهم وينظروه الى ان وقف العبد بالامر المقدر على دكان ابيهِ بدر الدين حسن وكان قد نبت عذاره وتكامل عقله

في مدة الاثنتي عشرة سنة . وكان قد مات الطبَّاخ واخذ بدر الدين حسن مالهُ ودكانه لانهُ اعترف عند القضاة والشهود انهُ ولده . فلما كان ذلك اليوم وقف ولده والخادم عليهِ . فنظر الى ولده عجيب فوجده في غاية الحسن . فخفق فؤاده وحنَّ الدم الى الدم وتعلق بهِ قلبه . وكان قد طبخ حبَّ رمان محلّى وهاجت فيهِ المحبة الابويَّة فنادى ولده عجيبًا وقال : يا سيدي يا من ملك قلبي وفؤادي وحنَّ اليهِ كبدي . هل لك ان تدخل عندي وتجبر قلبي وتاكل من طعامي . ثم دمعت عيناه بالدموع من غير اختياره . وافتكر في ما كان فيهِ وما هو فيهِ تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حنَّ قلبهُ لهُ ونظر الى الخادم وقال لهُ : ان هذا الطبَّاخ حنَّ قلبي لهُ وكأنهُ قد فارق ولدًا لهُ فادخل بنا عنده لنجبر قلبهُ ونأكل ضيافته لعلهُ بمجابرتنا لهُ يجمع الله شملنا بابينا . فلما سمع الخادم كلام عجيب قال : طيب تكون ولد الوزير وتاكل في دكان الطباخ . ولكن انا احجب الناس عنك بهذه العصا خوفًا من ان ينظروا اليك والّا فما آمن عليك ان تدخل الى الدكان ابدًا . فلما سمع بدر الدين حسن كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم ودموعهُ سالت على خديه . فقال عجيب للخادم : ان قلبي احبه . فقال لهُ الخادم : دعنا من هذا الكلام ولا تدخل . فعند ذلك التفت ابو عجيب للخادم وقال لهُ : يا كبير لايّ شيء ما تجبر خاطري وتدخل عندي يا من قال فيهِ بعض واصفيه . . . . فضحك الخادم وقال : اي شيء قلتَ فبالله قُل وأوجز . في الحال انشد بدر الدين حسن وجعل يقول هذه الابيات :

لولا تأدبه وحسن ثقاته   ما كان في دار الملوك محكَّمًا
وعلى الوليد فيا لهُ من خادمٍ   من حسنهِ خدَمتهُ املاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبًا ودخل الدكان . فعرف بدر الدين

حسن زبديّة حب رمان عالية وكانت بلوز وسكّر . فأكلوا سواء . فقال لهم بدر الدين حسن : آنستمانا فكلا هنيئاً مريئاً . ثم ان عجيباً قال لوالده : اقعد كُل معنا لعلّ الله يجمعنا بمن نريد . فقال بدر الدين حسن : يا والدي على صغر سنك بُليت بفرقة الاحباب : فقال عجيب : نعم يا عم احترق قلبي بفراق الاحباب وهو والدي وقد خرجت انا وجدّي نطوف عليهِ البلاد . فواحسرتاه على جمع شملي وبكى بكاء شديداً . فبكى والده لفراقهِ وبكائه وتذكر فرقة الاحباب و بعده عن والده ووالدته . فحزن لهُ الخادم واكلوا جميعاً الى ان اكتفوا . ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان بدر الدين حسن فشعر ان روحهُ فارقت جسده وراحت معهما . فما قدر يصبر عنهما لحظة واحدة . فقفل الدكان وتبعهما وهو لا يعلم انهُ والده واسرع في مشيه حتى لحقهما قبل ان يخرجا من الباب الكبير . فالتفت الطواشي وقال لهُ : مالك . فقال لهما بدر الدين حسن : لما نزلتما من عندي شعرت ان روحي راحت معكما ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكما حتى اقضي حاجتي وارجع . فغضب الطواشي وقال لعجيب : كنت خائفاً من هذا اكلنا لقمة كانت مشؤومة وها هو تابعنا من موضع الى موضع . فالتفت عجيب فلقي الطبّاخ خلفهُ . فاغتاظ واحمرّ وجههُ ثم قال للخادم : دعهُ يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وعرفنا انهُ تبعنا نطرده . فاطرق راسهُ ومشى والخادم وراءه . فتبعهما بدر الدين حسن الى ميدان الحصى وقربا من الخيام . فالتفتا ورأياهُ خلفهما فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جدّه فامتزج بالغضب وساءه أن يُقال انهُ دخل دكان الطباخ وان الطبّاخ تبعهُ . فالتفت ووجد عينهُ في عينه وقد صار كأنهُ جسد بلا روح . فظنّ عجيب ان عينهُ عين خائن . فازداد غضباً فاخذ حجراً وضرب بهِ والده فوقع بدر الدين حسن مغشياً

عليهِ . وسال الدم على وجهه وسار عجيب والخادم الى الخيام . واما بدر الدين حسن فانهُ لما افاق مسح دمهُ وقطع قطعة من عمامته وعصب رأسهُ ولام نفسهُ وقال : انا ظالم الصبي غلقت دكاني وتبعتهُ حتى ظنَّ اني خائن . فرجع الى دكانه وباع طعامه وصار يتشوَّق الى والدتهِ التي في البصرة ويبكي عليها وانشد يقول :

لاتسأل الدهر انصافاً فتظلمهُ ولا تلمهُ فلم يخلق لانصافِ
خُذ ما تيسر والقِ الهمَّ ناحيةً لابدَّ من كدرٍ فيهِ ومن صافي

ثم ان بدر الدين حسن استمرَّ ببيع طعامه . واما الوزير عمهُ فانهُ اقام في دمشق ثلاثة ايام ثم رحل طالباً حمص . فدخل اليها وفتش في طريقه اينما حلَّ واستمرَّ في سيره الى ان وصل الى ديار بكر وماردين والموصل . ولم يزل سائرًا الى مدينة البصرة فدخلها . فلما استقرَّ بهِ المنزل دخل الى سلطانها واجتمع بهِ فاحترمهُ واكرم منزلهُ وسألهُ عن سبب مجيئه . فاخبره بقصته وان اخاه الوزير نور الدين علي . فترحم عليهِ السلطان وقال لهُ : ايها الصاحب كان وزيري وكنت احبهُ من مدة خمس عشرة سنة ومات وخلف ولدًا وما اقام بعد موته الَّا شهرًا واحدًا ولقد تاه ولم نطلع لهُ على خبر . غير ان امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير

فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال : يا ملك اني اريد اجتمع بها . ففي الحال أذن لهُ ودخل اليها في دار اخيه نور الدين فجال ببصره في نواحيها وقبَّل اعتابها وافتكر في اخيه نور الدين وكيف مات غريباً فبكى وانشد يقول :

امرُّ على الديار ديار صحبي اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابًا معقودًا بالحجر مفروشًا بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار ونظرها . وجال بطرفه فيها فوجد اسم اخيهِ نور الدين مكتوبًا عليها بماء الذهب فاتى الى الاسم وقبَّله . وبكى وتذكر فرقته فانشد يقول هذه الابيات :

استخبر الشمس عنكم كلما طلعت ۝ واسأل البرق عنكم كلما لمعا
ابيت والشوق يطويني وينشرني ۝ في راحتيهِ ولا اشكو لهُ وجعا
احبابنا ان يكن طال المدى فلكم ۝ قد قطع القلب مني بعدكم قطعا
فلو تمنوا على طرفي برؤيتكم ۝ لكان احسن اذ ما بيننا جمعا
لا تحسبوا انني بالغير مشتغلٌ ۝ ان الفؤَاد لحبِّ الغير ما وسعا

ثم انهُ صار يمشي الى ان جاء الى قاعة زوجة اخيه ام بدر الدين حسن المصري . وكانت في مدة غيبة ولدها لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار . فلما طالت عليها السنين عملت لولدها قبرًا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليهِ ليلًا ونهارًا ولا تنام الَّا عند ذلك القبر . فلما وصل الوزير الى مسكنها سمع صوتها . فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر وتقول :

بالله يا قبر هل زالت محاسنهُ ۝ وهل تغيَّر ذاك المنظر النضرُ
يا قبر ما انتَ لا روضٌ ولا فلكٌ ۝ فكيف يجمع فيكَ الغصن والقمرُ

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم . واعلمها انهُ اخو زوجها . ثم اخبرها بما جرى وكشف لها القصة وان ابنها بدر الدين حسنًا اقترن بابنته من مدة عشر سنين وفُقد عند الصباح . وان ابنتي حملت وولدت ولدًا وهو معي وانهُ ولدكِ وولد ولدكِ من ابنتي . فلما سمعت خبر ولدها وانهُ حيّ ورأَت سلفها فعند ذلك قامت ووقعت على قدميه وقبَّلتهما وانشدت تقول :

لله درُّ مبشري بقــدومهم فلقد اتى باطايب المسموعِ
لو كان يقنع بالخليع وهبتــهُ قلباً تقطع ساعة التوديعِ

ثم ان الوزير ارســل الى عجيب من يحضره . فلما حضر قامت جدته واعتنقتهُ وبكت . فقــال لها شمس الدين : ما هذا وقت بكاء هذا وقت تجهيزكِ للسفر معنــا الى ديار مصر . عسى الله يجمع شملنا وشملكِ بولدكِ ابن اخي . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم قامت من وقتها وجمعت مصالحها وذخائرها وجواريها وفي الحال تجهزت وذهب الوزير شمس الدين الى سلطــان البصرة وودعه . فبعث معهُ هدايا وتحفاً الى سلطان مصر وسافر من وقته الى ان وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه : نقيم بها جمعةً الى ان نشتري للسلطــان هدايا وتحفاً . ثم قال عجيب للطواشي : يا لائق اني اشتقت الى الفرجة فقم بنــا ننزل الى السوق ونعبر دمشق وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا قد اكلنا طعامه وشججنا رأسه وهو قد كان احسنَ الينــا ونحن اسأنا اليه . فقال الطواشي : سمعاً وطاعة . ثم ان عجيباً خرج من الخيــام هو والطواشي وحركتهُ القرابة لوالده . وفي الحال دخلا الى المدينة وما زالا سائرَين الى ان وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفــاً في الدكان وكان الوقت قريب العصر . وقد وافق الامر انهُ طبخ حبَّ رمان . فلما قربا منــهُ ونظر عجيب اليهِ حنَّ لهُ ونظر الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال لهُ : السلام عليك يا هذا . اعلم ان خاطري عندك . فلما نظر اليهِ بدر الدين تقلقلت احشاؤُه وخفق فؤَاده واطرق برأسه الى الارض واراد ان يدير لسانه في فمه فما قدر . ثم انهُ رفع رأسهُ الى ولده خاضعاً متذللاً وانشد يقول هذه الابيات :

تمنيت من اهوى فلما رأيتهُ ذهلت فلم املك لساناً ولا طرفا

واطرقت اجلالاً لهُ ومهابةً وحاولت ان اخفي الذي بي فلا يخفى
وقد كان عندي للعتاب دفاترٌ فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

ثم قال لهما : اجبرا قلبي وكلا من طعامي . فاعلم ايها الغلام اني ما نظرت اليك الّا خفق قلبي وما كنت تبعتك الّا وانا بغير عقل . فقال عجيب : انت محبٌ لنا ونحن اكلنا عندك لقمة لزمتنا عقبها واردت تهتكنا . ونحن لا ناكل لك اكلًا الّا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا . ولا تظنّ اننا ما نرجع اليك لاننا نقيم هنا جمعة زمان حتى يأخذ جدّي هدايا للملك . فقال بدر الدين : لكما ذلك . فدخل عجيب هو والخادم الدكان فقدم لهما زبديّة حب رمان . فقال عجيب : كُل معنا لعلّ الله يفرج عنا . ففرح بدر الدين واكل معهما وهو باهت في وجهه وقد تعلق قلبهُ وجوارحه معه . فقال لهُ عجيب : أما قلت انك ثقيل فحسبك تطيل النظر الى وجهي . فلما سمع بدر الدين كلام ولده انشد يقول :

لكَ في القلوب سريرةٌ لاتظهرُ مطويّةٌ مكنونةٌ لا تنشرُ
أأذوب من حرقي ووجهك جنتي واموت من ظمإي وثغرك كوثرُ

فصار بدر الدين يلقم عجيباً ساعة . ويلقم الطواشي ساعة . فاكلا حتى اكتفيا وقاما . فقام حسن البصري وصبّ على ايديهما الماء وحلّ فوطة حرير من وسطه فمسح ايديهما بها ورشّ عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان وعاد بقلّة شراب ممزوجة بماء الورد الممسك وقدمها بين ايديهما وقال : اتمّا احسانكما . فاخذ عجيب وشرب وناول الخادم فشربا حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعاً بخلاف عادتهما ثم انصرفا واسرعا في مشيهما حتى وصلا الى الخيام ودخل عجيب على جدته ام والده بدر الدين حسن فقبلتهُ وافتكرت في ولدها بدر الدين حسن فتنهدت وبكت ثم انها قالت :

قد كنت ارجو بان الشمل يجتمعُ   ما كان لي في حياتي بعدكم طمعُ
اقسمت ما في فؤادي غير حبكمُ   والله ربي على الاسرار مطلعُ

ثم قالت لعجيب : ياولدي اين كنت . قال : في مدينة دمشق . فعند ذلك قامت وقدمت لهُ زبديَّة طعام حبَّ رمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم : اقعد مع سيدك . فقال الخادم في نفسه : والله ما لنا نفس ناكل وجلس الخادم . واما عجيب فلما جلس كان بطنهُ ملآن مما أكل وشرب . فاخذ لقمةً وغمسها في حب الرمان وأكل فوجده قليل الحلاوة لانهُ كان شبعان فقال : أُفوه اي شيء هذا الطعام البشع . فقالت جدته : يا ولدي تعيب طبيخي وانا طبختهُ ولا يحسن احد الطبخ مثلي الّا والدك بدر الدين حسن . فقال عجيب : يا جدتي ان طبيخك هذا بشع . نحن في هذه الساعة رأينا في المدينة طباخاً طبخ حب رمان رائحتهُ ينفتح لها القلب . واما طعامهُ فانهُ يشتهى ان يؤكل . واما طعامكِ عنده فلا يساوي كثيراً ولا قليلاً

(الليلة الرابعة والعشرون) . فلما سمعت جدة عجيب كلامه اغتاظت غيظاً شديداً ونظرت الى الخادم وقالت لهُ : ويلك انت أفسدت ولدي لانك دخلت بهِ الى دكاكين الطبَّاخين . فخاف الطواشي وانكر وقال : ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازاً . فقال عجيب : دخلنا واكلنا وهو احسن من طعامكِ . فقامت جدَّته واخبرت اخا زوجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدَّام الوزير فقال لهُ : لمَ دخلت بولدي دكان الطبَّاخ فخاف الخادم وقال : ما دخلنا . فقال عجيب : دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وسقانا الطبَّاخ شراباً بثلج وسكَّر . فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فانكر . فقال لهُ الوزير : ان كان كلامك صحيحاً فاقعد وكُل قدامنا فعند ذلك تقدَّم الخادم واراد ان

يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال : يا سيدي اني شبعان من البارحة . فعرف الوزير انهُ أكل عند الطبَّاخ . فامر العبيد ان يطرحوه فطرحوه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال : يا سيدي لا تضربني وانا اقول لك الصحيح . فكفَّ عن ضربهِ وقال لهُ : انطق بالحق . فقال لهُ : اعلم انا دخلنا دكان الطبَّاخ وهو يطبخ حب الرمان فحطَّ لنا منهُ وما أكلت عمري مثلهُ ولا ذقت انحس من هذا الذي قدَّامنا . فغضبت ام بدر الدين حسن وقالت : لا بدَّ ان تروح لهذا الطبَّاخ وتجيء لنا بزبدية حبّ رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن واطيب . فقال الخادم : نعم . في الحال اعطته زبديَّةً ونصف دينار . فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطبَّاخ : نحن تراهنَّا على طعامك في بيت سيدنا لان عندهم حبّ رمان فهات لنا بهذا النصف دينار وأدرِ بالك . فقد اكلنا الضرب الموجع على طبيخك . فضحك بدر الدين حسن وقال : هذا الطعام ما يحسنهُ احد الَّا انا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة . ثم انهُ اخذ الزبديَّة وغرف فيها وختمها بالمسك وماء الورد . فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم . فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودة طبخها فعرفت طبَّاخها . فصرخت ثم وقعت مغشياً عليها . فبهت الوزير ثم رشَّ عليها ماء الورد وبعد ساعة افاقت وقالت : ان كان ولدي في الدنيا فما طبخ حبَّ الرمان هذا الَّا هو . وهو ولدي بدر الدين حسن لا شك فيهِ ولا محالة . لان هذا طعام ما احد يطبخه غيره الَّا انا لاني علَّمته طبيخه . فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحاً شديداً وقال : واشوقاه الى رؤية ابن اخي . أُترى تجمع الايام شملنا بهِ وما نطلب الاجتماع بهِ الَّا من الله تعالى

ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال :

ليمضِ منكم عشرون رجلًا الى دكان الطبّاخ ويهدموها ويكتفوه بعمامتهِ ويجرّوه غصبًا اليَّ من غير اذية تحصل لهُ . فقالوا: نعم . ثم ان الوزير ركب من وقتهِ الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال لهُ : واين هو غريمك . قال : رجل طبّاخ . في الحال امر حجّابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسور . لانه لما توجه الى دار السعادة فعل جماعته ما امرهم بهِ . فقعدوا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة . وبدر الدين حسن يقول : يا ترى اي شيء رأوا في حبّ الرمان حتى صار لي هذا الامر . فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد اذن لهُ في اخذ غريمه وسفره بهِ دخل الخيام وطلب الطبّاخ فاحضروه مكتفًا بعمامته . فلما نظر بدر الدين حسن الى عمه بكى بكاء شديدًا وقال : يا مولاي ما ذنبي عندكم . فقال لهُ : انت الذي طبخت حبّ الرمان . قال : نعم فانتم وجدتم فيهِ شيئًا يوجب ضرب الرقبة . فقال الوزير : هذا اقلّ جزائك . فقال لهُ : يا سيدي ما تعرّفني بذنبي . فقال لهُ الوزير : نعم في هذه الساعة . ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال : هاتوا الجمال . واخذوا بدر الدين حسن معهم وادخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى الليل . فحطوا واكلوا شيئًا من الطعام واخرجوا بدر الدين فاطعموه وأعادوه الى الصندوق . ولم يزالوا كذلك الى ان وصلوا الى ديار مصر . فاخرجوا بدر الدين حسنًا من الصندوق وقال لهُ الوزير : انت الذي طبخت حبّ الرمان . قال : نعم يا سيدي . فقال الوزير : قيدوه فقيدوه واعادوه الى الصندوق وساروا الى ان وصلوا مصر وقد نزلوا في الزيدانية . فامر باخراج بدر الدين حسن من الصندوق وامر باحضار نجّار وقال لهُ : اصنع لهذا لعبة خشب . فقال بدر الدين حسن :

وما تصنع بها . فقال : اشنقك عليها واسمّرك على اللعبة ثم ادور بك المدينة كلها . فقال : على اي شيء تفعل لي ذلك . فقال الوزير : على نحس طبيخك حبّ الرمان كيف طبخته وهو عاوز فلفل . فقال له : ولكونه عاوز فلفل تصنع معي هذا كله . وما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني اكلة واحدة . فقال الوزير : عاوز فلفل وما جزاؤك الّا القتل . فتعجب بدر الدين وحزن على روحه . فقال له الوزير : فيمَ تفكّر : فقال له : في العقول السخيفة التي مثل عقلك . فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الفعال . فقال له الوزير : يجب علينا ان نُؤذيك حتى لا تعود لمثله . فقال بدر الدين حسن : ان الذي فعلته معي اقل شيء فيه أذيتي . فقال له : لا بدّ من شنقك . كل هذا والنجّار يصلح الخشب وهو ينظر . ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه ورماه في الصندوق وقال : في غدٍ يكون الامر وصبر عليه حتى عرف انه نام . فقام وحمل الصندوق وركب وحطه قدّامه ودخل المدينة وسار الى ان دخل بيته : ثم قال لابنته سيدة الحسن : الحمد لله الذي جمع شملكِ بابن عمكِ قومي افرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء . فقامت اوقدت الشموع وقد اخرج الوزير الورقة المصوَّرة التي كان صوَّرها بنصبة البيت ووضعوا كل شيء مكانه . حتى ان الرائي اذا رأى ذلك لا يشك انها ليلة الجلاء بعينها . ثم امر الوزير ان يحطوا شاش بدر الدين في مكانه كما كان حطه بيده وكذلك الكيس الذي تحت الطرّاحة . ثم ان الوزير امر ابنته وقال لها : اذا دخل ابن عمكِ . فقولي له : ابطأت في رجوعك وتحدّثي معه الى النهار نكشف له هذا التاريخ . ثم ان الوزير اخرج بدر الدين من الصندوق بعد ان فكّ القيود من رجليه . كل هذا وهو نائم لا يعلم . فبالامر المقدّر انقلب بدر الدين وانتبه فوجد نفسه في دهليز نيّر . فقال في نفسه :

انا في اضغاث احلام . ثم قام بدر الدين تمشى قليلاً الى باب ثانٍ ونظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه العروسة ورأى الكلة والكرسي . ونظر عمامته وحوائجه . فلما نظر ذلك بُهت وصار يقدم رجلاً ويؤخر اخرى وقال : انا نائم ام يقظان . وصار يمسح جبينهُ ويقول وهو متعجب : هذا مكان العروسة التي جُليت عليَّ فاين انا فاني كنت في صندوق . فبينما هو يخاطب نفسه واذا بسيدة الحسن قالت لهُ : يا سيدي ما تدخل فانك ابطأت . فلما سمع كلامها ونظرها ضحك وقال : اني في اضغاث احلام . ثم دخل وتنهد وتفكَّر في ما جرى لهُ وتحيَّر في امره . وأشكلت عليه قضيته لمَّا رأى شاشه والكيس الذي فيه الالف دينار . فقال : الله اعلم اني في اضغاث احلام . فعند ذلك قالت لهُ سيدة الحسن : مالك تتعجب وتبهت ما كنت كذا اول الليل . فضحك وقال : كم لي غائب عنكِ . فقالت لهُ : سلامتك اسم الله حواليك انت خرجت تقضي لك شغلاً وترجع فهل عدم عقلك . فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال : صدقتِ ولكن لمَّا خرجت من عندكِ حلمت اني كنت طباخاً في دمشق واقمت بها عشر سنين وكأني جاءني صغير وهو من اولاد الاكابر ومعه خادم . ثم ان بدر الدين حسن مسَّ بيده جبينهُ فرأى اثر الضرب عليه فقال : يا سيدتي كانه حق لانهُ ضربني على جبيني فشجهُ فكانه في اليقظة . ثم قال : كانهُ من ساعة فارقتكِ رايته في المنام ورأيت كأني سافرت الى دمشق بلا طربوش وصرت طباخاً . ثم بُهت ساعةً وقال : كأني رأيت اني طبخت حبَّ رمان وفلفلهُ قليل . والله ما كأني الَّا نمت ورأيت هذا كلهُ في المنام . فقالت لهُ سيدة الحسن : بالله عليك اي شيء رأيت زيادة على ذلك . فحكى لها . فعند ذلك قال بدر الدين حسن : لولا اني تنبهت لكانوا سمروني على لعبة خشب . فقالت

له : على اي شيء . فقال : على قلة فلفل حب الرمان وكانهم خربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاءوا بالنجار يصنع لي خشبةً لانهم ارادوا شنقي . فالحمد لله على ان ذلك كله جرى لي في المنام وما كان في اليقظة . فضحكت سيدة الحسن . ثم تفكر وقال : ما كانهُ الَّا في اليقظة . فانا ما عرفت ما هي القضية . ثم انهُ بات وهو متحيّر في امره تارةً يقول : انا حلمت . وتارةً يقول : كنت في اليقظة . ولا زال كذلك الى الصباح . فدخل عليهِ عمه شمس الدين الوزير فسلم عليه . فنظر اليهِ بدر الدين حسن وقال : ما انت الذي امرت بتكتيفي وتسميري وتخريب دكاني من شأن حبّ الرمان لكونه عاوز فلفل . فعند ذلك قال لهُ الوزير : اعلم يا ولدي انهُ ظهر الحق وبان ما هو مختفٍ . انت ابن اخي وما فعلت ذلك الَّا لاجل ان اتأكد انك الذي اقترنت ببنتي وما تحققت ذلك الَّا لكونك عرفت البيت وعرفت شاشك وذهبك والورقة التي بخطك والتي كتبها والدك اخي . فاني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت اعرفك واعلم ان امك جئت بها معي من البصرة . ثم رمى نفسهُ عليهِ وبكى . فلما سمع بدر الدين حسن من عمه هذا الكلام تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح . ثم قال لهُ الوزير : يا ولدي ان سبب ذلك كلهُ ما جرى بيني وبين والدك . وحكى لهُ ماجرى بينهُ وبين اخيه وسبب سفر والده الى البصرة . ثم ان الوزير ارسل الى عجيب . فلما رآه والده قال : هذا هو الذي ضربني بالحجر . فقال الوزير : هذا ولدك . فعند ذلك رمى نفسهُ عليهِ وانشد يقول :

ولقد بكيتُ على تفرُّق شملنا ... زمناً وفاض الدمعُ من اجفاني
ونذرتُ ان عاد الزمانُ يلمُّنا ... ما عدتُ اذكر فرقةً بلساني
هجم السرورُ عليَّ حتى انهُ ... من فرط ما قد سرَّني ابكاني

فلما فرغ من شعره اذا بوالدته اقبلت ورمت نفسها عليه وبكت ثم انها نهضت وحكت له ما وقع لها بعده . وحكى لها ما قاساه فشكر الله تعالى على اجتماع شملهما ببعضهما . ثم ان الوزير شمس الدين ذهب الى السلطان بعد وصوله بيومين . فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه وحياه بتحية الملوك . ففرح به السلطان وبشّ في وجهه وأدناه اليه . ثم استخبره عما رأى في سفرته وجرى له في ذهابه . فاخبره بالقصة من اولها الى آخرها . فقال له السلطان : الحمد لله على ظفرك بالمراد . ورجوعك سالماً الى الاهل والاولاد . ولا بدّ من ان ارى ابن اخيك حسناً البصري فائتني به الى الديوان غداً . فقال له شمس الدين : يحضر عبدك غداً ان شاء الله تعالى . ثم سلّم عليه وخرج . فلما رجع الى داره اخبر ابن اخيه باشتياق السلطان اليه . فقال حسن البصري : المملوك منقاد لامر مولاه . والحاصل انه ذهب الى حضرة السلطان مع عمه شمس الدين . ولما حضر بين يديه حيّاه باكمل التحيّات وافضلها وانشد يقول :

يقبّل الارض من عزّت مراتبهُ بكم وبالنجح قد فازت مطالبهُ
انتم اولو المجد يحظى من يؤملكم عما به في الدنيا تعلو مناصبهُ

فتبسم السلطان واشار اليه بالجلوس فجلس بقرب عمه شمس الدين . ثم سأله الملك عن اسمه فقال له : احقر عبيدك المعروف بحسن البصري الداعي لك ليلاً ونهاراً . فاعجب السلطان كلامه واراد ان يمتحنه فيما يظهر به شأن علمه وادبه فقال له : أَلك علم بتفصيل الحسن . قال : نعم . الصباحة في الوجه . الوضاءة في البشرة . الجمال في الانف . الحلاوة في العينين . الملاحة في الفم . الظرف في اللسان . الرشاقة في القدّ . اللباقة في الشمائل . كمال الحسن في الشعر . وقد جُمع هذا كلهُ في ابيات من بحر الرجز وهي هذه :

صباحة للوجه قل والبشره لها وضاءة فكن ذا تبصره
وبالجمال الانف حقاً يوصفُ وبالحلاوة العيون تعرفُ
نعم وقالوا للفم الملاحه فافهمهُ عني لا عدمت الراحهْ
والظرف في اللسان والرشاقه للقدّ والشمائل اللباقهْ
ثم كمال الحسن قالوا في الشعَر فاصغ الى نظمي وكن ممن عذرْ

فسرّ السلطان بكلامهِ واستأنس به . ثم قال لهُ : ما معنى قولهم في المثل شريحٌ ادهى من الثعلب . فقال : اعلم ايها الملك ايدك الله تعالى ان شريحاً خرج ايام الطاعون الى النجف وكان اذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه فيشغله عن صلاته . فلما طال ذلك عليه نزع يوماً قميصه فجعله على قصبة . واخرج كُمّيه وجعل عمامته عليها وشدّ وسطها ونصبها في محل صلاته . فاقبل الثعلب على عادته فوقف بازائهِ واتاه شريح من خلفه فاخذه . فقيل ما قيل . فلما سمع السلطان ما كشف عنهُ حسن البصري . قال لعمه شمس الدين : ان ابن اخيك هذا كامل في فنّ الادب ولا اظن ان مثلهُ يوجد في مصر . فقام حسن البصري وقبّل الارض بين يديه وقعد قعود المملوك بين يدي مولاه . ثم ان السلطان لما اطّلع على حقيقة ما حصل لحسن البصري من العلوم الادبية فرح فرحاً عظيماً وخلع عليهِ خلعة فاخرة وقلده امراً يستعين بهِ على ما يصلح حاله . ثم قام حسن البصري وقبّل الارض بين يديه ودعا لهُ بالعزّ الدائم واستأذنه في الذهاب مع عمه الوزير شمس الدين فاذن لهُ . فخرج واتى هو وعمه الى البيت . فقُدم لهما الطعام فاكلا ما يسّر الله لهما . ثم دخل حسن البصري بعد الفراغ من الطعام مجلس امرأته سيدة الحسن واخبرها بما اتفق لهُ في حضرة السلطان فقالت لهُ : لا بدَّ من ان يجعلك نديماً لهُ ويوفر لك الصلات والهبات وانت بفضل الله كالنيّر الاعظم

تسطع انوار كمالك حيثما كنت في برّ وبحر . فقال لها : اريد ان اقول قصيدة في مدحه لتزداد محبتي في قلبه . قالت لهُ : اصبتَ فيما نويت . فجوّد الفكرة وتأنَّ في ما تقول . وما اراه الّا مقابلًا لك بالقبول . ثم انفرد حسن البصري ناحيةً ونمق ابياتًا رشيقة المباني . حسنة المعاني . وهي هذه :

لي همامٌ قد سمى أوج العلى ... وهو في نهج الكرام الغرّ سالكْ
أمن الاقطار طرًا عدلهُ ... وعلى اعدائهِ سدّ المسالكْ
يرجعُ العافي غنيًا ان تَرُم ... وصفهُ قصّرت عنهُ في مقالكْ
هو صبحٌ مسفرٌ يوم العطا ... وهو في يوم الوغى كالليل حالكْ
قلّد الاعناق منًّا جودهُ ... وهو بالاحسان للاحرار مالكْ
طوّل الله لنا في عمرهِ ... ووقاه شرّ احداث المهالكْ

فلما فرغ من تحريرها ارسل بها الى حضرة السلطان صحبة عبد من عبيد عمه الوزير شمس الدين . فأطلع عليها الملك وسرّ خاطره بها وقرأها للحاضرين بين يديه . فاثنوا عليه ثناءً عظيمًا ثم استدعاه الى مجلسه فحضر . فقال لهُ الملك : انت من هذا اليوم نديمي وقد عينت لك في كل شهر الف درهم مع ما قلدتك بهِ سابقًا . فقام حسن البصري وقبل الارض بين يديه ثلاث مرات ودعا لهُ بدوام البقاء . ثم ان حسن البصري علا قدره وطار صيته في البلدان وبقي في اجمل حال وارغد عيش مع عمه واهله الى ان ادركتهُ الوفاة . . فلما سمع القصة هرون الرشيد من لسان جعفر تعجب وقال : ينبغي ان تكتب هذه الاحاديث بماء الذهب . ثم اطلق العبد وامر ان يعيّن للشاب في كل شهر ما يطيب بهِ عيشه .

وما هذا باعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي والشاهد والنصراني وما وقع لهم . قال الملك : وما حكايتهم

حكاية الخيَّاط والاحدب واليهودي والشاهد والنصراني

قالت : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان . في مدينة الصين رجل خيَّاط مبسوط الانامل . يحب اللهو والطرب . وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان الى المنتزهات . فخرجا يوماً من اول النهار ورجعا آخره الى منزلها عند المساء . فوجدا في طريقهما رجلاً احدب رؤيته تضحك المغموم وتزيل الهمَّ عن المحزون . فعند ذلك تقدم الخيَّاط وزوجته يتفرجان عليه . ثم انهما دعوه ان يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة . فاجابهما ومشى معهما الى البيت . فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكاً مقلياً وخبزاً وليموناً وعقيداً يحلو بهِ . وأتى وحط السمك قدام الاحدب واكلوا . فأخذت امرأة الخيَّاط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدَّت فمه بكفها وقالت : اقسم عليك ما تاكلها الَّا دفعة واحدة ولا امهلك حتى تمضغها . فبلعها وكانت فيها شوكة قويَّة فانشبكت في حلقه مع انقضاء اجله فمات لساعته

(الليلة الخامسة والعشرون) . اما الخيَّاط فلما رأى ذلك قال : لاحول ولا قوة الَّا بالله العليّ العظيم . مسكين ما جاء موته هكذا الَّا على ايدينا . فقالت المرأة : وما هذا التواني اما سمعت قول القائل :

مالي اعلل نفسي بالمحال على ... امرٍ يكون بهِ همٌّ واحزانُ
كيف الجلوس على نارٍ وما خمدت ... ان الجلوس على النيران خسرانُ

فقال لها زوجها : وما افعل . قالت لهُ : قم واحمله في حضنك وانشر عليهِ فوطة حرير واخرجُ انا قدامك وانت ورائي في هذه الليلة وقل : هذا ولدي وهذه

امه ونحن ذاهبان الى الطبيب ليراه . فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب في حضنه وزوجته تقول : يا ولدي سلامتك اي شيء يوجعك وهذا الجدري كان لك في اي مكان . فكل من رآهما يقول : معهما طفل مريض ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب . فدلوهما على بيت طبيب يهودي . فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغيراً وامرأة معه . فقالت الجارية : ما خبركما . فقالت امرأة الخياط : معنا صغير مرادنا ينظره الطبيب فخذي هذا الربع دينار واعطيه لسيدك وخليه ينزل يرى ولدي فقد لحقهُ ضعف . فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها : اترك الاحدب هنا وخلنا نفوز بانفسنا . فاوقفهُ الخياط واسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته . واما الجارية فدخلت الى اليهودي وقالت لهُ : ان على الباب رجلاً معهُ واحد ضعيف ومعهُ حرمة وقد اعطياني ربع دينار لك لتنزل وتصف لهما ما يوافقه . فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلاً ونزل في الظلام . فاول ما حطَّ رجله عثر بالاحدب وهو ميت فقال : يا للعزيز يا لموسى والعشر كلمات . يا لهارون ويوشع بن نون . كأني عثرت بهذا المريض فوقع الى اسفل فمات . فكيف اخرج بقتيل من بيتي . فحملهُ وصعد به البيت واعلم زوجته بذلك فقالت له : وما قعودك . ان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا انا وأنت . نصعد بهِ السطح ونرميهِ في بيت جارنا المسلم . وكان جاره رجلاً شاهداً مشرفاً على مطبخ السلطان . وهو كثيراً ما يأتي بالدهن الى بيته وتأكله القطط والفيران . وان غاب عنهُ ليلة تنزل عليهِ الكلاب من السطوح وتجرهُ وقد أذتهُ كثيراً في جميع ما يأتي به . فخرج اليهودي وزوجته وهما حاملان الاحدب وانزلاه بيديه ورجليه الى الارض وخلياه ملاصق الحائط وانزلاهُ وانصرفا .

وما كاد ينزل الاحدب الّا والشاهد جاء الى البيت وفتحهُ فصعد ومعهُ شمعةٌ موقدة فوجد ابن آدم واقفاً في الزاوية تحت البادهنج فقال لهُ الشاهد : واه. بحياتي طيب . ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الّا ابن ادم . فالتفت اليهِ وقال لهُ : هذا اللحم والدهن تأخذه انت وانا احسب الذنب من القطط والكلاب . وانا قتلت قطط الحارة وكلابها ودخلت في خطيتها وانت تنزل من السطوح . ثم اخذ مطرقة عظيمة وهمز بها وصار عنده وضربه على صدره فوجده مات . فحزن وقال : لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم وخاف على نفسه وقال : لعن الله الدهن والألية . وكيف فرغت منية هذا الرجل على يدي . ثم نظر اليهِ فاذا هو احدب فقال : ما يكفي انك احدب حتى تصير لصاً وتسرق اللحم والدهن . يا ستّار استرني بسترك الجميل . ثم حملهُ على اكتافه ونزل بهِ من بيته آخر الليل وما زال بهِ الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وراح . واذا بنصراني سمسار السلطان وكان سكران . فخرج يريد الحمام فقال لهُ سكره : ان التسبيح قريب . فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجلس يبول قباله وهو لا يراه . فلاحت منهُ التفاتة واذا بواحد واقف . وكان النصراني قد خطفوا عمامته في اول تلك الليلة . فلما رأى الاحدب قائماً اعتقد انهُ يريد يخطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع على الارض . وصرخ النصراني على خفير السوق ونزل على الاحدب من شدة سكره وبقي يلكمه ويخنقه خنقاً . فجاء الخفير فوجد النصراني باركاً على المسلم يلكمه . فقال لهُ الخفير : ما لهذا . فقال لهُ النصراني : هذا اراد ان يخطف عمامتي . فقال لهُ الخفير : قم عنهُ . فقام . فتقدم اليهِ فوجدهُ ميتاً . فقال الخفير : طيب . نصراني يقتل مسلماً . ثم مسك الخفير النصراني وكتفه وجاء بهِ الى بيت الوالي . والنصراني يقول في نفسه : يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما اسرع

ما مات من لكمة واحدة . فراحت السكرة وجاءت الفكرة . ثم ان الاحدب والنصراني باتا في بيت الوالي الى الصباح . واصبح الوالي فامر بشنق القاتل وامر المشاعلي ان ينادي عليه . ونصب للنصراني خشبة واوقفهُ تحتها وجاء المشاعلي فرمى في رقبة النصراني الحبل واراد ان يعلقه . واذا بالشاهد قد شقَّ الناس فرأى النصراني وهو رائح يُشنق . فدفع الناس وقال للمشاعلي : لا تفعل انا الذي قتلته فقال له الوالي : لايّ شيء قتلته . قال : اني ذهبت الليلة الى بيتي فرأيتهُ نزل من الباذهنج وسرق رحلي فضربته بمطرقة على صدره فمات . فحملته وجئت الى السوق واوقفته في موضع كذا في عطفة كذا . ثم قال الشاهد : ما كفاني اني قتلت مسلماً حتى اقتل نصرانياً فلا تشنق غيري . فلما سمع الوالي كلام الشاهد اطلق النصراني السمسار وقال للمشاعلي : اشنق هذا باعترافه . فاخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة الشاهد وأوقفه تحت الخشبة واراد ان يعلقه . واذا باليهودي الطبيب قد شق القوم وصرخ على الناس وعلى المشاعلي وقال له : لا تفعل ما قتله الَّا انا . وهو اني في هذه الليلة كنت في بيتي واذا برجل وامرأة دقَّا الباب ومعهما هذا الاحدب ضعيف فدفعا للجارية ربع دينار فاعلمتني واعطتني اياه . واما الرجل والمرأة فادخلاه في البيت ووضعاه على السلم وذهبا . فنزلت لانظره وانا في الظلام فعثرت فيهِ فوقع من فوق السلم الى اسفل فمات من وقته . فحملتهُ انا وزوجتي ثم صعدنا بهِ الى السطح . ودار الشاهد هذا بجوار داري . فأرخينا هذا الاحدب وهو ميت في الباذهنج متاع الشاهد . فلما طلع هذا الشاهد وجده في بيته فاعتقد انهُ لصّ فضربه بمطرقة فوقع على الارض فاعتقد انهُ قتله . فما كفاني اني قتلت مسلماً بغير علمي حتى آخذ في ذمتي مسلماً آخر بعلمي

فلما سمع الوالي كلام اليهودي قال للمشاعلي : اطلق الشاهد واشنق

اليهودي . فاخذه المشاعلي وحطَّ الحبل في رقبته واذا بالخياط شقَّ الناس وقال للمشاعلي : لاتفعل . ما قتلهُ الَّا انا . وذلك اني كنت بالنهار اتفرَّج وجئت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعهُ دفٌ وهو يغني . فدعوته وجئت بهِ الى بيتي واشتريت سمكًا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودسَّتها في حنكه فازورَّ بعضه في حنكهِ فمات لوقته . فاخذتهُ انا وزوجتي وجئنـا بهِ لبيت اليهودي . فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب . فقلت لها : قولي لسيدكِ ان بالباب امرأة ورجلًا ومعهما ضعيفٌ تعالَ انظره . واعطيتها ربع دينار . فذهبت لسيدها . وحملت انا الاحدب الى راس السلم واسندتهُ . ومضيت انا وزوجتي . فـنزل اليهودي فعثر فيهِ فظن انهُ قتله . ثم قال الخياط لليهودي : صحيح . قال : نعم . والتفت الخياط الى الوالي وقـال لهُ : اطلق اليهودي واشنقني . فلما سمع الوالي كلامه تعجب من امر هـذا الاحدب وقال : ان هذا امر يؤرخ في الكتب . ثم قال للمشاعلي : اطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه . فقدمهُ المشاعلي وقال : تعبنا نقدم هذا ونؤخر هذا ولا يُشنق احد . ثم وضع الحبل في رقبة الخياط

فهذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر الاحدب فقيل انهُ كان مسخرة للسلطان وكان لايقدر ان يفارقهُ . فلما سكر الاحدب وغاب عنـهُ تلك الليلة وثاني يوم الى نصف النهار سأل عنهُ بعض الحاضرين فقـالوا لهُ : يامولانا ذهب بهِ الوالي وهو ميت وامر بشنق قاتله . ولما نزل الوالي ليشنق القاتل حضر ثانٍ وثالث وكل واحد يقول ما قتلهُ الَّا انا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتلـه . فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال : انزل الى الوالي وائتني بهم جميعاً . فنزل الحاجب فوجد المشاعلي موشكًا ان يشنق الخياط . فصرخ عليهِ الحاجب وقال : لاتفعل . واعلم الوالي بقصة الملك . فاخذه واخذ الاحدب معهُ

محمولاً والخياط واليهودي والنصراني والشاهد وذهب بالجميع . فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكى لهُ ما جرى من الجميع . وليس في الاعادة افادة . فلما سمع الملك الحكاية تعجب واخذهُ الطرب . وأمر ان يؤرخ ذلك بماء الذهب . وقال للحاضرين : هل سمعتم باعجب من قصة هذا الاحدب

حكاية الشاب المقطوع اليد

فعند ذلك تقدم النصراني وقال : ياملك الزمان ان اذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو اعجب واغرب واطرب من قصة الاحدب . فقال الملك : حدثنا بما عندك . فقال : يا ملك الزمان اني لما دخلت تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم . وأصل مولدي بمصر وانا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمساراً فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فصرت سمساراً مكانهُ . فبينما انا في يوم من الايام واذا بشاب حسن الوجه وعليهِ افخر ملبوس وهو راكب حماراً فلما رآني سلم عليَّ . فقمت تعظيماً له فاخرج منديلاً وفيهِ قدر سمسم وقال : كم يساوي الاردب من هذا . فقلت لهُ : مائة درهم . فقال لي : خُذ التراصين والكيالين واعمد الى باب النصر الى خان الجوالي تجدني فيهِ . وتركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيهِ العينة . فدرت على المشترين . فجاء كل اردب بمائة وعشرين درهماً . فاخذت معي اربعة تراصين ومضيت اليهِ فوجدته في انتظاري . فلما رآني قام الى المخزن وفتحه فكيلناه حتى فرغ المخزن . فجاء خمسين اردباً بخمسة الاف درهم . فقال الشاب : لك في سمسرتك في كل اردب عشرة واقبض الثمن وخلِّ لي عندك اربعة الاف وخمسمائة درهم . فاذا فرغت انا من بيع حواصلي اجيء اليك آخذ المبلغ من عندك . فقلت لهُ : نعم وقبلت يديهِ ومضيت من عنده . فحصل لي

في ذلك اليوم الف درهم . فغاب عني شهراً وجاء وقال لي : اين الدراهم . فقمت وسلمت عليه وقلت لهُ : هل لك ان تأكل عندنا شيئاً . فابى وقال : احضر لي الدراهم حتى امضي واجيْ اخذها منك . ثم ولَّى . فقمت واحضرت لهُ الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهراً وجاء وقال لي: اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت لهُ : هل لك ان تأكل عندنا شيئاً . فأبى وقال لي : أحضر الدراهم حتى امضي واجيْ آخذها منك . ثم ولَّى فقمت واحضرت لهُ الدراهم وقعدت انتظره . فغاب عني شهراً . فقلت : هذا الشاب كامل السماحة . ثم بعد الشهر جاء راكباً على بغلة وعليهِ ثياب فاخرة ولهُ منظر مشرقٌ كالبدر في ليلة تمامه ويظنّ ناظره انهُ قد خرج من الحمام وهو بخد احمر وجبين ازهر وشامة كانها قرص عنبر كما قيل فيه :

البدر والشمس في برجٍ قد اجتمعا ... في غاية الحسن والاقبال قد طلعا
باللطف والظرف قد تمت محاسنهُ ... وزانها عقله والفضل قد برعا
تبارك الله مخلوقاته عجبٌ ... ما شاء رب العلا في خلقهِ صنعا

فلما رأيتهُ قبلت يديه وقمت ودعوت لهُ وقلت : ياسيدي ما تقبض دراهمك فقال : ولماذا العجلة . لمَّا افرغ من مصالحي آخذها منك . ثم ولَّى . فقلت : والله اذا جاء هذه المرَّة لابدَّ ان اعزم عليهِ لكوني اتَّجرت في دراهمه وحصلت منها كثيراً

فلما كان آخر السنة جاء وعليهِ حلة افخر من الاولى . فحلفت عليهِ ان ينزل عندي ويأكل ضيافتي فقال لي : بشرط ان ما تنفقهُ عليَّ يكون من مالي الذي عندك . قلت : نعم . واجلستهُ وترتَّ هيأت ما ينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وجئت بين يديه وقلت : باسم الله . فتقدم للمائدة ومدَّ يده الشمال واكل معي . فتعجبت منهُ . فلما فرغنا غسلت يده وناولته ما يمسحها بهِ . وجلسنا

الحديث بعد ما قدمت له شيئاً من الحلوى فقلت : يا سيدي فرّج عني كربة . لِمَ اكلت بيدك الشمال . لعل في يدك شيئاً يؤلمك . فلما سمع كلامي انشد يقول :

خليليَّ لا تسأل على ما بمهجتي من اللوعة الحرَّا فتظهر اسقامُ
وما عن رضىً فارقت سلمى معوّضاً بديلاً ولكن للضرورة احكامُ

واخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة الزند بلا كفّ . فتعجبت من ذلك . فقال لي : لا تعجب لا ظاهراً ولا باطناً لاني اكلت معك بيدي الشمال . ولكن لقطع اليمين سبب من العجب . فقلت له : وما سبب ذلك . فقال : اعلم اني من اولاد بغداد ووالدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السيَّاح والمسافرين والتجار يتحدثون عن الديار المصريَّة فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي . فاخذت اموالاً كثيرة وعبيت متجراً من قماش بغدادي وموصلي وسافرت من بغداد وكتب الله لي السلامة حتى دخلت مدينتكم هذه . ثم بكى وانشد يقول :

قد يسلم المطمس من حفرةٍ يسقط فيها الباصرُ الناظرُ
ويسلم الجاهل من لفظةٍ يهلك فيها العالم الماهرُ
ويعسر المؤمن في رزقهِ ويرزق الكافرُ والفاجرُ
ما حيلة المرء وما فعلهُ هذا الذي قدَّرهُ القادرُ

فلما فرغ من شعره قال : فدخلت مصر وانزلت القماش في خان مسرور وفككت احمالي وادخلتها واعطيت الخادم دراهم يشتري لنا شيئاً نأكله ونمت قليلاً . فلما قمت ذهبت بين القصرين ورجعت فبتُّ ليلتي . فلما اصبحت فتحت قطعةً من القماش وقلت في نفسي : اقوم اشقّ بعض الاسواق وانظر الحال واخذت بعض القماش وحمَّلته بعض غلماني وسرت حتى وصلت قيصريَّة جرجس .

فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فأخذوا مني القماش ونادوا عليهِ . فلم يجئ برأس ماله . فاغتممت لذلك . فقال لي شيخ الدلالين : يا سيدي اعرف لك شيئاً تستفيد منهُ . تعمل ما يعمل التجار وتبيع متجرك الى اشهر معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتأخذ مالك كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين . وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها . فقلت : هذا رأي سديد . فاخذت معي الدلالين وذهبت الى الخان . فاخذوا القماش الى القيصرية وبعته وكتبت عليهم وثيقة ودفعتها للصيرفي واخذت وثيقة عليهِ ورجعت الى الخان واقمت اياماً كل يوم افطر على قدح شراب وأحضر اللحم الضاني والحلويات . ودخل الشهر الذي استحقت فيهِ الجباية . فبقيت كل يوم خميس واثنين ادخل القيصرية واقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب يجبون الدراهم من التجار الى ما بعد العصر . فاحسبها واختمها وآخذها وانصرف الى الخان . ففي يوم من الايام وكان يوم الاثنين دخلت الحمام وخرجتُ الى الخان ودخلت موضعي وفطرت على قدح من الشراب ونمت . وانتبهت فاكلت دجاجةً وتعطرت وذهبت الدكان تاجر يقال لهُ بدر الدين البستاني . فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعةً حتى قامت السوق واذا بامرأة وهي تتبختر في مشيها جاءت بعصبة مائلة . وروائح فائحة . وسلمت على بدر الدين فردَّ عليها السلام ووقف وتحدث معها . فقالت لبدر الدين : هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فاخرج لها تفصيلة من التفاصيل التي اشتراها مني فبايعته عليها بالف ومائتي درهم . ثم قالت للتاجر : آخذ التفصيلة واذهب ثم ارسل لك ثمنها . فقال لها التاجر : لا يمكن يا سيدتي لان هذا صاحب القماش ولهُ عليَّ قسط . فقالت : ويلك اني معودة آخذ منك كل قطعة قماش بجملة من الدراهم وافيدك فيها فوق ما تريد

وارسل لك ثمنها . فقال : نعم ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم . فأخذت التفصيلة ورمت بها في صدره وقالت : طائفتكم لا تعرف لاحد قيمة وقامت مولية . فقمت واوقفتها وقلت لها : يا سيدتي تصدَّقي عليَّ وارجعي بخطواتكِ الكريمة اليَّ . فرجعت وتبسمت وقالت : لاجلك رجعتُ . وقعدتْ قبالتي على الدكان . فقلت لبدر الدين : هذه التفصيلة كم شراؤها عليك . قال : الف ومائة درهم . فقلت له : ولك مائة درهم فائدةً فهات ورقةً لأكتب لك فيها ثمنها . فأخذتُ التفصيلة منهُ وكتبتُ لهُ ورقةً بخطي واعطيتها التفصيلة وقلت لها : خذيها وروحي وان شئتِ هاتي ثمنها بالسوق الآتي وان شئتِ هي ضيافتكِ مني . فقالت : جزاك الله خيرًا ورزقك مالي وجعلك بعلي . فقبل الله دعاءها . ثم قلت لها : يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لكِ . ولكِ ايضاً مثلها . فاخذت التفصيلة وقالت : يا سيدي لا توحشني فانت ضيفنا هذه الليلة . ثم ولَّت . وقعدتُ انا في القيصرية الى بعد العصر . وسألت التاجر عنها فقال : هذه صاحبة مال وهي بنت اميرٍ مات والدها وخلف مالاً كثيرًا وتسكن في قاعة النقيب . فودَّعتهُ وانصرفت وجئت الى الخان وركبت حمارًا وقلت لصاحبه : امضِ بي الى الجبَّانية . فمضى في لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال لهُ درب المنقري فقلت لهُ : ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب . فغاب قليلًا وقال : انزل . فقلت لهُ : امشِ قدامي الى القاعة . ثم ناولته ربع دينار ذهب فاخذه وانصرف . فطرقت الباب فخرج لي خادم وادخلني . فدخلت الى قاعة معلَّقة بسبعة ابواب . ودائرها شبابيك مُطلَّة على بستان فيهِ من الفواكه الوان . وبهِ انهار دافقة . وطيور ناطقة . وهي مبيضة ببياض سلطاني يرى الانسان وجههُ فيها . وسقفها مطلي بذهبٍ وفي دائرها طرازات مكتوبة باللَّازورد قد حوَت اوصافًا حسنة واضاءت

للناظرين . وارضها مفروشة بالرخام وفي وسطها فسقية وفي اركان تلك الفسقية طيور واربع حيات مسبوكة بالذهب تلقي الماء من افواهها كانها الدرّ والجوهر . والقاعة مفروشة بالبسط والحرير الملوّن والمراتب . فلما دخلت جلست

(الليلة السادسة والعشرون) . ثم ان الشاب التاجر قال للنصراني : ومن بعد ان جلست لم اشعر الّا والصبية قد اقبلت وعليها تاج مكلل بالدرّ والجوهر . فلما رأتني تبسمت في وجهي وقالت : اهلاً ومرحباً . ثم جلسنا نتحدث . فما لبثتْ أن قدمت لي سفرةً من افخر الوان الاطعمة من سكباجة وقربوس مقلي متزَّل في عسل نحل ودجاج محشي . فاكلت واياها واكتفينا . فقدموا لي الطست والابريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بماء الورد الممسك . ثم جلسنا نتحدث . فانشدت تقول هذه الابيات :

لو علمنا قدومكم لنثرنا مهجة القلبِ مع سواد العيونِ
وفرشنا خُدودنا للقاكم ليكون المسير فوق الجفونِ

ولما اقبل العشاء قامت الجواري وقدَّمنَ الطعام والمدام فاكلنا وشربنا . ثم ارسلت الى الشهود فحضروا فقالت لهم : اكتبوا كتابي على هذا الشاب واشهدتهم على المهر وكان المهر ان اعطيها كل يوم خمسين ديناراً . فكتبوا كتابي عليها وانصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة . ثم اني بقيت معها في اطيب عيش . وكل يوم كنت اعطيها منديلاً فيهِ خمسون ديناراً . ولم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بتُّ واصبحت لا املك درهماً ولا ديناراً . فقلت في نفسي : كل هذا غرور وانشدت اقول :

فقر الفتى يذهب انوارهُ كما اصفرار الشمس عند المغيبْ
ان غاب لا يُذكر بين الورى وان اتى فما لهُ من نصيبْ

يمرُّ في الاسواق مستخفياً ... وفي الفلا يبكي بدمعٍ صبيب
والله ما الانسان في اهلهِ ... اذا ابتلي بالفقر الّا غريب

فخرجتُ ولا زلت امشي فوجدت الخلق في ازدحام والطريق مسدودة من كثرة الخلق . فرأيت بالامر المقدر جندياً فزاحمتهُ بغير اختياري فجاءت يدي على جيبه فشعرتُ بصرّةٍ من داخل الجيب الذي يدي عليه فاخذتها من جيبه . فحس الجندي بان جيبه خفّ فحط يده في جيبه فلم يجد شيئاً والتفت نحوي ورفع يده بالدبوس وضربني على رأسي . فسقطت الى الارض فاحاط بنا الناس ومسكوا لجام فرس الجندي وقالوا : ألاجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة. فصرخ عليهم الجندي وقال : هذا لصّ ملعون . فعند ذلك استفقت ورأيت الناس يقولون . هذا شاب مليح لم يأخذ شيئاً . فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القال والقيل . وجذبني الناس وارادوا خلاصي منهُ . فبالامر المقدَّر جاء الوالي والمقدم والظلمة ودخلوا من الباب . فوجدوا الخلق مجتمعين عليَّ وعلى الجندي . فقال الوالي : ما الخبر . فقال الجندي : والله يا خوند هذا لصّ وكان في جيبي كيس ازرق فيهِ عشرون ديناراً فاخذه وانا في الزحام . فقال الوالي للجندي : هل كان معك احد . فقال الجندي : لا . فصرخ الوالي على المقدم فمسكني وقد زال الستر عني . فقال لهُ الوالي : عرّه فلما عروني وجدوا الكيس في ثيابي . فلما وجدوا الكيس اخذه الوالي وفتحه وعدّه فرأى فيهِ عشرين ديناراً كما قال الجندي . فغضب الوالي وصاح على المقدمين فقدموني بين يديه فقال لي : يا صبي قُل الحق هل انت سرقت هذا الكيس . فاطرقتُ براسي الى الارض وقلت : ان قلت ما سرقتهُ فقد وجد معي وان قلت سرقته وقعت في العناء . فرفعت راسي وقلت : نعم اخذته . فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا بالشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في

باب زويلة . فامر الوالي المشاعلي فقطع يدي اليمين . فرق قلب الجندي فشفع لي وتركني الوالي ومضى . وبقيت الناس حولي وسقوني قدح شراب . واما الجندي فانهُ اعطاني الكيس وقال : انت شاب مليح ولا ينبغي ان تكون لصاً : ثم اني انشدت شعراً :

والله ما كنت لصاً يا اخا ثقة ولا انا سارقٌ يا احسن الناسِ
لكن رمتني صروف الدهر عن عجلٍ فزاد همي ووسواسي وافلاسي
وما رميت ولكنَّ الاله رمى سهماً فطيَّر تاج الملك عن راسي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان اعطاني الكيس . وانصرفت انا ولففت يدي في خرقة وادخلتها عبي . وقد تغيرت حالتي واصفرَّ لوني مما جرى عليَّ . فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحي على الفراش . فنظرتني امرأتي متغيّر اللون فقالت لي : ما وجعك وما لي ارى حالتك تغيّرت . فقلت لها : رأسي يوجعني وما انا طيب . فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت : لا تحرق قلبي يا سيدي اقعد وارفع راسك وحدثني بما قد تمَّ لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام . فقلت : دعيني من الكلام . فبكت وقالت : اني اراك بخلاف العادة . فبكت وصارت تحدثني وانا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت منهُ وخشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت : لااشتهي ان آكل في هذه الساعة . فقالت : حدثني بما تم لك اليوم ومالك مهموماً ومكسور الخاطر والقلب . فقلت : الساعة احدثكِ على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت : دونك فانهُ يزيل همك فلا بد ان تشرب وتحدثني بخبرك . فقلت لها : لا بد ان احدثكِ . قالت : نعم . فقلت : ان كان لا بدَّ فاسقيني بيدكِ . فملأت القدح وشربتهُ وملأتهُ وناولتني اياه فتناولتهُ منها بيدي الشمال وفرَّت الدموع من جفني فانشدت اقول :

اذا اراد الله امرًا لامرئٍ وكان ذا عقلٍ وسمعٍ وبصر
اصمَّ اذنيه واعمى قلبه وسلَّ منهُ عقلهُ سلَّ الشعرْ
حتى اذا انفذ فيهِ حكمهُ ردَّ اليهِ عقلهُ ليعتبرْ

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت . وصرخت هي صرخةً قويّة وقالت : ما سبب بكائك احرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال . فقلت لها : ان في يدي بثرة . فقالت : اخرجها افقأها لك . فقلت : ما هو وقت فقئها فلا تطيلي عليَّ فما اخرج يدي في هذه الساعة . ثم شربت القدح . ولم تزل تسقيني حتى غاب عليَّ السكر فنمت مكاني فابصرتْ يدي بلا كفّ ففتشتني فرأت معي الكيس بالذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على احد ولا زالت تتألم بسببي الى الصباح . فلما افقت من النوم وجدتها هيأت لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي اربعة اطيار دجاج وسقتني قدح شراب فاكلت وشربت وحططتُ الكيس واردت الخروج فقالت لي : الى اين رائح . فقلت : الى مكان اذهب اليه . فقالت : لا تُرح اجلس فجلست . فقالت : أو بلغت محبتك ان صرفت جميع مالك وعدمت كفك اشهدك عليَّ والشاهد الله اني لا افارقك وسترى صحة قولي . ثم اخذتني من يدي واوقفتني على خزانة وفتحت صندوقًا كبيرًا وقالت لي : انظر الى الذي في الصندوق ، فنظرت فاذا هو ملآن مناديل . فقالت : هذا مالك الذي اخذتهُ منك فكلما اعطيتني منديلًا فيهِ خمسون دينارًا اذلفه وارميه في هذا الصندوق . فخذ مالك فقد رجع اليك وانت اليوم معذور فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وانا لا اقدر أُكافئك . ولو بذلت روحي لكان قليلًا ولك الفضل . ثم قالت لي : تسلّم مالك . فنقلت صندوقها الى صندوقي وجعلت مالي الى مالها الذي كنت اعطيته اياها وفرح قلبي وزال همي

فقمت وشكرت لها . فقالت : لقد بذلت يدك في محبتي فكيف اقدر على مكافاتك . اني لو بذلت روحي في محبتك لكان قليلاً وما اقوم بواجب حقك عليَّ . ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها واسبابها بحجة . وما نامت تلك الليلة الاّ مهمومة من همي حتى حكيت لها جميع ما وقع لي . واقمنا اقل من شهر وقوي بها الضعف وزاد بها المرض وما مكثت خمسين يوماً الاّ وهي من اهل الآخرة . فجهزتها وواريتها التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال . ونزلت من التربة فرأيت لها مالاً جزيلاً واملاكاً وعقاراتٍ . ومن جملة تلك المخازن مخزن السمسم الذي بعت لك منهُ . وما كان اشتغالي عنك هذه المدة الاّ لاني بعت بقية الحواصل وجميع ما في المخازن . والى الان لم افرغ من قبض الثمن وانك لا تخالفني فيما اقول لك عليهِ لاني اكلت زادك . وقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك . فهذا سبب قطع يميني واكلي بيدي الشمال

فقلت لهُ : لقد احسنت وتفضلت . فقال لي : هل لك ان تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجراً مصرياً واسكندرانياً فهل لك ان تصاحبني . فقلت نعم : ووعدته على راس الشهر . ثم بعت جميع ما املك واشتريت بهِ متجراً اخر وسافرت انا والشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم . فباع الشاب متجره واشترى عوضهُ من بلادكم ومضى الى الديار المصريَّة . فكان قسمي انا في قعودي هذه الليلة انهُ حصل ما حصل لي في غربتي . فهذا يا ملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب . فقال الملك لابدَّ من شنقكم كلكم

حكاية الشاب الذي أكل الزيرباجة

(الليلة السابعة والعشرون) . فعند ذلك تقدم الشاهد الى ملك الصين

وقال له : ان اذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في الليلة البارحة قبل ان اجد هذا الاحدب . فان كانت اعجب من حديثه أتهب لنا ارواحنا . فقال الملك : نعم . فقال : اعلم اني كنت في الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء . فلما قرأ القرّاء وفرغوا مدّوا السماط . فمن جملة ما قدموا زيرباجة . فتقدمنا نأكل من الزيرباجة فتأخر واحدٌ منا وامتنع من الاكل منها . فحلفنا عليه فاقسم هو ان لا يأكل منها . فالزمناه فقال : لا تغصبوني فكفاني ما جرى لي من اكلها ثم انشد يقول :

خذ مليكاً فوق كتفك وارتحل   ان يرقك الكحل منهُ فاكتحل

فلما فرغ قلنا لهُ : بالله عليك ما سبب امتناعك من الاكل من الزيرباجة. فقال : ان كان ولا بدّ ان آكل من هذه الزيرباجة فلا آكل منها الّا ان اغسل يديّ اربعين مرّةً بالصابون واربعين مرة بالاشنان واربعين مرّة بالسعد . جملتها مائة وعشرين مرة . فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانهُ فاتوا بالماء وبالذي طلبهُ فغسل يديه كما ذكرنا . وجاء الشاب وهو متكرّه وجلس ومدّ يده وهو مثل الخائف وغمس يده في الزيرباجة وصار يأكل وهو متغصب . ونحن نتعجب منهُ غاية العجب ويده ترتعد . فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل باربعة اصابع . فقلنا لهُ : بالله عليك ما لابهامك هكذا . أهي خلقة الله ام اصابها حادث . فقال : يا اخواني وما هذه الابهام وحدها ولكن ابهامي الاخرى ورجلايَ الاثنتان . ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين . وكذلك رجلاه بلا ابهامين . فلما رأيناه كذلك ازددنا عجباً وقلنا له : ما بقي لنا صبر على حديثك وسبب قطع ابهامك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة . فقال : اعلموا ان والدي كان تاجرًا من التجار الكبار وكان اكبر تجار مدينة بغداد على ايام الخليفة

هارون الرشيد وكان مولعاً بشرب الخمر وسماع العود وآلات الملاهي . فلما مات لم يترك شيئاً فهيأتهُ وقد عملت له ختمات وحزنت عليه اياماً وليالي . ثم فتحت دكانه فما وجدته خلّف الّا يسيراً ووجدت عليه ديوناً فصبّرت اصحاب الديون وطيبت خاطرهم . وصرت ابيع واشتري من الجمعة الى الجمعة واعطي اصحاب الديون . ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون وزدت على رأس مالي . فبينما انا في يوم من الايام جالس اذا بصبية لم ترَ عيني احسن منها عليها حليّ وحلل وهي راكبة بغلةً وقدامها عبد ووراءها عبد . فاوقفت البغلة على رأس القيصريَّة ودخلت ودخل خادم خلفها وقال : يا سيدتي اخرجي . فخرجت ونظرت الى دكاكين التجار فلم تجد احداً فتح دكانه غيري . فتمشت والخادم خلفها وجلست على دكاني وسلمت عليَّ . فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها . ثم قالت : يا فتى أعندكَ تفاصيل ملاح . فقلت : يا سيدتي مملوككِ فقير ولكن اصبري حتى يفتح التجار دكاكينهم واجيْ لكِ بما تريدينه . ثم تحدثت انا واياها حتى فتح التجار دكاكينهم . فقمت واخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة الاف درهم وناولتها للخادم فأخذها الخادم . وخرجوا الى خارج القيصريَّة فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من اين هي واستحييت ان اذكر لها ذلك والزمني التجار بالثمن واستلمت الغرامة بخمسة الاف درهم . ولم ازل على هذه الحالة جمعةً فطالبني التجار باموالهم فصبرتهم جمعةً اخرى . فبعد الجمعة لم اشعر الّا وهي اقبلت راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت عليَّ وقالت : يا سيدي ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفيَّ واقبض الثمن . فجاء الصيرفيّ واخرج لهُ الطواشي الثمن فقبضتهُ وصرت اتحدث انا واياها الى ان فتحت السوق فقالت : خذ لي كذا وكذا . فاخذت لها من التجار ما ارادت واخذتهُ ومضت

ولم تخاطبني في ثمنه . فلما مضت ندمت على ذلك وكنت اخذت الذي طلبته بالف دينار . فلما غابت عن عيني قلت في نفسي : اي شيء هذه المحبة اعطتني خمسة الاف درهم واخذت شيئاً بالف دينار . فخسست بالفقر من مال التجار وقلت : ان التجار لم يعرفوا الّا انا . فما كانت هذه المرأة الّا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها ورأتني صغيراً فضحكت عليَّ . ولم اسألها عن منزلها ولم ازل في وسواس وطالت غيبتها اكثر من شهر . فطالبني التجار وشددوا عليَّ . فقدمت عقاري للبيع واشرفتُ على الهلاك . ثم قعدت وانا متفكر فلم اشعر الّا وهي نازلة على باب السوق ودخلت عليَّ . فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه . واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت : هات الصيرفي وزن مالك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة . ثم انبسطت معي في الكلام حتى قالت لي : هل لك زوجة . فقلت : لا اني لا اعرف امرأة قط . ثم بكيت . فقالت لي : مالك تبكي . فقلت : خير ان شاء الله . ثم قامت ومضت وقت سلمت التجار اموالهم وحصل لهم الربح . الّا انا حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني . فما كانت الّا ايام قلائل وجاءني خادمها فاكرمته وسألته عنها فقال : انها مريضة . فقلت للخادم : اشرح لي امرها . قال : هذه الصبية ربَّتها السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول . فوصلت حتى صارت قهرمانة . ثم انها حدثت السيدة بك وسالتها ان تزوجها بك . فقالت السيدة . لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشبهكِ زوّجتكِ بهِ ونحن نريد الساعة ان ندخل بك الدار . فان دخلت الدار وصلت الى تزويجك بها . وان كشف امرك ضربت رقبتك . فماذا تقول . قلت لهُ : اروح معك واصبر على الامر الذي حدثتني به . فقال لهُ الخادم : اذا كانت هذه الليلة فامضِ الى

المسجد الذي بنتهُ السيدة زبيدة على دجلة فصلِّ فيهِ وبت هناك . فقلت : حباً وكرامة . فلما كان العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيهِ وبتُّ هناك . فلما كان وقت السحر اذا بخادمين اقبلا في زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلاها المسجد وانصرفا وتأخر واحد منهما فتأملتهُ فاذا هو الذي كان مع الصبية فاخذني ووضعني في صندوق وعبى جميع الصناديق امتعة ثم وضعها في الزورق واخذوا يسيرون الى منزل السيدة زبيدة. فلحقني الفكر وقلت في نفسي : لقد هلكت وجعلت ابكي وانا في الصندوق وادعو الله ان يخلصني مما انا فيه. ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالصناديق على باب الخليفة. وحملوا الصندوق الذي انا فيه من جملتها. فاجتازوا طائفةً من الخدام الموكلين بالحريم واصحاب الستائر الى ان اتوا الى خادم كبير فانتبه من النوم وصاح وقال : اي شيء في هذه الصناديق . قالوا : ملآنة امتعة للسيدة زبيدة . قال : افتحوا واحداً واحداً حتى انظر اي شيء فيها . فقالوا : لاي شيء تفتحها . فصاح عليهم وقال : لا تطيلوا . لابدَّ من فتح هذه الصناديق . وقام قائماً . فاول ما بدأ بفتح الصندوق الذي انا فيه . فعند ذلك زال عقلي وارتعدت فرائصي . فقال الخادم للمقدم : يا مقدم اهلكتني واهلكت نفسك وافسدت شيئاً يساوي عشرةَ آلاف دينار . فان في هذا الصندوق ثياباً ملوناتٍ واربعة امنان من ماء ورد . وهذه الساعة انفكت وجرت على الثياب التي في الصندوق والساعة تنفسخ الوانها . فقال الطواشي : خذ صناديقك واذهب الى لعنة الله . فحملوا الخدام صندوقي واسرعوا وتلاحقت الصناديق بصندوقي فبينما هم ذاهبون اذ جاء في اذني قائل يقول : ويلاه ويلاه الخليفة الخليفة . فلما سمعت ذلك متُّ في جلدي وقلت كلمة لا يخجل قائلها : لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . هذه مصيبة عملتها بنفسي . فسمعت الخليفة يقول للخادم صاحبي : اي

شي. في صناديقك هذه . فقال : في صناديقي ثياب للسيدة زبيدة . فقال : افتح لي اياها . فلما سمعت ذلك متّ الميتة الكاملة وقلت في نفسي : ان هذا اليوم آخر ايامي من الدنيا وان سلمت من هذه فانا اتزوج بها ولا كلام . وان انكشف امري ضُربت رقبتي

(الليلة الثامنة والعشرون) . ثم اني سمعت الخادم يقول للخليفة . هذه الصناديق فيها وداعة وشي. من الثياب للسيدة زبيدة وتريد ان لايطلع عليها احد. فقال الخليفة : لا بدّ من فتحها لانظر ما فيها . ثم صرخ على الخدام وقال : قدموا الصناديق عندي . فايقنت بالهلاك وغبت عن الدنيا . فجعل الخدام يقدمون واحداً بعد واحد وهو يرى فيها العطر والقماش والثياب الفاخرة . وما زالوا يفتحون الصناديق وهو يرى ما فيها من الاثواب وغيرها حتى لم يبقَ الّا الصندوق الذي انا فيه . ومدوا ايديهم ليفتحوهُ فاسرع الخادم واتى الى الخليفة وقال : هذا الذي تراهُ قدامك فهو قدام السيدة زبيدة . وهو الذي فيهِ سرها . فلما سمع كلامه أمر بادخال الصناديق فاتى الخدام وحملوني بالصندوق الذي انا فيه ووضعوني في وسط القاعة بين الصناديق وكان نشف ريقي فاخرجني الخادم وقال : ما عليك باس ولا خوف . فاشرح صدرك وطيب قلبك . واجلس حتى تأتي السيدة زبيدة . لعلهُ يكون لك نصيب . فجلست ساعة . واذا بعشرة جوارٍ ابكار كأنهنَّ الاقمار قد اقبلنَ واصطففنَ خمسة مقابلات لخمسة . واذا بعشرين جارية اخرى وهنَّ ابكار وبينهنَّ السيدة زبيدة . وهي لا تقدر ان تمشي مما عليها من الحليّ والحلل . فلما اقبلت تفرقت الجواري من حواليها . فاتيت انا اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت اليّ بالجلوس . فجلست بين يديها . ثم شرعت تسألني وتسأل عن نسبي . فأجبتها عما سألتني عنهُ . ففرحت وقالت : ما خابت تربيتنا فيكِ

ايتها الجارية . ثم قالت : اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد . وهي وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي اياها . ثم أمرتني بان اقيم عندها عشرة ايام فاقمت هذه المدة وانا لا ارى الجارية . ألا ان بعض الوصائف تأتيني بالغذاء والعشاء .

وبعد هذه المدة شاورت السيدة زبيدة الخليفة في زواج جاريتها . فأذن لها وأمر لها بعشرة الاف دينار . فارسلت السيدة زبيدة الى الشهود والقاضي وكتبوا كتابي عليها . وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت . ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام أخر . وبعد العشرين يوماً ادخلوا الجارية الحمام . ثم انهم قدموا خونجة فيها طعام ومن جملته خافقية فيها زيرباجة محشوة بالسكر وعليها ماء الورد الممسك . وفيها صدور الدجاج المحمرة وبقية الالوان مما يدهش العقول . فوالله ما امهلت دون ان بركت على الزيرباجة واكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يديَّ ونسيت ان اغسلهما . ولبثت جالساً الى ان دخل الظلام واوقدت الشموع واقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزلنَ يجلون العروسة وينقطنَ بالذهب حتى طافت القصر كله . وبعد ذلك اقبلنَ بها وخففنَ ما عليها من الملابس . فلما انصرف الناس شممتَ في يدي رائحة الزيرباجة . فلما شمّت الرائحة صرخت صرخةً عظيمة فنزلت لها الجواري من كل جانب . فارتجفتُ ولم اعلم ما الخبر . فقالت الجواري : ما لكِ يا اختنا . فقالت لهنَّ : اخرجنَ هذا المجنون عني فانا احسب انهُ عاقل . قلت لها : وما الذي ظهر لكِ من جنوني . فقالت : يا مجنون لايّ شيء أكلت من الزيرباجة ولم تغسل يدك . فوالله لأجازينَّك على فعلك . امثلك يعيش مع مثلي . ثم تناولت من جانبها سوطاً مضفوراً ونزلت به على ظهري حتى غبت انا عن الدنيا من كثرة الضرب . ثم

انها قالت للجواري : خذوه وامضوا بهِ الى متولي المدينة يقطع يده التي اكل بها الزيرباجة ولم يغسلها . فلما سمعتُ ذلك قلت : لاحولَ ولا قوة الّا بالله . تُقطع يدي من اجل اكل الزيرباجة لاني لم اغسلها . فقال لها الجواري : يا اختنا لا تؤاخذيهِ بفعله هذه المرّة . فقالت : لابدّ ان اقطع شيئاً من اطرافه . ثم راحت وغابت عشرة ايام ولم ارها . وبعد العشرة ايام اقبلت عليَّ وقالت لي : يا اسود الوجه انا لا اصلح لك كيف تأكل الزيرباجة ولا تغسل يدك . ثم صرخت على الجواري فكتفنني واخذت موسى ماضية وقطعت ابهام رجليَّ ويديَّ كما ترون يا جماعة . فغشي عليَّ . ثم ذرت عليها الذرور فانقطع الدم وجعلتُ اقول : ما بقيت آكل الزيرباجة حتى اغسل يدي اربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرّة بالصابون . فاخذت عليَّ ميثاقاً اني لا آكل الزيرباجة حتى اغسل يديَّ كما ذكرت لكم . فلما جئتم بهذه الزيرباجة تغيَّر لوني وقلت في نفسي : هذه سبب قطع ابهامي . فلما ألححتم عليَّ قلت : لابدّ ان اوفي بما حلفت . قال الحاضرون : فما الذي حصل لك بعد ذلك . قال : فلما حلفت لها طاب قلبها . وقعدنا مدة ثم قالت : ان دار الخلافة لا يحسن مقامنا فيها وما دخل فيها غيرك . وما دخلت فيها الّا بعناية السيدة زبيدة . ثم اعطتني خمسين الف دينار وقالت لي : خذ هذه الدراهم واخرج واشترِ لنا داراً فسيحة . فخرجت واشتريت داراً مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها في الدار من النعم وما ادّخرته من الاموال والقماش والتحف . فهذا سبب قطع ابهامي . فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى مع الاحدب ما جرى . وهذا سبب حديثي والسلام

فقال الملك : ما هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من ذلك . ولابدّ من شنقكم اتم الجميع

حكاية الشاب الموصلي

ثم ان اليهودي تقدَّم وقبَّل الارض وقال : يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث الاحدب . فقال ملك الصين : هات ما عندك . فقال : اعجب ما جرى لي في قصة شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت فيها . فبينما انا جالس في يوم من الايام اذ اتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق وقال : كلّم سيدي . فخرجت لهُ وتوجهت معهُ الى منزل الصاحب . فدخلت فرأيت في صدر الايوان سريرًا من العرعر مصفحًا بصفائح الذهب وعليه آدمي مريض راقد وهو شاب لم يُرَ احسن منهُ في الشباب . فقعدت عند رأسه ودعوت لهُ بالشفاء فاشار اليَّ بعينه . فقلت لهُ : يا سيدي ناولني يدك بسلامتك . فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت : ياللعجب هذا شاب مليح ومن بيت كبير وناقص ادب ان هذا هو العجب . ثم جسست مفاصله وكتبت لهُ ورقةً وبقيتُ اتردد عليهِ مدة عشرة ايام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج . فخلع عليَّ الصاحب خلعةً مليحة وجعلني مباشرًا عنده في المارستان الذي بدمشق . فلما دخلت معهُ الحمام ودخل الخدم بالشاب واخذوا ثيابه من داخل الحمَّام رأيت يده اليمنى قطعت من عهد قريب وهو سبب ضعفه . فلما رأيته اخذت اتعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليهِ آثار ضرب مقارع . واستعمل الادهان لاجل ذلك . وبان في وجهي التعجب . فنظر اليَّ الشاب وفهم عني الامر وقال لي : يا حكيم الزمان لا تعجب من امري فسوف احدثك بحديثي متى خرجت من الحمَّام . فلمَّا خرجنا من الحمَّام واتينا الى الدار واكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب : هل لك ان تتفرَّج في الغرفة . فقلت : نعم . فأمر العبيد ان

يصعدوا الفرش الى فوق وامرهم ان يشووا خروفاً وان يأتوا الينا بفاكهة . فأتى العبيد بالفاكهة فاكلنا واكل هو بيده الشمال . فقلت لهُ : حدثني بحديثك . فقال لي : يا حكيم الزمان اسمع ما جرى لي . اعلم انني من اولاد الموصل وكان لي والد توفي والده وخلَّف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدي يا حكيم وكان اكبرهم . فكبر الجميع وتزوجوا ورُزق والدي بي واما اخوته التسعة فلم يرزقوا اولاداً . فكبرت انا وصرت بين اعمامي وهم فرحون بي فرحاً شديداً . فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم في جامع الموصل وكان يوم جمعة ووالدي معنا فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعاً . واما والدي واعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد وغرائب المدن الى ان ذكروا مصر . فقال اعمامي : يقول المسافرون انهُ ما على وجه الارض احسن من مصر ونيلها . فلما سمعت هذا الكلام تشوَّقت الى مصر . ثم قال والدي : من لم يرَ مصر ما رأى الدنيا . ترابها ذهب . ونيلها عجب . وبيوتها قصور . وهواؤُها معتدل يفوق عرفه الكباء ويُخجل . وكيف لا تكون كذلك وهي الدنيا . ولله درّ من قال فيها :

أأرحل من مصرٍ وطيب نعيمها ... واي مكانٍ بعدها لي شائقُ
وأترك اوطاناً ثراها لناشقٍ ... هي الطيب لا ما ضمّنتهُ المفارقُ
وكيف وقد اضحت من الحسن جنةً ... زرابيها مبثوثةٌ والنمارقُ
بلادٌ تشوق العين والقلب بهجةً ... وتجمع ما يهوى تقيٌّ ومارقُ
واخوان صدقٍ يجمع الفضل شملهم ... مجالسهم مما حوتهُ حدائقُ
اسكان مصرٍ ان قضى الله بالنوى ... فثمَّ عهودٌ بيننا ومواثقُ
فلا تذكروها للنسيم فانهُ ... لأمثالها من نفحة الروض سارقُ

ثم قال والدي : ولو رأيتم رياضها بالاصائل . والظل عليها مائل . لشاهدتم

عجباً . ومليتم لها طرباً (قال) واخذوا يصفون مصر ونيلها . فلما سمعت انا هذه الاوصاف التي في مصر بقي خاطري فيها . فلما فرغوا وقام كل واحد وتوجه الى منزله بتُّ تلك الليلة ولم يأتني نوم من شغفي بها وما بقي يهنأُ لي اكل ولا شرب . فلما كان بعد ايام قلائل تجهز اعمامي الى مصر . فبكيت على والدي حتى جهز لي متجراً ومضيت معهم . وقال لهم : لا تدعوه يدخل مصر ودعوه يبيع متجرهُ بدمشق . ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل . وما زلنا مسافرين حتى وصلنا حلب فاقمنا بها اياماً . ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات اشجار وانهار واثمار واطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة . فنزلنا في بعض الخانات ووقف اعمامي فباعوا واشتروا وباعوا ايضاً بضاعتي . فربح الدرهم خمسة دراهم . ففرحت بالربح وخلاني اعمامي وتوجهوا الى مصر فقعدت بعدهم ومكثت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أُجرتها كل شهر ديناران . فأقمت اكل واشرب حتى صرفت المال الذي معي . في يوم من بعض الايام بينما انا قاعد على باب القاعة واذا بشابين كنت تعرفت بهما من بضعة ايام قد اقبلا . فقمت وجئت بسفرة من اطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج اليهِ المقام واتيت بهِ واكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا . فعربد احد الشابين مع الثاني وتفاقم الامر بسبب السكر . فقمت واصلحت بينهما وسألتهما ان يبيتا عندي في القاعة . ولكن كتم احدهما الحقد في الباطن . ثم اننا نمنا الى وقت الصبح فاستيقظت وقعدت انبه رفيقيَّ . فهززت اكتاف الواحد فتدحرج رأسه من على الوسادة . ونظرت الفراش مبلولاً بالدم . فطار عقلي وصرخت وقلت : يا جميل الستر سترك . وقد اسودَّت الدنيا في عيني . وطلبت الرفيق الآخر فلم اجده فعلمت انه هو الذي ذبح الشاب من غضبه عليهِ فقلت : لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم كيف يكون

عملي . فتفكرت ساعة وقت خلعت ثيابي وحفرت في وسط القاعة حفرة واخذت القتيل وجعلته في الحفرة ورددت عليهِ التراب والرخام وغسلت يديَّ ولبست ثياباً نظيفة . واخذت بقية مالي وخرجت من البيت وقفلتهُ وجئت الى صاحب القاعة وشجعت نفسي ودفعت لهُ اجرة سنة وقلت لهُ : انا مسافر الى اعمامي بمصر . ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي : ما سبب مجيئك . فقلت لهم : اشتقت اليكم . ولم اعلمهم ان معي شيئاً من مالي . فاقمت عندهم سنة وانا اتفرج على مصر ونيلها . وحططت يدي في بقية مالي وصرت اصرف منهُ وآكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت واختفيت منهم ففتشوا عليَّ فلم يسمعوا لي خبرًا . فقالوا : يكون رجع الى دمشق . فسافروا وخرجت فاقمت بمصر ثلث سنين حتى لم يبقَ معي من المال شيء . وانا في كل سنة ارسل لصاحب القاعة الى دمشق اجرتها وبعد الثلث سنين ضاق صدري . ولم يبقَ معي الَّا اجرة السنة فقط

ثم سافرت الى ان وصلت الى دمشق ونزلت القاعة ففرح بي صاحبها ووجدت الخازن مقفلة كما كانت ففتحتها واخرجت الحوائج التي فيها فوجدت تحت الفراش الذي كنت نائماً عليهِ تلك الليلة خاتم ذهب مرصعاً بجواهر . فاخذته ومسحته من دم الشاب المذبوح ثم اقمت يومين . وفي اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت اثوابي وانا ما معي من الدراهم شيء . فجئت يوماً الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت الخاتم وتوجهت بهِ الى السوق وناولتهُ للدلال . فقام واجلسني بجانب صاحب الدار وصبر حتى عمرت السوق واخذه الدلال ونادى عليه خفيةً وانا لا اعلم . واذا الخاتم جاء بالفي دينار . ثم جاءني الدلال وقال : هذا خاتم كنا نظنهُ ذهباً فاذا هو نحاس مصنوع صنعة الافرنج وقد وصل

ثمنهُ الى الف درهم . فقلت لهُ : نعم هذا كنا صغناه لواحدةٍ نضحك عليها بهِ وورثتهُ زوجتي فاردنا بيعه . فرُح اقبض الالف الدرهم

(الليلة التاسعة والعشرون) . فلما سمع الدلال ذلك عرف ان قضيتهُ مشكلة فمضى بالخاتم الى كبير السوق واعطاه اياه فاخذهُ وتوجه الى الوالي وقال لهُ : ان هذا الخاتم سُرق من عندي ووجدنا السارق لابساً لبس اولاد التجار . فلم اشعر الَّا والظلَمة احاطوا بي وأخذوني وذهبوا بي للوالي. فسألني الوالي عن ذلك الخاتم. فقلت لهُ ما قلتهُ للدلال. فضحك الوالي وقال : ما هذا كلام الحقّ . فلم ادرِ الَّا وانا جُرِدتُ من ثيابي وضُربت بالمقارع على جنبيّ . فحرقني الضرب فقلت : انا سرقته . وقلت في نفسي : الاحسن اني اقول انا سرقته ولا اقول ان صاحبه مقتولٌ عندي فيقتلوني بهِ . فكتبوا اني سرقتهُ فقطعوا يدي وقلوها في الزيت . فغشي عليَّ فسقوني الشراب حتى افقت فأخذت يدي وجئت الى القاعة . فقال صاحب القاعة : حيث جرى لك هذا خلِّ القاعة وانظر لك موضعاً آخر . لانك مُتهم بالحرام . فقلت لهُ : سيدي اصبر عليَّ يومين او ثلثة حتى انظر لي موضعاً . قال : نعم ومضى وتركني فبقيت قاعداً ابكي واقول: كيف ارجع الى اهلي وانا مقطوع اليد ولم يعلموا اني بريء . فلعل الله يحدث بعد ذلك امراً . وبكيت بكاءً شديداً . فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غمٌّ شديدٌ فتشوَّشت يومين . وفي اليوم الثالث لم ادرِ الَّا وصاحب القاعة جاءني ومعهُ بعض الظلَمة وكبير السوق . فادَّعى اني سرقت الخاتم . فخرجت وقلت لهم : ما الخبر . فلم يمهلوني بل كتفوني ورموا في رقبتي زنجيراً وقالوا لي : الخاتم الذي كان معك هو لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها . وقالوا: ان هذا الخاتم عُدم من عنده من مدة ثلث سنين مع ابنه . فلما سمعت هذا الكلام منهم

غطس قلبي وقلت : راحت روحك لا محالة . والله لابد ان احكي للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء عفا عني . فلما وصلنا للصاحب اوقفني بين يديه. فلما رآني نظر اليَّ بطرفِ عينه وقال للحاضرين : لمَ قطعتم يده فان هذا الرجل مسكين وليس لهُ ذنبٌ وقد ظلمتموه بقطعكم يده . فلما سمعت هذا الكلام قوي قلبي وطابت نفسي وقلت : والله يا سيدي لست بسارقٍ وقد اتهموني بهذه التهمة العظيمة وضربوني بالمقارع في وسط السوق . وحكموا عليَّ بان اقرَّ فكذبت على نفسي واعترفت بالسرقة وانا بريء منها . فقال الصاحب : لا باس عليك . ثم أمر بسجن كبير السوق وقال لهُ : اعطِ لهذا دية يده والَّا اشنقك وآخذ جميع مالك . ثم صاح على المقدَّمين فاخذوه وجرّوه وبقيت انا والصاحب . ثم رفعوا الزنجير من عنقي باذنهِ وحلُّوا كتافي فنظر الصاحب اليَّ وقال : يا ولدي اصدقني وحدّثني كيف وصل اليك هذا الخاتم وقال :

عليكَ بالصدقِ ولو انهُ احرقكَ الصدقُ بنارِ الوعيد

فقلت : يا مولاي اقول لك الحق . ثم حدثته بما جرى لي وذكرت لهُ الحديث بتمامه . فلما سمع كلامي هزَّ رأسه وضرب يده اليمنى على اليسرى وحطَّ منديله على وجهه وبكى وانشأ يقول :

ارى علل الدنيا عليَّ كثيرةً وصاحبها حتى الممات عليلُ
لكل اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ وكلُّ الذي دون الفراقِ قليلُ

ثم اقبل عليَّ وقال : اعلم يا ولدي ان الشاب هو ابني . فانظر ما اعظم ما جرى لي وانا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقوله لك وهو اني ازوجك ابنتي وهي بكر ولا آخذ منك مهرًا واجعل لكما راتبًا من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي . فقلت : نعم ومن انا حتى احظى بهذا . فارسل في الحال الى

القاضي والشهود وكتب كتابي واخذ لي من كبير السوق مالاً كثيرًا وصرت عنده في اعز مكان. وفي هذا العام مات والدي فارسل الصاحب من عنده بريدًا واتاني بمالي الذي خلفه والدي . وانا اليوم في ارغد عيش . فهذا سبب قطع يدي اليمين . فتعجبت منه واقمت عنده ثلثة ايام واعطاني مالاً كثيرًا. وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذا . فطابت لي المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى . فقال ملك الصين : ما هذا باعجب من حديث الاحدب ولا بد لي من شنقكم ولكن بقي الخياط الذي هو راس كل خطيئة . ثم قال : يا خياط ان حدثتني بشيء اعجب من حديث الاحدب وهبتكم ذنوبكم

حكاية المزين البغدادي

فعند ذلك تقدم الخيَّاط وقال : اعلم يا ملك الزمان ان اعجب ما جرى لي واتفق لي بالامس اني كنت اول النهار قبل ان اجتمع بالاحدب في وليمة لبعض اصحابي قد جمع عنده نحو عشرين نفرًا من اهل هذه المدينة. وفينا اصحاب صنائع من خيَّاطين وزجَّاجين ونجَّارين وغيرِ ذلك . فلما طلعت الشمس مُدَّ لنا الطعام لنأكل . واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعهُ شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن ما يكون من الثياب والجمال غير انهُ أعرج . فدخل علينا وسلّم. فقمنا لهُ. فجاء ليجلس فرأى بيننا انسانًا مزيّنًا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فمسكناه. ومسك بهِ صاحب المنزل وحلف عليه وقال لهُ: ما سبب دخولك وخروجك . فقال : باللّه يا مولاي لا تتعرض لي بشيء. فان سبب رجوعي هذا المزيّن النحس الذي هو قاعد. فلما سمع منهُ صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال: كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش

خاطره من هذا المزيّن . ثم نظرنا اليهِ وقلنا لهُ : احكِ لنا ما سبب غيظك من هـذا المزيّن . فقال الشاب : يا جماعة جرى لي مع هذا المزين أمر في بغداد التي هي بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي . وحلفت اني ما بقيت أُجالسهُ في مكانٍ ولا في بلدٍ هو قاطن فيهِ وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه المدينة وانا الليـلة لا ابيت الّا مسافرًا . فقلنا لهُ : بالله عليك احكِ لنا حكايتك . فقال الشاب وقد اصفرَّ لون المزيّن : يا جماعة اعلموا ان والدي كان من اكابر تجّار بغداد ولم يرزقهُ الله تعالى ولدًا غيري . فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفّي والدي الى رحمة الله تعالى . وخلف لي مالاً وخدمًا وحشمًا فصرت البس مليحًا وآكل مليحًا . وكان الله بغّض اليَّ النساء . ففي يوم من الايام بينما انا أمشي في ازقة بغداد اذا بجماعة نسوة في الطريق . فهربت ودخلت زقاقًا لا يَنفذ وارتكنت في آخره على مصطبة . فلم اقعد الّا قليـلًا واذا بصوتٍ لم اسمع في عمري احسن منهُ طرق اذني . فطربت وما زلت جالسـًا ساعةً من الزمان وانا غائب عن الدنيـا وكنت اودّ لو اسمعهُ من موضعٍ اقرب . ثم انقطع الغناء وظننت ان روحي تفارقني . واذا بقاضي المدينة راكب وقدّامه عبيد ووراءه خَدم فـنزل ودخل البيت الذي سمعت منهُ الصوت . فسالت عجوزًا عن صاحب الصوت فقالت لي : يا ولدي هذه بنت قاضي بغداد وهي مولعة بالغنـاء الّا ان اباها يمنعها عنه . فتستغنم الفرصة عند ما يغيب ابوها لصلاة الجمعة وتندفع تغني . وانا كثيرًا ما ادخل عليها . فان شئت تعالَ يوم الجمعة قبل الصلاة الى هذا الموضع او انا آتي آخذك واحتال لك واعطي دراهم لبعض الخدم ليفتح لنا الباب وادخلك في مخدع منفرد يمكنك منهُ ان تسمعها بدون ان تنظرها او تنظرك وبدون تعب ولا عنـاء وترجع قبل ان ياتي ابوها من الصلاة . فلما سمعت كلام العجوز

طاب قلبي ودفعت لها مائة دينار وانصرفت . ولما كان يوم الجمعة لبست ثيابي وبقيت انتظر ان يذهب الناس الى الصلاة حتى امضي . واذا بالعجوز دخلت عليَّ وسألتني عن حالي فاخبرتها اني بخير وعافية . فقالت : ان معك في الوقت فسحة فلو مضيت الى الحمـَّام وازلت شعركَ لاسيما من اثر المرض لكان في ذلك صلاحك . فقلت : هو الصواب لكن احلق رأسي اولاً واعود ادخل الحمام . فذهبت تنتظرني . وارسلت انا الى المزّين ليحلق رأسي وقلت للغلام : امضِ الى السوق وأتني بمزّين يكون عاقلاً وقليل الفضول لا يصدع رأسي بكثرة كلامه . فمضى الغلام واتى بهـذا الشيخ السوء . فلما دخل سلم عليَّ فرددت عليـهِ السلام . فقال : اني اراك ناحل الجسم . فقلت لهُ : اني كنت مريضاً . فقال : أذهب الله همك وغمك والبأس والاحزان عنك . فقلت : تقـبَّل الله منك . فقال : أبشر يا سيدي فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعركَ او اخراج دم فانهُ ورد عن ابن عباس رضي الله عنهُ انهُ قال : من قصر شعره يوم الجمعـة صرف الله عنهُ سبعين داء . وروي عنه ايضاً انهُ قال : من احتجم يوم الجمعة أمن من ذهاب البصر وكثرة المرض . فقلت لهُ : دع عنـك هذا الكلام وقم الساعة احلق لي رأسي فاني رجل ضعيف . فقام ومدَّ يده واخرج منديلاً وفتحهُ واذا فيهِ اصطرلاب وهو سبعة صفائح مطعم بالفضـة . فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليـاً وقال لي : اعلم انهُ مضى من يومنا هذا الذي هو يوم الجمعة وهو يوم جمعـة عاشر صفر سنة ثلث وخمسين وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبهـا افضل الصلاة والسلام . وسبعة آلاف وثلثمائة وعشرون من تاريخ الاسكندر . والطالع في يومنا هذا على ما اوجب علم الحساب من المرّيخ ثماني درجات وستة دقايق . واتفق انهُ قارنه عطارد . وذلك يدل على ان حلق الشعر

طيب ودلَّ عندي انك تريد الذهاب الى موضع وهو مسعود . لكن بعده كلام يقع وشيء لا اذكره لك . فقلت لهُ : لقد أضجرتني وصغرت روحي وتفألت عليَّ بفأل غير مليح وانا ما طلبتك الَّا لتحلق راسي فقم واحلق راسي . ولا تطوّل معي الكلام . فقال : لو علمت بالذي سوف يجري لك لما عملت في هذا النهار شيئًا وانا اشير عليك انك تعمل بالذي اقوله لك في حساب الكواكب . فقلت لهُ : اني ما رايت مزيّنًا لهُ مهارة في علم النجوم سواك . لكني ادري واعلم انك كثير الخزعبلات وانا ما دعوتك الَّا لتزيّن رأسي فجئتني بهذا الكلام الفاسد . فقال المزيّن : اتريد زيادة بيان فقد منَّ الله عليك بمزيّن منجم عالم بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو والصرف واللغة وعلم المعاني والبيان وعلم المنطق والحساب والهيئة والهندسة والفقه والحديث والتفسير . وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها وحفظت العلوم واتقنتها . وعلمت الصنعة واحكمتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها . وكان والدي يحبني لقلة فضولي ولهذا خدمتي عليك فرض . وانا قليل الفضول لا كما زعمت . ولاجل هذا أُدعى بالصامت الرزين . وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك وشفقان عليك . واودّ ان اكون في خدمتك سنةً كاملةً وتقوم بحقي ولا اريد منك أجرة على ذلك . فلما سمعت ذلك منهُ قلت لهُ : انك قاتلي لا محالة في هذا اليوم

(الليلة الموفية للثلاثين) . فقال : يا سيدي انا الذي يسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي الخمسة لان اخي الكبير اسمهُ البقبوق . والثاني الهدّار . والثالث فقيق . والرابع اسمه الكوز الاسواني . والخامس اسمه النشار . فلما زاد عليَّ هذا المزيّن بالكلام شعرت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام : اعطه ربع دينار ودعهُ ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي الى حلاقة

راسي . فقال هذا المزيّن حين سمع كلامي للغلام : ما هذا المقال يا مولاي . اني لا آخذ منك اجرةً حتى أخدُمك ولا بد من خدمتك وقضاء حاجتك فانه واجب عليَّ . ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم . فان كنت لا تعرف قدري انا اعرف قدرك . وكان والدك رحمةُ الله تعالى لهُ علينا احسان لانه كان كريمًا وقد ارسل اليَّ يومًا بمثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليهِ وكان عنده جماعة من اصحابه . فقال لي : أخرج لي دمًا . فأخذت الاصطرلاب واخذت لهُ الارتفاع فوجدت الطالع لهُ نحسًا واخراج الدم فيهِ صعبًا فاعلمته بذلك فامتثل امري وصبر فانشدت في مدحهِ :

اتيتُ الى المولى لانقاصهِ دمًا فلم ارَ وقتًا يقتضي صحة الجسمِ
جلستُ اناجيهِ بكلِّ عجيبةٍ وبين يديهِ انشر العلم من فهمي
فاعجبهُ مني السماع وقال لي تجاوزت حدَّ الفهم يا معدن العلمِ
فقلتُ لهُ لولاكَ يا سيد الورى افضت عليَّ الفهم ما زادني فهمي
كأنكَ ربُّ الفضل والجود والعطا وكنز الورى في العلم والفهم والحلمِ

فطرب والدك وصاح للغلام وقال : اعطه مائة وثلثة دنانير وخلعةً . فاعطاني جميع ذلك . الى ان اتت ساعة حميدة واخرجت لهُ فيها الدم وما خالفني وشكرني وشكرني الجماعة الحاضرون . فبعد خروج الدم ما امكنني السكوت حتى قلت لهُ : بالله يامولاي ما اوجب قولك للغلام : اعطه مائة وثلثة دنانير . فقال : دينار حق النجامة ودينار حق المسامرة ودينار حق الحجامة والمائة دينار والخلعة حق مدحك لي . فقلت لهُ : لا رحم الله ابي الذي عرف مثلك . فضحك هذا المزيّن وقال : لا اله الّا الله محمد رسول الله . سبحان من يغيّر ولا يتغيّر . ما كنت اظنك الّا عاقلًا لكنك خرفتَ من المرض . وقال الله في كتابهِ العزيز :

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . وانت معذور على كل حال . وما ادري سبب عجلتك . وانت تعلم ان اباك وجدّك ما كانا يفعلان شيئاً الّا بمشورتي . وقد قيل : ان المستشار موتمن وما خاب من استشار . وقد قيل في بعض الامثال : من لم يكن لهُ كبير فليس هو بكبير . وقال الشاعر :

اذا ما عزمتَ على حاجةٍ   فشاور خبيرًا ولا تعصهِ

وما تجد احدًا أعرف مني في الامور . وانا واقف على اقدامي اخدمك . وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني . وانا اصبر عليك لاجل ما لابيك عليَّ من الفضل . فقلت لهُ : يا ذَنب الحمار لقد اطلت عليَّ الخطاب وزدت عليَّ في المقال وانا قصدي ان تحلق رأسي وتنصرف عني . ثم انهُ بلَّ راسي وقال لي : قد علمت انهُ دخلك الضجر مني لكن لا أُواخذك لان عقلك ضعيف وانت صبيٌّ . ولمَّا كنت بالامس صغيرًا كنت احملك على كتفي وامضي بك الى المكتب . فقلت لهُ : يا اخي بحق الله عليك اصبر عليَّ حتى اقضي شغلي وقم الى حال سبيلك . ثم شققت اثوابي فلما رآني فعلت ذلك اخذ الموسى وسنَّه . وما زال يسنُّه حتى كاد عقلي يفارقني . ثم تقدم الى راسي وحلق منهُ بعضاً ثم رفع يده وقال : يا مولاي العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن . ثم انهُ انشد يقول :

تأنَّ ولا تعجل لامرٍ تريدهُ   وكن راحمًا للنَّاس تبلَ براحمِ
وما من يد الّا يد الله فوقها   ولا ظالمٌ الّا سيبلى بظالمِ

ثم قال : يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على روُّوس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفيَّ قال الشاعر :

جميعُ الصنائع مثل العقود   وهذا المزيّنُ درُّ السلوكِ
فيعلو على كلّ ذي حكمةٍ   وتحتَ يديه روُّوسُ الملوكِ

فقلت لهُ : دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري . فقال : اظنك مستعجلًا . فقلت لهُ : نعم نعم نعم . فقال : تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان . وقد قال عليهِ الصلوة والسلام : خير الامر ما كان فيه تأنٍ . وانا رابني امرك فاشتهي ان تعرفني ما قصدته ولعلهُ خير فاني اخشى ان يكون شيئًا غير ذلك وقد بقي لوقت الصلاة ثلث ساعات . ثم قال : ما اريد ان اكون في شكٍ من ذلك بل اريد اعرف الوقت على التحقيق . لان الكلام اذا كان رجمًا بالغيب كان فيهِ عيب لا سيما لمثلي . وقد ظهر واشتهر عند الناس فضلي فما ينبغي لي ان اتكلم حدسًا كما تتكلم عامة المنجمين . ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى تحت الشمس ووقف مدةً مديدةً وعاد وقال : قد بقي لوقت الصلاة ثلث ساعات لا تزيد ولا تنقص . فقلت لهُ : بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي . فاخذ الموسى وسنه كما فعل اولاً وحلق بعض راسي وقال : انا مهموم من عجلتك فلو أطلعتني على سببها لكان خيرًا لك لانك تعلم ان اباك وجدك ما كانا يفعلان شيئًا الَّا بمشورتي . فلما علمت انهُ ما لي منهُ خلاص قلت في نفسي : جاء وقت الصلاة واريد ان امضي قبل ان تخرج الناس من الصلوة فان تاخرت ساعة لا ادري اين السبيل الى اجتماع الغناء . فقلت : اوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فاني اريد ان امضي الى دعوة عند بعض اصحابي . فلما سمع ذكر الدعوة قال : يومك يوم مبارك عليَّ . لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائي ونسيت ان اهتمَّ لهم في شيء ياكلونه والساعة افتكرت وا فضيحتاهُ منهم . فقلت لهُ : لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب فهو لك ان انجزت امري وعجلت حلاقة رأسي . فقال : جزاك الله

خيرًا . صف لي ما عندك لأضيافي حتى اعرفه . فقلت : عندي خمسة الوان طعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي . فقال : احضرها لي حتى انظر . فاحضرت لهُ ذلك جميعه . فلما عاينه قال : بقي الشراب . فقلت لهُ : عندي . فقال : أحضرهُ . فاحضرته لهُ . قال : لله درك ما اكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب . فاحضرت لهُ درجًا فيهِ ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارًا . وكان الوقت قد ضاق وضاق صدري فقلت لهُ : خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمد صلى الله عليهِ وسلم . فقال المزيّن : والله ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه فامرت الغلام ففتح لهُ الدرج . فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلّب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى ضاق صدري . ثم تقدَّم واخذ الموسى وحلق من راسي شيئًا يسيرًا وانشد يقول :

ينشا الصغيرُ على ما كان والدهُ   انَّ الاصولَ عليها ينبتُ الشجرُ

وقال : يا ولدي ما ادري . أأشكرك ام اشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك . وليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي سادةٌ محترمون مثل زنتوت الحمامي وصليع الفامي وسيلة الفوّال وعكرشة البقّال وحميد الزبّال وسعيد الجمّال وسويد العتال وابو مكارش البلّان وقسيم الحارس وكريم السائس . كل هؤلاء ما فيهم ثقيل ولا معربد . ولا فضولي ولا منكد . ولكل واحد من هؤلاء رقصة يرقصها . وابيات ينشدها . واحسن ما فيهم انهم مثل خادمك المملوك لا يعرفون كثرة الكلام ولا الفضول . اما الحمامي فانهُ يغني على الدَّربكة شيئًا مثل السحر ويقوم يرقص ويقول : انا رائح املي جرتي . واما الفامي فانهُ يجيء بالمعرفة احسن من غيره ويرقص ويقول : يا نائحة يا ستي ما قصرتِ . فما يخلّي لاحد فؤادًا من الضحك عليهِ . واما الزبّال فانه يغني فيوقف الاطيار

ويرقص ويقول : الخبر عند زوجتي صار في صندوق ولهُ مقدار . وهو كيّس وفي حسنه اقول :

روحي الفداء لزبَّال شغفتُ بهِ حلو الشمائل يحكي الغصن ميَّادا
جاد الزمانُ به ليلًا فقلتُ لهُ والشوقُ ينقص مني كلما زادا
اضرمت نارك في قلبي فجاوبني لا غروَ ان اصبح الزبَّال وقَّادا

وقد كمل في كل واحد من هؤلاء ما يلهي العقول من اللهو والمضحكة . ثم قال : وليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا فان ذلك احبُّ اليك والينا واترك رواحك الى اصدقائك الذين عوَّلت عليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيري الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم او يكون فيهم واحد فضولي يصدع رأسك وانت صغرتْ روحك من المرض . فقلت لهُ : يكون ذلك في غير هذا اليوم وضحكت من قلب الغيظ . وقلت لهُ : اقضِ شغلي واسير انا في امان الله تعالى وتمضي انت الى اصحابك فانهم ينتظرون قدومك . فقال : يا مولاي ما طلبت الَّا ان أعاشرك بهؤلاء الاقوام الاكياس اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولا كثير الكلام . فاني مذ نشأت ما اقدر أعاشر ابدًا من يسأل عمن لا يعنيه ولا اعاشر الَّا من يكون مثلي قليل الكلام . فانك لو عاشرتهم ورأيتهم مرة واحدة تترك جميع اصحابك . فقلت لهُ : تمم الله بهم سرورك ولا بد لي ان أحضر عندهم يومًا من الايام . فقال : اردت ذلك في هذا اليوم فان كنت قد عوَّلت ان تمضي معي الى اصدقائي فدعني امضي بما تفضلت بهِ اليهم . وان كنت لا بد لك من الذهاب الى اصدقائك في هذا اليوم فانا امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني بهِ وادعه عند اصحابي ياكلون ويشربون ولا ينتظروني . ثم اعود اليك وامضي معك الى اصدقائك فليس بيني وبين اصدقائي حشمة تمنعني

عن تركهم . واعود اليك عاجلًا امضي معك اينما توجهت . فقلت : لا حول ولا قوةَ الّا بالله العليّ العظيم. امضِ انت الى اصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي الى اصدقائي واكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظروني . فقال المزين : لا ادعك تمضي وحدك . فقلت لهُ : ان الموضع الذي امضي انا اليهِ لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري . فقال : اظنك اليوم تذهب الى الاصحاب والّا كنت تاخذني معك وانا احقُّ من جميع الناس واساعدك على ما تريد فاني اخاف عليك. فان هذه مدينة بغداد فيها خطر لا سيما في مثل هذه الايام. فقلت : ويلك يا شيخ السوء انقلع لاي شيء هذا الكلام الذي تقابلني بهِ . فقال لي : يا بارد انا انما اريد ان اساعدك اليوم بنفسي . فمن زيادة ضجري سكتُ سكوتًا طويلًا . وادركنا وقت الصلوة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ حلق رأسي . فقلت لهُ : امضِ الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي . ولم ازل لهذا الملعون اداهنهُ واخادعه لعله يمضي عني . فقال لي : انك تخادعني لتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها . فالله الله لا تروح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك . فقلت لهُ : نعم لا تبطئ عليَّ . فاخذ جميع ما اعطيته لهُ من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي . وسلّمه هذا الملعون الى حمّال وأداه الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة . ثم قمت من ساعتي وقد سلّم المؤذنون . فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي سمعت منهُ الصوت فوجدت العجوز واقفة تنتظرني فطلعت معها الى طبقة منفردة . فلما دخلتها اذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة واغلق الباب . فاشرفت انا من الطاق فرأيت هذا المزين لعنة الله عليهِ قاعدًا على الباب . فقلت : من اين علم هذا الشيطان بي . فاتفق

في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان جارية صاحب الدار أذنبت عنده فضربها فصاحت . فدخل عبده ليخلصها فضربه فصاح الآخر . فاعتقد المزين الملعون انهُ يضربني فصاح وخرق اثوابه وحثا التراب على راسه وبقي يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول : قُتل سيدي في بيت القاضي . ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فما دريت الَّا وهم اقبلوا مخرَّقين الثياب وحالّين شعورهم يصيحون : وا سيداه . وهذا المزين قدَّامهم مخرَّق الثياب وهو يصيح والناس معهُ . (قال) ولم يزل اهلي يصرخون وهو في اوائلهم يصرخ وهم يقولون : وا قتيلاهُ وا قتيلاه . وهموا نحو الدار التي انا فيها . فسمع صاحب الدار الضجة والصراخ على بابه فقال لبعض غلمانهِ : انظر ما الخبر . فخرج الغلام وعاد الى سيده وقال : يا سيدي على الباب أزيد من عشرة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وهم يصيحون : وا قتيلاه . ويشيرون الى دارنا . فلما سمع القاضي ذلك عظم عليهِ الامر فغضب وقام وخرج وفتح الباب فرأى جمعًا عظيمًا فبهت وقال : يا قوم ما القصة . فقال لهُ الغلمان : يا ملعون يا كلب يا خنزير انك قتلت سيدنا

(الليلة الحادية والثلثون) . أما القاضي فقال : يا قوم وما الذي فعلهُ سيدكم حتى اقتله وهذه داري بين ايديكم . فقال لهُ المزين : انت ضربتهُ في هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صراخه . فقال القاضي : وما الذي فعله حتى اقتله ومن ادخله داري ومن اين جاء والى اين يقصد . فقال لهُ المزين : لا تكن شيخًا نحسًا وانا اعلم الحكاية والحال كله وانت علمتَ انهُ قد دخل دارك فأمرت غلمانك فضربوه . والله ما بيننا وبينك الَّا الخليفة او تخرج لنا سيدنا يأخذهُ اهله من قبل ان ادخل واخرجه من عندكم وتخجل انت . فقال لهُ القاضي وقد التجم عن

الكلام واخذه الحياء من الناس : ان كنت صادقاً فادخل أنت وأخرجه . فهم المزين ودخل الدار . فلما رأيت المزين دخل طلبت طريقاً للخروج والهروب فلم اجد . غير اني رأيت في الطبقة التي انا فيها صندوقاً كبيراً فدخلت فيه ورددت الغطاء عليَّ وقطعت نفسي . فدخل القاعة فلم يدخلها الّا واطّلع على الموضع الذي انا فيه فالتفت يميناً وشمالاً وتقدم الى الصندوق الذي انا فيه وحمله على راسه . فغاب رشدي . ثم مرَّ مسرعاً . فلما علمت انهُ ما يتركني جذبت نفسي وفتحت الصندوق ورميت نفسي الى الارض فانكسرت رجلي . وانفتح الباب فشاهدت على الباب خلقاً كثيراً . وكان في كمي ذهب كثير فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا بهِ فأخذوهُ واشتغلوا بهِ وصرت اجري في ازقّة بغداد يميناً وشمالاً وهذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيهِ يدخل هذا المزين خلفي . وهو يقول : ارادوا يفجعوني في سيدي . الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلّص سيدي من ايديهم . فما زلت يسوؤني تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال . فلو لم يمنّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعتَ فيها . وكانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها ابداً . وكم اريد ان اعيش لك حتى اخلصك . لقد اهلكتني بسوء تدبيرك . وكنت تريد ان تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول . فقلت له : ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورائي وتتكلم معي بمثل هذا الكلام في الاسواق . وكادت روحي تزهق مني من شدة غيظي منه . فدخلت دكاناً في وسط السوق واستجرت بالحائك . فمنعه عني . وجلست في مخزن وقلت في نفسي : ما عدت اقدر ان افترق من هذا المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلاً ونهاراً ولا بقي فيَّ رمق لأنظر الى خلقته . فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصيةً لاهلي وفرّقت مالي وعملت عليهم ناظراً

وامرته ان يبيع الدار والعقارات ووصيته بالكبار والصغار . وخرجت مسافرًا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القوّاد وجئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدّة . فلما عزمتم عليَّ جئت اليكم فرأيت هذا الملعون القوّاد عندكم في صدر المكان . فكيف يطيب قلبي ومقامي عندكم مع هذا . وقد فعل بي هذه الفعال وانكسرت رجلي بسببه

ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احقٌّ ما قالهُ هذا الشاب عنك . فقال : انا فعلت ذلك معهُ بمعرفتي وعقلي ومروءتي ولولاي لهلك وما سبب نجاته الا انا والحمد لله حيث أُصيب في رجله ولم يصب في روحه . ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معهُ الجميل . وها انا اقول لكم حديثاً جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي الخمسة . وذلك اني كنت ببغداد على زمن المستنصر بالله بن المستضيء بالله وكان هو الخليفة يومئذٍ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين . فاتفق لهُ يوماً انهُ غضب على عشرة انفار . فأمر المتولي ببغداد ان يأتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصاً قطاعين للطريق . فخرج متولي البلد فاخذهم ونزل بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت : ما اجتمع هؤلاء الّا لوليمة واظنهم يقطعون نهارهم في هذا الزورق في اكل وشرب وما يكون نديمهم غيري . فقمت يا جماعة من جملة مروءتي ورزانة عقلي ونزلت معهم في الزورق واختلطت بهم . فعبروا وقعدوا الى الجانب الآخر . فجاءت لهم شرطة واعوان بالزناجير ورموها في رقابهم ورموا في رقبتي زنجيرًا ايضاً . فهذا يا جماعة ما هو من مروءتي وقلة كلامي لاني سكتُّ وما رضيت ان اتكلم . فاخذونا بالزناجير وقدمونا بين يدي المستنصر بالله امير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة . فتقدم السياف بعد ان اجلسنا بين يديه

في نطع الدم وجرد سيفه وضرب رقبة واحد بعد واحد الى ان ضرب رقبة العشرة. فبقيت انا فنظرني الخليفة فقال للسياف : ما بالك ضربت رقاب تسعة فقط . فقال السياف : معاذ الله ان تأمر بضرب رقاب عشرة فاضرب انا رقاب تسعة. فقال لهُ : ما أظنكَ ضربت الّا رقاب تسعة وهذا الذي بين يديك هو العاشر . فقال السياف: وحقّ نعمتك قتلت عشرة. قال : عدوهم. فاذا هم عشرة . فنظر اليَّ الخليفة وقال : ما حملك على سكوتك في مثل هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم وما سبب هذا وانت شيخ كبير وعقلك قليل . فلما سمعت خطاب امير المؤمنين قلت لهُ : اعلم يا امير المؤمنين اني انا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء كثير . واما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فلا نهاية لها وصنعتي مزين . فلما كان نهار امس من باكر النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت انهم في وليمة . فما كان غير ساعة الّا حضرت اليهم الاعوان وجعلوا في رقابهم الزناجير وجعلوا في رقبتي زنجيرًا من جملتهم . فمن كثرة مروتي سكتُّ ولم اتكلم . فما هي الّا مروة . فساروا بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي فما هي الّا مروة عظيمة لاني شاركتهم فيها في القتل. ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل مع الناس وهم يكافئونني باوحش مكافأة. فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصتهُ من الاهوال ضحك ضحكًا شديدًا حتى استلقى على قفاه . فقال الخليفة لي : يا صامت واخوتك الخمسة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام . قلت : لا عاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلي . ولكن ذممتني يا امير المؤمنين ولا ينبغي لك ان تقارن اخوتي بي . لانهم من كثرة كلامهم وقلة

مروّتهم صار كل واحد منهم بعاهة . فمنهم واحدٌ اعور وواحدٌ اعمى وواحدٌ مقطوع الاذن والمنخر . وواحد مقطوع الشفتين . وواحد احدب . ولاتحسب يا امير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بدَّ ان ابين لــك اني اعظم مروّة منهم . ولكل واحد منهم حكاية اتفقت لهُ حتى صار فيهِ عاهة وانا احكي لك حكايتهم

حكاية الاخ الاول للمزيّن

ان الاول وهو الاحدب كانت صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكناً على الدكان . وكان في اسفل دار الرجل طاحون . فبينما اخي الاحدب جالس في الدكان في بعض الايام يخيط رفع رأسهُ فرأى امرأة في روشن الدار وهي تنظر الى الناس . فلما رآها اخي صار ينظر اليها وترك الخياطة . فلما كان اليوم الثاني وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فرآها على تلك الحالة . ولما كان اليوم الثالث جلس في مكانه وهو ينظر اليها . فرأتهُ المرأة وعلمت انه قد صار اسيرًا فضحكت في وجهه . ثم انها غابت عنهُ وارسلت جاريتها اليهِ ومعها بقجة فيها طاقة مشجر احمر . فجاءت الجارية اليهِ وقالت لهُ : سيدتي تقرئك السلام وتقول لك : فصل لها بيد الفضل قميصاً من هذه الطاقة وخيطهُ خياطةً حسنة . فقال لها سمعاً وطاعة . ثم انهُ فصل لها ثوباً وأتم خياطتــهُ في ذلك اليوم . فلما كان الغد باكرتهُ الجــارية وقالت لهُ : سيدتي تسلم عليك وتســأل عن خاطرك . ثم قدمت بين يديه طاقة اطلس اصفر وقالت لهُ : تقول لك سيدتي فصل لهــا من هذه الطاقة قنبازين وخيطهما اليوم هذا . فقال لها : سمعاً وطاعة سلمي عليها السلام الكثير . ثم انهُ شرع في التفصيل واجتهد في خياطة القنبازين وبعد ساعة

تطلعت لهُ المرأة من الشباك وسلمت عليهِ بالايماء وهي تتبسم في وجههِ وهو يظن انها احبته . ثم انها غابت عنهُ وجاءت الجارية اليه فسلمها القمبازين . فاخذتهما وانصرفت ولما اقبل الليل انطرح على فراشه وبات يتقلب الى الصباح

فلما اصبح قام وجلس في مكانه فجاءت الجارية اليهِ وقالت لهُ : ان مولاي يدعوك . فلما سمع ذلك خاف خوفاً عظيماً . فلما شعرت الجارية بخوفه قالت لهُ : لا باس عليك ما هناك الّا الخير فقد جعلت سيدتي بينك وبين سيدي معرفة . ففرح الرجل فرحاً عظيماً . ثم ذهب معها . فلما دخل على سيدها زوج سيدتها قبّل الارض . فردَّ عليهِ السلام . ثم ناولهُ ثياباً كثيرة وقال لهُ : فصل لي من هذا اقمصة وخيطها . فقال اخي : سمعاً وطاعةً . ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصاً الى وقت العشاء ولم يذق طعاماً . ثم قال لهُ : كم يكون لذلك اجرة . فقال لهُ : عشرون درهماً . فصاح زوجها على الجارية وقال : هاتي عشرين درهماً . فلم يتكلم اخي . فاشارت اليهِ الصبية بعينها : لا تأخذ منهُ شيئاً . فقال : والله ما آخذ منك شيئاً . وأخذ الخياطة وخرج . وكان اخي محتاجاً الى فلوس . وبقي لهُ ثلاثة ايام لا ياكل ولا يشرب الّا القليل من اجتهاده في تلك الخياطة التي لهما . فأتت الجارية وقالت له : اي شيء عملت . فقال : فرغت . فاخذ الثياب واتى اليهما بها وسلم الى زوجها الثياب وانصرف من ساعته . وكانت الصبية قد عرَّفت زوجها بحال اخي واخي لا يعلم ذلك . واتفقت هي وزوجها على استعمال اخي في الخياطة بلا شيء . والضحك عليهِ . فلما اصبح الصباح اتى الى الدكان فاتت اليهِ الجارية وقالت لهُ : كلم سيدي . فذهب معها . فلما وصل اليهِ قال لهُ : اريد منك ان تفصل لي خمس فرجيات . ففصل لهُ واخذ الثياب معهُ وانصرف . ثم انهُ خيَّط تلك الفرجيات ومضى بها اليهِ . فاستحسن خياطته ودعا بكيس فيهِ

دراهم ومدَّ يده فاشارت اليهِ الصبية من خلف زوجها ان: لا تأخذ شيئاً . فقال للرجل: يا سيدي لا تعجل فالزمان موافٍ. وخرج من عنده وهو اذلُّ من حمار . وقد اجتمع عليهِ اربعة اشياء . افلاسٌ . وجوع . وعرًى وتعب . وانما هو يشجع نفسه . فلما فرغ اخي من جميع الاشغال عملا عليهِ حيلة وزوجاهُ بجاريتهما وفي ليلة الزفاف قالا لهُ : بِت الليلة في الطاحون الى غدٍ يكون خيرًا . فاعتقد اخي انهُ صحيح فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليهِ حتى انهُ يدوره في الطاحون . فدخل عليهِ الطحان نصف الليل وجعل يقول : هذا الثور بطل ووقف ولا بقي يدور في هذه الليلة والقمح عندنا كثير . فنزل الى الطاحون وملأ القادوس قمحاً وقصد اخي وكان في يده حبل فربط رقبته وقال لهُ: هيَّا دُر على القمح . ما مرادك الا تأكل وترقد . ثم اخذ سوطاً في يده وضربه بهِ. واخي يبكي ويصيح فلم يجد لهُ مغيثاً . والقمح ينطحن الى قريب الصبح . فجاء صاحب الدار فرأى اخي معلقاً على الخشبة ومضى. وجاءت الجارية اليهِ باكر النهار وقالت لهُ : يشقُّ عليَّ ما جرى لك . انا وسيدتي قد حملنا همك . فلم يكن لهُ لسان يردُّ جواباً من شدة الضرب والتعب. ثم ان اخي اتى الى منزله واذا بالمعلم الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال لهُ : حياك الله هذا وجه النعيم ودوام السعد وغاية الاقبال . فقال لهُ اخي : لا سلم الله الكاذب يا نحس واي نعيم هذا صدقني ما جئت الَّا اطحن موضع الثور الى الصباح . فقال لهُ : حدثني بحديثك فحدثه اخي بما وقع لهُ . فقال لهُ : ما وافق نجمك نجمها . ولكن اذا شئتَ اغيّر لك ذلك الكتاب . فقال لهُ : انظر ان بقي لك حيلة اخرى . ثم تركه واتى الى مكانه ينظر احدًا يأتيهِ بشغل يتقوّت منه. واذا هو بالجارية قد اتت اليهِ وقالت لهُ : كلم سيدتي . فقال لها : روحي يا بنت الحلال ما بيني وبين سيدتك

معاملة . فراحت الجارية واعلمت سيدتها بذلك . فما دري اخي الاوهي قد طلعت لهُ من الروشن وهي تبكي وتقول: لاي شيء ما بقي بيني وبينك معاملة. فلم يردَّ عليها جوابًا . فحلفت لهُ ان جميع ما وقع لهُ في الطاحون لم يكن باختيارها وانها بريئة من ذلك الامر . فذهب حينئذٍ عنهُ ما حصل لهُ وقبل عذرها وفرح ثم سلّم عليها وجلس في خياطته مدةً . فلما كان بعد ذلك جاءت الجارية وقالت لهُ : تسلم عليك سيدتي وتدعوك الى البيت . وكان زوجها قد قال لها: ما يكون العمل في رجوعه عنك . فقالت : دعني احتال عليهِ بحيلة اخرى واشهرهُ في هذه المدينة . واخي لا يعلم شيئًا من كيد النساء . فجاءتهُ الجارية واخذت اخي وذهبت بهِ . فلما رأت الصبية اخي قالت لهُ : يا سيدي اني مشتاقة اليك كثيرًا. فقال : وانا مشتاق اليكِ . فلم يتم كلامهُ الا وحضر زوج الصبية من بيت هناك وقال لاخي : ما هذا تتحدث مع حريمي في بيتي والله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة . فتضرّع اليهِ اخي فلم يسمعه بل حمله الى الوالي فضربه بالسياط واركبهُ جملًا ودوّره المدينة والناس ينادون عليهِ هذا جزاء الخائن . ونُفي من المدينة فخرج لايدري اين يقصد فخفت انا فلحقتهُ ورددتهُ واجلسته عندي الى الان . فضحك الخليفة من كلامي وقال : احسنت يا صامت يا قليل الكلام وأمر لي بجائزة وانصراف . فقلت : لا اقبل شيئًا منك دون ان احكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام

حكاية الاخ الثاني للمزين

(الليلة الثانية والثلاثون) . واما اخي الثاني فاسمهُ فقيق وكان اعمى . فساقهُ القضاء والقدر الى دار كبيرة . فدق الباب طمعًا ان يكلمه صاحبها فيسألهُ

شيئًا . فقال صاحب الدار : مَن بالباب . فلم يكلمه احد . فسمعه اخي يقول بصوت عالٍ : من هذا . فلم يكلمه اخي . وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال لهُ : ما تريد . فقال اخي : شيئًا لله تعالى . فقال لهُ : انت ضرير . قال لهُ اخي : نعم . فقال لهُ : ناولني يدك . فناوله يده وهو يعتقد انهُ يعطيه شيئًا . فاخذه بيده وادخله الدار . ولم يزل يصعد بهِ من سلّم الى سلم حتى وصل الى اعلى السطوح . واخي يظنّ انهُ يطعمه شيئًا او يعطيهِ شيئًا . فلما انتهى قال لاخي : ما تريد يا ضرير . قال : اريد شيئًا لله تعالى . فقال لهُ : يفتح الله عليك . فقال لهُ اخي : يا هذا ما كنت تقول لي كذا وكذا وانا اسفل . فقال لهُ : يا سفيه لمَ لا تكلمني من اول مرة . فقال لهُ اخي : والساعة ما تريد تصنع بي . فقال لهُ : ما عندي شيء اعطيكه . قال لهُ : انزل بي الى السلالم. فقال : الطريق بين يديك . فقام اخي واقبل وما زال نازلًا حتى بقي بينهُ وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع الى الباب . فانفتح رأسهُ فخرج وهو لايدري اين يذهب فلحقه بعض رفقته العميان فقالوا لهُ : اي شيء حصل لك اليوم . فحدثهم بما وقع لهُ . ثم قال لهم : يا اخوتي اريد ان اخرج شيئًا من الدراهم التي بقيت معي وانفق على نفسي . وكان صاحب الدار يتبعه ويسمع كلامه . واخي لايدري بالرجل ولا برفيقه . فجاء اخي الى منزله ودخل ودخل الرجل خلفه واخي لا يشعر بهِ وقعد اخي ينتظر رفقاءه . فلما دخلوا قال لهم : اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون تبعنا احد غريب . فلما سمع الرجل كلام اخي قام وتعلق بحبل كان في السقف . فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا احدًا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخي . ثم اخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فاذا هي اثنا عشر الف درهم . فتركوها في زاوية البيت واخذ كل واحد ما يحتاج اليهِ وطرحوا بقية

الدراهم في التراب . ثم قدموا بين ايديهم شيئاً من الاكل وقعدوا يأكلون فسمع اخي الى جانبه مضغاً غريباً . فقال لاصحابه : معنا غريب . ثم مدَّ يده فتعلق بيده يد الرجل صاحب الدار فوقعوا فيه ضرباً . فلما طال عليهم ذلك صاحوا يامسلمين دخل علينا لصٌّ يريد ان يأخذ مالنا . فاجتمع عليهم خلق كثير . فاقبل الرجل وتعلق بهم وادَّعى عليهم مثلما ادعوا عليه وغمض عينيه حتى كانهُ صار مثلهم لايشك فيه احد. وصاح يا مسلمين انا بالله وبالسلطان انا بالله وبالوالي مع نصيحة. فما شعر الّا وقد احاطوا بالجميع واخي معهم وساقوهم الى بيت الوالي فاحضرهم قدامه وقال : ما خبركم . فقال الرجل : انظر ولا يبين لكَ شيء الّا بالعقوبة واول ما تبدأ ابدأ بي وعاقبني . ثم بهذا قائدي. واومى بيده الى اخي. فمدوا ذلك الرجل وضربوهُ اربعمائة عصا فاوجعه الضرب ففتح عينه الواحدة . فلما زادوا عليه بالضرب فتح عينه الاخرى . فقال لهُ الوالي : ما هذه الفعال ياملعون. فقال : اعطني خاتم الامان نحن اربعة نعمل ارواحنا عمياناً ونغير على الناس وندخل البيوت ونعمل في خسارة الناس . فاجتمع لنا مكسب عظيم وهو اثنا عشر الف درهم فقلت لرفقتي : اعطوني حقي ثلاثة الاف . فقاموا وضربوني واخذوا مالي وانا مستجيرٌ بالله وبكَ وانا احق بقسمي واشتهي ان تعرف صدق قولي . فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتني فانهُ يفتح عينيه . فعند ذلك أمر الوالي بعقوبتهم واول ما بدأ باخي . فشدوهُ الى سلّم وقال لهم الوالي : يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان . فقال اخي : الله الله . والله ما فينا بصير . فضربوه حتى غشي عليه . فقال الوالي : دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه ثاني مرة . ثم أمر بضرب اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم : افتحوا عيونكم والّا جدَّد عليكم الضرب. ثم قال الرجل للوالي : ابعث معي

من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون عيونهم ويخافون من فضيحة الناس . فبعث الوالي اخذ المال واعطى للرجل منهُ ثلاثة الاف درهم قسمته على ما زعم عنهم . واخذ الوالي الباقي ونفى الثلاثة . وخرجت انا يا امير المؤمنين ولحقت اخي وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لـك وادخلته المدينـة سرًّا ورتبت لهُ ما يأكل وما يشرب في الخفية . فضحك الخليفـة من حكايتي وقال : اعطوهُ جائزة ودعوهُ ينصرف . فقلت لهُ : ما آخذ شيئاً حتى ابيّن لامير المؤمنين ما جرى لاخوتي فاني قليل الكلام

حكاية الاخ الثالث للمزين

ثم قال : واما اخي الثالث يا امير المؤمنين وهو الاعور فانهُ كان جزّارًا ببغداد يبيع اللحم ويربي الكباش وكان يقصده الكبار واصحاب الاموال يشترون منهُ اللحم فكسب من ذلك مالاً عظيماً واقتنى الدوابَّ والدور واقام على ذلك زمناً طويلاً . فبينما هو ذات يوم من بعض الايام عند دكانه اذ وقف عليهِ شيخ كبير اللحية فدفع لهُ دراهم وقال : اعطني بها لحماً . فاعطـاه اللحم فأخذه وانصرف . فتأمل اخي في فضة الشيخ فرأى دراهمه بياضهـا ساطع فعزلها في ناحية وحدها . واقام الشيخ يتردد عليهِ خمسة اشهر . واخي يطرح دراهمـه في صندوق وحدها . ثم اراد ان يخرجها ويشتري غنماً ففتح الصنـدوق فرأى جميع ما فيهِ ورق ابيض مقصصٌ . فلطم وجههُ وصاح فاجتمع الناس عليـه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه . فقام اخي على عادته فذبح كبشاً وعلّقهُ داخل الدكان وقطع لحماً وعلّقهُ خارج الدكان وصار اخي يقول : يا الله يجيء الشيخ النحس . فما كانت ساعة الّا وقـد اقبل الشيخ ومعهُ الفضة . فقام اخي وتعلق به وصـار يزعق :

يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر . فلما سمع الشيخ كلامه قال له : ايما احب اليك تتنحى عني او افضحك بين الناس . فقال له اخي : باي شيء تفضحني . قال : بانك تبيع لحم الناس على انهُ لحم غنم . فقال له اخي : كذبت يا ملعون . فقال الشيخ : ما ملعون الّا الذي عنده رجل في الدكان معلق . فقال له اخي : ان كان الامر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك . فقال الشيخ : يا معاشر الناس ان اردتم تحقيق قولي وصدقي ادخلوا دكانه . فهجم الناس على دكان اخي فرأوا ذلك الكبش صار انساناً معلقاً . فلما رأوا ذلك تعلقوا باخي وصاحوا عليهِ : يا كافر يا فاجر وصار اعزّ الناس اليهِ يضربه ويلطمه ويقول له : انت تطعمنا لحم بني آدم . ولطمهُ الشيخ على عينه قلعها وحملت الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة . فقال له الشيخ : ايها الامير هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على انهُ لحم غنم وقد اتيناك بهِ فقم واقضِ حقّ الله عزّ وجلّ . فدافع اخي عن نفسه فلم يسمع منهُ وأمر بضربهِ خمسمائة عصاً واخذوا جميع ماله ولولا المال لقتلوهُ . فقام اخي تائهاً على وجهه حتى دخل مدينة كبيرة وكان احسن له ان يعمل اسكافاً ففتح دكاناً وقعد يعمل شيئاً يتقوّت بهِ . فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فسأل عن ذلك . فقيل له : ان الملك خارج في الصيد والقنص . فجعل اخي ينظر الى حسن الملك فوقعت عين الملك في عين اخي فاطرق الملك برأسه وقال : اعوذ بالله من شرّ هذا اليوم واثنى عنان فرسه ورجع فرجع جميع الغلمان ثم امر الغلمان فلحقوا اخي فضربوه ضرباً وجيعاً حتى كاد ان يموت . ولم يدرِ اخي ما السبب . فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم . ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقصّ عليهِ ما وقع له . فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له : يا اخي اعلم ان الملك لايطيق ان ينظر الى اعور

لا سيا ان كان اعور باليمنى فانهُ لايعتقهُ دون قتله . فلما سمع اخي ذلك الكلام عزم على الهرب من تلك المدينة . ثم قام وخرج منها وتحول الى ناحية اخرى لم يكن بها احد يعرفه واقام بها زمناً طويلاً

وبعد ذلك تفكر اخي في امره وخرج يوماً يتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال : جاء امر الله فطلب موضعاً يستتر فيهِ فلم يجد . ثم نظر فاذا بباب مغلق فدفع ذلك الباب فوقع . فدخل فرأى دهليزاً طويلاً فدخل اخي فيهِ فلم يشعر الّا ورجلان قد تعلقا بهِ وقالا لاخي . الحمد لله الذي امكننا منك يا عدو الله هذه ثلث ليالٍ ما خليتنا ننام ولا نهدأ وقد اذقتنا الموت . فقال اخي : يا قوم ما امركما . فقالا : انت تغار علينا وتريد ان تفضحنا وتدبر الحيلة وتريد ان تذبح صاحب البيت ما يكفيك انك افقرته انت واصحابك . ولكن اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوهُ فوجدوا في وسطهِ سكيناً فقال : يا قوم اتقوا الله في امري واعلما ان حديثي عجيب . فقالا وما حديثك . فحدثهما بحديثه طمعاً ان يطلقاه فما سمعا من اخي ما قال ولا التفتا اليهِ وضرباه وخرّقا اثوابه فوجدا عليهِ اثر الضرب بالمقارع على جنبيهِ . فقالا لهُ : يا ملعون هذا اثر الضرب ثم احضرا اخي بين يدي الوالي . فقال في نفسه : قد وقعت بذنوبي وما يخلصني الّا الله تعالى . فقال الوالي لاخي : يا فاجر ما حملك على هذا الامر تدخل دارهما بالقتل . فقال لهُ اخي : سألتك بالله ايها الامير اسمع كلامي ولا تعجل عليَّ . فقال الوالي : نسمع كلام لصٍّ قد افقر الناس وعليهِ اثر الضرب في ظهره . وقال لهُ : ما فعلا بكَ هذا الامر الّا عن جرم عظيم فامر ان يضرب مائة سوط . ثم حملوه على جمل ونادوا عليهِ هذا جزاء واقل من جزاء مَن يهجم على بيوت الناس . وامر باخراجه من المدينة وفرَّ اخي على وجهه

فلما سمعت بهِ انا خرجت اليهِ واستخبرته فأخبرني بحديثه وما جرى لهُ . ولا زلت معهُ دائرًا وهم ينادون عليهِ حتى سيبوه فاتيت اليهِ واخذته وادخلته المدينة سرًا ورتبت لهُ ما يأكل وما يشرب

حكاية الاخ الرابع للمزين

واما اخي الرابع فانهُ كان مقطوع الاذنين يا امير المؤمنين وكان رجلًا فقيرًا وكان يسأل الناس ليلًا وينفق ما أُعطي نهارًا . وكان والدنا شيخًا كبيرًا طاعنًا في السن . فاعتلَّ ومات فخلف لنا سبعمائة درهم . فاخذ كل واحد منا ما اصابه . واما اخي الرابع فانهُ لما اخذ حصته تحيَّر ولم يدرِ ما يصنع بها . فبينما هو كذلك اذ وقع في خاطره انهُ يأخذ بها زجاجًا من كل نوع وينتفع بثمنه . فاشترى زجاجًا وجعلهُ في طبق كبير وقعد في موضع يبيع فيهِ وبجانبه حائط فاسند ظهره اليهِ وقعد متفكرًا في نفسه وقال : ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم وخمسة وسبعون درهمًا وانا ابيعه بمئتي درهم. ثم اشتري بمائتي درهم زجاجًا وابيعه باربعمائة درهم ولا ازال ابيع واشتري الى ان يبقى معي مال كثير . فاشتري بهِ من جميع المتجر والجواهر والعطر فاربح ربحًا عظيمًا وبعد ذلك اشتري دارًا حسنة واشتري المماليك والخيل وسروج الذهب وآكل واشرب ولا اخلي مغنيًا ولا مغنية في المدينة حتى اجيء بها عندي واعمل ان شاء الله تعالى رأس مالي مائة الف درهم

هذا كلهُ وقفص الزجاج مطروح قدامه ثم قال : واذا صار مالي مائة الف درهم ابعث الدلالات في خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة في الحسن بديعة في الجمال . وامهرها الف دينار فان رضي ابوها

كان وان لم يرضَ اخذتها قهراً عن رغم انفه . فان حصلت في داري اشتري عشرة خدَّام صغار . ثم اشتري لي كسوةً من كساء الملوك والسلاطين . واصنع لي سرج ذهب وارصعه بالجواهر المثمنة . ثم اركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي . وادور المدينة والناس يسلمون عليَّ ويدعون لي . ثم ادخل على الوزير الذي هو ابو البنت والمماليك خلفي وقدامي وعن يميني وعن شمالي فاذا رآني قام الوزير اليَّ قائماً واقعدني مكانه ويقعد هو دوني لانهُ عمي . ويكون معي خادمان معهما كيسان . كل كيس فيه الف دينار . فاعطيه الفاً مهر بنته واهدي لهُ الف دينار اخرى حتى يعلم مرؤتي وكرمي وكبر نفسي وصغر الدنيا في عيني . واذا خاطبني بعشر كلمات اجبتهُ بكلمتين . ثم انصرف الى داري فاذا جاء احد من جهة امرأتي وهبت لهُ دراهم وخلعت عليهِ خلعة . وان جاءني بهديَّة رددتها عليهِ ولم اقبلها منه . حتى يعلموا اني عزيز النفس ولا اخلي نفسي الَّا في موضعها . ثم اتقدم اليهم باصلاح شأني فاذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها . واصلح داري اصلاحاً بيناً . فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي وقعدت في حلة من الديباج متكئاً لا التفت يميناً ولا شمالاً لكبر عقلي ورزانة فهمي . وتكون امرأتي قائمة قدامي كالبدر . وهي في حليها وحللها . وانظر اليها عجباً وتيهاً حتى يقول جميع من حضر : يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمتان بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضرَّ بها القيام . ثم يقبّلون الارض قدامي مراراً . فعند ذلك ارفع رأسي وانظر اليها نظرة واحدة . ثم اطرق برأسي الى الارض فيمضون بها . ثم اقوم والبس احسن مما كان عليَّ : فاذا جاءوا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مراراً وانظر اليها . ثم اطرق الى الارض ولا ازال كذلك حتى يتمّ جلاؤُها

(الليلة الثالثة والثلثون) . ثم اني آمر بعض الخدم ان يرمي كيساً فيهِ

خمسمائة دينار . فاذا أُحضرت ادفعهُ للمواشط وآمرهنَّ ان يدخلنها الى مجلسي . فاذا دخلنَ بها فلا انظر اليها ولا اكلمها احتقاراً لكي يقال اني عزيز النفس . وتجيءُ امها فتقبل راسي ويدي وتقول لي : يا سيدي تعطف على جاريتك . فلا اردّ عليها جواباً . فاذا رأت ذلك مني قامت وقبلت رجلي مراراً ثم تقول : يا سيدي ان ابنتي صبية محتشمة فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها . ثم انها تقوم وتحضر لي قدحاً فيهِ شراب . ثم ان بنتها تأخذ القدح فاذا جاءتني تركتها قائمةً بين يديَّ وانا متكئٌ على مدورة مزركشة لا انظر اليها من كبر نفسي . حتى تقول اني سلطان عظيم الشأن . فتقول لي : يا سيدي بحق الله عليك لا تردَّ القدح من يد جاريتك فاني جاريتك. فلا اكلمها . فتلح عليَّ وتقول : لابدَّ من شربه وتقدمه الى فمي فانفض يدي في وجهها وارفسها برجلي واعمل هكذا . ثم رفس برجله فوقع الزجاج والقفص وكان في مكان مرتفع فنزل الى الارض فتكسر كل ما فيهِ . فصاح اخي وقال : هذا كلهُ من كبر نفسي . فعند ذلك يا امير المؤمنين لطم اخي وجههُ وخرَّق ثيابه وجعل يبكي والناس ينظرون اليهِ وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من نظرهُ ورحمه ومنهم من لم يفكر فيهِ . واخي على تلك الحالة قد راح منهُ المال والربح . فاقام ساعة يبكي واذا بامرأة حسنة ومعها عدة خدام وهي راكبة على بغلة بسرج من ذهب يفوح المسك منها وهي ماشية الى صلاة الجمعة . فلما نظرت الى الزجاجات وحال اخي وبكائه اخذها الحزن عليهِ ورقَّ قلبها وسألت عن حاله . فقيل انهُ كان معهُ طبق زجاج يتعيش بهِ فانكسر منهُ فاصابهُ ما ترين . فنادت بعض الخدام وقالت لهُ : ادفع الذي معك لهذا المسكين . فدفع لهُ صرَّة وجد فيها خمسمائة دينار . فلما وقعت في يده كاد ان يموت من شدة الفرح واقبل اخي بالدعاء لها .

وعاد الى منزله غنياً وقعد متفكراً واذا بالباب يُدقّ فقام وفتح . واذ بعجوز لايعرفها فقالت لهُ : يا ولدي ان الصلاة قد قربت وانا بغير وضوء واحب ان توسع لي منزلك حتى اتوضأ . فقال : سمعاً وطاعة . ثم دخل اخي وأمرها بالدخول فدخلت ودفع لها ابريقاً تتوضأ به . وجلس اخي وهو طائر من الفرح بالدنانير . ثم صرّها في الهميان

فلما فرغ من هذا وفرغت العجوز من الوضوء اقبلت الى الموضع الذي اخي جالس فيهِ وصلّت ركعتين ثم دعت لاخي دعاء حسناً . فشكرها على ذلك ومدّ يده الى الدنانير ودفع لها دينارين وقال في نفسه : هذه صدقةٌ عني . فلما رأت الدنانير قالت : يا سبحان الله لمَ نظرت الى من احبك بسمة الصعاليك . خُذ مالك ما لي بهِ حاجة واردده الى قلبك . فان كنت تريد ان تتزوج بالتي اعطتك المال فانا ادبر لك ذلك وهي صاحبتي . فقال اخي : يا امي كيف ذلك . قالت : يا ولدي انها تميل الى رجل موسر فخذ جميع مالك معك واتبعني لأدلّك على المراد فاذا دخلت البيت فلا تخلِ شيئاً من الملاطفة والكلام الحسن فانك تنال ما اقولهُ لك وتعطيك من مالها جميع ما تريد. فاخذ اخي جميع الذهب وقام ومشى معها وهو لايصدق . فلم تزل هي تمشي واخي تابعها الى باب كبير فدقتهُ فخرجت جارية رومية ففتحت الباب . فدخلت العجوز وأمرت اخي بالدخول معها فدخل الى دار كبيرة ومجلس كبير مفروش بالزرابيّ العجيبة والستور المعلقة . فجلس اخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الّا وعبد اسود عظيم الخلقة دخل عليهِ ومعهُ سيف مجرّدٌ فقال لهُ : ويلك ومن جاء بكَ الى هذا المكان وما الذي تصنع ههنا . فلما رآهُ لم يقدر اخي ان يردّ عليهِ جواباً وانعقد لسانهُ عن ردّ الجواب فأخذه وعراه من اثوابه ولم يزل يضربه

بالسيف سطحاً الى ان سقط على الارض مغشياً عليهِ من شدة الضرب . واعتقد العبد النحس انهُ قضي عليهِ. فسمعهُ اخي يقول : اين المملحة فاقبلت اليهِ جارية في يدها طبق كبير وفيهِ ملح كثير ولم يزل العبد يحشو جراحات اخي وهو لا يتحرك خيفة ان يعلم انهُ حيّ فيقتله . (قال الراوي) ثم ان الجارية مضت وصاح العبد لجاءت العجوز الى اخي وجرَّتهُ من رجله الى سرداب فرمتهُ فيهِ على جماعةٍ قتلى . فاقام مقامه يومين كاملين وكان الله جعل الملح سبب حياته لانهُ قطع الدم . فرأى اخي في نفسه القوَّة على الحركة . فقام اخي من السرداب وفتح طابقه وهو خائف وخرج الى البرّ واعطاه الله الستر . فمشى في الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح

فلما كان وقت الصباح خرجت تلك العجوز الملعونة في طلب صيد آخر فخرج اخي في اثرها وهي لا تعلم حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ وهو يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تاخذ الناس واحداً واحداً وتوديهم الى تلك الدار واخي لا ينطق بشيء . ولما رجعت اليهِ روحهُ وقوَّته عمد الى خرقة وعمل منها كيساً وملأه زجاجاً وشدَّهُ في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم واخذ سيفاً وجعلهُ تحت ثيابه . فلما رأى العجوز قال لها بلسان العجم : يا عجوز انا رجل غريب وصلت اليوم الى هذا البلد ولا اعرف احداً فهل عندكِ ميزان يسع تسعمائة دينار وانا اهبكِ شيئاً منهُ . فقالت لهُ العجوز : لي ولد صيرفيّ وعنده سائر الموازين فامضِ معي قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن ذهبك . فقال اخي : امشي قدامي . فسارت واخي خلفها حتى اتت الباب فدقتهُ فخرجت الجارية بعينها وفتحت الباب . فضحكت العجوز في وجهها وقالت : قد اتيتكم اليوم بلحمة سمينة . فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته المنزل الذي دخل اخي فيهِ

سابقاً وقعدت عنده ساعة . وقامت وقالت لاخي : لا تبرح حتى ارجع اليك وراحت فلم يشعر اخي الّا والعبد الملعون اقبل ومعهُ السيف المجرَّد وقال لاخي : قم يا ملعون . فقام اخي وتقدم امامه واخي وراءه ومدَّ يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضرب العبد فاطاح راسه عن بدنه . وسحبه من رجله الى السرداب ونادى : اين المحلة فجاءت الجارية ومعها الطبق الذي فيهِ الملح . فلما رأت اخي والسيف بيده ولَّت هاربة فتبعها وضربها اطاح راسها . ثم نادى : اين العجوز . فجاءت . فقال لها : اتعرفينني يا عجوز النحس . فقالت : لا يا مولاي . فقال لها : انا صاحب الدراهم وانتِ التي جئتِ عندي وتوضأتِ عندي وصليتِ واوقعتني هنا . فقالت : اتّقِ الله وتراجع في امري . فلم يلتفت اليها وضربها حتى قطعها اربع قطع . ثم خرج في طلب الجارية . فلما رأتهُ طار عقلها وقالت : الأمان . فأمنها . فقال لها : ما الذي أوقعكِ عند هذا الاسود . فقالت : اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردَّد عليَّ فأنستُ بها . فقالت لي يوماً من الايام : ان عندنا فرحاً ما رأى احد مثله وقد اشتهيت ان تنظري اليه . فقلت لها : سمعاً وطاعة . ثم قمت ولبست احسن ثيابي ومصاغي واخذت معي صرَّة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى ادخلتني هذه الدار . فلما دخلت ما شعرت الّا وهذا الاسود اخذني وانا على هذا الحال من ثلث سنين بحيلة العجوز الملعونة . فقال لها اخي : هل لهُ في هذه الدار شي . فقالت : عنده شي كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله واستخر الله . فقام اخي ومشى معها وفتحت لهُ صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيراً . فقالت لهُ الجارية : امضِ الان ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء الى الباب فوجده مفتوحاً وما رأى الجارية ولا الاكياس الّا شيئاً يسيراً غير القماش . فعلم

ان الجارية خدعتهُ . فعند ذلك اخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن واخذ ما فيها ولم يترك في الدار شيئاً وبات مسروراً . فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جندياً تعلقوا بهِ وقالوا لهُ : ان الوالي يطلبك فاخذوهُ فتوسل اخي اليهم ليعبر الى بيته فلم يمهلوه فوعدهم بجملة من الدراهم فابوا . ثم ربطوه بحبل ربطاً شديداً وراحوا به . فوجدهم في الطريق واحد من اصحابه . فتعلق اخي بذيله وابتهل اليه لكي يقف معهُ ويساعده على خلاصه من ايديهم . فوقف الرجل وسألهم عن قصته فقالوا لهُ : ان الوالي قد حكم علينا ان نحضره بين يديه وها نحن ذاهبون به . فالتمس منهم صاحب اخي ان يخلصوه ويعطيهم خمسمائة دينار وقال لهم : اذا رجعتم الى الوالي فقولوا لهُ : ما لقيناه . فأعرضوا عن كلامه واخذوهُ مسحوباً على وجهه حتى احضروه بين يدي الوالي . فلما رأى الوالي اخي قال لهُ : من اين لك هذا القماش والمال . فقال اخي اريد الامان . فاعطاه منديل الامان . فحدثه بما جرى وما وقع لهُ مع العجوز من الاول الى الآخر وبهرب الجارية . ثم قال للوالي : والذي اخذته خذ منهُ ما شئت ودع لي ما اتقوَّت به . فاخذ الوالي المال والقماش كله وخشي ان يبلغ الخبر الى السلطان . فاحضر اخي وقال لهُ : اخرج من هذه المدينة والّا اشنقك . فقال : السمع والطاعة . فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليهِ اللصوص فعرّوهُ وضربوه وقطعوا اذنيه . فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليهِ ثياباً وجئت بهِ الى المدينة سراً ورتبت لهُ ما ياكل وما يشرب

حكاية الاخ الخامس للمزين

واما اخي الخامس يا امير المؤمنين وهو المقطوع الشفتين فكان افتقر فخرج

يوماً يطلب شيئاً يسدُّ به رمقه . فبينما هو في بعض الطرق اذ رأى داراً حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى البـاب خدم وأمر ونهي . فسأل بعض من كان واقفاً هناك فقـال : هي لانسان من اولاد البرامكة . فتقدَّم اخي الى البوابين وسأَلهم شيئاً فقالوا : ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبنا . فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة فوصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما رأى مثلهـا . وأرضها مفروشة بالرخام وستورها معلقـة . فبقي اخي متحيراً لا يدري اين يقصـد فمضى نحو صدر المكان فرأى انساناً حسن الوجه واللحية . فلما رأى اخي قام لهُ ورحب به وسألهُ عن حاله فاخبره انهُ محتاج . فلما سمع كلام اخي اظهر لهُ غماً شديداً ومدَّ يده الى ثيابه فخرقها وقال : أأكون انا ببلد وتكون انت بها جائعاً والله لا صبر لي على ذلك ووعده بكل خير وقال له : لا بد ان تمالحني . فقال اخي : يا سيدي ليس لي صبر واني لشديد الجوع . فصاح يا غلام : هات الطست والابريق . ثم قال لاخي : يا ضيفي تقدم واغسل يدك . فقام اخي ليغسل يده فما رأى طستاً ولا ابريقاً . ثم انه اومأ كانهُ يغسل يده . ثم صاح : قدّموا المائدة . فلم يرَ اخي شيئاً . ثم قال لاخي : تفضل كُل من هذا الطعام ولا تستحي واومأ بيده كانهُ يا كل . وصار الرجل يقول لاخي : عجباً لقلة اكلك لا تُقصر في الاكل . فاني اعلم ما انت عليـهِ من الجوع . فجعل اخي يومئ كانهُ يأكل . والرجل يقول لاخي : كُل وانظر الى حسن هذا الخبز وبياضه . واخي لا يرى شيئـاً . ثم ان اخي قال في نفسه : هذا رجل يحب ان يهزأ بالنـاس . فقال لهُ اخي : يا سيدي عمري ما رأيت احسن من بياضه ولا الذّ منه . فقال : هذا خبزَته جارية لي اشتريتها بخمسمائة دينار . ثم صاح صاحب الدار يا غلام : قدّم الهريسة اول الطعام واكثر عليها الدهن . ثم قال لاخي : يا ضيفي بالله عليك

هل رايت اطيب من هذه الهريسة فبحياتي كُل ولا تستحي . ثم قال : يا غلام قدّم لنا السكباج الذي فيه القطا المسمَّن . ثم قال لاخي : تم كُل يا ضيفي فانك جائع ومحتاج الى ذلك فصار يدوّر حنكهُ ويمضغ . وأقبل الرجل يستدعي لونًا بعد لون ولا يحضر شيء الَّا وهو يأمر اخي بالأكل . ثم صاح : يا غلام قدّم لنا الفراريج المحشوَّة بالفستق وقال لاخي : وحياتك يا ضيفي هذه الفراريج قد سُمنت بالفستق فكُل ما لا اكلت مثله قطّ . فقال لهُ اخي : يا سيدي هذا طيب . واقبل يومئ بيده الى فم اخي كأنه يلقمهُ . وكان يعدد هذه الألوان ويصفها لاخي وهو جائع فاشتد جوعه وهو بشهوة رغيف شعير . ثم قال لهُ هل رأيت اطيب من ابازير هذه الاطعمة . فقال اخي : لا يا سيدي . فقال : جوّد الأكل ولا تستحي . فقال : قد اكتفيت من الطعام . فصاح الرجل : ارفعوا هذا وقدّموا الحلوى . وقال لاخي : كُل من هذا فانه جيد وكُل من هذه القطائف . بحياتي خذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلّاب . فقال اخي : لا عدمتك يا سيدي واقبل اخي يسألهُ عن كثرة المسك الذي في القطائف . فقال لهُ : هذه عادتي يصنعون لي في كل قطيفة مثقالاً من المسك ونصف مثقال من العنبر . هذا كلهُ واخي يحرّك رأسه وفمهُ ويلعب باشداقه . فقال لاخي : كُل من هذا اللوز ولا تستحي . فقال لهُ اخي : يا سيدي قد اكتفيت ولم يبقَ لي قدرة ان آكُل شيئًا . فقال : يا ضيفي ان اردت ان تاكل وتتفرج على سائر المأكولات فالله الله لا تكن جائعًا . فقال لهُ اخي : يا سيدي من ياكل من هذه الالوان كلها كيف يكون جائعًا . ثم افتكر اخي في نفسهِ وقال لاعملنَّ عملاً اتوبهُ عن هذه الفعال . ثم قال الرجل : قدموا لنا الشراب فحرّكوا ايديهم في الهواء حتى كانهم قدموا الشراب . ثم ناوله القدح وقال : خذ هذا القدح فان أعجبك

فعرفني . فقال لهُ : يا سيدي انهُ طيب الرائحة لكنني تعودت شرب النبيذ العتيق الذي لهُ عشرون سنةً . فقال لهُ الرجل : ذق هذا القدح فانك لا تقدر تشرب شيئاً احسن منهُ . فقال : يا سيدي من احسانك واومأ اخي بيده كانه يشربهُ . فقال لهُ : هنيئاً وصحة . ثم ان صاحب البيت اومأ وشرب . ثم ناول اخي قدحاً ثانياً فشربهُ واظهر انهُ سكر وغافلهُ اخي ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه في رقبته صفعة رنَّ لها المكان . ثم ثنى عليهِ بصفعة ثانية . فقال الرجل : ما هذا يا سفيه . فقال : يا سيدي عبدك أنعمت عليه وادخلته منزلك واطعمتهُ الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك . ومقامك اعلى من ان تواخذه بجهله . فلما سمع كلام اخي ضحك ضحكاً عالياً ثم قال لهُ : ان لي زماناً طويلاً اسخر بالناس واتماجن على الاصحاب فما رأيت منهم من لهُ طاقة وفطنة ولا من دخل معي في جميع اموري غيرك والآن فقد عفوت عنك فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ابداً . ثم أمر باخراج عدة من الوان الطعام المذكورة اولاً فأكل هو واخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيهِ جوارٍ فغنينَ بجميع الالحان وجميع الملاهي . ثم قاما وشربا حتى غلب عليهما السكر واستأنس الرجل باخي حتى صار كانهُ اخوه واحبهُ محبة عظيمة وخلع عليه . فلما اصبح الصباح عادا الى ما كانا عليه من الاكل والشرب . ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة . ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله وما احتوى عليهِ اخي وصادره السلطان حتى خلاَّه فقيراً لا يقدر على شيء . فخرج اخي هارباً على وجهه . فلما توسَّط الطريق خرج عليه العرب فأسروه واتوا به الى حيهم وصار الذي اسره يعذّبهُ ويقول له : اشترِ روحك مني بالاموال والا أقتلك . فجعل اخي يبكي ويقول : اني لا املك شيئاً وانا اسيرك فافعل ما شئت . فاخرج البدوي سكيناً وقطع شفتي اخي

وشدَّد عليـهِ في المطالبة . ولما لم يحصل منهُ على مال حمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه . فجاز عليـهِ المسافرون فعرفوه فأطعموه وسقوه واعلموني بخبره . فجئت اليـهِ وحملتهُ ودخلت بهِ المدينة ورتبت لهُ ما يكفيـهِ وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت ان ارجع قبل إخبارك فيكون ذلك غلطاً . وورائي خمسة اخوة وانا اقوم بهم

فلما سمع امير المؤمنين قصتي وما اخبرت بهِ عن اخوتي ضحـك وقال : صدقت يا صامت انت قليـل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه البلدة واسكن غيرها . ثم نفـاني حتى دخلت البلاد وطفت الاقاليم الى ان سمعت بموتهِ وخلافة غيره فاتيت المدينة فوجدت اخوتي قد ماتوا ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معهُ احسن الفعـال ولولاي لقتل وقد أتهمني بشيءٍ ما هو فيَّ . ويا جماعة جميع ما نُقل عني من الفضول باطل وانا لاجل هذا الشاب طفت بلداناً كثيرةً حتى وصلت الى هذه الارض وحصلتهُ عندكم . فهذا يا جماعة الخير ما هو من مروَّتي . فقال الخياط لملك الصين : فلما سمعنا قصة المزّين وكثرة كلامه وان المزّين ظلم هذا الشاب اخذنا المزّين وقبضنا عليـهِ وحبسناه وجلسنا نحن آمنين فاكلنا وشربنا وتمت الوليمة الى ان أذن العصر . فخرجت وجئت منزلي فعبست لي زوجتي وقالت : انت في حظك وانسك وانا محزونة . ان لم تخرجني وتفرجني بقية النهار قطعت حبلي ويصير سبب فراقي منك . فاخذتها وخرجت بهـا وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منهُ وهو ينشد هذين البيتين :

رقَّ الزجاجُ ورقَّت الخمرُ فتشابها فتشاكل الامرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

فعزمت عليـهِ وخرجت اشتري سمكاً مقلياً وجلسنا ناكل . ثم ان زوجتي

اعطتهُ لقمةً وقطعة سمك وادخلتها في فمه وسدَّته فمات . فحملتهُ وتحيلتُ ورميتهُ في بيت هذا الطبيب اليهودي . وتحيل الطبيب ورماه في بيت الشاهد . وتحيل الشاهد ورماه في طريق النصراني السمسار . وهذه قصتي وما لاقيت البارحة . أفما هو باعجب من قصة الاحدب . فلما سمع ملك الصين هذه القصة هزَّ رأسهُ طرباً وابدى عجباً وقال : هذه القصة التي جرت بين هذا الشاب والمزيّن الفضولي انها لأطرب واحسن من قصة الاحدب الاكذب . ثم ان الملك أمر بعض حجّابه ان : امضوا مع الخياط واحضروا المزيّن من الحبس لاسمع كلامه ويكون سبب خلاصكم جميعاً ثم ندفن هذا الاحدب ونعمل لهُ ضريحاً

(الليلة الرابعة والثلثون) . وعند ذلك مضى الحاجب والخياط الى الحبس واخرجا منهُ المزيّن وسارا بهِ الى ان وقفا بين يدي هذا الملك . فلما رآه وتأمله فاذا هو شيخ كبير قد جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية والحواجب مقرطم الآذان . طويل الانف فضحك الملك من رؤيتهِ وقال لهُ : يا صامت اريد ان تحكي لي شيئاً من حكاياتك . فقال المزيّن : يا ملك الزمان وما قصة هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب الميت بينكم وما سبب هذا الجمع . فقال لهُ ملك الصين : وما سؤالك عن هذا . فقال : سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني ما انا فضولي وانا بري مما أتهموني بهِ من كثرة الكلام وانا الذي أُسمى الصامت وان لي نصيباً من اسمي كما قال الشاعر :

وقلَّما ابصرتْ عيناك ذا لقبٍ الَّا ومعناهُ ان فتشت في لقبهْ

فقال الملك : اشرحوا للمزيّن حال هذا الاحدب وما جرى لهُ وقت العشاء وما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى الشاهد وما حكى الخياط . وليس في الاعادة افادة . فحرك المزين رأسهُ وقال : ان هذا لعجبٌ عجيب اكشفوا لي عن

هذا الاحدب . فكشفوا لهُ عنهُ فجلس عند راسه واخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك حتى انقلب على قفاه وقال : لكل موتة عجب وموتة هذا الاحدب يجب ان تؤرخ بماء الذهب . فبهتت الجماعة من كلام المزين وتعجب الملك من كلامه وقال : مالك يا صامت احكِ لنا . فقال المزين : يا ملك الزمان وحق نعمتك ان الاحدب الاكذب فيهِ الروح . ثم ان المزين اخرج من وسطه حرمدًا وفتحهُ واخرج منه مكحلة فيها دهن ودهن بهِ رقبة الاحدب وعروقها . ثم اخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فاخرج قطعة السمك بعظمها فاذا هي مغموسة دماً والاحدب عطس عطسة ثم نطَّ ووقف على حيله وملس وجهه وقال : اشهد ان لا اله الَّا الله واشهد ان محمدًا رسول الله . فتعجب الملك والحاضرون من الذي رأوه وعاينوه . فضحك ملك الصين حتى غشي عليهِ وكذلك الحاضرون وقال السلطان : والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت اغرب منها . ثم ان السلطان قال : يا مسلمون يا جماعة العسكر هل رأيتم عمركم احدًا يموت ثم يحيي ولو لم يرزقهُ الله هذا المزين لكان مات . فقالوا : والله ان هذا عجبٌ عجيب . ثم ان ملك الصين أمر ان تؤرخ هذه القصة فأرخوها ثم جعلوها في خزانة الملك . ثم خلع على اليهودي والنصراني والشاهد على كل واحد خلعة سنية وامرهم بالانصراف فانصرفوا . ثم اقبل السلطان على الخياط وخلع عليهِ خلعةً سنية وجعلهُ خياطهُ ورتب لهُ الرواتب واصلح بينهُ وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعةً سنية مليحة ورتب لهُ الرواتب وجعلهُ نديمه . وانعم على المزين وخلع عليهِ خلعةً وجعل لهُ جامكية وجعلهُ مزين المملكة ونديمه . ولم يزالوا في نعيم العيش الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات . وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين وانيس الجليس . قالت دنيازاد لاختها شهرزاد : وكيف كان ذلك

حكاية الوزيرَين وانيس الجليس

قالت : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويحب الرعية وهو كما قال فيهِ بعض واصفيه :

ملكٌ اذا جالت عليهِ جحافلٌ   قطعَ العداة بكل عضب ابترِ
ويخط خطاً في الصدور اذا سطا   يوماً عليهم بالقنا والاسمرِ
والشكل ضربٌ بالسيوف ونقطها   رشق السهام وخطها بالسمهري
والخيل بحرٌ زاخرٌ امواجهُ   ينبوعه من هامهِ والمنخرِ
بحرٌ صواريهِ القنا وقلوعهُ   اعلامه والبيض كل مضمَّرِ
حلف الزمان ليأتينَّ بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفّرِ

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني . وكان لهُ وزيران احدهما يقال لهُ المعين بن ساوي . والثاني يقال لهُ الفضل بن خاقان . وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانهِ حسن السيرة اجمعت القلوب على محبتهِ واجمعت الناس على مشورتهِ والكل يدعون لهُ بطول مدتهِ . لانهُ محض خير . مزيل للشر والضير . وكان الوزير المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محض سوء كما قيل فيهِ :

لذ بالكرام بني الكرام فانما   تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بني اللئام فانما   تلد اللئام بنو اللئام لئاما

(قال) وكان الناس على قدر محبتهم للفضل بن خاقان يبغضون المعين ابن ساوي . وبقدرة القادر ان الملك محمد بن سليمان الزيني يوماً من الايام بينما هو قاعد على كرسي مملكتهِ وحوله ارباب دولتهِ اذ نادى وزيره الفضل بن

خاقان وقال لهُ : اريد جارية لا يكون في زمنها احسن منها . تكون كاملة في الجمال فائقةً في الاعتدال حميدة الخصال . فقالت ارباب الدولة : هذه لا توجد الّا بعشرة آلاف دينار . فعند ذلك صرخ السلطان على الخازندار وقال : احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان . فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعد ما امره السلطان ان يعمد الى السوق كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكرناه وان لا تباع جارية ثمنها فوق الف دينار حتى تعرض على الوزير . فلم تبع السماسرة جاريةً حتى يعرضوها وكل جارية وقعت لهم لم تعجب الوزير . ففي يوم من الايام اذا بالسمسار اقبل الى دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكباً طالب المسير لقصر الملك فدق في ركابه وانشد يقول :

احييت ما مات بين الناس من كرمٍ لا زال سعيك عند الله مشكورا
يا من اعاد رسوم الملك منشورا انت الوزير الذي لا زلت مسرورا

ثم قال : يا سيدي ان الذي سبق بهِ المرسوم الكريم بطلبه قد حضر . فقال لهُ الوزير : عليَّ بها . فغاب ساعة وحضر ومعهُ جارية رشيقة القدّ عليها ثياب احسن ما يكون من الثياب . وقوام اعدل من الغصون المائلة . وكلام ارق من نسيم الاسحار كما قال فيها بعض واصفيها :

حباها اله العرش عزًّا ورفعةً وخوَّلها الآداب بالقول والفعلِ
لها في سماء العلم سبع كواكبٍ ورأيٌ وحلمٌ فيهما منتهى الفضلِ

فلما رآها الوزير اعجبته غاية العجب ثم التفت الى السمسار وقال لهُ : كم ثمن هذه الجارية . فقال : وقف سعرها على عشرة الاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة الآلاف الدينار لم تجئ بثمن الفراريج التي اكلتها ولا الشرب ولا الخلع التي خلعتها على معلميها . فانها تعلمت الخطّ والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه

والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة . فقال الوزير : عليَّ بسيدها فاحضره في الوقت والساعة . فاذا هو رجل عجمي قد ابقى ما ابقى وعاركه الدهر واستبقى كما قال الشاعر :

ارعشني الدهر ايَّ رعشٍ والدهر ذو قوةٍ وبطشِ
قد كنت امشي ولست اعيا واليوم اعيا ولست امشي

فقال له الوزير : ارضيت ان تأخذ في هذه الجارية عشرة الاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني . فقال العجمي : والله لو قدمتها للسلطان بلا شيء لكان واجبًا عليَّ . فعند ذلك أمر الوزير باحضار الاموال فأُحضرت فوزنت للعجمي . فاقبل النخاس على الوزير وقال: عن اذن مولانا الوزير اتكلم . فقال الوزير : هات ما عندك . فقال : ان الراي عندي ان لا تذهب بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وذعكها ولكن خلها عندك في القصر عشرة ايام عند ما ترجع الى حالها . ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب واذهب بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر . فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابًا فاتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتَّب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره . فمكثت مدة على ذلك . وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كانهُ البدر اذا زهر بوجه اقمر . وخد احمر . عليه خال كنقطة عنبر . بعذار اخضر . لكنهُ شرس الاخلاق فاتفق ان الجارية اسمعتهُ يومًا كلمة قاسية . فاغتاظ ولكمها لكمة رمتها على الارض . فشجَّ جبينها . فسال منهُ الدم وأُغمي عليها . فصرخت بقية الجواري وفرَّ الصبي هاربًا وللنجاة طالبًا لخوفه عقب الفعل الذي فعله . فلما سمعت سيدتهنَّ الصراخ نهضت وقالت : ما هذا الصياح الذي في الدار . فلما نظرت انيس

الجليس والدم يسيل على وجنتيها والجواري تداويها وتغسلها وعلمت الام بكت ولطمت وجهها وخافت على نور الدين ان يذبحه ابوه . فبينما هي كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر . فقالت لهُ زوجته : احلف ان ما اقولهُ لك تسمعه . قال : نعم . فاعادت عليه ما فعله ولده . فحزن وخرق ثيابهُ ولطم وجهه ونتف لحيته وقال : ما عاد ممكناً ان نهديها للسلطان بسبب تشويه وجهها بهذه الشجة . فقالت لهُ زوجته : لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالي عشرة الاف دينار ثمنها . فعند ذلك رفع راسهُ اليها وقال لها : ويلكِ انا ما لي حاجة بثمنها ولكن خوفي ان تروح روحي ومالي . فقالت لهُ : يا سيدي وكيف ذلك . قال لها : أما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذي يقال لهُ المعين بن ساوي

(الليلة الخامسة والثلثون) . ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال لهُ : وزيرك الذي تزعم انهُ يحبك اخذ منك عشرة الاف دينار واشترى بها جارية ما رأى احد مثلها . فلما اعجبتهُ قال : انا احق بها من السلطان وحفظها عنده وها هي الجارية في داره . فيقول الملك : تكذب . فيقول هو للملك : عن اذنك اهجم عليهِ وآتيك بها . فيرسم لهُ بذلك . فيكبس الدار ويأخذ الجارية ويحضرها للسلطان ثم يسألها فما تقدر تنكر . فيقول لهُ : يا سيدي تعلم اني ناصح لك ولكن ما لي عندكم حظّ . فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي وتروح روحي . فقالت لهُ زوجته : لا تعلم احداً وسلم امرك الى الله في هذه القضية . فعند ذلك سكن قلب الوزير

هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر نور الدين عليّ فخاف عاقبة الامر فكان يقضي نهاره في البساتين ويأتي آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ويروح الى البستان ولم يزل كذلك شهراً لا يُري وجهه لابيه . فقالت

امهُ لابيه : ياسيدي هل تعدم الجارية ونعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هجَّ منا . قال لها : وكيف العمل . قالت لهُ : اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت واياه وزوّجه بالجارية وانا اعطيك ثمنها . فصبر الوزير الى الليل . فلما اتى ولده امسكه واراد نحره فادركتهُ امه وقالت لهُ : اي شيء تريد ان تفعل معهُ . فقال لها : اذبحه . فقال الولد لابيهِ : هل اهونُ عليك . فتغرغرت عيناه بالدموع وقال لهُ : يا ولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي . فقال الصبي : اسمع يا والدي ما قال الشاعر :

هبني جنيت فلم يزل اهل النهى يهبون للجاني سماحاً شاملا
ماذا عسى يرجو عدوُّك وهو في درك الحضيض وانت اعلى منزلا

(قال) فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده فقال : يا ولدي عفوت عنك وحنَّ قلبه وقام الصبي وقبَّل يد والده . فقال : يا ولدي لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك . فقال : يا والدي كيف لا انصفها . قال لهُ : اوصيك يا ولدي انك لا تتزوَّج عليها ولا تضاررها ولا تبعها . فقال لهُ : يا والدي انا احلف لك اني لا اتزوج عليها ولا ابيعها فحلف على ذلك واقام مع الجارية سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية . واما المعين بن ساوي فبلغهُ الخبر لكنهُ لم يقدر يتكلم لمنزلة الوزير عند السلطان . فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فضربه الهواء فلزم الوساد . وطال بهِ السهاد وتسلسل بهِ الضعف . فعند ذلك نادى ولده نور الدين عليًا فحضر . فقال لهُ : يا ولدي اعلم ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كاس الممات . ثم انشد يقول شعراً :

انا ميتٌ فجلَّ من لا يموتُ وتحققت انني سأموتُ

ثم قال : يا ولدي ما لي عندك وصيـة الّا تقوى الله والنظر في العواقب والوصية بالجارية انيس الجليس . فقال لهُ : يا ابتِ ومن مثلك وقد كنتَ معروفاً بفعل الخير والدعاء على المنابر . فقال لهُ : يا ولدي ارجو من الله تعالى القبول . ثم نطق بالشهادتين فكُتبَ من اهل السعادة . فعند ذلك انقلب القصر بالصراخ واتصل الخبر بالسلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليـهِ الصبيان في مكاتبها ونهض ولده نور الدين عليّ وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة . وكان فيمن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي . وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار شعراً

يوم الخميس لقد فارقت احبابي ... وغسلوني على لوح من البابِ
وجرّدوني ثياباً كنت لابسها ... والبسوني ثياباً غير اثوابي
وحملوني على اعناق اربعـةٍ ... الى المصلّى وبعض الناس صلّى بي
صلوا عليَّ صلاةً لا سجود لهـا ... صلّى عليَّ جميع الناس اصحابي
وشيعوني الى دارٍ مقنطـرةٍ ... يفنى الزمان ولا يفتح لهـا بابي

ولما واراه التراب . ورجعت الاهـل والاصحاب . رجع نور الدين وقد انتحب من البكاء ولسان الحال يقول هذه الابيات :

هم رحلوا يوم الخميس عشيـةً ... فودعتهم لما استقلوا وودعوا
فلما تولوا راحت النفس معهمُ ... فقلت ارجعي قالت الى اين ارجعُ
الى جسدٍ ما فيهِ روحٌ ولا دمٌ ... وما فيهِ الّا اعظمةٌ تتقعقـعُ
وعيناي قد اعماهما شدة البكا ... واذنيَ صماء فما هي تسمعُ

(قال) ثم مكث شـديد الحزن على والده مدّةً مديدةً . فبينما هو ذات يوم من الايام جالس في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض نور الدين علي

وفتح الباب . واذا برجل من ندماء والده واصحابه قد دخل فقبل يد نور الدين وقال : يا سيدي من خلف مثلك ما مات . وهذا مصير سيد الاولين والآخرين . يا سيدي طب نفساً ودع الحزن . فعند ذلك نهض نور الدين الى القاعة التي للجلوس ونقل اليها ما يحتاجه واجتمع عليهِ عشرة من اولاد التجار . ثم انهُ اكل الطعام وشرب الشراب وجدَّد مقاماً بعد مقام وصار يعطي ويتكرَّم . فعند ذلك جاء اليهِ وكيله وقال لهُ : يا سيدي نور الدين اما سمعت قول بعضهم : من ينفق ولم يحسب افتقر ولم يشعر . والشاعر يقول :

اصون دراهمي وأذبُّ عنها　　لعلمي انها سيفي وترسي
أأبذلها الى اعدا الاعادي　　وابدل في الورى سعدي بنحسِ
فيأكلها ويشربها هنيئاً　　ولا يسخو الى احدٍ بفلسِ
واحفظ درهمي عن كل شخصٍ　　لئيم الطبع لا يصفو لانسي
احبُّ اليَّ من قولي لنذلٍ　　انلني درهماً لغدٍ بخمسِ
فيعرض وجههُ ويصدُّ عني　　فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فيا ذلَّ الرجال بغير مالٍ　　ولو كانت فضائلهم كشمسِ

ثم قال : يا سيدي هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال . فلما سمع نور الدين علي من وكيله هذا الكلام نظر اليهِ وقال لهُ : جميع ما قلته لا اسمع منهُ ولا كلمة . فاني سمعت الشاعر يقول :

اذا ما ملكتُ المال كفي ولم اجُد　　فلا سلمت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلاً نال مجداً ببخلهِ　　وهاتوا اروني باذلاً مات بالبذلِ

ثم قال : اعلم ايها الوكيل اني اريد اذا فضل عندك قدر غدائي ان لا تحملني همَّ عشائي . فولَّى الوكيل من عنده الى حال سبيله . واقبل نور الدين علي

على اللذات في اطيب عيش وكل من يقول لهُ من ندمائه : هذا الشيء مليح . يقول : هو لك هبة . ويقول الآخر : يا سيدي الدار الفلانية مليحة . فيقول : هي هبة لك . ولم يزل نور الدين يعمل لهم اول النهار مقاماً وفي آخر النهار مقاماً الى ان مكث سنة على هذا الحال . وبعد السنة بينما هو قاعد واذا بالجارية انيس الجليس تنشد وتقول :

احسنتَ ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي بهِ القدرُ
وسالمتكَ الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

فلما فرغت من شعرها اذا بالباب يطرق . فقام نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به . فلما فتح الباب وجد وكيله . فقال لهُ نور الدين عليّ : ما الخبر . فقال لهُ : يا سيدي الذي كنت اخاف عليك منهُ قد وقع . قال : وكيف ذلك . قال : اعلم انهُ ما بقي تحت يدي شيء يساوي درهماً ولا أقلّ ولا اكثر وهذه دفاتر المصروف الذي صرفته ودفاتر اصل مالك . فلما سمع نور الدين عليّ هذا الكلام اطرق براسه الى الارض وقال : لا حول ولا قوة الا بالله . فلما سمع الرجل الذي تبعهُ خفيةً وخرج ليتسلل عليهِ ما قالهُ لهُ الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم : انظروا اي شيء تعملون فان نور الدين علياً افلس . فلما رجع اليهم علي نور الدين تبين لهم الغمّ في وجهه . فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميهِ ونظر الى نور الدين علي وقال لهُ : يا سيدي عسى ان تأذن لي في الانصراف . فقال نور الدين علي : لماذا الانصراف اليوم . فقال : ان زوجتي تلد ولا يمكنني ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها . فأذن لهُ . ونهض آخر وقال لهُ : يا سيدي نور الدين اريد اليوم ان احضر عند اخي فانهُ يطهر ولده . وكل واحد صار يستأذنه بحيلة . ويذهب الى حال سبيله

حتى انصرفوا كلهم وبقي نور الدين علي وحده . فعند ذلك دعا جاريتـه وقال لها: يا انيس الجليس أما تنظرين ما حلَّ بي. وحكى لها ما قالهُ الوكيل . فقالت: يا سيدي منذ ليالي هممت ان اقول لك عن هذا الحال فسمعتك تنشد وتقول :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها   على الناس طرًا قبل ان تتفلتِ

فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت   ولا الشحُّ يبقيها اذا هي ولتِ

فلما سمعتك تنشد هذه الابيات سكتُّ ولم ابدِ لكَ خطابًا . فقال لها نور الدين علي : يا انيس الجليس انتِ تعرفين اني ما وهبت مالي الَّا لاصحابي وهم خلوني بلا شي. واظنهم لا يتركوني من غير مواساة . فقالت لهُ انيس الجليس : والله ما ينفعونك بنافعة . فقال نور الدين : فانا في هذه الساعة اقوم واروح واطرق ابوابهم لعلهُ ان يحصل لي منهم شي. فاجعله في يدي رأس مال واتاجر فيهِ واترك اللهو واللعب

ثم انهُ نهض من وقته وساعته وما زال سائرًا حتى اقبل على الزقاق الذي فيهِ اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه . فخرجت لهُ جارية وقالت لهُ : من انت . فقال لها : قولي لسيدكِ نور الدين علي واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل يديك وينتظر فضلك . فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها : ارجعي وقولي لهُ ما هو هنا . فرجعت الجارية الى نور الدين وقالت لهُ : يا سيدي ان سيدي ما هو هنا . فتوجه نور الدين وقال في نفسه : ان كان هذا شحيحًا وامتنع من مواجهتي فغيره يكون احسن منهُ . ثم تقدم الى باب الثاني وقال كما قال اولًا . فانكر الآخر نفسه . فعند ذلك انشد يقول :

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم   منوا عليكَ بالحم وشواء

فلما فرغ من شعره قال : والله لابدَّ ان امتحنهم كلهم لعلهُ يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع . فدار على العشرة فما منهم من فتح الباب ولا اراهُ نفسه ولا كسر في وجهه رغيفاً فانشد يقول :

المرء في زمن الاقبال كالشجره والناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا راح عنها حملها رحلوا وخلفوها تقاسي الحرّ والغبره
تبّاً لابناء هذا الدهر كلهم حتى ولا واحدٌ يصفو من العشره

ثم انهُ رجع الى جاريته وقد تزايد همه . فقالت لهُ : يا سيدي انا ما قلت لك انهم لاينفعونك بنافعة . فقال : والله ما فيهم من أراني وجهه ولا فيهم احد يعرف بي . فقالت لهُ : يا سيدي بع من اثاث البيت وآنيته الى ان يدبر الله تعالى وانفق اولاً باول . فباع الى ان باع جميع ما في البيت وما بقي عنده شيء . فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها : ما نفعل الآن . فقالت لهُ : يا سيدي عندي من الرأي ان تقوم الساعة وتنزل بي الى السوق وتبيعني وانت تعلم ان والدك اشتراني بعشرة الاف دينار فلعل الله يفتح عليك عن قريب من هذا الثمن . واذا قدر الله لنا الاجتماع معاً فسوف نجتمع . فقال لها : يا انيس الجليس ما يهون عليَّ فراقكِ ساعةً واحدة . فقالت لهُ : يا سيدي ولا انا لكن للضرورة احكام كما قال الشاعر :

تلجي الضرورات في الامور الى سلوكِ ما لا يليق بالادبِ
ما حاملٌ نفسهُ على سببٍ الّا لأمرٍ يليق بالسببِ

فعند ذلك نهض على قدميهِ واخذ انيس الجليس ودموعه تسيل على خدّه كالمطر . ثم انشد بلسان الحال وقال :

قفوا زوّدوني نظرةً قبل بينكم اعلّل قلباً كاد بالبين يتلفُ

فان كنتمُ تلقون في ذاك كلفةً　　دعوني أمُت وجدًا ولا تتكلفوا

ثم مضى ونزل بها الى السوق وسلّمها الى الدلال وقال له : يا حاجّ حسن اعرِف قدر ما تنادي عليه . فقال الدلال : يا سيدي نور الدين الاصول محفوظة . ثم قال له : هذه أما هي انيس الجليس التي كان اشتراها والدك مني بعشرة الاف دينار . قال : نعم . فعند ذلك طلع الدلال على التجار فوجدهم ما اجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار واحتبكت السوق بسائر اجناس الجواري من تركية وافرنجية وشركسية وحبشية ونوبية وتكرورية ورومية وتترية وجرجية وغير ذلك . فلما نظر الدلال الى السوق قد احتبكت تقدم ونهض قائمًا وقال : يا تجار يا ارباب الاموال . ما كل مدورة جوزة . ولا كل مستطيلة موزة . ولا كل حمراء لحمة . ولا كل بيضاء شحمة . يا تجار معي هذه الدرة . التي ما لها قيمة . كم انادي عليها . فقال واحد من التجار : نادِ باربعة الاف دينار وخمسمائة ففتح بابها المنادي اربعة الاف دينار وخمسمائة . وفيما هو يقول هذا الكلام اذا بالوزير المعين بن ساوي مارٌّ بالسوق فنظر الى نور الدين عليّ واقفًا في طرف السوق فقال في نفسه : ما بال ابن خاقان واقفًا ههنا أَبَقي مع هذا الكلب شيء يشتري بهِ الجواري . ثم نظر بعينه . فسمع المنادي وهو واقف في السوق والتجار حوله . فقال الوزير في نفسه : ما اظنهُ الّا افلس ونزل بالجارية انيس الجليس ليبيعها . ثم دعا المنادي فاقبل عليه وقبّل الارض بين يديه . فقال له : اني اريد هذه الجارية التي تنادي عليها . فما امكنه المخالفة . فقال له : يا سيدي بسم الله . ثم تقدم بالجارية وعرضها عليهِ فاعجبته . فقال له : يا حسن كم دُفع لك في هذه الجارية . فقال له : فُتح الباب باربعة الاف وخمسمائة دينار . فقال المعين : عليَّ باربعة الاف وخمسمائة دينار . فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم ان يزيد درهمًا بل تأخروا لما يعلمون من

ظلم الوزير . ثم نظر المعين بن ساوي الى الدلاَّل وقال لهُ : لمَ وقوفك رُح وشاور . الجارية عليَّ باربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار . فتقدم الدلاَّل الى نور الدين وقال لهُ : يا سيدي راحت الجارية عليك بلا شيء . فقال لهُ : وكيف . قال لهُ : نحن فتحنا بابها باربعة آلاف دينار وخمسمائة . فجاء هذا الظالم المعين بن ساوي وعبر السوق فلما نظر الى الجارية اعجبتهُ وقال لي : شاور على اربعة آلاف ولك خمسمائة وما اظنهُ ألا عرف ان الجارية لك . وان كان في هذه الساعة يعطيك ثمنها يكون مليحاً وانا اعرف من ظلمه انهُ يكتب لك ورقة حوالة على بعض عمّاله . ثم يرسل اليهم ويقول : لا تعطوه شيئاً . فكلما رحت تطالبهم يقولون الساعة نعطيك ويعملون هذا الامر معك يوماً بعد يوم وانت عزيز النفس . وبعد ان يضجروا من مطالبتك لهم يقولون : أرنا الورقة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها ويروح منك ثمن الجارية . فلما سمع نور الدين علي من الدلاَّل هذا الكلام نظر اليهِ وقال لهُ : كيف يكون هذا العمل . فقال لهُ : انا اشير عليك مشورة فان قبلت مني كان لك الحظ الاوفر . قال : وما هي . قال : تجيء هذه الساعة اليَّ وانا واقف وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلطمها وتقول لها : فديت يميني التي حلفتها وما نزلت بكِ الى السوق ألا لاني حلفت انهُ لا بد من اخراجكِ اليها ومناداة الدلاَّل عليكِ . فان فعلت ذلك فربما تنطلق عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الى السوق ألا لاجل ابرار اليمين . فقال : هذا هو الصواب . ثم ان الدلال فارقهُ وجاء وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوي وقال : يا مولاي هذا مالكها قد اقبل . ثم جاء نور الدين الى الدلاَّل ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها : ويلكِ نزلت بكِ الى السوق لاجل فداء يميني . روحي الى البيت ولا تعودي تخالفيني . ويلك

هل انا محتاج الى ثمنكِ حتى ابيعكِ. انا لو بعت أثاث البيت لجاء قدر ثمنكِ مراراً عديدة . فلما نظر المعين بن ساوي الى نور الدين قال لهُ : ويلك هل بقي عندك شيء يباع او يشترى . ثم ان المعين بن ساوي اراد ان يبطش بهِ . فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونهُ فقال لهم : ها انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه . فقال الوزير : والله لولاكم لقتلتهُ . ثم اشاروا كلهم الى نور الدين ان انتصف منهُ. وقالوا : ما احدٌ منا يدخل بينك وبينهُ . فعند ذلك تقدم نور الدين الى الوزير ابن ساوي وكان نور الدين شجاعاً فجذب الوزير من فوق سرجهِ ورماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها . وجعل يلطمهُ ويلكمه . فجاءت لكمة على اسنانهِ فاختضبت لحية الوزير بدمهِ. وكان مع الوزير عشرة مماليك . فلما رأوا سيدهم فُعل بهِ هذه الفعال وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم . وارادوا ان يجرّدوها ويهجموا على نور الدين علي ليقطعوه . واذا بالناس قالوا للمماليك : هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا وتصيرا اخرى فتصيرون مبغوضين عند كلٍ منهما وربما اصابته ضربة فتموتون جميعاً اقبح الميتات . ومن الرأي ان لا تدخلوا بينهما

فلما فرغ نور الدين علي من ضرب الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره. وأما الوزير فمضى من ساعتهِ وبقي قماشه ثلثة الوان طينٌ اسود ودمٌ احمر ورماد . فلما رأى نفسهُ على هذه الحالة اخذ برشاً وجعلهُ في رقبتهِ واخذ في يده حزمتين من الحلفاء وسار الى ان وقف تحت القصر الذي فيهِ السلطان وصاح : يا ملك الزمان مظلوم مظلوم . فأحضروه بين يديه فتأمله واذا بهِ الوزير الكبير . فقال لهُ : يا وزير من فعل بك هذه الفعال . فبكى وانتحب وانشد يقول :

ايظلمني الزمان وانت فيهِ   وتأكلني الذئاب وانت ليثُ

ويروى من حياضك كل ظامٍ واظمأ في حماك وانت غيثُ

ثم قال: يا سيدي أهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجري عليهِ هذه الفعال. قال لهُ السلطان: عجل وقل لي كيف جرى لك هذا ومن فعل بك هذه الفعال وانت حرمتك من حرمتي. فقال الوزير: اعلم يا سيدي اني خرجت اليوم الى سوق الجواري على اني اشتري جارية طبَّاخة فرأيت في السوق جاريةً ما رأيت طول عمري مثلها. فأردت ان اشتريها لمولانا السلطان. فسألت عنها الدلال وعن سيدها. فقال الدلال: انها لعليّ بن الفضل بن خاقان. وكان مولانا السلطان اعطى سابقاً اباهُ عشرة آلاف دينار ليشتري بها جاريةً مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبتهُ. فبخل بها على مولانا السلطان فاعطاها ولدهُ. فلما مات ابوه باع ابنهُ جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاواني حتى افلس. فنزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها وسلمها الى الدلال فنادى عليها وزايد التجار فيها حتى اوصلوا ثمنها الى اربعة آلاف دينار فقلت لعقلي: أشتري هذه لمولانا السلطان فان ثمنها في الاصل كان من عنده. فقلت: يا ولدي خذ ثمنها مني اربعة آلاف دينار. فلما سمع كلامي نظر اليَّ وقال: يا شيخ النحس انا ابيعها لليهودي والنصراني ولا ابيعها لك. فقلت: انا ما اشتريها لنفسي وانما اشتريها لمولانا السلطان الذي هو وليُّ نعمتنا. فلماَّ سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وانا شيخ كبير. وضربني بيده ولكمني حتى تركني كما تراني. وانا ما أوقعني في هذا كلهِ الَّا لأني جئت اشتري هذه الجارية لك. ثم ان الوزير رمى نفسهُ على الارض وجعل يبكي ويرتعد. فلما نظر السلطان الى حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيهِ. ثم التفت الى ارباب الدولة واذا باربعين رجلًا ضاربين سيوفًا وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان: انزلوا الساعة الى

دار علي بن خاقان وانهبوها واهدموها وائتوني بهِ وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما . فقالوا لهُ : السمع والطاعة . ثم انهم لبسوا العــدَد ونزلوا وعوَّلوا على المسير الى دار علي نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقــال لهُ علم الدين سنجر . وكان اولاً من مماليك الفضل بن خاقان والد عليّ نور الدين . ثم انتقلت منزلته الى ان جعلــه السلطان حاجباً عنده . فلما سمع مرسوم السلطــان ورأى الاعداء تجهزوا الى قتــل ابن سيده ما هان عليه . فغــاب من قدام السلطان وركب جواده وسار الى ان جاء الى بيت نور الدين علي فطرق الباب فخرج لهُ نور الدين . فلما رآه عرفه فقال : يا سيدي ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر :

ونفسكَ فُزْ بها ان خِفْتَ ضيماً وخلِّ الدار تنعي من بنــاها
فانك واجدٌ ارضاً بارضٍ ونفسك لم تجــد نفساً سواها

فقال نور الدين : يا علم الدين ما الخبر . فقــال لهُ : انهض وفُزْ بنفسك انت والجــارية فان المعين بن ساوي نصب لكما شركاً . ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد سيَّر لكما السلطــان اربعين ضارباً بالسيف . والرأي عندي ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما . ثم ان سنجراً مدَّ يدهُ الى جيبه فوجد فيه اربعين ديناراً فاخذها واعطاها نور الدين وقال لهُ : يا سيدي خذ هذه وسافر بها ولو كان معي اكثر من ذلك لاعطيتك اياه . لكن ما هذا وقت معاتبــة . فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتخبَّلت يداها . ثم خرج الاثنــان في الوقت الى ظاهر المدينــة واسبل الله عليهما ستره . ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركباً يتجهز للسفر والرئيس واقف في وسط المركب يقول : من بقي لهُ حاجة من زادهِ او من وداع اهلهِ او مَن نسي حاجة فليأتِ بها فاننا متوجهون . فقال كلهم :

لم يبقَ لنا شغل يا رئيس . فعند ذلك قال الرئيس لجماعته : هيّا حلّوا الاطراف واقلعوا الاوتاد . فقال نور الدين علي : الى اين يا رئيس . فقال : الى دار السلام بغداد

(الليلة السادسة والثلثون) . اما نور الدين علي فلما سمع كلام الرئيس فرح واستبشر وصعد المركب وصعدت الجارية معهُ وارخوا القلوع فخرج المركب كانهُ طير بجناحيه كما قال فيهِ بعضهم واحسن :

انظر الى مركبٍ يسبيك منظرهُ يسابق الريح في سيرٍ ومجراه
كانهُ طائرٌ قد مدَّ اجنحةً اتى من الجوّ منقضاً على الماء

(قال) فسار بهم المركب وطابت لهم الريح . هذا ما جرى لهؤلاء.

واما ما جرى للمماليك فانهم جاءوا الى بيت الوزير نور الدين علي فكسّروا الابواب ودخلوا وطافوا الاماكن. فلم يقعوا لهما على خبر . فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان . فقال السلطان : اطلبوهما من اي مكان كانا فيهِ . فقالوا : السمع والطاعة . ثم نزل الوزير المعين بن ساوي الى بيته وكان خلع عليه السلطان خلعةً واطمأن قلبه وقال لهُ السلطان : ما يأخذ بثارك الّا انا. فدعا لهُ بطول العمر والبقاء . ثم ان السلطان أمر ان يُنادى في المدينة : يا معشر الناس كافةً قد أمر مولانا السلطان ان من عثر على علي نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليهِ خلعةً واعطاه الف دينار ومن اخفاهُ او عرف مكانه ولم يخبر بهِ فانهُ يستحق ما يجري لهُ من النكال . فوقع الطلب على نور الدين علي فما وجد لهُ حسٌ ولا خبر . فهذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد . فقال الرئيس : هذه بغداد وهي مدينة امينة قد ولّى عنها الشتاء ببردهِ . واقبل عليها فصل الربيع بوردهِ . وازهرت اشجارها

وجرت انهارها . فعنـد ذلك خرج نور الدين علي وجاريتـه من المركب واعطى الرئيس خمسة دنانـير وسارا قليلًا فرمتهما المقادير بين البساتين فجـاءا الى مكان فوجداه مكنوساً مرشوشاً بمصاطب طولانية وقواديس معلقـة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق . وفي صدر الزقاق باب بستان الّا انهُ مغلَق . فقال نور الدين علي للجارية : ان هذا محل مليح . فقالت : يا سيدي اقعد بنـا ساعة على هذه المصاطب ناخذ لنا راحة . فراحا وجلسا على المصاطب . ثم غسلا وجوههما وايديهما وضربهما الهواء فناما . جلَّ من لا ينام . وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وفيـه قصر يقال لهُ قصر الفرجة والتماثيل . وهو للخليفـة هارون الرشيد . وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتي الى هذا البستان والقصر ويقعد فيهِ . وكان القصر لهُ ثمـانون شباكاً ومعلق فيها ثمـانون قنديلًا . وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب . فاذا دخلهُ الخليفـة امر الجواري ان تفتح الشبابيـك وأمر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همهُ . وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال لهُ الشيخ ابراهيم . وكان اذا خرج في بعض حاجتهِ يجد المتفرجين يمشون بالبستان فيغضب غضباً شديداً . فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمهُ بذلك . فقـال الخليفة : اي من اصبتهَ على باب البستان افعلْ معهُ ما اردت . فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت لهُ فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بإزار فقال : والله طيب . هذان ما عرفا ان الخليفة اعطاني اذناً ومرسوماً ان كل من لقيتهُ هنا اقتـله . ولكن انا اضرب هذين ضرباً شنيعاً حتى لايتقرَّب احد من باب البستان . وقطع جريدة خضراء وخرج الى مكانهما ورفع يده حتى بان بياض ابطه واراد ضربهما . فتفكر في نفسه وقال : يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف

حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما . فرفع الازار عن وجوههما وقال : هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما . فغطى وجوههما وتقدم الى رِجل نور الدين علي وجعل يكبسها . ففتح عينهِ فوجد عند رجليه شيخاً كبيراً عليهِ هيبة ووقار فاستحى نور الدين علي ولمَّ رجليهِ وقعد على حيله واخذ يد الشيخ ابراهيم وقبَّلها . فقال لهُ الشيخ : يا ولدي من اين انت . فقال : يا سيدي نحن غرباء وفرَّت الدمعة من عينيه . فقال الشيخ ابراهيم : يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلَّم اوصى باكرام الغريب . ثم قال لهُ : يا ولدي ما تقوم تدخل الى البستان وتتفرج فيه وينشرح صدرك . فقال لهُ نور الدين : يا سيدي هذا البستان لمن . قال : يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي . وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الَّا ان يطمئنا ويدخلا البستان . فلما سمع نور الدين كلامهُ شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدَّامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان وايّ بستان . بابهُ مقنطر كانه ايوان . عليهِ كرومٌ واعنابه مختلفة الالوان . الاحمر كانهُ ياقوت . والاسود كانه أبنوس . فدخلوا تحت عريشةٍ فوجدوا فيها الاثمار صنواناً وغير صنوان . والاطيار على الاغصان تغرد بالالحان . والهزار يرجع على الافنان والقمري قد ملأ بصوتهِ المكان . والشحرور في تغريدهِ كانهُ انسان . والفاخت كانه شارب نشوان . والاشجار قد اينعت منها الاثمار حتى صار فيها من كل فاكهة زوجان . والمشمش ما بين كافوريّ ولوزيّ وخراسانيّ . والبرقوق كأنهُ لون الغضبان . والقراصية شهية الطعم تحت الاسنان . والتين في احمر وابيض لونان . والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان . والورد يفضح بحمرتهِ اكسية المرجان . والبنفسج كانهُ كبريت علق عليه بالليل النيران . والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان .

وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام . وضحك ثغرُ الأُقحوان . وصار النرجس ناظرًا الى الورد بعيون السودان . والاترجّ كأنهُ اكواب . والليمون كبنادق من ذهب . وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان . واقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان . والنهر في خرير . والطير في هدير . والريح في صفير لاعتدال الزمان . ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلّقة فنظرا الى حسن تلك القاعة وتلك الشموع المذكورة التي في تلك الشبابيك . فتذكر نور الدين المقامات التي مضت لهُ فقال : واللهِ ان هذا مقام مليح . ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ ابراهيم اكلًا فأكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما . وتقدَّم نور الدين الى شبَّاك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فاتت اليهِ فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار . ثم التفت نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال لهُ : يا شيخ ابراهيم ما عندك شيء من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلوا . فأتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب . فقال لهُ : يا شيخ ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريده . فقال لهُ : لعلك تريد الخمرة . فقال لهُ نور الدين : نعم . فقال : اعوذ باللهِ منها ان لي ثلاث عشرة سنة ما شممت لها رائحة لان النبي لعن شاربها وعاصرها وبائعها ومبتاعها . فقال لهُ نور الدين : اسمع مني كلمتين . قال لهُ : قل . فقال : هذا الحمار الملعون اذا لُعن هل يصيبك من لعنته شيء . قال : لا . قال : خذ هذا الدينار وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف الى بعيد وايّ من وجدتهُ يشتري فناده وقل لهُ : خذ هذين الدرهمين واشترِ لي بهذا الدينار خمرًا واحملهُ على الحمار ولا تكن انت حملتهُ ولا اشتريته ولا اصابك منهُ شيء . فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه : يا ولدي ما رايت اظرف منك ولا احلى من كلامك . ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نور الدين فشكره على ذلك

وقال لهُ : نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الّا الموافقة فأحضر لنا ما نحتاج اليهِ . فقال الشيخ ابراهيم : يا ولدي هذا هو الحاصل المعدّ لامير المؤمنين فادخلهُ وخذ منه ما شئت . فان فيه فوق ما تريد . فدخل نور الدين الحاصل فرأى فيه اواني من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فاخرجها ورصّها وسكب الخمرة في البواطي والقناني . وفرح بما رأى واندهش وأتاهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة والمشموم . ثم ان الشيخ راح وقعد بعيدًا عنهما . فشربا وانبسطا وقد تحكم معهما الشراب واحمرّت خدودهما وبان أثر المدام في عيونهما وانسدلت شعورهما وتبدلت الوانهما . فقال الشيخ ابراهيم : ما لي انا قاعد بعيدًا وما لي لا اقعد عندهما واي وقت التقي في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران . ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان . فقال لهُ نور الدين علي : يا سيدي بحياتي عليك تقدم الينا . فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نور الدين قدحًا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال لهُ : اشرب حتى تنظر ما طعمهُ . فقال الشيخ ابراهيم : اعوذ بالله ان لي ثلث عشرة سنة ما فعلت شيئًا من ذلك . فتغافل عنهُ نور الدين وشرب القدح ورمى روحهُ على الارض واظهر انه غلب عليهِ السكر . فعند ذلك نظرت اليهِ انيس الجليس وقالت لهُ : يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي . قال لها : يا سيدتي ماله . قالت : دائمًا يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدي ما اجد لي نديمًا ينادمني على قدحي ولا من اغني لهُ على قدحه . فقال لها الشيخ ابراهيم : والله ما هذا طيب . ثم ان الجارية ملأت قدحًا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت لهُ : بحياتي الّا ما اخذتهُ وشربته ولا تردهُ واجبر قلبي . فمدّ الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربهُ وملأت لهُ ثانيًا وجعلتهُ على الشمعة وقالت لهُ : يا سيدي بقي لك هذا . فقال لها : والله لا اقدر ان اشربهُ

يكفيني الذي شربتهُ . فقالت لهُ : لابد منهُ . فاخذ القدح وشربه . ثم اعطته الثالث فاخذه واراد ان يشربهُ واذا بنور الدين همَّ وقعد على حيله

(الليلة السابعة والثلثون) . أما نور الدين فلما قام وقعد قال لهُ : ياشيخ ابراهيم ما هذا . انا ما حلفت عليك من ساعةٍ فأبيت وقلت : انا لي ثلث عشرة سنة ما فعلته . فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى : والله ما لي ذنب انما هي قالت لي . فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة . فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرًا فيما بينهما : ياسيدي اشرب ولا تخاف على الشيخ ابراهيم حتى افرّجك عليه . فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها وسيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرةٍ فنظر اليهما الشيخ ابراهيم وقال : ما هذه المعاشرة لَم لاتسقيني يا اخي ما هذا الحال يا مبارك . فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما . ثم شربا وسقياه . وما زالوا في المنادمة الى ثلث الليل . فعند ذلك قالت الجارية : ياشيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف . فقال لها : قومي ولا توقدي الَّا شمعةً واحدة . فنهضت على قدميها وابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة . ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين : ياشيخ ابراهيم وانا ما قسمي عندك أما تخليني أوقد قنديلًا من هذه القناديل . فقال لهُ الشيخ ابراهيم : قم وأوقد قنديلًا واحدًا ولا تتثاقل انت الآخر . فقام وابتدأ من اولها الى ان أوقد الثمانين قنديلًا . فعند ذلك رقص المكان . فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليهِ السكر : انتما اجرأ مني . ثم انهُ نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعًا وجلس واياهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وقد زهر بهم المكان . فقدَّر الله القادر على كل شيء الذي جعل لكل شيء سببًا ان الخليفة في تلك الساعة تطلع ونظر الى الشبابيك التي في ناحية دجلة

في ضوء القمر . فنظر ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعاً . فلاحت من الخليفة التفاتة فرأى قصر البستان يزهر من تلك الشموع والقناديل فقال : عليَّ بجعفر البرمكيّ . فما كان الّا وقد حضر بين يدي امير المؤمنين فقال لهُ : يا كاب الوزراء اتؤخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني . فقال لهُ جعفر : ما هذا الكلام . فقال لهُ : لو ان مدينة بغداد لم تؤخذ مني ما كان قصر التماثيل يتوقد بالقناديل والشموع وقد فتحت شبابيكه . ويلك من الذي يستجرئ يفعل هذه الفعال الّا اذا كانت الخلافة أُخذَت مني . فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه : ومَن اخبرك بان قصر التماثيل موقد وفُتحت شبابيكه . فقال لهُ : تقدم اليّ وانظر . فتقدم جعفر الى الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام . فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخوليّ ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيهِ من المصلحة فقال : يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعة التي مضت قال لي : يا سيدي جعفر اني اشتهي ان افرح اولادي في حياة امير المؤمنين وحياتك . فقلت لهُ : الى ايّ شيء تحتاج . فقال لي : تاخذ لي مرسوماً من الخليفة باني اطهر اولادي في القصر . فقلت لهُ : رُح طهرهم وانا اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك . فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمك . فقال الخليفة : يا جعفر كان لكَ عندي ذنبٌ واحد . فصار لكَ عندي ذنبان . لانكَ اخطأت من وجهين . الوجه الاول انكَ ما اعلمتني بذلك . والوجه الثاني انكَ ما بلّغت الشيخ ابراهيم مقصوده . فانهُ ما جاء اليك وقال لكَ هذا الكلام الّا تعريضاً بطلب شيء من المال يستعين بهِ فلا اعطيته شيئاً ولا اعلمتني . فقال جعفر : يا امير المؤمنين نسيت . فقال الخليفة : وحق آبائي واجدادي ما اتمّ بقية ليلتي الّا عنده فانهُ رجل صالح يقوم بالمشائخ والفقراء ويدعوهم . ويكونون هذه الليلة

مجتمعين عنده · عسى دعوة واحد منهم يحصل لنا بها خيرٌ في الدنيا والآخرة . وفي هذا الامر مصالح لهم بحضوري عنده ويفرح الشيخ ابراهيم . فقال جعفر : يا امير المؤمنين الوقت امسى وهم الساعة على فروغ . فقال الخليفة : لابدَّ من الرواح عندهم . فسكت جعفر وتحيَّر وبقي لايدري ما يفعل · فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشى الثلثة متنكرين ونزلوا من قصر الخلافة وجعلوا يشقون الازقَّة وهم في زيّ التجار الى ان وصلوا الى باب البستان المذكور . فتقدم الخليفة فرأى باب البستان مفتوحاً . فتعجب وقال : انظر يا جعفر كيف خلى الشيخ ابراهيم الباب مفتوحاً الى هذا الوقت وما هي عادته . ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر · فقال الخليفة : يا جعفر أُريد ان اتسلل قبل ان اطلع عليهم حتى انظر ايّ شيء هم فيهِ وانظر الى المشايخ فاني الى الان لم اسمع لهم صوتاً ولا فقيراً يذكر الله . ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال : يا جعفر أُريد ان اصعد على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وانظر اليهم · ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع على الفرع الذي يقابل الشبَّاك وقعد فوقه · ونظر من شبَّاك القصر فرأى صبية وصبياً كانهما قمران سبحان من خلقهما وصوَّرهما . ورأى الشيخ ابراهيم قاعداً وفي يده قدح وهو يقول · الشرب بلا طرب ما هو فلاح · فاني سمعت الشاعر يقول :

ادِرها بالكبير وبالصغيرِ   وخذها من يدِ القمر المنيرِ
ولا تشرب بلا طربٍ فاني   رأيت الخيل تشرب بالصفيرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال : يا جعفر انا ما رأيت الصالحين على هذا الحال ابداً . فاطلع انت

الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين . فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرًا في امره وصعد الى اعلى الشجرة واذا به نظر فرأى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية . وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح . فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ونزل ووقف بين يدي امير المؤمنين . فقال له الخليفة : يا جعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة . فلم يقدر جعفر ان يتكلم من شدة الخجل . ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال : يا ترى من أوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصري ولكن مثل حسن هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني قطّ . فقال جعفر وقد ترجّى رضاء الخليفة هرون الرشيد : صدقت يا مولانا السلطان . فقال : يا جعفر اصعد بنا الى هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرّج عليهم . فصعد الاثنان الى الشجرة ونظراهم فسمعا الشيخ ابراهيم يقول : يا سادتي قد تركت الوقار . بشرب العقار . ولا يلذ ذلك الّا نغمات الاوتار . فقالت له انيس الجليس : يا شيخ ابراهيم لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملًا . فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائمًا على قدميه . فقال الخليفة لجعفر : يا ترى اي شيء رائح يعمل . فقال جعفر : لا ادري . فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعهُ عودٌ . فتأمله الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق النديم . فقال الخليفة : ان غنت هذه الجارية قبيحًا لاصلبنكم كلكم . وان غنت مليحًا فاني اعفو عنهم واصلبك انت . فقال جعفر : اللهمّ اجعلها تغني قبيحًا . فقال الخليفة لاي شيء . فقال جعفر : لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا البعض . فضحك الخليفة من كلامه

ثم ان الجارية اخذت العود وتفقدتهُ واصلحت اوتاره وضربت ضربًا يذيب الحديد ويفطن البليد ثم انشدت وجعلت تقول :

يا ناظرين مساكيناً محبينا ألا ارحموا كل من قد كان محزونا
مهما فعلتم فانا مستحقونا نحنُ استجرنا بكم لا تشمتوا فينا

فقال الخليفة : والله طيب يا جعفر عمري ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا . فقال جعفر : لعلّ الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ . قال : نعم ذهب . ثم نزل من فوق الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال : اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي . فقال : يا امير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا . واما الشيخ ابراهيم فيموت من الخوف . فقال الخليفة : يا جعفر لابدّ ان تعرّفني كيف اتحيل عليهم بحيلة وادخل عليهم من غير ان يشعروا بي . ثم ان الخليفة وجعفراً ذهبا الى ناحية دجلة وهما متفكران في هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد تحت شبابيك القصر . وكان الخليفة سابقاً صاح على الشيخ ابراهيم وقال له : ما هذا الحس الذي سمعته تحت شبابيك القصر . فقال له الشيخ ابراهيم : صوت صيادي السمك . فقال : انزل وامنعهم من ذلك الموضع . فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع . فلما كانت تلك الليلة جاء صياد سمك يسمّى كريماً ورأى باب البستان مفتوحاً فقال في نفسه : هذا وقت غفلة اغتنم في هذا الوقت صيد السمك . ثم اخذ شبكته وطرحها في البحر واذا بالخليفة وحدهُ واقفٌ على راسه فعرفه الخليفة فقال له : يا كريم . فالتفت اليهِ لما سمعه يسميهِ باسمه . فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال : يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى . فقال الخليفة : اصطد على اسمي . فتقدم الصياد وقد فرح وطرح الشبكة وصبر حتى اخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها اليهِ فطلع فيها من انواع السمك . ففرح بذلك الخليفة فقال : يا كريم انزع ثيابك . فخلع ثيابهُ وكانت عليهِ جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن .

وقد علقت بها اوساخ واقذار. وترع من على رأسه عمامة مضى عليها ثلث سنين ما رأى خرقة الّا خيطها عليها . فلما ترع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين اسكندريّ وبعلبكي من حرير وملوطة وفرجية. ثم قال للصيّاد: خذها والبسها والبس الخليفة جبّة الصياد وعمامته وضرب له لثاماً . ثم قال للصياد : رُح انت الى شغلك . فقبّل رجل الخليفة وشكره وجعل يقول :

اوليتني نعمى ابوح بشكرها   وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنّك ما حييتُ وان امُت   شكرتك مني اعظمي في قبرها

فما فرغ الصياد من شعره حتى دبّ القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيد اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال : يا صياد ويلكَ ما هذا الّا قمل كثير في هذه الجبة . فقال : يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة لاتحسّ بهِ ولا تتفكر فيه . فضحك الخليفة وقال له : ويلكَ كيف اخلي هذه الجبة على جسدي . فقال الصياد : اني اشتهي ان اقول لك كلاماً . فقال له : قُل ما عندك . فقال له : خطر ببالي يا امير المؤمنين انك ان اردت ان تتعلم الصيد لاجل ان يبقى في يدك صنعة تنفعك لا يناسبك الّا هذه الجبة . فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولّى الصياد الى حال سبيله

اما الخليفة فأخذ مقطف السمك ووضع فوقهُ قليلاً من الخضرة وأتى بهِ الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انهُ كريم الصياد فخاف عليهِ وقال له : يا كريم اي شيء جاء بكَ هنا انجُ بنفسك فان الخليفة هذه الليلة في البستان ومتى رآك راحت رقبتك . فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك . فلما ضحك عرفهُ جعفر فقال له : لعلك مولانا السلطان . فقال الخليفة : نعم يا جعفر وأنت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران . فكن مكانك

حتى ارجع اليك . فقال جعفر : سمعاً وطاعة . ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر وطرقهُ طرقاً خفيفاً . فقال نور الدين : يا شيخ ابراهيم باب القصر يدق . فقال الشيخ ابراهيم : مَن بالباب . فقال لهُ : انا يا شيخ ابراهيم . فقال لهُ : مَن أنت . قال : انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافاً فجئت اليكَ بشيء من السمك فانه مليح . فلما سمع نور الدين سيرة السمك فرح هو وجاريته وقالا : يا سيدي افتح لهُ ودعهُ يدخل الينا بالسمك الذي معهُ . ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام . فقال لهُ الشيخ ابراهيم اهلاً باللص السارق المقامر تعالَ ارِنا السمك الذي معك . فأراهم اياه . فلما نظروهُ فاذا هو حي يتحرك . فقالت الجارية : يا سيدي ان هذا السمك مليح ياليتهُ مقلي . فقال الشيخ ابراهيم : يا سيدتي صدقتِ . ثم انهُ قال للخليفة : يا صياد لايّ شيء ما جئتُ بهذا السمك مقلياً . قم الان واقلهِ لنا وهاته لنا . فقال الخليفة : حاضر اقليه لكم واجيءْ به . فقالوا لهُ : هيا . فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال لهُ : يا جعفر . فقال : نعم يا امير المؤمنين خيراً . فقال لهُ : طلبوا السمك مني مقلياً . فقال جعفر : يا امير المؤمنين هاته وانا اقليه لهم . فقال الخليفة : وتربة آبائي وأجدادي ما يقليهِ الّا انا بيدي . ثم ان الخليفة اتى الى خصّ الخولي وفتش فيهِ فوجد كل ما يحتاج اليه حتى الملح والزعفران والصعتر وغير ذلك . فتقدم للكانون وعلّق الطاجن وقلاه قلياً مليحاً فلما نضج جعله على ورق الموز واخذ من البستان نقلاً وليموناً وذهب بالسمك ووضعه بين ايديهم . فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا . فلما فرغوا من الاكل غسلوا ايديهم . فقال نور الدين : يا صياد اتيتنا بفضيلةٍ مليحة في هذه الليلة . ثم وضع يدهُ في جيبه واخرج لهُ ثلثة دنانير من الدنانير التي اعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال لهُ : يا صياد

اعذرني لو عرفتني قبل الذي حصل لي لكنتُ نزعتُ مرارة الفقر من قلبك . لكن خُذ هذا على حسب البركة . ثم رماها للخليفة فاخذها الخليفة وقبَّلها ودفعها في جيبه . وما كان مراد الخليفة بذلك الّا سماع الغناء . فقال لهُ الخليفة : احسنت وتفضلت لكن مرادي من تفضلاتك العميمة ان تأمر الجارية تغني لنا صوتًا حتى اسمعها . فقال نور الدين علي : يا انيس الجليس . قالت : نعم . قال لها : بحياتي غني لنا شيئًا من شأن خاطر هذا الصيَّاد لانهُ يريد ان يسمعكِ . فلما سمعت الجارية كلام سيدها اخذت العود وحرَّكتهُ بعد ان اصلحت اوتاره وانشدت تقول :

وغادةٍ مسكت للعود انملها ... فعادت النفس عند الجسّ تختلسُ
غنَّت فأبرى غناها من بهِ صممٌ ... وقال احسنتِ حقًّا من بهِ خرسُ

ثم انها ضربت ضربًا بديعًا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذه الابيات :

ولقد شرُفنا اذ تزلتم ارضنا ... ومحا سناكم ظلمة الديجورِ
فيحقُّ لي اني اخلق منزلي ... بالمسك والماورد والكافورِ

فعند ذلك اضطرب الخليفة ولم يملك نفسه من شدة الطرب الى ان قال : طيب طيب طيب . فقال نور الدين : يا صياد هل اعجبتكَ الجارية . فقال الخليفة : اي والله . فقال نور الدين : هي هبة مني اليك هبة كريم لا يردّ في عطائه ولا يرجع في هبته . ثم ان نور الدين نهض قائمًا على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الصياد وأمره ان يخرج ويروح بالجارية . فنظرت الجارية اليهِ وقالت لهُ : يا سيدي انت رائح بلا وداع ان كان ولا بدّ فقف حتى اودعك واشرح حالي ثم انشدت وجعلت تقول هذه الابيات :

لو كان يسبح حيٌّ في مدامعهِ ... لكنت اول من في دمعهِ سبحا

أيا ابن خاقان يا سؤلي ويا املي   يا من هواهُ بقلبي قطُّ ما برحا
قد كنتَ عاديت مولانا وسيدنا   فيَّ وعدت عن الاوطانِ منتزحا
لا اوحش الله مولانا على فقدي   وهبتني لكريمٍ ظلَّ ممتدحا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول:

ودعتني يوم الفراق وقالت   وهي تبكي من لوعة الافتراقِ
ما الذي انتَ صانعٌ بعد بعدي   قلت قولي هذا لمن هو باقِ

ثم انهُ لما سمع الخليفة قولها في شعرها: « وهبتني لكريم » صعب عليهِ التفريق بينهما وعزَّ عليهِ وقال للصبي: يا سيدي ان هذه الجارية قد ذكرت في شعرها انك عاديت سيدها ومن ملكها فاخبرني انت مَن عاديت ومَن لهُ عليك طلب. فقال نور الدين: والله يا صياد جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب وأمر غريب لو كُتب بالابر. على آماق البصر. لكان عبرة لمن اعتبر. فقال الخليفة: أما تحدثنا بما جرى لكَ من حديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لكَ فيهِ فرج: فان فرج الله قريب. فقال نور الدين: يا صياد هل تسمع حديثنا نظماً او نثراً. فقال الخليفة: النثر كلام والشعر نظام. فاطرق نور الدين راسهُ الى الارض وانشد يقول:

يا خليلي اني هجرت رقادي   وهمومي زادت لبعد بلادي
كان لي والدٌ عليَّ شفوقٌ   غاب عني مجاور الالحادِ
فأتت بعدهُ عليَّ امورٌ   صرت منها مفتت الاكبادِ
اشترى لي من الجواري خودًا   ذات حسن فيها تمام الرشادِ
سمتها البيع اذ تزايد همي   وجوى البين لم يكن بمرادي
واذا ما دعا عليها منادٍ   زاد فيها شيخٌ كثير العنادِ
فلهذا اغتظت غيظاً شديدًا   نترتها يدي من الاوغادِ

فتردّى ذاك اللئيم بغيظٍ　　وتلظت فيهِ لظى الاحقادِ
من همومي لكمتهُ بيميني　　وشمالي حتى شفيت فؤادي
ومن الخوف قد اتيت لداري　　وتخبيت خيفة الاضدادِ
أمرَ الحاكم العظيم بمسكي　　فأتى الحاجبُ الكثير السدادِ
رامزًا لي اني اسيرُ بعيدًا　　حذرًا من شماتة الحسادِ
فخرجنا من دارنا جنح ليلٍ　　طالبين المقام في بغدادِ
ليس شيءٌ من الذخائر عندي　　دونها منحةٌ الى الصيادِ
غير اني اعطيك محبوب قلبي　　فتيقن اني وهبتُ فؤادي

فلما فرغ من شعره قال لهُ الخليفة : يا سيدي نور الدين اشرح لي امركَ بازيد بيان . فاخبره نور الدين بخبره من مبتدإ الامر الى منتهاه . فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له : اين تقصد في هذه الساعة . قال لهُ : بلاد الله فسيحة . فقال لهُ الخليفة : اذا كتبت لكَ ورقة تؤديها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لم يضرك بشيء ولا يؤذيك

(الليلة الثامنة والثلثون) . فقال لهُ نور الدين علي : وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك . انَّ هذا شيء لا يكون ابدًا . فقال لهُ الخليفة : صدقت ولكن اقول لكَ عن السبب . اعلم اني قرأت انا واياه في مكتب واحد عند فقيه واحد وكنت انا عريفه . ثم بعد ذلك ادركتهُ السعادة وصار سلطانًا وانا نقلني الله وجعلني صيادًا وانا لم ارسل لهُ في حاجة الَّا قضاها ولو ارسلت لهُ كل يوم الف حاجة لقضاها . فلما سمع نور الدين كلامه قال لهُ : طيب اكتب حتى انظر . فأخذ دواةً وقلمًا وكتب بعد البسملة : اما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد ابن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبًا عني

في بعض مملكتي. ان هذا الكتاب واصل اليك صحبة نور الدين علي بن خاقان ابن الوزير. فساعة وصوله اليك انزع نفسك من الملك وولّهِ ولا تخالف امري والسلام. ثم اعطى الكتاب نور الدين عليًا بن خاقان. فاخذ نور الدين الكتاب وقبّله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرًا

هذا ما جرى لهُ. واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليهِ وهو في صورة الصيادين وقال لهُ : يا احقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفًا فأخذت ثلثة دنانير وتريد ان تأخذ الجارية ايضًا . فلما سمع الخليفة كلامه صاح عليهِ وأومأ الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليهِ وكان جعفر ارسل مع رجل من صبيان الغيط لبوّاب القصر يطلب منهُ حلة الملك فذهب الرجل وجاء بالحلة وقبّل الارض بين يدي الخليفة. فخلع عليهِ الخليفة ما كان عليهِ ولبس تلك الحلة. وكان الشيخ ابراهيم جالسًا على الكرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري. فعند ذلك بُهت الشيخ ابراهيم وبقي ساهيًا وهو يعضّ انامله ويقول : يا ترى انا نائم ام يقظان . فنظر اليهِ الخليفة وقال : يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه . فعند ذلك افاق من سكره ورمى نفسه على الارض وانشد يقول :

هب لي جناية ما زلّت بهِ القدمُ للعبد تُطلب من ساداتهِ النعمُ
فعلتُ ما يقتضيهِ الذنب معترفًا فاين ما يقتضيهِ العفو والكرمُ

فعفا عنهُ الخليفة وأمرَ بالجارية ان تحمل الى القصر . فلما وصلت الى القصر أفرد لها الخليفة منزلًا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها : اعلمي اني ارسلت سيدكِ سلطانًا على البصرة فان شاء الله تعالى نرسل اليهِ خلعة ونرسلكِ اليهِ . هذا ما جرى لهؤلاء.

واما ما جرى لنور الدين علي بن خاقان فانهُ لم يزل مسافرًا حتى وصل

الى البصرة ودخل قصر السلطان . ثم صرخ صرخةً عظيمة فسمعهُ السلطان فطلبه . فلما حضر قبَّل الارض بين يديه ثم اخرج الورقة وقدَّمها لهُ . فلما رأى عنوان الكتاب بخط امير المؤمنين قام ووقف على قدميهِ وقبلها ثلث مرات وقال : السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين . ثم انهُ احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير الذي هو المعين بن ساوي قد حضر فاعطاه السلطان الورقة . فلما قرأها قطعها عن آخرها واخذها في فمه ومضغها ورماها . فقال لهُ السلطان وقد غضب : ويلك ما الذي حملكَ على هذه الفعال . فقال لهُ : وحياتكَ يا مولانا السلطان هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره . وانما هو شيطان مكار وقع على ورقة بخط الخليفة بطالة فعمل غرضهُ فيها . وان الخليفة لم يرسلهُ ليأخذ منك السلطنة ولامعهُ خط شريف ولا تعليق ولا جاء من عند الخليفة ابدًا ابدًا ولو كان هذا الامر وقع لأرسل معهُ حاجبًا او وزيرًا. لكنهُ جاء وحده . فقال لهُ : وكيف العمل . قال لهُ : ارسل معي هذا الشاب وأنا آخذه واتسلمه منك وارسلهُ صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحًا يأتينا بخطٍ شريف وتقليد فان لم يأتِ بهِ انا آخذ حقي من غريمي هذا . فلما سمع السلطان كلام الوزير المعين بن ساوي قال لهُ : دونكَ واياه . فتسلمه الوزير من السلطان ونزل بهِ الى داره وصاح على الغلمان فمدوهُ وضربوه الى ان أغمي عليه وجعل في رجليه قيدًا ثقيلًا وجاء بهِ الى السجن وصاح على السجان . فلما حضر قبل الارض بين يديه . وكان هذا السجان يقال لهُ قطيط . فقال لهُ : يا قطيط اريد ان تأخذ هذا وترميهِ في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار . فقال السجان : سمعًا وطاعة . ثم ان السجان ادخل نور الدين السجن وقفل عليهِ الباب . ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بقعد

ونطع واجلس نور الدين عليها وفكَّ قيده واحسن اليه. وكان الوزير كل يوم يرسل يوصي السجان بضربه والسجان يدافع عنهُ الى مدة اربعين يوماً. فلما كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هديَّة من عند الخليفة. فلما رآها السلطان اعجبتهُ فشاور الوزراء في امرها. فقال بعضهم: لعلَّ هذه الهديَّة كانت للسلطان الجديد. فقال الوزير المعين بن ساوي انما كان المناسب قتلهُ وقت قدومه. فقال السلطان: لقد ذكرتني بهِ انزل هاته واضرب عنقه. فقال الوزير: سمعاً وطاعة. فقام وقال لهُ: ان قصدي ان انادي في المدينة من اراد ان يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان فليأتِ الى القصر. فيأتي التابع والمتبوع ليتفرَّج عليه واشفي فؤادي وا كمد حسادي. فقال لهُ السلطان: افعل ما تريد. فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل على الوالي وأمره ان ينادي بما ذكرناه. فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكوا جميعاً حتى الصغار في المكاتب والسوقة في الدكاكين وتسابق الناس يأخذون لهم اماكن ليتفرجوا فيها. وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتي معهُ. ونزل الوزير ومعهُ عشرة مماليك الى السجن. فقال قطيط السجان: ما تطلب يا مولانا الوزير. فقال: احضر لي هذا النحس. فقال السجان: انهُ في اشأم حال من كثرة ما ضربته. ثم دخل السجان فوجدهُ ينشد هذه الابيات:

مَن لي يساعدني على بلوائي ... قد زادَ بي دائي وعزَّ دوائي
والهجر اضنى مهجتي وحشاشتي ... والدهر ردَّ احبتي اعدائي
يا قوم هل فيكم رفيقٌ مشفقٌ ... يرثي لحالي او يجيب ندائي
فالموتُ هانَ عليَّ مع سكراتهِ ... وقطعت من طيب الحيوة رجائي
يا ربُّ بالهادي البشير المصطفى ... بحر العلوم وسيد الشفعاء
ادعوكَ تنقذني وتغفر زلتي ... وتزيل عني شقوتي وعنائي

فعند ذلك نزع عنهُ السجان الثياب النظيفة والبسهُ ثوبين وسخين ونزل بهِ الى الوزير . فنظره نور الدين فاذا هو بعدوهِ الذي ما زال يطلب قتله . فلما رآه بكى وقال لهُ : هل أمنت الدهر . اما سمعت قول الشاعر :

اين الاكاسرة الجبابرة الاولى كنزوا الكنوز فما بقينَ ولا بقوا

ثم قال لهُ : يا وزير اعلم ان الله سبحانهُ وتعالى هو الفعال لما يريد . فقال لهُ : يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولا افكر . ودع الايام تفعل ما تريد ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر :

دع الايام تفعل ما تشاء وطب نفساً بما فعل القضاء

وما احسن قول الآخر :

مَن عاشَ بعد عدوهِ يوماً فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير أمر غلمانه ان يحملوهُ على ظهر بغل . فقال الغلمان لنور الدين وقد صعب عليهم : دعنا نرجمه ونقطعه ولو تروح ارواحنا . فقال لهم نور الدين عليّ : لا تفعلوا ذلك ابداً . اما سمعتم قول الشاعر :

لا بدَّ لي من مدةٍ محتومة فاذا انقضت ايامها متُّ
لو ادخلتني الأسد في غاباتها لم تفنني ما دام لي وقتُ

ثم انهم نادوا على نور الدين : هذا اقلّ جزاء من يزوّر على الملوك الباطل . ولا زالوا يطوفون بهِ في البصرة الى ان اوقفوهُ تحت شباك القصر وعلقوه في نطع الدم وتقدم اليهِ السياف وقال لهُ : ياسيدي انا عبد مأمور في هذا الامر ان كان لكَ حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانهُ ما بقي من عمرك الّا قدر ما يُخرج السلطان وجهه من الشباك . فعند ذلك نظر يميناً وشمالاً وخلفاً واماماً وانشد يقول :

اری السيف والسيّاف والنطع أُحضروا فناديتُ يا ذلي وعظم مصائبي
فهل فيكم خلٌ شفوقٌ يعينني سألتكمُ ردُّوا عليَّ جوابي
مضى الوقت من عمري وحانت منيتي فهل راحم لي كي ينال ثوابي
وينظر في حالي ويكشف باوتي بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليهِ وقام السيّاف واخذ شربة ماء وقدمها لهُ . فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السيّاف وأمره بضرب رقبته . فعند ذلك عصب عيني نور الدين . فزعقت الناس على الوزير وقام الصراخ وكثر بينهم القيل والقال . فبينما هم كذلك اذا بغبار قد علا . وعجاج ملأ الجوّ والخلا . فلما نظر اليهِ السلطان وهو قاعد في القصر قال لهم : انظروا ما الخبر . فقال الوزير : حتى نضرب عنق هذا قبل . فقال لهُ السلطان : اصبر انت حتى ننظر الخبر . وكان ذلك الغبار غبار جعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معهُ . وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلثين يوماً لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها لهُ احد الى ان جاء ليلة من بعض الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت حسن ظريف قول الشاعر :

خيالكَ في التباعد والتداني وذكركَ لا يفارقهُ لساني

ثم تزايد بكاؤها . واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهي تبكي . فلما رأت الخليفة وقعت على الارض فقبّلت رجليه ثلث مرات ثم انها انشدت تقول :

ايا مَن زكا اصلاً وطاب ولادةً واثمر غصناً يانعاً وزكا غرسا
اذكرك الوعدَ الذي سمحت بهِ محاسنك الحسنى وحاشاكَ ان تنسى

فقال الخليفة : مَن انتِ . فقالت : انا هدية علي بن خاقان اليك واريد انجاز

الوعد الذي وعدتني بهِ من انك ترسلني اليه مع التشريف. والآن لي هنا ثلثون يوماً لم اذق طعم النوم · فعند ذلك طلب الخليفة جعفراً البرمكي وقال لهُ : يا جعفر من منذ ثلثين يوماً لم اسمع خبراً عن علي بن خاقان وما اظنُّ الّا انَّ السلطان قتله . ولكن وحياة رأسي وتربة آبائي واجدادي ان جرى لهُ امر مكروه لاهلكنَّ من كان السبب فيهِ ولو كان اعزّ الناس عندي . واريد ان تسافر في هذه الساعة الى البصرة وتأتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان . وقال لهُ : ان غبت اكثر من مسافة الطريق ضربت رقبتك. وانت تعلم ابن عمي بقضية نور الدين علي بن خاقان واني ارسلته بكتابي. وان وجدت انَّ الملك عمل بغير ما ارسلت بهِ اليه فاحمله واحمل الوزير المعين بن ساوي على الهيئة التي تجدهما عليها ولا تغب اكثر من مسافة الطريق . فقال جعفر : السمع والطاعة. ثم ان جعفراً تجهز من وقته وسافر الى ان وصل الى البصرة. وقد تسابقت الاخبار الى الملك محمد بن سليمان الزيني بحضور جعفر البرمكي . فلما اقبل جعفر ونظر ذلك الهرج والمرج والزحام قال : ما هذا الازدحام . فذكروا لهُ ما هم فيه من امر نور الدين علي بن خاقان . فلما سمع جعفر كلامهم اسرع في الذهاب الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانهُ اذا كان وقع لعليّ بن خاقان امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك . ثم انهُ قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وحبسهما وامر باطلاق نور الدين علي بن خاقان واجلسه سلطاناً في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني . وقعد ثلثة ايام في البصرة مدة الضيافة. فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال لهُ : اني اشتقت الى رؤية امير المؤمنين . فقال جعفر للملك محمد بن سليمان الزيني : تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونركب الى بغداد . فقال : السمع والطاعة . ثم

انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوي وصار يتندم على ما فعله

واما نور الدين علي بن خاقان فانهُ ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام . وبعد ذلك دخلوا على الخليفة . فلما دخلوا عليهِ حكوا لهُ قصة نور الدين وكيف وجدوه وهو مشرف على الهلاك . فعند ذلك اقبل الخليفة على عليّ بن خاقان وقال لهُ : خذ هذا السيف واضرب بهِ رقبة عدوك . فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوي . فنظر اليهِ وقال له : انا عملت بلبني فاعمل انت بلبنك . فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال : يا امير المؤمنين انه خدعني بكلامه وانشد يقول :

فخدعتهُ بخديعةٍ لما اتى والحرُّ يخدعهُ الكلام الطيبُ

فقال لهُ الخليفة : اتركه انت . وقال لمسرور : يا مسرور قم انت واضرب رقبته . فقام مسرور ورمى رقبته . فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان : تمنَّ عليَّ . فقال : يا سيدي انا ما لي حاجة بملك البصرة وما أُريد الَّا ان اتشرف بخدمتك واشاهد طلعتك . فقال الخليفة : حباً وكرامةً . ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه . فانعم عليهما واعطاهما قصراً من قصور بغداد ورتَّب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيماً عنده في الذ عيش الى ان ادركه الممات . وليس هذا باعجب من حكاية التاجر وأولاده . قال الملك : وكيف كان ذلك

حكاية التاجر ايوب وابنه غانم وبنته فتنة

قالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان . وسالف العصر والاوان . تاجر من بعض التجار لهُ مال ولهُ ولد كأنهُ البدر ليلة تمامه

فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب : ولهُ اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالًا جزيلًا

(الليلة التاسعة والثلثون) . ومن جملة ذلك مائة حمل من الخزّ والديباج ونوافج المسك . ومكتوب على الاحمال : هذا مما عُمل برسم بغداد . وكانت نيتهُ السفر الى بغداد . فلما توفّاهُ الله تعالى ومضت مدة اخذ ولدهُ هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد . وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودّع امهُ واقاربهُ واهل بلدتهِ قبل سيرهِ . وخرج متوكلًا على الله تعالى . وكتب الله لهُ السلامة حتى وصل الى بغداد . وكان صحبتهُ جماعة من التجار . فاكترى لهُ دارًا حسنةً وفرشها بالبسط والوسائد وارخى عليها الستور وانزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال . وجلس حتى استراح وسلمت عليهِ التجار واكابر بغداد . ثم انهُ اخذ بُقجةً فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها . ونزل بها الى سوق التجار فتلقوهُ بالترحيب وسلموا عليهِ واكرموه وانزلوه واجلسوه على دكان شيخ السوق . ثم انهُ ناولهُ البقجة ففتحها واخرج منها تفاصيل . فباع لهُ شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثلهُ . ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل اولاً بأول . ولم يزل كذلك الى مدة سنةٍ كاملةٍ . وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصريّة التي في السوق فرأى بابها مُغلقًا فسأل عن سبب ذلك . فقيل لهُ : ان واحدًا من التجار توفي وذهب التجار كلهم يمشون في جنازتهِ فهل لك ان تكسب اجرًا وتمشي معهم . قال : نعم . ثم سأل عن محل الجنازة فدلّوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلّوا على الميت . ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم من حياهُ . وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى خارج المدينة وشقّوا ما بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر

واحضروا الشموع والقناديل . ثم دفنوا الميت وجلس القرّاء يقرأون القرآن على ذلك القبر . فجلس اولئك التجار وجلس معهم غانم بن ايوب وهو غالب عليهِ الحياء . فقال في نفسه : انا لا اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم . ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا ايديهم . ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم بمكانهِ وبضاعته وخاف من اللصوص فقال في نفسه : انا رجل غريب ومتَّهم بالمال . فان بتُّ الليلة بعيدًا عن منزلي يسرق اللصوص ما فيهِ من المال والاحمال . وخاف على امتعته فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على انه يقضي حاجة . فصار يمشي ويتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقًا ولم يرَ احدًا غاديًا ولا رائحًا ولم يسمع صوتًا سوى الكلاب تنبح والذئاب تصيح فرجع وقال : لا حولَ ولا قوة الّا بالله . كنت خائفًا على مالي وجئت لاجله فوجدت الباب مغلقًا وبقيت الان خائفًا على روحي . ثم انهُ رجع وراءه لينظر لهُ محلًا ينام فيه الى الصباح . فوجد تربة محوطة باربعة حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح . فدخلها واراد ان ينام فيها فلم يجئهُ نوم واخذتهُ رجفة ووحشة وهو بين القبور . فقام واقفًا على قدميهِ وفتح باب المكان ونظر فاذا هو بنور على بعد في ناحية باب المدينة . فمشى قليلًا فرأى النور في الطريق التي تؤدي الى التربة التي هو فيها . فخاف غانم على نفسه واسرع بردّ الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها . فصار النور يتقرب من التربة شيئًا فشيئًا حتى قرب من التربة . فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنين منهم رافعين صندوقًا وواحدًا في يده فانوس وفأس . فحين قربوا من التربة قال احد العبدين الحاملين الصندوق : مالك يا صواب . فقال العبد الآخر منهما : مالك يا كافور . فقال لهُ : اما كنّا هنا وقت

العشاء وتركنا الباب مفتوحاً . فقال: نعم هذا الكلام صحيح . فقال: ها هو مغلق . فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيت : ما اقلّ عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويرعون هنا . فيمسي عليهم المساء فيدخلون ويغلقون الباب خوفاً من السودان الذين هم مثلنا ان يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم . فقالا له : صدقت ما فينا اقلُّ عقلاً منك : فقال لهما : انكما لا تصدقاني حتى ندخل التربة ونجد فيها احداً . وانا اظن انهُ لما رأى النور ورآنا هرب فوق النخلة خوفاً منّا . فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه : يا العن العبيد لا ستر الله عليك ولا بهذا العقل ولا بهذه المعرفة كلها . لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم . اي شيء بقي يخلصني من هؤلاء العبيد . ثم ان الحاملين الصندوق قالا للذي معهُ الفأس : تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا بخيت لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا . فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحدٌ من الذين نمسكهم نقليهِ لك بايدينا بصنعة جيدة بحيث لا يضيع من دهنه نقطة . فقال بخيت : انا خائف من شيء افتكرت فيهِ من قلة عقلي . فالاحسن اننا نرمي الصندوق من وراء الباب لانهُ ذخيرتنا . فقالا له : ان رميناهُ ينكسر . فقال لهما : انا خائف ان يكون في جوّاني التربة اللصوص الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا امسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم . فقال له الاثنان الحاملان للصندوق : يا قليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا . ثم انهما حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب . والعبد الثالث الذي هو بخيت واقف لهما بالفانوس والفأس والمقطف الذي فيهِ بعض من الجبس . ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب . فقال واحد منهم : يا اخوتي نحن تعبنا من المشي والرفع والحط وفتح الباب وقفله . وهذا الوقت نصف الليل

وما بقي فينا نفس لنفتح التربة وندفن الصندوق . ولكن نجلس هنا ثلث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضي حاجتنا . وكل واحد منا يحكي لنا عن سبب تجريح وجهه وسبب كيه وجميع ما وقع لهُ من المبتدإ الى المنتهى لاجل قضاء هذه الليلة ولنأخذ لنا راحة . فقال الاول الذي كان حامل الفانوس واسمه بخيت : انا احكي لكما حكايتي . فقالا لهُ : تكلم . قال لهما :

حكاية العبد بخيت

اعلما يا اخويَّ اني كنت في ابتداء امري وانا ابن ثماني سنين اكذب على الجلّابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم . فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال وامره ان ينادي : من يشتري هذا العبد على عيبه . فقيل لهُ : وما عيبه . قال : يكذب كل سنة كذبة واحدة . فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال لهُ : كم اعطوا فيهِ من الثمن على عيبه . قال : اعطوا ستمائة درهم . فقال : ولك عشرون درهماً . فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منهُ الدراهم . واوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر واخذ دلالته وانصرف . فكساني هذا التاجر ما يناسبني من القماش وصرت عنده اخدمه باقي سنتي الى ان هلّت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يصنعون الولائم بعضهم لبعض الى ان اولم سيدي وليمة في غيطٍ خارج البلد فراح هو والتجار الى البستان واخذ لهم جميع ما يحتاجون اليهِ من أكل وغيره . فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر . فاحتاج سيدي الى مصلحة من البيت فقال لي : يا عبد اركب البغلة ورُح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع بسرعة . فامتثلت امره ورحت الى المنزل . فلما قربت من المنزل صرخت وارخيت الدموع . فاجتمع

عليَّ اهل الحارة كباراً وصغاراً . وسمعت صراخي زوجة سيدي وبناته ففتحن لي الباب وسألنني عن الخبر . فقلت لهنَّ : ان سيدي كان جالساً تحت حائط قديم هو واصحابه فوقع عليهم . فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعاً لاخبركنَّ . فلما سمع بناته وزوجته ذلك صرخنَ وشققنَ ثيابهنَّ ولطمنَ وجوههنَّ فأتت اليهنَّ الجيران . واما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضهُ على بعض واخربت رفوفه وكسرت طيقانه وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت لي : ويلكَ يا بخيت تعالَ ساعدني واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني وغيره . فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت بكل ما عليها ودرت على السقوف وعلى كل محل أخربه وما كان في البيت من الصيني وغير ذلك حتى اخربت الجميع وانا اصيح : واسيداه . ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لاغير . وخرجت معها البنات والاولاد وقالوا : يا بخيت امشِ قدامنا وأرِنا مكان سيدك الذي هو فيه تحت الحائط ميت حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء بهِ الى البيت فنخرجه خرجةً مليحة . فمشيت قدامهنَّ وانا اصيح : واسيداه وهنَّ خلفي مكشوفات الوجوه والرؤوس يصحنَ : أواه أواه على الرجل . فلم يبقَ احدٌ في الحارة لا من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا من العجائز الّا جاء معنا . وصاروا كلهم يلطمون معنا ساعةً وهم في شدة البكاء . فشقَقت بهم المدينة . فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا مني . فقال الناس : لا حول ولا قوة الّا بالله . فقال بعض الناس : ما هو الّا رجل كبير فنحن نمضي الى الوالي ونخبره . فلما وصلوا الى الوالي واخبروه

(الليلة الموفية للاربعين) . قام الوالي وركب واخذ معهُ الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثري ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم ألطم وجهي

واصيح . وسيدتي واولادها خلفي يصيحون. فجريت انا قدامهم وسبقتهم وانا اصيح واحثو التراب على راسي وألطم وجهي. فلما دخلت البستان ورآني سيدي وانا الطم واقول: واسيدتاهُ أواهِ أواهِ أواهِ . من بقي لي يحنُّ عليَّ بعد سيدتي. يا ليتني كنت فداء عنها. فلما رآني سيدي بُهت واصفرَّ لونهُ وقال: ما لك يا بخيت وما الخبر. فقلت لهُ: انك لما ارسلتني الى البيت ودخلت رأيت الحائط الذي في القاعة وقع وانطبقت كلها على سيدتي واولادها. فقال لي: وهل سيدتك ما سلمت. فقلت لهُ : لا ياسيدي ما سلم منهم احد واول من مات منهم سيدتي الكبيرة. فقال: وهل سلمت بنتي الصغيرة. فقلت لهُ: لا. فقال لي: وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة. فقلت لهُ: لا والله ياسيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوزّ والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم واكلهم الكلاب ولم يبقَ منهم احد. فقال لي: ولا سيدك الكبير سلم. فقلت لهُ: لا لم يسلم منهم احد وفي هذه الساعة لم يبقَ دار ولا سكان ولم يبقَ لهم أثر. واما الغنم والاوزّ والدجاج فأكلهم القطط والكلاب

فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجههِ ظلاماً ولم يقدر ان يملك نفسهُ ولا عقلهُ ولم يقدر ان يقف على قدميهِ بل جاءهُ الكسح وانكسر ظهره وخرّق اثوابهُ ونتف لحيتهُ ورمى عمامتهُ من فوق رأسه وما زال يلطم وجههُ حتى سال منهُ الدم وصاح آه وا اولاداه آه وا زوجتاه آه وا مصيبتاه. من جرى لهُ مثل ما جرى لي. فصاحت التجار رفقاؤهُ لصياحه وبكوا معهُ ورثوا لحاله وشقوا اثوابهم. وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى لهُ ومن شدة اللطم على وجههِ صار كانهُ سكران. فبينما هو والتجار خارجون من باب البستان واذا هم بغبرة عظيمة وصياح فنظروا الى هؤلاء المقبلين فاذا هو الوالي والمقدمون والخلق والعالم الذين

يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد زائد . فاول من لقيه سيدي زوجتهُ واولادهُ . فلما رآهم بهت وضحك وثبت وقال لهم : ما حالكم انتم وما حصل لكم في الدار وما جرى لكم . فلما رأوه قالوا : الحمد لله على سلامتك ورموا انفسهم عليهِ وتعلقت اولاده بهِ وصاحوا وا ابتاه الحمد لله على سلامتك يا ابانا . وقالت لهُ زوجتهُ : انت طيب . الحمد لله الذي ارانا وجهك بسلامة . وقد اندهشت وطار عقلها لما رأتهُ وقالت لهُ : يا سيدي كيف كانت سلامتك انت واصحابك التجار . فقال لها : وكيف كان حالكم في الدار . فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما اصاب دارنا شيء من الشر غير ان عبدك بخيتاً جاء الينا وهو مكشوف الرأس ممزق الاثواب وهو يصيح : واسيداهُ واسيداهُ . فقلنا لهُ : ما الخبر يا بخيت . فقال : ان سيدي واصحابهُ التجار وقع عليهم حائط في البستان وماتوا جميعاً . فقال لهم سيدي : انهُ اتاني في هذه الساعة وهو يصيح واسيدتاه وا اولاد سيدتاه . ان سيدتي واولادها ماتوا جميعاً . ثم نظر الى جانبهِ فرآني وعمامتي ممزوقة في راسي وانا اصيح وابكي بكاء شديداً واحثو التراب على راسي . فصرخ عليَّ فاقبلت عليهِ . فقال لي : ويلك يا عبد النحس يا ملعون الجنس . ما هذه الوقائع التي عملتها . ولكن لاسلخنَّ جلدك عن لحمك واقطعنَّ لحمك من عظمك . فقلت لهُ : ما تقدر تعمل معي شيئاً لانك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي . وانت عالم بهِ وهو اني اكذب في كل سنة كذبةً واحدةً وهذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الاخر فتبقى كذبةً كاملة . فصاح عليَّ : يا كلب ابن الكلب يا ألعن العبيد هل هذه كلها نصف كذبة . وانما هي داهية كبيرة . اذهب عني فانت حرٌّ لوجه الله . فقلت : ان اعتقتني انتَ ما اعتقك انا حتى تكمل السنة واكذب نصف الكذبة الباقية وبعد

ان اتممهـــا فانزل بي الى السوق وبعني بما اشتريتني بهِ على عيبي ولا تُعتقني لاني ما معي صنعة اقتات منها. وهذه المسئلة التي ذكرتها لك شرعيـــة ذكرها الفقهاء في باب العتق. فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحـــارة من نساء ورجال قد جاءوا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعتـــهُ. فراح سيدي والتجّار الى الوالي واعلموه بالقضيـــة وان هذه نصف كذبة. فلما سمعوا ذلك منهُ استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيتُ واقفـــاً اضحك واقول: كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب. فلما مضى سيـــدي الى البيت وجده خراباً. وانا الذي اخربت مُعظمه واكثره وكسرت فيهِ شيئاً يساوي جملة من المال وكذلك زوجتـــه. فقالت لهُ زوجته: ان بخيتـــاً هو الذي كسر الاواني والصيني. فازداد غيظـــه وضرب يدًا على يد وقال: عمري ما رأيت ولدًا مثل هذا العبد. ويقول انها نصف كذبة. فكيف لو كانت كذبة كامـــلة فانهُ كان اخرب مدينة او مدينتين. ثم انه من شدة غيظه ذهب الى الوالي وأطعمني علقةً نظيفة حتى غبت عن الدنيـــا وغشي عليَّ وجرح وجهي وكواني بالحديد. ثم اخذني وباعني. وما زلت القي الفتن في الاماكن التي أُباع فيهـــا وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير أُباع وأُشترى حتى دخلت قصر امير المؤمنين.

فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليهِ وقالا له: انك تكذب كذباً شنيعـــاً. ثم قال بخيت لرفيقه كافور: احكِ لنا حكايتك. قال: يا ابني عمي حكايتي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح قريب. وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنبقى مفضوحين وتروح ارواحنا. فدونكما فتح الباب فاذا فتحناه ورحنا الى قصرنا حكيت لكما حكايتي. ثم تعلّق ونزل من الحـــائط وفتح الباب.

فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة بطول الصندوق وعرضه بين اربعـــة قبور وصار

كافور يحفر وصوَّاب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن ايوب

فلما استقرَّ وخلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سرُّه بما في الصندوق وقال في نفسه : يا ترى اي شيء في هذا الصندوق . ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من على النخلة وازال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخاصه . ثم اخذ حجرًا كبيرًا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فاذا فيه صبية نائمة مبنجة . ونفسها طالعٌ نازلٌ . الَّا انها ذات حسن وجمال وعليها حليٌ ومصاغ ذهب وقلائد من الجواهر تساوي ملك السلطان وما يفي بثمنها مال . فلما رآها غانم بن ايوب عرف انهم بنجوها . فلما تحقق ذلك الامر عالجها حتى اخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها . فلما استنشقت الروائح ودخل الهواء في انفها ومنافسها عطست ثم شرِقت وسعلت . فوقع من حلقها قرص بنج اقريطشي لو شمهُ الفيل لرقد من الليل الى الليل . ففتحت عينيها وادارت طرفها . وقالت بكلام عذب فصيح : ويلك يا ريح ما فيك ريٌّ للعطشان . ولا انس للرَّيان . اين زهر البستان . فلم يجاوبها احدٌ فالتفتت وقالت : يا صبيحة . شجرة الدرّ . نور الهدى . نجمة الصبح . ويلكِ شهوة . نزهة حلوة . ظريفة . تكلموا . فلم يجبها احد . فجالت بطرفها فقالت : ويلي تقبريني في القبور . يا من يعلم ما في الصدور . ويجازي يوم البعث والنشور . من جاء بي من بين الستور والخدور . ووضعني بين اربعة قبور . هذا كلهُ وغانم واقف . فقال لها : يا سيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبور . ما هنا الَّا عبدك المسلوب غانم بن ايوب . وقد ساقهُ اليكِ علَّام الغيوب . حتى ينجيكِ من هذه الكروب .

ويحصل لكِ غاية المطلوب . وسكت . فلما تحققت الامر قالت : اشهد ان لا اله الّا الله واشهد ان محمدًا رسول الله . ثم التفتت الى غانم وقد وضعت يدها على وجهها وقالت له بكلام عذب : ايها الشاب المبارك من جاء بي الى هذا المكان فها انا قد أفقت . فقال : يا سيدتي ثلثة عبيد اتوا وهم حاملون هذا الصندوق . ثم حكى لها جميع ما جرى له وكيف امسى عليهِ المساء حتى كان سبب سلامتها . والّا كانت ماتت بغصتها . ثم انهُ سألها عن حكايتها وخبرها . فقالت له : ايها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريًا او بغالاً فاكترهِ لحمل هذا الصندوق وأوصلني الى بيتك فاذا بقيت انا في دارك يكون خيرًا واحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي . ففرح وخرج الى ظاهر التربة وقد شعشع النهار ولاح الجوُّ بالانوار وخرج الناس ومشوا . فاكترى رجلًا ببغل واتى بهِ الى التربة ورفع الصندوق بعد ما حطَّ فيهِ الصبية وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة الاف دينار وعليها حليّ وحلل تساوي مالاً جزيلًا وما ايقن انهُ يصل الى داره

(الليلة الحادية والاربعون .) فلما وصل الى داره انزل الصندوق وفتحهُ واخرج الصبية منهُ فنظرت فرأت هذا المكان محلًا مليحًا مفروشًا بالبسط والألوان المفرحة وغير ذلك . ورأت قماشًا محزومًا واحمالاً وغير ذلك . فعلمت انهُ تاجر كبير صاحب اموال كثيرة . فقالت لهُ : يا سيدي هات لنا شيئًا ناكله . فقال لها غانم : على الرأس والعين . ثم انهُ نزل الى السوق واشترى خروفًا مشويًا وصحن حلاوة واخذ معهُ نقلًا وشمعًا واخذ معهُ نبيذًا وما يحتاج اليهِ الامر من آلة المشروب والمشموم واتى الى البيت ودخل بالحوائج فأكلا وشربا الى ان اكتفيا .

فنام كل واحد منها في موضعه الى ان اصبح الصباح . فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليهِ من اكل وشرب وخضرة ولحم وخمر وغيره . واتى بهِ الى الدار وجلس هو واياها ياكلان . فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضرا الشراب وشربا . ولمَّا نظر غانم بن ايوب كمال الصبية وادبها عرض عليها الزواج . فقالت لهُ : هذا غير ممكن . فقال لها : وما السبب . قالت : اعلم انني حظية امير المؤمنين واسمي قوت القلوب وان امير المؤمنين لمَّا أن رباني في قصره وكبرت ونظر الى صفاتي وما اعطاني ربي من الحسن والجمال أحبني محبةً زائدةً . وأخذني واسكنني في مقصورةٍ ورسم لي بعشر جواري يخدُمنني . ثم انهُ اعطاني هذا المصاغ الذي تراه معي . ففي يوم من بعض الايام سافر الخليفة الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت لها : لي عندكِ حاجة . فقالت لها : وما هي يا سيدتي . قالت : اذا نامت سيدتكِ قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في مناخيرها او في شرابها . ولكِ عليَّ من المال ما يكفيكِ . فقالت لها الجارية : حبا وكرامةً . ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل الدراهم ولانها في الاصل كانت جاريتها . فجاءت اليَّ ووضعت لي البنج في شرابي . فلما كان الليل شربت . فلما استقرَّ البنج في جوفي وقعت الى الارض وصار رأسي عند رجليَّ . فما افقت الَّا وانا في دنيا اخرى . وانها لما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرًا وبرطلتهم وكذلك البوَّابين وارسلتني مع العبيد في الليلة التي انت كنت نائمًا فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رأيت . وكانت نجاتي على يديك وانت اتيت بي الى هذا المكان واحسنت اليَّ غاية الاحسان . وهذه قصتي وحكايتي . وما اعرف اي شيء جرى للخليفة في غيبتي . فاعرف قدري ولا تشهر امري

فلما سمع غانم بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها حظية الخليفة تأخر الى ورائهِ ولحقتهُ هيبة الخلافة وجلس وحده في ناحية من نواحي المكان يعاتب نفسهُ ويتفكر في امره ويصبر قلبه وبقي حائرًا

ثم قام غانم وخرج الى السوق كعادتهِ واخذ جميع ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي . فلما ان رأته انقطعت عن البكاء وتبسمت وقالت لهُ : أوحشتني . ثم انهما اكلا وشربا وانبسطا

هذا ما كان من أمر غانم بن ايوب . واما ما كان من أمر السيدة زبيدة فانها لما فعلت بقوت القلوب ذلك الامر في غيبة الخليفة بقيت حائرةً تقول في نفسها : ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي لهُ . فدعت بعجوزٍ كانت عندها واطلعتها على سرها وقالت لها : كيف افعل وقوت القلوب قد فعلتُ فيها ما فعلتُ . فقالت لها العجوز لما فهمت الحال : اعلمي يا سيدتي ان مجيء الخليفة قرب ولكن ارسلي الى نجار وأمريهِ ان يعمل لكِ صورة ميت من خشب فنحفر لها قبرًا في وسط القصر وندفنها فيه وتعملين للقبر مقصورةً وتوقد فيهِ الشموع والقناديل وتأمرين كل من في القصر ان يلبسوا الاسود وأمري جواريكِ والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من السفر ان ينشروا التبن في الدهاليز . فاذا دخل الخليفة وسأل عن الخبر يقولون لهُ ان قوت القلوب ماتت وعظم الله اجرك فيها . ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها . فاذا سمع ذلك يبكي ويعمل لها الختمات ويسهر على قبرها . فان قال في نفسهِ ان بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب او غلب عليهِ الهيام وأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك فعندما يحفرون ويطلعون على تلك الصورة التي كبني آدم ويراها وهي مكفنة بالأكفان الفاخرة فان اراد ازالة الأكفان

عنها لينظرها فامنعيه انتِ من ذلك والاخرى تمنعهُ وتقول لهُ : هذا حرام فيصدق حينئذٍ انها ماتت فيعيدها الى مكانها ويشكركِ على فعلكِ وتخلصين انتِ ان شاء الله تعالى من هذه الورطة

فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها رأتهُ صواباً فخلعت عليها خلعةً وأمرتها ان تفعل ذلك بعد ما اعطتها جملة من المال . فشرعت العجوز حالاً بالعمل وأمرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها ودفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجواري ان يلبسنَ السواد . واشتهر الامر في القصر ان قوت القلوب ماتت . فبعد مدة اقبل الخليفة من غيبتهِ وطلع الى قصره فرأى الغلمان والخدَّام والجواري كلهم لابسين السواد فرجف فؤاد الخليفة . فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة السواد . فسألها عن ذلك فاخبرتهُ بموت قوت القلوب فوقع مغشياً عليهِ . فلما افاق سأل عن قبرها . فقالت : اعلم يا امير المؤمنين انني من معزَّتها عندي دفنتها في قصري . فدخل الخليفة بثياب السفر الى قبر قوت القلوب ليزورها . فوجد البسط مفروشةً والشموع والقناديل موقدةً . فلماَّ رأى ذلك شكرها على فعلها وبقي حائرًا في امره . وهو ما بين مصدق ومكذب . فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منهُ . فلما رأى الكفن واراد ان يزيلهُ عنها ليراها خاف من الله تعالى . فقالت العجوز : ردُّوها الى مكانها . ثم ان الخليفة أمر في الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وعمل الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي الى ان غشي عليهِ ولم يزل قاعدًا على قبرها شهرًا كاملًا

(الليلة الثانية والاربعون) . فاتفق ان الخليفة بينما هو نائم في احد الايام

وعند رأسه جارية تروّحه بالمروحة وعند رجليه جارية انتبه وفتح عينيه وغمضها. فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه : ويلكِ يا خيزران . قالت لها : نعم يا قضيب البان . قالت لها : ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى وانهُ يسهر على قبرٍ لم يكن فيهِ الَّا الاخشبة منجرة صنعة النجار . فقالت لها الاخرى : وقوت القلوب اي شيء اصابها . فقالت : اعلمي ان السيدة زبيدة ارسلت مع جارية قرص بنج وبنجتها . فلما تحكَّم البنج منها جعلتها في صندوق وارسلتها مع صوَاب وبخيت وامرتهما ان يرمياها في التربة . فقالت خيزران : ويلكِ يا قضيب البان هل السيدة قوت القلوب ما ماتت . فقالت : لا . سلامة شبابها من الموت . ولكن انا سمعت ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمهُ غانم بن ايوب الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربعة شهور . وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبرٍ لم يكن فيهِ ميت . وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما. فلما فرغت الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور ومحال وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب من مدة اربعة اشهر غضب الخليفة غضبًا شديدًا وقام ودخل على امراء دولته . فعند ذلك اقبل الوزير جعفر البرمكي وقبَّل الارض بين يديه . فقال لهُ الخليفة بغيظ : انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واكبسوا دارهُ وأتوني بجاريتي قوت القلوب . ولا بدَّ ان اعذبه . فاجابهُ جعفر بالسمع والطاعة . فعند ذلك نزل جعفر والخلق والعالم والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى دار غانم . وكان غانم بن ايوب خرج في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم واراد ان يمدّ يده ليأكل منها هو وقوت القلوب. فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار من كل جانب والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مسلولة مجردة وقد احدقوا بها كما يُحدق بياض العين بالسواد . فعند

ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفرّ لونها وتغيرت محاسنها . ثم نظرت الى غانم وقالت له : فُز بنفسك . فقال لها : كيف اعمل والى اين اذهب ومالي ورزقي في هذه الدار . فقالت له . لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك . فقال لها : كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا بالدار . فقالت له : لا تخف . ثم البسته ثيابًا بالية وجاءت بالقدر التي كان فيها اللحم ووضعتها على رأسه وحطت حواليها كسرة خبز وزبديَّة طعام ووضعت كل ذلك في مقطف وقالت له : اخرج بهذه الحيلة وما عليك مني . فانا اعرف اي شيء في يدي من الخليفة . فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت بهِ عليهِ خرج من بينهم وهو حامل المقطف بما فيهِ وستر عليهِ الستَّار ونجا من المكائد والاضرار ببركة نيته . فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجَّل عن حصانه . ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وعبت صندوقًا من الذهب والمصاغ والجواهر والتحف مما خفّ حمله وغلا ثمنه . فلما دخل عليها جعفر ورآها قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له : يا سيدي جرى القلم من القدم بما حكم الله . فلما رأى ذلك جعفر قال لها : يا سيدتي انهُ ما اوصاني الَّا بالقبض على غانم بن ايوب . فقالت : يا سيدي انهُ عبى تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بخبره . واريد ان تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى ان تسلمه اليَّ في قصر امير المؤمنين . فقال جعفر : السمع والطاعة . ثم اخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرَّمة معزَّزة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم . ثم توجهوا الى الخليفة وحكى جعفر للخليفة جميع ما جرى . فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان . واسكنها فيهِ والزم بها عجوزًا لقضاء حاجتها . ثم انهُ كتب مرسومًا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبًا في دمشق

ومضمونه : انهُ ساعة وصول المرسوم تقبض على غانم بن ايوب وترسله اليَّ . فلما وصل المرسوم اليهِ قبلهُ ووضعه على راسه ونادى في الاسواق من اراد ان ينهب فعليهِ بدار غانم بن ايوب . فجاءوا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا لهُ قبرًا في وسط الدار وقعدتا عنده تبكيان عليه . فمسكوهما ونهبوا الدار . ولم تعلما ما الخبر . فلما احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم ولدهما . فقالتا لهُ : من مدة سنة او اكثر ما وقفنا لهُ على خبر فردوهما الى مكانهما

هذا ما كان من امرهما . واما ما كان من امر غانم بن ايوب فانهُ لما سُلبت نعمته ونظر الى حاله بكى على نفسه حتى انفطر قلبه وتاه على وجهه وسار الى آخر النهار وقد ازداد بهِ الجوع واضرَّ بهِ المشي . فلما وصل الى بلد دخلها وذهب الى مسجد وجلس على بُرش واسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب . ولم يزل مقيمًا هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وتغيرت احواله . فأتى اهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحًا ضعيفًا هزيلًا من الجوع وعليهِ آثار النعمة لائحة . فلما صلُّوا واقبلوا عليهِ وجدوهُ بردان جائعًا فاعطوه ثوبًا عتيقًا قد بليت اكمامه وقالوا لهُ : يا غريب من اين تكون وما سبب ضعفك . ففتح عينيهِ فيهم وبكى ولم يردَّ عليهم جوابًا . فذهب احدهم وقد عرف انهُ جائع فاتى لهُ بسكرجة عسل ورغيفين . فأكل يسيرًا وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس وانصرفوا لاشغالهم . ولم يزل على هذا الحال شهرًا وهو عندهم وقد تزايد بهِ الضعف والمرض فبكوا وتعطفوا عليهِ وتشاوروا مع بعضهم في امره فاتفقوا في انهم يوصلونه الى المارستان الذي ببغداد . فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين دخلتا عليهِ وكانتا امهُ واخته . فلما رآهما اعطاهما الخبز الذي عند رأسه . ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما . فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا

له جملًا وقالوا للجمال : احمل هذا المريض فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعلهُ يتداوى ويتعافى ويبقى لك الاجر . فقال لهم : السمع والطاعة . فبعد ذلك اخرجوا غانم بن ايوب من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل . وجاءت امهُ واختهُ يتفرجان عليه من جملة الناس . ولم تعلما به . ثم انهما نظرتا اليهِ وتأملتاه وقالتا انهُ شبيه لغانم ابننا . فيا ترى هل هو هذا الضعيف او لا . واما غانم فانهُ ما افاق الّا وهو محمول على الجمل مشدود بحبل فبكى واشتكى واهل القرية ينظرون امه واخته تبكيان عليه ولم تعرفا به . ثم سافرت امهُ واخته الى ان وصلتا الى بغداد . واما الجمال فما زال سائرًا بهِ حتى حطه على باب المارستان واخذ جملهُ وذهب . فبقي غانم راقدًا هناك الى الصباح . فلما طلع الصباح وازدحم الناس في الطريق نظروا اليهِ . وقد صارت روحهُ تتردد في مثل الخلال . فجاء شيخ السوق وازاح الناس عنهُ وقال : انا اكسب الجنة بهذا المسكين . فانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد . ثم امر صبيانه بحمله . فحملوهُ الى بيته وفرش لهُ فرشًا جديدًا ووضع لهُ مخدة جديدة وقال لزوجته : اخدميهِ بنصح . فقالت : طيب على الرأس . ثم تشمرت وسخنت ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنهُ والبستهُ ثوبًا من لبس جواريها واسقتهُ قدح شراب ورشت عليهِ ماء ورد . فأفاق واشتكى وافتكر بما قاسى فزادت بهِ الكروب

(الليلة الثالثة والاربعون) . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر قوت القلوب فانهُ لما غضب عليها الخليفة واسكنها في المكان المظلم ولبثت على هذا الحال ثمانين يومًا اتفق ان الخليفة مرَّ يومًا من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار . فلما فرغت من شعرها قالت : يا غانم ما احسنك وما اعفَّ نفسك . احسنت لمن اساء اليك . وحفظتَ حرمة

من ضيّع حرمتك وحفظت حريمهُ وهو سباك وسبى اهلك . ولا بدَّ ان تقف انت وامير المؤمنين بين يدي حاكم عادل وتنتصف انت منهُ في يوم يكون فيهِ القاضي الله المولى جلَّ وعزَّ والشهود هم الملائكة . فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم انها مظلومة . فدخل قصره وارسل مسرورًا الخادم اليها . فلما حضرت بين يديه اطرقت براسها وهي باكية العين حزينة القلب . فقال : يا قوت القلوب اراكِ تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم وتزعمين اني اسأتُ لمن احسن اليَّ . فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه . فقالت لهُ : هو غانم بن ايوب فانهُ لم يقربني بفاحشة ولا سوء وحقّ نعمتكَ يا امير المؤمنين . فقال الخليفة : لاحول ولا قوة الّا بالله . يا قوت القلوب تمني عليَّ تُعطي . فقالت : اتمنى عليك غانم بن ايوب . فعند ذلك امتثل امرها . فقالت : يا امير المؤمنين ان احضرته تهبني لهُ . فقال : ان حضر وهبتكِ لهُ هبة كريم لا يَرُدّ في عطائه . فقالت : يا امير المؤمنين ائذن لي ان ادور عليهِ لعلّ الله يجمعني به . فقال لها : افعلي مابدا لكِ . ففرحت وخرجت ومعها الف دينار ذهب . فزارت المشائخ وتصدقت عنهُ . وطلعت ثاني يوم الى سوق التجار واعلمت شيخ السوق واعطتهُ دراهم وقالت لهُ : تصدق بها على الغرباء وطلعت . ثم جاءت ثاني جمعة الى السوق ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهريّة فنادت بالعريف فحضر . فدفعت لهُ الف دينار وقالت لهُ : تصدق بها على الغرباء . فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها : يا سيدتي هل لكِ ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله . وكان هو غانم بن ايوب ولكن العريف ليس لهُ بهِ معرفة وكان يظن انهُ رجل مسكين مديون سلبت نعمته . فلما سمعت كلامهُ خفق قلبها

وتقلقلت احشاؤها فقالت لهُ : ارسل معي من يوصلني الى دارك . فارسل معها صبيًا صغيرًا فاوصلها الى دار العريف التي فيها الغريب فشكرتهُ على ذلك. فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها . فقالت لها قوت القلوب : اين الضعيف الذي عندكِ . فبكت وقالت : ها هو يا سيدتي حقًا انهُ ابن ناس وعليهِ اثر النعمة وها هو على الفراش . فالتفتت اليهِ ونظرتهُ فرأتهُ كانهُ هو بذاته ورأتهُ قد اختفى وكثر نحوله ورقّ الى ان صار كالخلال واستبهم عليها امره . فلم تتحقق انهُ هو ولكن اخذتها الشفقة عليهِ فبكت وقالت : ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم ولم تعرف انهُ غانم . ثم انها وجعها قلبها عليه ورتبت لهُ الشراب والادوية وجلست عند رأسه ساعةً . ثم ركبت وذهبت الى قصرها وصارت تذهب الى كل سوق لاجل التفتيش على غانم . ثم ان العريف اتى بامهِ واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال : يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنتها ولهما وجوه ملاح وعليها آثار النعمة والسعادة لائحة . لكنهما لابستان ثيابًا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة . وها انا اتيت بهما اليكِ لتأويهما وتصونيهما عن السؤال لانهما ليستا من اهله واننا ندخل ان شاء الله بهما الجنة . فقالت : يا سيدي لقد شوقتني اليهما واين هما . ثم قالت للعريف : عليَّ بهما . فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب . فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب . فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت : انهما من مربى نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى . فقالت زوجة العريف : يا سيدتي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهما الظلمة وسلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما .

ثم انهما بكتا بكاء شديدًا وافتكرتا فيما كانتا فيهِ من النعم وما صارتا اليه من الفقر والحزن وتفكرتا في غانم بن ايوب . فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا : نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمهُ غانم بن ايوب . فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام المحب اليها والاخرى اخته . فبكت حتى غشي عليها . فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما : لا بأس عليكما وهذا اليوم اول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا

(الليلة الرابعة والاربعون) . ثم انها امرت العريف ان يأخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابًا حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام . واعطتهُ جملةً من المال . وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته . فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة . ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي هو عندها . فقالت : هو بحاله . فقالت : قومي بنا نطلّ عليهِ ونعوده . فقامت هي وزوجة العريف وام غانم واختهُ ودخلنَ عليه وجلسنَ عنده . فلما سمعهنَّ غانم بن ايوب يذكرنَ قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورقَّ عظمه ردَّت اليهِ روحه ورفع راسه من فوق المخدة ونادى : يا قوت القلوب . فنظرت اليه وتحققتهُ فعرفتهُ وصاحت بقولها : نعم يا حبيبي . فقال لها : اقربي مني . فقالت لهُ : لعلكَ غانم بن ايوب . فقال لها : نعم انا هو . فعند ذلك وقعت مغشيًا عليها . فلما سمعت اختهُ فتنة وامهُ كلامهما صاحتا بقولهما : وافرحتاهُ . ووقعتا مغشيًا عليهما وبعد ذلك استفاقتا . فقالت لهُ قوت القلوب : الحمد لله الذي جمع شملنا بكَ وبأُمك واختك . ثم تقدمت اليهِ وحكت لهُ

جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت لهُ : اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدَّق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك . ثم اخبرتهُ وقالت لهُ : انهُ وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح . ثم قالت لهم قوت القلوب : لاتبرحوا حتى احضر . وقامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذي اخذتهُ من داره واخرجت منهُ دنانير واعطتها للعريف وقالت لهُ : خذ هذه الدراهم واشترِ لكل شخص منهم اربع حلل كوامل من احسن القماش وعشرين منديلاً وغير ذلك مما يحتاجون اليهِ . ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المسالق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب . واقامت عندهم ثلثة ايام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمسالق وتسقيهم السكر المكرر . فبعد ثلثة ايام ردَّت ارواحهم اليهم وادخلتهم الحمام ثانياً وخرجوا وغيرت لهم الثياب وابقتهم في بيت العريف وذهبت الى القصر فاستأذنت على الخليفة فأذن لها . فدخلت وقبلت الارض بين يديه واعلمتهُ بالقصة وانهُ قد حضر سيدها غانم بن ايوب . وان امهُ واخته قد حضرتا . فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام : عليَّ بغانم . فنزل جعفر اليهِ وكانت قد سبقتهُ قوت القلوب ودخلت على غانم واعلمتهُ ان : الخليفة ارسل اليك يطلبك بين يديه . فاوصتهُ بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه وعذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة واعطتهُ دنانير بكثرة وقالت لهُ : كثر البذل الى حاشية الخليفة وانت داخل عليهِ . واذا بجعفر قد اقبل عليهِ وهو على بغلته النوبية . فقام غانم وقابله وحيَّاه وباس الارض بين يديه . وقد ظهر كوكب سعده واضاء . فأخذه جعفر وما زالا سائرين هو وجعفر حتى دخلا على امير المؤمنين . فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجَّاب والنوَّاب وارباب الدولة واصحاب الصولة . فعند ذلك ابدى غانم اعذب

كلامه وفصاحته . ثم نظر الى الخليفة وأطرق برأسهِ الى الارض وانشد يقول هذه الابيات :

حُييتَ من ملكٍ عظيم الشانِ متتابع الحسنات والاحسانِ
لايلهجون بغيرهِ من قيصرٍ في ذا المقام وصاحب الايوانِ
تضع الملوك على ثرى اعتابهِ عند السلام جواهر التيجانِ
حتى اذا بصرت لهم ابصارهم خروا لهيبتهِ على الاذقانِ
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضى رتبَ العلا وجلالة السلطانِ
ضاقت بعسكركَ الفيافي والورى فاضرب خيامكَ في ذرى كيوانِ
ونشرت عدلك في البسيطة كلها حتى استوى القاصي بها والداني

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة واعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه (الليلة الخامسة والاربعون) . فقال لهُ : ادنُ مني . فدنا منهُ . ثم قال له : اشرح لي قصتك واطلعني على حكايتك . فقعد وحدث الخليفة بما جرى لهُ في بغداد وبنومه في التربة واخذ الصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا واخبره بما جرى لهُ من المبتدا الى المنتهى . وليس في الاعادة افادة . فلما علم الخليفة انهُ صادق خلع عليهِ وقربهُ اليهِ وقال لهُ أبرئ ذمتي فأبرأ ذمتهُ وقال لهُ : يا مولانا السلطان ان العبد وما ملكت يداه لسيده . ففرح الخليفة بذلك ثم امر ان يفرد لهُ قصر ورتب لهُ من الجوامك والجرايات والعطايا شيئاً كثيراً . ثم نقلهُ ونقل اختهُ وامه . وسمع الخليفة باخته فتنة انها في الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم. فقال لهُ غانم : انها جاريتك وانا مملوكك . فشكره واعطاه الف دينار واتى بالشهود والقاضي وكتبوا الكتابين في نهار واحد : وهو كتاب الخليفة على فتنة . وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب . وأمر الخليفة ان يؤرخ ما جرى لغانم

من حديثه من اوله الى آخره وان يخلد في الخزانة حتى يقرأهُ الذي يأتي من بعده فيتعجب من تصاريف الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهما من العجائب والغرائب . قال الملك : وما حكايتهما

حكاية الملك عمر بن النعمان وابنيه شركان وضوء المكان

قالت : بلغني ايها الملك السعيد انهُ كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال لهُ عمر بن النعمان . وكان من الجبابرة الكبار . وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة . وكان لا يصطلى لهُ بنار . ولا يجاريه احد في مضمار . وكان اذا غضب خرج من منخريهِ الشرار . وكان قد ملك جميع الاقطار . واخضع الله لهُ جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار . ووصلت عساكره الى اقصى البلاد . ودخل في حكمه المشرق والمغرب . وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن وجزائر الهند وبلاد الشمال وديار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما في الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات . وارسل رسلهُ الى اقصى المدائن ليأتوهُ بحقيقة الاخبار فعادوا لهُ واخبروهُ بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن النعمان . هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان لهُ نسب عظيم الشأن تحمل اليهِ الهدايا والتحف والخراج من كل مكان . وكان لهُ ولد قد سماهُ شركان وهو اشبه الناس به . وقد ظهر آفة من آفات الزمان . وقهر الشجعان . وأباد الاقران . فأحبه والده حبًا شديدًا ما عليهِ من مزيد وأوصى لهُ بالملك من بعده . ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال . وصار لهُ من العمر عشرون سنة . فذلل الله لهُ جميع

العباد . لما به من شدة البأس والجلاد . وكان والده عمر بن النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة . لكنه لم يرزق منهن ولدًا غير شركان وهو من احداهن والباقي عواقر لم يرزق من واحدة منهن ولدًا . ومع ذلك كان له جملة جواري

ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الافاق ففرح به والده . وازداد قوة وطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد . وكان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان قد حملت وعلم الملك بذلك ففرح فرحًا شديدًا وقال : لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها ذكورًا . فأرخ يوم حملها وصار يحسن اليها . فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وقال : لقد جاءني من ينازعني في المملكة . وقال في نفسه : ان ولدت هذه الجارية ولدًا ذكرًا قتلته . وكتم ذلك في نفسه . فهذا ما كان من امر شركان . واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية . وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية . وارسل معها تحفًا كثيرة . وكان اسمها صفية وكانت اجمل الجواري واحسنهن وجهًا وأصونهن عرضًا . وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر . وكانت تخدم الملك وتقول له : ايها الملك كنت اشتهي من اله السماء ان يرزقك مني ولدًا ذكرًا حتى اني احسن تربيته وأبالغ في ادبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام . وكانت في مدة حملها على صلاح تقوم للصلاة وتحسن العبادة وتدعو الله بان يرزقها ولدًا صالحًا ويسهل عليها ولادته . فتقبل الله منها دعاءها . وكان الملك قد وكل بها خادمًا يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى . وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك . فلما وضعت صفية ذلك المولود نظرت اليه القوابل فوجدنه بنتًا بوجه ابهى من القمر . فاعلمن بها الحاضرين . وعاد رسول الملك واخبره . وكذلك رسول شركان اخبره بذلك . ففرح فرحًا شديدًا . فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل : امهلوا علي ساعة فاني

اشعر باحشائي ان فيها شيئاً آخر . ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانياً وسهل الله عليها
ووضعت مولوداً ثانياً . فنظرت اليهِ القوابل فوجدنهُ ولداً ذكراً يشبه البدر .
بجبين ازهر . وخدٍ احمر مورَّد . ففرحت بهِ الجارية والخدم والحشم وكل مَن
حضر . وقد اطلقوا الزغاريد في القصر . فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها . وبلغ
عمر بن النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام وخرج وقبل راسها ونظر الى المولود .
ثم انحنى اليهِ وقبله . وضربت الجواري بالدفوف ولعبت بالآلات . وأمر الملك
ان يسموا المولود ضوء المكان . واختهُ نزهة الزمان . فامتثلوا امره واجابوا بالسمع
والطاعة . وافرد لهما الملك من يخدمهما من المراضع والخدام والحشم ورتب لهما
الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكلُّ عن وصفهِ اللسان .
وسمعت اهل بغداد بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة ودقت البشائر
واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة وهنأوا الملك عمر بن النعمان بولده ضوء
المكان وبنته نزهة الزمان . فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في
اكرامهم من الانعام . واحسن الى الحاضرين من الخاص والعام . ولم يزل على
تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام . وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن
صفية وولديها . وبعد اربعة اعوام أمر ان ينقل اليها من المصاغ والحلي والحلل
والاموال شيء كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما . هذا كلهُ وابن الملك
شركان لايعلم ان والده عمر بن النعمان رزق ولداً ذكراً . ولم يعلم انهُ رزق سوى
نزهة الزمان واخفوا عليهِ خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام وايام . وهو مشغول
بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان . فبينما الملك عمر بن النعمان جالس يوم من
الايام دخل عليهِ الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا : ايها الملك وصل الينا
رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك

والمثول بين يديك . فان اذن لهم الملك في الدخول ندخلهم والّا فلا مردّ لامره . فعند ذلك اذن لهم في الدخول . فلما دخلوا عليهِ مال اليهم واقبل عليهم وسأَلهم عن حالهم وما سبب اقبالهم . فقبلوا الارض بين يديه وقالوا : ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل . اعلم ان الذي ارسلنا اليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية . والعساكر النصرانية . المقيم بمملكة القسطنطينية . يعلمك انهُ اليوم في حرب شديد . مع جبار عنيد . وهو صاحب قيسارية . والسبب في ذلك ان بعض ملوك العرب في قديم الزمان اتفق انهُ وجد في بعض فتوحاته كنزًا من عهد الاسكندر . فنقل منهُ اموالاً لا تحصى . ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام . وهي من معدن الجوهر الابيض الخالص الذي لايوجد له نظير . وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهنَّ منافع وخواص كثيرة . ومن بعض خاصيتهنَّ ان كل مولودٍ علقت عليهِ خرزة منهنَّ لايصيبهُ ألم ما دامت الخرزة معلقة عليهِ ولايئن ولايعرض . فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما كان من اسرارها ارسل للملك أفريدون هدايا من بعض التحف والمال . ومن جملتهما ثلث خرزات . وجهز مركبين الواحد فيهِ مال والآخر فيهِ رجال تحفظ الهدايا ممن يتعرَّض لها في البحر . وكان يعرف من نفسه انهُ لا احد يقدر ان يحبس مراكبه لكونه ملك العرب . لاسيا وطريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذي في مملكة القسطنطينية وهي متوجهة اليهِ وليس في سواحل ذلك البحر الّا رعايا الملك الاكبر أفريدون

فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذوا جميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر والثلث خرزات وقتلوا الرجال . فبلغ

ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرًا فكسروه وارسل لهم عسكرًا ثانيًا اقوى من الاول فهزموه ايضًا . فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم انهُ لايخرج اليهم الَّا بنفسه في جميع عسكره وانهُ لايعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابًا ويترك ارضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابًا . والمراد من صاحب العصر والاوان . الملك عمر بن النعمان . ملك بغداد وخراسان . ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير لهُ الفخر . وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيئًا من انواع الهدايا ويسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف . ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه

(الليلة السادسة والاربعون) . ومن بعد ذلك اخرجوا لهُ الهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم . وخمسين مملوكًا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة . وكل مملوك في اذنهِ قرط من الذهب فيهِ لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب . والجواري كذلك . وعليهم من القماش ما يساوي مالًا جزيلًا . فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل واقبل على وزرائه واستشارهم فيما يفعل . فنهض من بينهم وزير وكان شيخًا كبيرًا يقال لهُ دندان . فقبل الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وقال : ايها الملك ما في الامر احسن من ان تجهز عسكرًا جرارًا وتقدم عليهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان . وهذا الرأي عندي احسن لوجهين . الاول ان ملك الروم قد استجار بكَ وارسل اليك هدية فقبلتها . والوجه الثاني ان العدو لا يجسر على بلادنا . فاذا دافع عسكرك عن ملك الروم وانكسر عدوهُ ينسب هذا الامر اليك ويشيع في سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع ذلك اهل المغرب فيحملون اليك الهدايا والتحف والاموال . فلما سمع الملك هذا

الكلام من وزيره دندان اعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له: مثلك من تستشيره الملوك وينبغي ان تكون انت في مقدم العسكر. وولدي شركان في ساقة العسكر. ثم ان الملك امر باحضار ولده شركان. فلما حضر قبل الارض بين يدي والده وجلس. فقص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهز للسفر وانهُ لا يخالف الوزير دندان فيما يفعل. وأمره ان ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملي العدة. صابرين على الحروب والشدة. فامتثل شركان لما قاله له ابوه عمر بن النعمان. وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس. ثم دخل قصره وعرض عسكره وانفق عليهم المال وقال لهم: المهلة لكم ثلثة ايام. فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره وخرجوا من عنده واخذوا في الاهبة واصلاح الشأن. ثم ان شركان دخل الى خزائن السلاح واخذ جميع ما يحتاج اليه من العدد. ثم دخل الاصطبل واختار منهُ الخيل المسوَّمة وغيرها. وبعد ذلك اقاموا ثلثة ايام. ثم خرجت العساكر الى ظاهر مدينة بغداد وخرج عمر بن النعمان لوداع ولده شركان. فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال. واقبل على الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان. فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة. واقبل الملك على ولده شركان واوصاه ان يشاور الوزير في جميع اموره. فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل المدينة. ثم ان شركان أمر النقباء بالعرض. فعرضوا العساكر وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم. ثم ان القوم حملوا ودُقت الطبول وزعقت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان. والاعلام تخفق على رؤوسهم. ولم يزالوا سائرين والرسل تتقدمهم الى ان ولّى النهار واقبل الليل. فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة. فلما اصبح الله

بالصباح ركبوا وساروا. ولم يزالوا مجدين في السير والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوماً . ثم اشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على وادٍ واسع الجهات كثير الاشجار والنبات . فسيح النواحي وكان وصولهم الى ذلك الوادي ليلاً . فأمرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلثة ايام . فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يميناً وشمالاً . ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي . واما الملك شركان فانهُ كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي فارخى عنان جواده واراد ان يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده لهُ . لأنهم في اول بلاد الروم وارض العدو . فسار وحده بعد ان أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان . ثم انهُ سار على ظهر جواده في جانب الوادي الى ان مضى من الليل ربعه . فتعب وغلب عليهِ النوم فصار لا يقدر ان يركض الجواد . وكان لهُ عادة ان ينام على ظهر جواده . فلما هجم عليهِ النوم نام . فما زال الجواد سائراً بهِ الى نصف الليل . ودخل بهِ في بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دقَّ الجواد بحافره في الارض . فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار فطلع عليهِ القمر واضاء في الخافقين . فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي : لا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم . فبينما هو كذلك وهو خائف من الوحش واذا بالقمر قد انبسط على مرج كانهُ من مروج الجنة فسمع كلاماً مليحاً وحساً عالياً وضحكاً يسبي عقول الرجال . فنزل الملك شركان عن جواده وربطه في الاشجار ومشى حتى اشرف على نهر ماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول : وحقّ المسيح ايش هذا منكنَّ مليح . ولكن كل من

تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها

كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان فنظر فاذا هو بنهر يسبح . وطيور تمرح . وغزلان تسرح . ووحوش ترتع . والطيور باختلاف لغاتها لمعاني الحظ تشرح . وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قال فيهِ بعض واصفيه :

ما تحسن الارض الّا عند زهرتها   والماء من فوقها يجري بارسالِ
صنع الاله العظيم الشأن مقتدرًا   معطي العطايا ومعطي كل مفضالِ

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيهِ ديرًا . ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منهُ الى تلك الرياض . وهناك امرأة بين يديها عشرة جوار كانهنَّ الاقمار . وعليهنَّ من انواع الحليّ والحلل ما يدهش الابصار . وكلهنَّ ابكار . فسمعها شركان وهي تقول للجواري : تقدمنَ حتى اصارعكنَّ . فصارت كل واحدة منهنَّ تتقدم اليها فتصرعها في الحال وتكتفها . فلم تزل تصارعهنَّ وتصرعهنَّ حتى صرعت الجميع . ثم التفتت الى الجارية عجوزٌ كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليها : اتفرحين بصرعكِ للجواري . فها انا عجوز وقد صرعتهنَّ اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسكِ . ولكن ان كان لكِ قوة على مصارعتي نصارعيني حتى اقوم اليكِ واجعل رأسكِ بين رجليكِ

اما الجارية فتبسمت ظاهرًا وقد امتلأت غيظًا منها باطنًا وقامت اليها وقالت لها : يا سيدتي ذات الدواهي أتصارعيني حقيقةً ام تمزحين معي

(الليلة السابعة والاربعون) . فقالت ذات الدواهي للجارية : اني اصارعكِ حقيقةً . فقالت لها : قومي للصراع ان كان لكِ قوة . فلما سمعت العجوز

منها ذلك اغتاظت غيظاً شديداً وقام شعرها كأنهُ شعر قنفذ ثم وثبت . وقامت اليها الجارية . فتقدمت العجوز كأنها عفريتة معطاء . او حية رقطاء . ثم هجمت على الجارية وقالت لها : افعلي كفعلي . وكان شركان ينظر اليها ويتأمل في تشويه صورة العجوز ويضحك

ثم ان العجوز والجارية تماسكتا ببعضهما . فرفع شركان رأسهُ الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز . فاخذت الجارية العجوز ورفعتها على يديها . فانفلتت العجوز من يديها وارادت الخلاص فوقعت على ظهرها . فضحك شركان عليها . ثم قام وسلَّ حسامه والتفت يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً غير العجوز مرمية على ظهرها . فقال شركان في نفسه : ما كذب من سمَّاكِ ذات الدواهي . هذا وانتِ تعرفين قوتها مع غيرِكِ . ثم تقرَّب منها ليسمع ما يجري بينهما . فاقبلت الجارية واعتذرت لها وقالت : يا سيدتي ذات الدواهي ما اردتُ الَّا اصرعكِ . ولكنكِ انفلتِّ من بين يديَّ . فالحمد لله على السلامة . فلم تردَّ عليها جواباً . وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر . وصار الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها . فقال شركان في نفسه : لكل رزق سبب . ما وقع عليَّ النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الَّا لبختي . فلعلَّ هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لي . ثم انهُ عمد الى جواده وركبهُ ولكزه ففرَّ بهِ كالسهم اذا فرَّ من القوس وبيده حسامه مجرد من قرابه وصاح : الله اكبر . فلما رأتهُ الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة اذرع بذراع العمل ووثبت فصارت في الجانب الآخر وقامت على حيلها . ونادت برفيع صوتها : من انت يا هذا فقد قطعت سرورنا وحين شهرت حسامك كأنك قد حملت على عسكر . من اين انت والى اين تُريد . فاصدق في مقالك

فان الصدق انفع لك . ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام . ولا شك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمات . وانت الآن في مرج لو صرخنا فيهِ صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق . فقل لنا ما الذي تريد . فان اردت ان نهديك الى الطريق هديناك . وان اردت الرفد ارفدناك . فلما سمع شركان كلامها قال لها : انا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه الليلة منفردًا بنفسي اطلب الغنيمة فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجواري العشرة في هذه الليلة المقمرة . فآخذهنَّ وارجع بهنَّ الى اصحابي . فقالت لهُ الجارية : اعلم ان الغنيمة ما وصلتَ اليها . والجواري ما هنَّ غنيمتك . اما قلت لك : ان الكذب شين . فقال لها : العاقل من يعتبر بغيره . فقالت لهُ : وحق المسيح لولا اني اخاف ان يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلًا ورجالاً . ولكن انا اشفق على الغريب وان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك انك لا تتقرَّب اليَّ بشيء من السلاح واتصارع انا واياك . فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة . وان انا صرعتك اتحكم فيك . فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك . فقد ورد في الاخبار : اذا كان الغدر طباعاً فان الثقة بكل احد عجز . فان حلفت لي عدتُ اليك واتيتك . فقال شركان وقد طمع في اخذها وقال في نفسهِ : انها لا تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها : حلفيني بما اردتِ وبما تثقين بهِ اني لا ادنو منكِ حتى تأخذي أهبتكِ وتقولي : ادنُ لاصارعك . فحينئذٍ اتقرَّب اليكِ فان صرعتِني فان لي من المال ما اشتري بهِ نفسي . وان صرعتكِ انا فهي الغنيمة الكبرى . فقالت الجارية : انا رضيت بذلك . فتحيَّر شركان

في ذلك وقال : وحق النبي (صلعم) رضيت انا الآخر . فقالت له : احلف الآن بمن ركّب الارواح في الاشباح . وشرع الشرائع للأنام انك لا تتعرض لي بسوء غير المصارعة . والّا تمت على غير دين الاسلام . فقال شركان : والله لو حلّفني قاضٍ ولو كان قاضي القضاة لم يحلّفني بهذه الايمان . ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته وربط جواده في الاشجار وهو غريق في بحر الافكار . ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع وقال للجارية : اقطعي النهر واعبري . فقالت له : ليس لي اليك عبور . فان كنت تريد فاعبر انت اليّ . فقال لها شركان : انا لا اقدر على ذلك . فقالت الجارية : يا فتى انا اجيء لك . ثم انها قفزت فصارت عنده في الجانب الآخر من النهر . فرفعتهُ على يديها اسرع من البرق الخاطف وضربت به الارض وقالت له : يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح . فما قولك في قتلك . فقال لها : يا سيدتي اما قولكِ عن قتلي فما هو الا حرام . فان نبينا محمدًا صلعم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان . فقالت له : اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك . ولكن قم قد وهبتك نفسك . فما يضيع عند الانسان الاحسان . فقام شركان وهو ينفض التراب عن رأسه . واما الجارية فانها قفزت فصارت في الجانب الآخر من النهر وقالت لشركان وهي تضحك : يعزُّ عليّ فراقك يا مولاي اذهب الى اصحابك لئلا تاتيك البطارقة ويأخذوك على اسنة الرماح . وانت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان . فتحيّر شركان في نفسه وقال لها وقد ولّت عنه معرضة طالبة للدير : يا سيدتي كيف اطأ بلادكِ وارجع بلا أكل زادكِ وطعامكِ وقد صرت من بعض خدامكِ . فقالت : لا يأبى الكرامة الّا اللئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين . اركب جوادك وسر على جانب

النهر مقابلي فانت في ضيافتي . ففرح شركان وبادر الى جواده وركبهُ ولا زال ماشياً في مقابلها وهي سائرة قبالهُ الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من الفولاذ وعليها اقفال في كلاليب . فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجواري اللاتي كنَّ معها في المصارعة قائمات ينتظرنها . فلما اقبلت عليهنَّ كلمت جارية منهنَّ بلسان الرومية ان : قومي اليهِ وامسكي عنان جواده واعبري بهِ الى الدير . فسار شركان وهي قدامه الى ان عبر الجسر وقد اندهش عقلهُ مما رأى . ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها : الآن قد صار لي عليكِ حرمتان . حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلكِ وقبول ضيافتكِ وصرت تحت حكمكِ وزمامكِ . فلو انكِ تنعمين عليَّ بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام . وتعرفين من انا . فلما سمعت كلامهُ اغتاظت منهُ وقالت لهُ : وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل سديد ولكني اطلعت الان على سخافة عقلك وفساد قلبك . واما قولك : وتتفرجين على شجعان المسلمين . فوحق المسيح انك قلت قولاً غير صحيح فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين . فلما اقبلتم لم ارَ تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعين . واما قولك : تعرفين من انا . فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي ذلك ولو كنت شركان . ابن الملك عمر بن النعمان . الذي ظهر في هذا الزمان . فقال لها : وانتِ تعرفين شركان . قالت : نعم وعرفت قدومهُ مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس . وذلك ان والده عمر بن النعمان ارسل معهُ هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية . فقال شركان : يا سيدتي اقسمت عليكِ بما تعتقدين من دينكِ حدثيني عن سبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه

وبال ذلك . فقالت له : وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان عليَّ في ذلك عار . ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الآداب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي بالشجاعة مع انك رأيت مني العلامة والصناعة . والقوة في الصراع والبراعة . ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له اقفز هذا النهر لم يقدر على ذلك . واني اودُّ لو انَّ الله يرميه بين يديَّ في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال وآسره واجعلهُ في الاغلال

(الليلة الثامنة والاربعون) . فلماَّ سمع شركان هذا الكلام اخذتهُ النخوة والحميَّة وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها العار من الغدر . ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام . ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مرفوع على عشر قناطر معقودة . وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار . فتلقتها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤوسهنَّ العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر . وسارت وهنَّ امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير . فوجد بدائر ذلك الدير اسرَّة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزَّع . وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوَّارة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين . ورأى في الصدر سريرًا مفروشًا بالحرير الملوكي . فقالت له الجارية : اصعد يا مولاي على هذا السرير . فصعد شركان فوق السرير . وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان . فسأل عنها من بعض الخدَّام . فقالوا له : انها ذهبت

الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت . ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فأكل حتى اكتفى . ثم انهم قدموا له طستاً من الذهب وابريقاً من الفضة فغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده . وتذكر ايضاً كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرًا في امره نادمًا على ما فعل

فلما طلع الفجر ولاحت انوار الصبح رأى بهجة عظيمة قد اقبلت . فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهنَّ كالبدر بين الكواكب يحجبنَ تلك الجارية وعليها ديباج ملوكي وقد شدَّت في وسطها زنارًا محبوكًا مرصعًا بانواع الجواهر . فتقدمت الجارية وجعلت تنظر اليهِ زمانًا طويلًا وتكرر فيهِ النظر الى ان تحققتهُ وعرفتهُ . فقالت له بعد ان اقبلت عليهِ : قد شرف واضاء بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك . ثم قالت له : ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند الملوك الكبار . اما انت شركان ابن الملك عمر بن النعمان . فلا تكتم سرك وحالك . ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق . فان الكذب يورث البغض والعداوة . فقد نفذ فيك سهم القضاء . فعليك بالتسليم والرضاء . فلما قالت ذلك لم يمكنهُ النكران فصدقها على ذلك وقال : انا شركان بن عمر بن النعمان الذي خانه الزمان . واوقعه في هذا المكان . فمهما شئتِ فافعليه الآن . فاطرقت برأسها الى الارض زمانًا طويلًا . ثم التفتت اليهِ وقالت له : طب نفسًا وقرَّ عينًا فانك ضيفي وصار بيننا خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنًا . وحق المسيح لو اراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا اليك الّا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني

(الليلة التاسعة والاربعون) . فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة

ورجال متزاحمين وبطارقة بايديهم السيوف مسلولة تلمع . وهم يقولون بلسان الرومية : وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك . فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه : والله لقد عملت هذه الجارية الحيلة وامهلتني الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم . ولكن انا الذي قد القيت نفسي في هذا الهلاك . ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار . ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم : من انتم . فقال لها البطريق المقدَّم عليهم : ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين من هو الذي عندكِ . قالت لهُ : لا اعرفه فمن يكون هذا . فقال لها : هذا مخرب البلدان . وسيد الفرسان . هذا شركان ابن الملك عمر ابن النعمان . هذا الذي فتح القلاع . وملك كل حصن مناع . وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدكِ من السيدة العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدكِ ملكنا نقلًا عن العجوز . ها انتِ قد نصرتِ عسكر الروم . باخذ هذا الاسد المشؤوم . فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليهِ وقالت لهُ : ما اسمك . قال لها : اسمي ماسورة ابن عبدكِ موسورة بن كاشرده بطريق البطارقة . قالت لهُ : وكيف دخلت عليَّ بغير اذني . فقال لها : يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين ايدينا كما جرت بهِ العادة انهُ اذا جاء احد غيرنا يتركونهُ واقفًا على الباب حتى يستأذنوا عليهِ في الدخول . وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شوكة عسكر الاسلام لاجل ان يقتلهُ ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاءوا منهُ من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم . فلما سمعت الجارية منهُ هذا الكلام قالت لهُ : ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبتْ السيدة ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل وهي لا تعلم حقيقته . وحق المسيح ان الذي عندي

ما هو شركان ولا هو اسير ولكنهُ رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه . فان تحققنا انهُ شركان بعينه وثبتَ عندنا انهُ هو من غير شك فلا يليق بمروءتي اني امكنكم منهُ لانه دخل تحت ذمامي . فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام . بل ارجع انت الى الملك ابي وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالت السيدة ذات الدواهي . فقال البطريق ماسورة : يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الّا بغريمه . فقالت لهُ وقد اغتاظت : ويلكَ عُد اليهِ بالجواب وما عليك ملام . فقال لها ماسورة : لا اعود الّا بهِ . فتغير لونها وقالت له : لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الّا وهو واثق من نفسه انهُ يحمل على مائة فارس وحده . ولو قلت لهُ : انت شركان ابن الملك عمر بن النعمان يقول : نعم . ولكن لا امكنكم ان تتعرضوا لهُ . فان تعرضتم لهُ لا يعود عنكم الّا ان يقتل جميع من يكون في هذا المكان . وها هو عندي وها انا احضره بين ايديكم وسيفه وحجفته معه . فقال لها البطريق ماسورة : انا اذا امنت من غضبكِ لم آمن من غضب ابيكِ . واني اذا رأيتهُ اشير الى البطارقة فيأخذونه اسيرًا . ونمضي بهِ الى الملك حقيرًا . فلما سمعتْ منهُ هذا الكلام قالت لهُ : لا كان هذا الامر فانهُ عنوان السفه لان هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق . فاذا اردتم مصادمتهُ فابرزوا لهُ واحدًا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل فيكم

(الليلة الموفية لخمسين) . فقال البطريق ماسورة : وحق المسيح لقد قلتِ الحق . ولكن ما يخرج لهُ اولًا غيري . فقالت الجارية لهُ : اصبر حتى اذهب اليهِ واعرفهُ بالخطاب وانظر ما عنده من الجواب . فان اجاب فهو الصواب . وان ابى فلا سبيل لكم اليه واكون انا ومن في الدير وجواريّ فداه . ثم اقبلت

على شركان واخبرته بما كان . فتبسم وعلم انها لم تخبر احدًا بامره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها . فرجع باللوم على نفسه وقال : كيف رميت روحي في بلاد الروم . ثم انهُ لما سمع كلام الجارية قال لها : ان بروزهم اليَّ واحدًا بعد واحد اجحاف بهم . فهلَّا يبرزون لي عشرة بعد عشرة . فقالت لهُ الجارية : هذه الشطارة ظلم وان كل واحد لواحد . فلما سمع ذلك الكلام وثب على قدميهِ وسار الى ان اقبل عليهم وكان معهُ سيفه وآلة حربه . فعند ذلك وثب البطريق عليهِ وحمل عليه . فقابله شركان كانهُ الاسد وضربهُ بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من ظهره وامعائه . فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها . ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة وقالت لهم : خذوا بثار صاحبكم . فخرج لهُ اخو المقتول وكان جبارًا عنيدًا فحمل على شركان . فلم يمهله دون ان ضربهُ بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من امعائه . فعند ذلك نادت الجارية : يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم . فلم يزالوا يبرزون اليهِ واحدًا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقًا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تأخروا عن البراز فلم يجسروا ان يبارزوه واحدًا واحدًا بل حملوا عليهِ باجمعهم وحمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس . فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت لهُ : بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان . ثم انهُ قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات :

وكم فرَّقتُ في الهيجان جمعًا ... تركتُ كماتهم طعم السباعِ
سلوا عني وعنهم في تلالي ... جميع الخلق في يوم القراعِ
تركت ليوثهم في الحرب صرعى ... على الرمضاء في تلك البقاعِ

ثم ان الملكة لاقت شركان وهنأتهُ بالظفر وطلع معها الى القصر بعد فراغه من المعاركة . وكان قد بقي من البطارقة قليل . فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم عادت اليهِ وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم هندي وقالت : وحق المسيح لم ابخل بنفسي عن ضيفي ولا اتخلى عنهُ ولو بقيت بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم . ثم انها اقبلت عليهِ متبسمة وقبلت يده وقلعت الزرد الذي كان عليها . فقال لها : لاي شيء لبستِ هذا الزرد وشهرتِ حسامكِ . قالت : حرصاً عليكَ من هؤلاء اللئام . ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم : كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلي بغير اذني . فقالوا لها : ايتها الملكة ما جرت العادة اننا نحتاج الى استئذان منكِ على رسل الملك خصوصاً البطريق الكبير . فقالت لهم : اظنكم ما اردتم الا هتكي وقتل ضيفي . ثم أمرت شركان ان يضرب رقابهم . فضرب رقابهم . وقالت لباقي خدامها : انهم يستحقون اكثر من ذلك . ثم التفتت الى شركان وقالت لهُ : الان ظهر لك ما كان خافياً فها انا اعلمك بقصتي . اعلم اني بنت ملك الروم حردوب واسمي ابريزة . والعجوز التي تسمى ذات الدواهي هي جدتي ام ابي وهي اعلمت ابي بكَ . ولا بدَّ ان تعمل حيلة على هلاكي سيما وقد قتلت بطارقة ابي وشاع اني قد انفردت وتحزبت مع المسلمين . فالرأي السديد انني اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهي خلفي ولكن اريد منك مثل ما فعلت معك تفعل معي فان العداوة قد وقعت بيني وبين ابي من اجلك . فلا تترك من كلامي شيئاً فان هذا كلهُ ما وقع الا من شانك . فلما سمع شركان هذا الكلام اتسع صدره وانشرح وقال : لا يصل اليكِ احد ما دام في صدري روح . ولكن هل لكِ صبر على فراق والدكِ واهلكِ . قالت : نعم . فحلَّفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت : الان طاب قلبي ولكن

بقي عليك شرط آخر • فقال : وما هو • فقالت لهُ : انك ترجع بعسكرك الى بلادك • فقال لها : يا سيدتي ان ابي عمر بن النعمان ارسلني الى قتال والدكِ بسبب المال الذي اخذه • ومن جملته ثلث الخرزات الكبار الكثيرة البركات • فقالت لهُ : طب نفساً وقرَّ عيناً فها انا احدثك بحديثها وسبب معاداتنا للملك القسطنطينية • وذلك انَّ لنا عيداً يقال لهُ عيد الدير في كل سنة تجتمع فيهِ الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ونساؤهم • ويقعدون فيهِ سبعة ايام وانا من جملتهم • فلما وقعت بيننا المعادات منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين • فاتفق في سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة • ومن جملة من جاء اليهِ بنت ملك القسطنطينية وهي بنت جميلة يقال لها صفية فاقمنَ في الدير ستة ايام • وفي اليوم السابع انصرفت الناس • فقالت صفية : انا ما ارجع الى القسطنطينية الاَّ في البحر • فجهزوا لها مركباً ونزلت هي وخواصها • فلما حلُّوا القلوع وساروا ثارت بهم ريح شديدة فاخرجت المركب عن طريقه • وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيهِ خمسمائة افرنجي بالسلاح وكان لهم مدة في البحر • فلما لاح لهم قلع المركب الذي فيهِ صفية ومَن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين • فما كان دون ساعة حتى وصلوا الى ذلك المركب ووضعوا فيهِ الكلاليب وجروه وحلوا قلوعه وقصدوا جزيرتهم • فما بعدوا غير قليل حتى انعكست الريح عليهم فجذبتهم الى شعب وخرقت قلوعهم وجرتهم الينا غصباً • فخرجنا اليهم فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان في مركبهم اربعون جارية فيهنَّ صفية فاخذناهنَّ وقدمناهنَّ الى ابي ونحن لا نعلم ان صفية هي ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية • فأختار ابي

منهن عشر جوارٍ وفيهنَّ ابنة الملك وفرّق الباقي على حاشيته . ثم عزل خمسة جواري فيهنَّ ابنة الملك وارسلهنَّ هديةً الى والدك عمر بن النعمان مع شيء من الجوخ ومن ثياب الصوف ومن القماش الحرير الرومي . فقبلهُ ابوك واختار من الخمس الجواري صفية بنت الملك افريدون . فلما كان اول هذا العام كتب ابوها كتابًا الى والدي بكلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده ويوبخه ويقول له : انتم ربحتم منا مركبًا من منذ سنتين وكان في يد لصوص من جماعة افرنج وكان فيهِ بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم تعلموني ولم ترسلوا اليَّ احدًا يخبرني بذلك . وانا لا اقدر اظهر الخبر خوفًا ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي . فكتمت امري الى هذا العام . فكاتبت بعض اللصوص من الافرنج وسألتهم خبر ابنتي عند اي ملك هي من ملوك الجزائر . فقالوا : والله ما خرجنا بها من بلادك لكن سمعنا انهُ اخذها من يد بعض الحرامية الملك حردوب وحكوا له الحكاية . ثم قال في المكتوب الذي كتبهُ لوالدي : ان لم يكن مرادكم معاداتي وقصدكم فضيحتي وهتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا اليَّ ابنتي من عندكم . وان اهملتم كتابي وعصيتم امري فلا بدّ ان اكافئكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم . فلما وصلت هذه المكاتبة الى ابي وقرأها وفهم ما فيها شقّ عليهِ ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك أفريدون في تلك الجواري ليردها الى والدها . فتحيّر في امره وما بقي يمكنهُ بعد هذه المدة الكبيرة ان يرسل الى الملك عمر بن النعمان يطلبها منهُ . ولاسيما اننا سمعنا من مدة يسيرة انهُ رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك أفريدون اولادًا . فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورقة هي المصيبة العظمى . فما كان لابي حيلة غير انه كتب جوابًا الى الملك أفريدون يعتذر اليهِ ويحلف له بالاقسام انهُ ما علم ان ابنته كانت من جملة الجواري التي

كانت في تلك المركب . ثم اظهرهُ على انهُ ارسلها الى الملك عمر بن النعمان
وانهُ رزق منها الاولاد . فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون ملك القسطنطينية
قام وقعد وأرغى وأزبد وقال : كيف انهُ سبي ابنتي وصارت بصفة الجواري . ما
بقيت اقعد عن هذا الّا ان آخذ الثار واكشف العار . واني لافعلنَّ فعلًا يتحدث
بهِ المحدثون من بعدي . وما زال صابرًا الى ان دبَّر الحيلة ونصب مكايد عظيمة
وارسل رسلًا الى والدك عمر بن النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى ان
والدك جهزك بالعساكر التي معك من اجلها وصيَّرك اليهِ حتى يقبض عليك
ومن معك من عسكرك . واما الثلث الخرزات التي قال لوالدك عنها في رسالتهِ فلم
يكن لذلك صحة . وانما كانت مع صفية ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها
هي والجواري التي معها ووهبها لي وهي الآن عندي . فاذهب انت الى عسكرك
وردهم قبل ان يستغرقوا ويتوغلوا في بلاد الافرنج والروم . فانكم اذا توغلتم في
بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلا تجدون لكم خلاصاً من ايديهم الى يوم الجزاء
والقصاص . وانا اعرف ان الجيوش مقيمون بمكانهم لانك رسمت لهم بالاقامة
لاسيا انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون . فلما سمع شركان هذا
الكلام تحيَّر ساعة وهو متفكر ثم انهُ قال: الحمد لله الذي منَّ علي بكِ وجعلكِ
سبباً لسلامتي وسلامة من معي . ولكن يعزّ عليَّ فراقكِ ولا اعلم ما يجري عليكِ
بعدي . فقالت لهُ : اذهب أنت الآن الى عسكرك وردّهم . وان كانت الرسل
عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر . وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلثة
ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الّا وكلنا سواء . ثم انها نهضت قائمة وودعتهُ

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا لهُ جواده فركب وخرج طالباً
للجسر . فوصل اليهِ وعبرَ من فوقه ودخل بين تلك الاشجار . فلما تخلص من تلك

الاشجار وشق ذلك المرج واذا هو بثلثة فوارس . فاخذ لنفسه منهم الحذر وشهر سيفه وانحدر . فلما قربوا منهُ ونظر بعضهم بعضاً عرفوهُ . ونظر اليهم فاذا احدهم الوزير دندان ومعهُ اميران . فلما رأوهُ وعرفوهُ ترجلوا لهُ وسلموا عليهِ وسألهُ الوزير عن سبب غيابه . فاخبرهم عن جميع ما جرى لهُ مع الملكة ابريزة . فحمد الله تعالى على ذلك . ثم قال شركان : ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاءوا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا . ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل . فرحلوا كلهم وما زالوا سائرين مجدين في السير الى ان وصلوا الى سطح الوادي . وكان الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان . فجهز اليهِ عسكراً ليقبضوا عليهِ وعلى من معهُ

هذا ما كان من امر الرسل وملكهم . واما ما كان من امر شركان والوزير دندان والاميرين فانهم قد اشرفوا اربعتهم على عسكرهم وصاحوا عليهم : ارحلوا ارحلوا . فرحلوا من ساعتهم وساروا اول يوم وثاني يوم وثالث يوم وما زالوا سائرين مدة خمسة ايام ونزلوا في وادٍ كثير الاشجار واستراحوا فيهِ مدة . وبعد ذلك رحلوا منهُ . وما زالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوماً حتى اشرفوا على اوائل بلادهم . فلما وصلوا الى هناك أمنوا على انفسهم ونزلوا لاخذ الراحة . فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم والاقامات فاقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم . وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وأمر الوزير دندان فسار ومعهُ الجيش . فلما كان بعد مسيرهم بيوم عوّل شركان على السفر . فركب وركب مائة فارس وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل ضيق امام جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج . فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس . ليوث عوابس . وفي الحديد والزرد غواطس . فلما ان

قربوا من شركان ومن معهُ صاحوا عليهم وقالوا : نحن بلغنا ما املنا ونحن خلفكم مجدون السير ليلاً ونهاراً حتى سبقناكم الى هذا المكان . فانزلوا عن خيولكم واعطونا اسلحتكم وسلموا لنا انفسكم حتى نجود بارواحكم . فلما سمع شركان ذلك قامت عيناه في ام راسه واحمرّت وجنتاهُ وقال : لمَ يا كلاب جسرتم وجئتم الى بلادنا ومشيتم في ارضنا . وما كفاكم ذلك حتى انكم تخاطرون في انفسكم وتخاطبونا بهذا الخطاب . اظننتم انكم تخلصون من ايدينا وتعودون الى بلادكم . ثم صاح على المائة الفارس الذين معهُ وقال لهم : دونكم وهؤلاء الكلاب فانهم في عددكم . ثم سلَّ سيفهُ وحمل عليهم وحملت معهُ المائة الفارس . فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال في الابطال والتحم القتال واشتدّ النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال . ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولّى النهار واقبل الليل بالاعتكار . فانفصلوا عن بعضهم . واجتمع شركان باصحابه فلم يجد احداً انصدم منهم غير اربعة انفس بجراحات حصلت لهم لكن رآها سليمة . فقال لهم شركان : اني طول عمري اخوض بحر الحرب العجاج واقاتل الرجال فما لقيت اصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال . فقالوا لهُ : اعلم ايها الملك ان فيهم فارساً افرنجياً وهو المقدم عليهم لهُ شجاعة وطعنات نافذات . غير انهُ عفا عنا كباراً وصغاراً وكل من وقع بين يديه يتغافل عنهُ ولا يقاتله . ولو اراد قتلنا لقتلنا باجمعنا . فتحيَّر شركان لما رأى من فعله وسمع عنهُ ذلك المقال وقال : في غداة غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة وانا اطلب النصر عليهم من رب السماء . وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق . واما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا لهُ : اننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء اربا . فقال لهم : في غداة نصطف ونبارزهم واحداً بعد

واحد. فباتوا على ذلك الاتفاق. وتحارس الفريقان الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركب الملك شركان وركبت معهُ المائة الفارس واتوا كلهم الى الميدان فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال. فقال شركان لاصحابه: ان اعداءنا قد عزموا على ما كانوا فيهِ فدونكم والمبادرة اليهم. فنادى منادٍ من الافرنج: لايكون قتالنا في هذا اليوم الّا مناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا. فعند ذلك برز فارس من اصحاب شركان وساق بين الصفين وقال: هل من مبارز هل من مناجز. لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز. فلم يتم كلامه حتى برز اليهِ فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد اشهب وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيهِ. فساق جواده حتى وقف في وسط الميدان واخذ معهُ في الضرب والطعان. فلم يكن غير ساعة حتى طعنهُ الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرًا وقاده حقيرًا. ففرح بهِ قومه ومنعوه ان يخرج الى الميدان واخرجوا غيره. وقد خرج من المسلمين آخر وهو اخو الاسير ووقف معهُ في الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة. ثم كرّ الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرًا. وما زالت المسلمون يخرج منهم واحد بعد واحد والافرنجي يأسرهم الى ان ولّى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسًا

فلما عاين شركان ذلك عظمَ عليهِ وجمع اصحابه وقال لهم: ما هذا الامر الذي حلّ بنا. انا اخرج في غداة غد الى الميدان واطلب براز المقدم عليهم وانظر من كان السبب في دخوله الى بلادنا واحذره من قتالنا. فان ابى قاتلناه وان صالحنا صالحناه. وباتوا على هذا الحال الى ان اصبح الله تعالى بالصباح. فركبت الطائفتان واصطف الفريقان. فاراد شركان ان يخرج الى الميدان واذا بالافرنج

قد ترجل منهم اكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى ان صاروا في وسط الميدان . فتأمل شركان ذلك الفارس . فاذا هو الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء ازرق من اطلس . ووجههُ فيهِ كالبدر اذا اشرق . ومن فوقه زردية ضيقة العيون . وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد ادهم في وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه . ثم انهُ لكز جواده حتى صار في وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح : يا شركان يا ابن عمر بن النعمان يا من ملك الحصون واخرب البلدان . دونك الحرب والطعان . وابرز الى من قد ناصفك في الميدان . فانت سيد قومك وانا سيد قومي . فمن غلب منا صاحبه صار هو وقومه تحت طاعته . فما استتم كلامه حتى برز لهُ شركان وقلبه من الغيظ ملآن . وساق جواده حتى دنا من الافرنجي في الميدان . وطبق عليهِ كالاسد الغضبان . فتلقى الافرنجي في الميدان . بخبرة وامكان . وصدمهُ صدمة الفرسان . واخذا في الطعن والضرب . ولم يزالا في كرّ وفرّ . واخذ وردّ . كانهما جبلان اصطدما . او بحران التطما . ولم يزالا في قتال الى ان ولى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . وانفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه . فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم : ما رأيت مثل هذا الفارس قط . الّا اني رأيت منهُ خصلة لم ارها من احد غيره . وهو انهُ اذا لاح لهُ في خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضربه بعقبه . ولكن لا ادري ماذا يكون مني ومنهُ . ومرادي ان يكون في عسكرنا مثله ومثل اصحابه . وبات شركان . فلما اصبح الصباح خرج لهُ الافرنجي ونزل في وسط الميدان واقبل عليهِ شركان ثم اخذا في القتال . واوسعا في الحرب والمجال . وامتدت اليهما الاعناق . ولم يزالا في حرب وكفاح . وطعن بالرماح . الى ان ولى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار

كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه . ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال . وباتوا تلك الليلة الى الصباح . ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب الى نصف النهار . وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز الجواد . ثم جذبه باللجام فعثر بهِ ورماه فانكبّ عليهِ شركان واراد ان يضربه بالسيف خوفاً ان يطول بهِ المطال . فصاح بهِ الافرنجي وقال : يا شركان ما هكذا تكون الفرسان . فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليهِ وامعن النظر فيهِ فوجده الملكة ابريزة . فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها : ما حملكِ على هذه الفعال . قالت لهُ : اردت ان اختبرك في الميدان وانظر ثباتك في الحرب والطعان . وهؤلاء الذين معي كلهم جواريَّ . وكلهنَّ بنات ابكار وقد قهرنَ فرسانك في حومة الميدان . ولولا ان جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي . فتبسم شركان من قولها وقال لها : الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بكِ يا ملكة الزمان . ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وأمرتهنَّ ان يترجلنَ بعد ان يطلقنَ العشرين اسيراً الذين كنَّ اسرنهم من قوم شركان . فامتثلت الجواري امرها . ثم انهنَّ قبّلنَ الارض بين يديها . فقال لهنَّ : مثلكنَّ من يكنَّ عند الملوك مدخراً للشدائد . ثم انهُ اشار الى اصحابه ان : سلموا عليها . فترجلوا جميعاً وقبلوا الارض بين يدي الملكة ابريزة وقد عرفوا القضية . ثم ركب المائتا الفارس وساروا في الليل والنهار الى مدة ستة ايام

(الليلة الحادية والخمسون) . وبعد ذلك اقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعنَ ما عليهنَّ من لباس الافرنج وان يلبسنَ لبس بنات الروم . ففعلنَ ذلك . ثم انهُ ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم

والده عمر بن النعمان بقدومه ويخبره ان صحبته الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب ملك الروم ليرسل لها من يلاقيها . ثم انهم نزلوا من ساعتهم ووقتهم في المكان الذي وصلوا اليه . ونزل شركان وباتوا الى الصباح . فلما اصبح الله تعالى بالصباح ركب شركان هو ومن معهُ وركبت ايضاً الملكة ابريزة ومن معها من الجيش واستقبلوا المدينة . واذا بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة وشركان وقد خرجوا باشارة الملك عمر بن النعمان الى ملاقتهما . فلما قربوا منهما توجهوا اليها وقبّلوا الارض بين أيديهما . ثم ركبا وركبوا معهما وساروا في خدمتها حتى دخلا المدينة ودخلا القصر ودخل شركان على والده . فقام اليهِ واعتنقه وسألهُ عن الخبر . فاخبره بما قالتهُ الملكة ابريزة وما اتفق لهُ معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت اباها . وقال لهُ : انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا . وان ملك القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة من اجل ابنته صفية لأن ملك الروم قد اخبره بحكايتها وسبب اهدائها اليك . وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك بل كان يردها الى والدها . ثم قال شركان لوالده : وما كان خلاصنا من هذه الامور الّا بسبب هذه الجارية ابريزة وما رأينا اشجع منها . ثم انهُ شرع يحكي لابيهِ ما وقع لهُ منها من اول الامر الى آخره . فلما سمع عمر بن النعمان من ولده شركان ذلك عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انهُ يراها . ثم انهُ طلبها ليسألها . فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها : ان الملك يدعوكِ . فاجابت بالسمع والطاعة . فاخذها شركان واتى بها الى والده وكان الملك قاعداً على كرسيه . فاخرج من كان عنده من اهل دولته ولم يبقَ عنده غير الخادم . فدخلت الجارية ابريزة وقبّلت الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان

وترجمت بحسن الكلام . فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وامرها بالجلوس فجلست . ثم انهُ افرد لها قصراً مختصاً بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب . ثم اخذ يسألها على تلك الخرزات الثلث التي تقدم ذكرها . فقالت لهُ : ها هي معي يا ملك الزمان . ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت حوائجها واخرجت منها علبة واخرجت من العلبة حُقّاً من الذهب وفتحتهُ واخرجت منهُ تلك الخرزات الثلث وباستها واعطتها للملك وانصرفت . وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزةً من الثلث الخرزات . فسأله عن الاثنتين الاخريين فقال : يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والاخرى لنزهة الزمان اختك . فلما سمع شركان انَّ لهُ اخاً يسمَّى ضوء المكان وما كان يعرف الَّا أختهُ نزهة الزمان التفت الى والده وقال لهُ : ايها الملك ألك ولد غيري . قال : نعم وعمره الآن ست سنين . ثم اعلمهُ ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما وُلدا في بطن واحد . فصعب عليه ذلك ولكنهُ كتم سره وقال لوالده : على بركة الله تعالى . ورمى الخرزة من يده ونفض اثوابه . فقال لهُ الملك : مالي اراك قد تغيرت احوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي . وقد حلَّفت لك الجيش وعاهدت امراء الدولة على ذلك . وهذه خرزة لك من الثلث الخرزات . فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده . ثم قبل الخرزة وقام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ وما زال ماشياً حتى دخل قصر الملكة ابريزة . فلما اقبل عليها قامت لهُ وشكرته على فعاله ودعت لهُ ولوالده وجلست واجلستهُ في جانبها . فلما استقر بهِ الجلوس رأت في وجههِ الغيظ فسألتهُ . فاخبرها ان والده رزق من صفية ولدًا ذكرًا وانثى وسمَّى الولد ضوء المكان

والانثى نزهة الزمان وقال لها : انهُ أعطاها خرزتين ودفع لي واحدةً فتركتها . وانا الى الآن لم اعلم بذلك الّا في هذا الوقت والحال ان لهما ستة سنين . فلما علمتُ ذلك اخذني الغيظ وقد اخبرتكِ بسبب غيظي . فقالت : ان الثلث الخرزات ما كان على بالي ان ينعم على احدٍ من اولاده بشيء منها . وما ظننت الّا انهُ يجعلها في خزائنهُ مع ذخائره . ولكن اشتهي من احسانك ان تهبني الخرزة التي أعطاكها والدك ان قبلتها منهُ . فقال لها : سمعاً وطاعةً . ثم انهُ اعطاها اياها . فقالت لهُ : لا تحمل همّاً وتحدثت معهُ ساعةً وقالت لهُ : اني اخاف ان يسمع ابي اني عندكم فما يقعد عني ويسعى في طلبي ويتفق هو والملك افريدون لاجل خلاص ابنته صفية فيأتيان اليكم بالعساكر وتكون ضجة عظيمة . فلما سمع شركان ذلك قال لها : يا مولاتي اذا كنتِ راضيةً بالاقامة عندنا لا تفكري فيهم ولو اجتمع علينا كل من في البر والبحر . فقالت لهُ : ما يكون الّا الخير . وها انتم ان احسنتم اليَّ قعدت عندكم . وان اسأتم اليَّ رحلت من عندكم . ثم انها امرت الجواري باحضار شيء من الاكل . فقدمت المائدة فأكل شركان شيئاً يسيرًا ومضى الى داره مهموماً مغموماً

هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانهُ بعد انصراف ولدهِ شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعهُ تانك الخرزتان . فلما رأته نهضت قائمةً على قدميها الى ان جلس . فاقبل عليهِ ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان . فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة . ففرحا بها وقبلا يديه واقبلا على امهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام . فقال لها الملك : وانتِ هذه المدة كلها لاي شيء لم تعلميني انكِ ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاجل ان ازيد في اكرامكِ واوسع لكِ وارفع

منزلتك . فلما سمعت صفية ذلك قالت : ايها الملك وماذا أُريد أكثر واعلى من هذه المنزلة التي انا فيها وانا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقني الله منك ولدين ذكرًا وانثى . فأُعجب الملك عمر بن النعمان من كلامها . ثم مضى من عندها وافرد لها ولاولادها قصرًا عجيبًا ورتب الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكيّة والاطباء والجرّاحين واوصاهم بهم وزاد في اكرامهم واحسن اليهم غاية الاحسان . ثم رجع الى قصر المملكة والحاكمة بين الناس . هذا ما كان لهُ مع صفية واولادها

واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها عجبت الملك بادبها فتزوجها . واستمرّت معهُ في أهنأ عيش مدة من الزمان . ثم انها تفكرت في اهلها واشتاقت الى وطنها واخذت تبكي واغتمت غمًّا شديدًا وضعفت وحجبت نفسها وقالت لجواريها : امنعنَ كل من اراد ان يدخل عليَّ وقلنَ لهُ : انها ضعيفة . حتى انظر ماذا يفعل الله بي . فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر بن النعمان ان الملكة ابريزة ضعيفة . فارسل اليها الأشربة والسكّر والمعاجين . واقامت على ذلك شهورًا وهي محجوبة . ثم ان الملك قلّت رغبته فيها وصبر عنها وكانت قد حبلت منهُ فضاقت الدنيا بها . فقالت يومًا لجاريتها مرجانة : اعلمي ان القوم ما ظلموني وانما انا الجانيةُ على نفسي حيث فارقت ابي وأُمي ومملكتي . وانا قد كرهت الحياة وانكسرت همتي وما بقي عندي من الهمة ولا من القوّة شيءٌ . وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وانا الآن لا اقدر على الركوب . وقد صرت عندهم مسخرةً . واذا رجعت الى ابي بايّ وجهٍ القاه وبايّ هيئةٍ ارجع اليهِ . وما احسن قول الشاعر :

بمَ التعلُّل لا اهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كاسٌ ولا سكنُ

فقالت لها مرجانة : الامر امركِ وانا في طوعكِ . فقالت : اريد الساعة ان اخرج سرًّا بحيث لا يعلم بي احد غيركِ واسافر الى ابي وامي . فان اللحم اذا انتن ما لهُ الَّا اهلهُ . والله يفعل بي ما يريد . فقالت لها : نعمَ ما تفعلين ايتها الملكة . ثم انها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت اياماً حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان . فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها : اريد ان اسافر في هذه الليلة ولكن كيف اصنع . ثم تفكرت ساعة وقالت لمرجانة : انظري لنا رجلًا نسافر واياه ويخدمنا في الطريق فاني ليس لي قوة على حمل السلاح . فقالت مرجانة : والله يا سيدتي ما اعرف غير عبدٍ اسود اسمهُ الغضبان . وهو من عبيد الملك عمر بن النعمان . وهو شجاع ملازم لباب قصرنا وامره الملك ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا . فها انا اخرج اليه واكلمهُ في هذا الامر وأعده بشيء من المال واقول لهُ : اذا اردت المقام عندنا انعمنا عليك . وقد كان اخبرني قبل اليوم انهُ كان يقطع الطريق . فان هو طاوعنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا . فقالت لها : ناديه حتى احدثهُ . فخرجت لهُ مرجانة ونادت : يا غضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتي ما تقولهُ لك من الكلام . واخذتْ بيده واقبلتْ به عليها . فلما رآها قبَّل يديها . فحين رأتهُ نفر قلبها منهُ غير انها قالت في نفسها : ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثهُ وقلبها نافر منه وقالت لهُ : يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان . فاذا اظهرتك على امري هل تكون كاتماً لهُ . فلما نظر العبد اليها لم يمكنهُ ان يملك نفسهُ غير انهُ قال : يا سيدتي ان امرتني بشيء لا اخرج عنهُ . فقالت لهُ : أريد منك الساعة ان تأخذني وتاخذ جاريتي هذه وتشدَّ لنا راحلتين ورأسي خيل من خيول الملك وتجعل على كل فرسٍ خرجاً من المال

وشيئاً من الزاد وترحل معنا الى بلادنا . وان اقمت عندنا عشت عيشة راضية واصبت خيراً . وان طلبت الرجوع الى بلادك ارجعناك واعطيناك ما تحبّ بعد ان تاخذ ما يكفيك من المال . فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً وقال : يا سيدتي اني اخدمكما بعيوني وامضي معكما واشدّ لكما الخيل . فمضى وهو فرحان وقال في نفسه : قد بلغت ما اريد وان لم تطاوعاني اقتلهما وآخذ ما معهما من المال . واضمر ذلك في سرّه . ثم مضى وعاد ومعهُ راحلتان وثلاثة رؤوس من الخيل وهو راكب على احدها . واقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسين فركبت واحداً وأركبت مرجانة واحداً وهي متوجعة من المرض ولا تملك نفسها من كثرة الوجع . وما زال مسافراً بهما في عرصة الجبال ليلاً ونهاراً الى ان بقي بينها وبين بلادها يوم واحد . فجاءها الطلق فما قدرت تمسكه . فقالت للغضبان : انزلني فقد حاشني الطلق . وصاحت لمرجانة : انزلي وولديني . فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشدّ لجام الفرسين . ونزلت الملكة ابريزة من فوق الجواد وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق . وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجه الغضبان فشهر حسامهُ في وجهها وعرض عليها المنكر . فلما سمعت مقالتهُ التفتت اليهِ وقالت لهُ :

ما بقي عليَّ الّا العبيد السود بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد

(الليلة الثانية والخمسون) . ثم ان الملكة ابريزة اغتاظت من العبد وقالت لهُ : ويلك ما هذا الكلام الذي تقولهُ لي . ويلك لا تتفوه بشيء من هذا في حضرتي واعلم اني لا ارضى بشيء مما قلتهُ ولو سُقيت كاس الردى . ولكن اصبر حتى اصلح شان الجنين واصلح شاني . ثم بعد ذلك ان قدرت عليَّ جرّعني الموت . وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني اقتل نفسي

بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله. وانشدت تقول :

ايا غضبان دعني قد كفاني ... مكابدة الحوادث والزمانِ
عن الفحشاء ربي قد نهاني ... وقال النار مثوى من عصاني
واني لا اميل لفعل سوء ... بعين النقص دعني لا تراني
وان لم تترك الفحشاء عني ... وترعى حرمتي في مَن رعاني
فأصرخ طاقتي لرجال قومي ... واجلب كل قاصيها وداني
ولو قطعتُ بالسيف اليماني ... لما خليت فحّاشًا يراني
من الاحرار والكبراء طرًّا ... فكيف العبد من نسل الزواني

ثم ان الملكة ابريزة بكت بكاء شديدًا وقالت : ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا تربية الخنى. أتحسب ان الناس كلهم سواء . فلما سمع الغضبان ذلك منها غضب غضبًا شديدًا واحمرت عيناه واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت بهِ النفرات وتقدم اليها وضربها بالسيف في وراندها فقتلها وساق جوادها بعد ان اخذ من المال ونجا بنفسهِ في الجبال

هذا ما كان من امر الغضبان. واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها وقعت صريعة وكان المولود ذكرًا مثل القمر. فاخذته مرجانة واصلحت شانه وجعلته الى جنب امه فاخذ ثديها وهي ميتة. وصرخت مرجانة صرخة عظيمة وشقت اثوابها وحثت التراب على رأسها ولطمت خديها حتى خرج الدم من وجهها وقالت : وا سيدتاه وا خيبتاه قتلكِ عبدٌ اسود لا قيمة لهُ بعد فروسيتكِ . ولم تزل تبكي. واذا بغبار قد طلع وسدّ الاقطار . فانكشف ذلك الغبار وبان من تحتهُ عسكر جرار . وكان هذا العسكر عسكر الملك حردوب والد الملكة ابريزة. وسبب ذلك انهُ لما سمع

ان ابنته هربت هي وجواريها من بغداد وهي عند الملك عمر بن النعمان خرج بن معهُ يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ليعلم ان كانوا رأوها عند الملك عمر بن النعمان . فلما خرج وبعد عن بلدته مسيرة يوم واحد رأى ثلثة فرسان من بعيد فقصدهم ليسألهم من اين اتوا ويعلم خبر ابنته . وكان رأى على بُعد هؤلاء الثلثة ابنته وجاريتها والعبد الغضبان . فقصدهم ليسألهم . فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه . فلما اقبلوا عليهم رآها ابوها قد قتلت وجاريتها تبكي عليها . فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشياً عليه . فترجَّل كل من كان معهُ من الفرسان والامراء والوزراء وفي الحال ضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبةً للملك حردوب . ووقف ارباب الدولة بظاهر تلك الخيمة . فلما رأت مرجانة سيدها عرفتهُ وزادت في البكاء . فلما أفاق الملك من غشيته وسألها عن الخبر اخبرتهُ بالقصة وقالت لهُ : ان الذي قتل ابنتك عبد اسود من عبيد عمر بن النعمان . فلما سمع الملك حردوب ذلك اسودَّت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديداً . ثم أمر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر . ثم ان الملك حردوبًا دخل على امه ذات الدواهي وقال لها : اهكذا تفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر بن النعمان يستهين بها وبعد ذلك يقتلها عبد اسود من عبيده . فوحقِّ المسيح لا بدَّ من ان آخذ ثار ابنتي منهُ واكشف هذا العار عني والَّا قتلت نفسي بيدي . ثم بكى بكاء شديداً . فقالت لهُ امهُ ذات الدواهي : ما قتل ابنتك الَّا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن . ثم قالت لولدها : لا تحزن من جهة اخذ ثارها فاني لا ارجع عن الملك عمر بن النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولأعملنَّ معهُ عملًا تعجز عنهُ الدهاة والابطال ويتحدث بهِ المحدثون في جميع الاقطار وفي كل مكان . ولكن ينبغي لك ان تمتثل امري

في كل ما اقولهُ . فمن نوى على ما يريد يبلغ ما يريد . فقال لها : لا أخالفكِ ابدًا فيما تقولين . قالت لهُ : ائتني بجوارٍ ابكار وائتني بحكماء الزمان ودعهم يعلمونهنَّ الحكمة والادب مع الملوك والمنادمة والاشعار . ويتكلمون معهن بالحكمة والمواعظ . ويكون الحكماء مسلمين حتى يعلموهنَّ اخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام . ولو اقمنا على ذلك اربعة اعوام لبلغنا المرام . فطوّل روحك واصبر فانَّ بعض الاعراب يقول : ان أخذ الثار بعد اربعين عامًا مدتهُ قليلة . ونحن اذا علّمنا تلك الجواري بلغنا من عدوّنا ما نختار . فاذا تعلّمت الجواري ما قلت لكَ عنهُ اخذتهنَّ بعد ذلك وسافرت بهنَّ . فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح وقام وقبّل راسها . ثم ارسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى اطراف البلاد ليأتوا اليهِ بالحكماء من المسلمين . فامتثلوا امره وسافروا الى بلاد بعيدة واتوا بما طلبه من العلماء والحكماء . فلما حضروا بين يديهِ اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتّب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذ علّموا الجواري

(الليلة الثالثة والخمسون) . ثم احضر لهم الجواري بين ايديهم واوصاهم بالتعليم والحكمة والادب فامتثلوا امره . هذا ما كان من امر الملك حردوب . واما ما كان من امر الملك عمر بن النعمان فانهُ لما عاد من الصيد والقنص وجلس في القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احدٌ عنها ولم يعلمه احد بذلك . فعظم عليهِ ذلك وقال : كيف يكون ان جارية تخرج من القصر ولم يعلم بها احد . فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها . فما عدت اخرج الى الصيد والقنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها . واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة . فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد

اتى من السفر فاعلمهُ والده بذلك واخبره انها هربت وهو في الصيد والقنص . فاغتمّ شركان غمًّا شديدًا . ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم . وكان الملك عمر بن النعمان قد احضر الحكماء ليعلموا اولاده العلم ورتّب لهم الرواتب . فلما رأى ذلك شركان غضب غضبًا شديدًا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه . ولم يزل مريضًا بسبب هذا الامر . فقال لهُ والده يومًا من الايام : ما لي اراك تزداد ضعفًا في جسمك واصفرارًا في لونك . فقال لهُ شركان : يا والدي كلما رأيتك تقرّب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم . فمرض جسمي وتغيّر لوني بسبب ذلك . ولكني اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة في الخارج اقيم بها بقية عمري لانَّ صاحب المثل يقول : بعدي عن حبيبي اجمل بي واحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن . وأطرق براسهِ الى الارض . فلما سمع الملك عمر بن النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيهِ من التقصير فلاطفه وقال لهُ : يا ولدي اني اجيبك لذلك. وليس في ملكي اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتك اياها من هذا الوقت. واحضر الموقعين في الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام . فكتبوا لهُ ذلك وجهزوهُ واخذ معهُ الوزير دندان واوصاه ابوه بالمملكة والسياسة وقلده اموره والاقامة عنده وودعهُ ابوه وودعتهُ الامراء واكابر الدولة . ثم سار بالعسكر حتى وصل الى دمشق . فلما وصل اليها دقّ لهُ اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوهُ بموكب عظيم سار فيهِ اهل الميمنة ميمنةً والميسرة ميسرةً

هذا ما كان من امر شركان . واما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانهُ بعد سفر ولده شركان اقبل عليهِ الحكماء وقالوا لهُ : يا مولانا ان اولادك

تعلموا العلم وكملوا الحكمة والادب والحشمة. فعند ذلك فرح الملك فرحاً شديداً وانعم على الحكماء لانهُ رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار لهُ من العمر اربع عشرة سنة وخرج مشتغلاً بالديانة والعبادة محباً للفقراء واهل العلم والقرآن . وصار اهل بغداد يحبونهُ نساء ورجالاً . الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج وزيارة قبر النبي (صلعم) . فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال لهُ : اني اتيت اليك لاستأذنك في ان احج . فمنعهُ من ذلك وقال لهُ : اصبر الى العام القابل امضي انا واياك . فلما رأى الامر يطول عليهِ دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي . فلما قضت الصلاة قال لها : اني قد قتلني الشوق الى الحج وزيارة قبر النبي واستأذنت والدي فمنعني من ذلك . فالمقصود ان آخذ شيئاً من المال واخرج الى الحج سراً ولا اعلم ابي بذلك . فقالت لهُ اختهُ : بالله عليك الّا ما اصحبتني معك ولا تحرمني من زيارة قبر النبي . فقال لها : اذا جنَّ الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احداً بذلك . فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيئاً من المال ولبست لبس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان وما زالت ماشية الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال . فركب واركبها وسار في الليل واختلطا بالحجيج ومشيا الى ان صارا في وسط الحجيج العراقي . وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة الى ان دخلا مكة المشرفة . ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج وبعد ذلك ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهما . فقال ضوء المكان لاخته : يا اختي في خاطري زيارة بيت المقدس والخليل ابراهيم عليهِ السلام . فقالت لهُ : وانا كذلك . واتفقا على هذا . فخرج واكترى لهُ ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب . في تلك الليلة

حصل لاخته حمى باردة فتشوشت. ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه . ولم يزالا سائرين الى ان دخلا بيت المقدس . واشتدَّ المرض على ضوء المكان وزاد معهُ الضعف فنزلا في خان هناك واكتريا لهما محلًا فاقاما بهِ . ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحله وغاب عن الدنيا . فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت : لاحول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم هذا حكم الله . فعند ذلك قعدت هي واخوها في ذلك المكان وقد زاد بهِ الضعف وهي تخدمه وتنفق عليهِ وعلى نفسها . فنفد ما معها من المال وافتقرت حتى لم يبقَ معها ولا درهم . فارسلت صبي الخان الى السوق بشيء من قماشها فباعهُ وانفقتهُ على اخيها . ثم باعت شيئًا آخر. ولم تزل تبيع من امتعتها شيئًا فشيئًا حتى لم يبقَ لها الّا حصيرٌ مقطعٌ . فبكت وقالت : لله الامر من قبلُ ومن بعد . فقال لها اخوها : يااختي اني قد حسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي . فقالت لهُ اخته : يا اخي انا مالي وجه للسؤال . ولكن غدًا ندخل بيت احد من الاكابر واخدم فيه واعمل بشيء نقتات بهِ انا وانت. ثم تفكرت ساعةً وقالت لهُ : اني لا يهون عليَّ ان افارقك وانت في هذه الحالة . ولكن اروح قهرًا عني . فقال لها اخوها : أبعد العز تصبحين ذليلة . فلا حول ولا قوة الّا بالله . ثم بكى وبكت وقالت لهُ : يااخي نحن غريبان وقعدنا هنا سنةً كاملة ما دقَّ علينا احد الباب . فهل نموت من الجوع . فليس عندي من الرأي الّا اني اخرج وأخدم وآتيك بشيء نقتات بهِ الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا . ومكثت تبكي ساعةً وهو يبكي وهو متكئٌ . ثم قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة كانت من ثياب الجمالين وكان صاحبها نسيها عندهما . وقبلت رأس اخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهي تبكي ولا تعلم اين تمضي . وما زالت سائرة واخوها

ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء ولم تأتِ . فمكث اخوها ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليهِ . ولم يزل على هذا الحال يومين . فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتدَّ بهِ الجوع . فخرج من البيت وصاح على صبيّ الخان وقال لهُ : اريد ان تحملني الى السوق . فحمله والقاه في السوق . فاجتمع عليهِ اهل القدس وبكوا عليهِ لما رأوهُ على تلك الحالة . فاشار اليهم يطلب شيئاً يأكله . فجاءوا لهُ من بعض التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا لهُ شيئاً واطعموه اياه . ثم حملوهُ ووضعوه على دكان وفرشوا لهُ قطعة برشٍ ووضعوا عند رأسهِ ابريقاً . فلما اقبل الليل انصرف عنهُ كل الناس وحملوا همه . فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد بهِ الضعف وامتنع من الاكلِ والشرب وغاب عن الوجود . فقام اهل السوق واخذوا لهُ من التجار ثلثين درهماً من الفضة واكتروا لهُ جملاً وقالوا للجمال : احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعلهُ يبرأ ويطيب . فقال لهم : على الرأس . ثم قال الجمال في نفسه : كيف امضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت . فخرج بهِ الى مكانٍ واختفى به الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ومضى الى حال سبيله . فلما اصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقىً على ظهره . فقال في نفسه : لاي شيءٍ ما يرمون هذا الميت الّا هنا . ورفسه برجله فتحرك . فقال لهُ الوقاد : احدكم يأكل قطعة حشيش ويرمي روحهُ في اي موضع كان . ثم نظر في وجهه فرآه لا نبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال . فأخذتهُ الرأفة عليهِ وعرف انهُ مريضٌ وغريب . فقال : لاحول ولا قوة الّا بالله . اني دخلت في خطيئة هذا الصبي وقد أوصى النبي صلّى الله عليهِ وسلّم باكرام الغريب . لاسيما اذا كان الغريب مريضاً . فحملهُ وأتى به الى منزله ودخل بهِ على زوجته وأمرها ان تخدمهُ وتفرش لهُ بساطاً . ففرشت لهُ وجعلت تحت

راسه وسادةً وسخنت له ماء وغسلت له يديه ورجليهِ ووجهه . وخرج الوقاد الى السوق . واتى له بشيء من ماء الورد والسكَّر ورشَّ ماء الورد على وجهه وسقاه السكَّر واخرج له قميصاً نظيفاً والبسه اياه . فشمَّ نسيم الصحة وتوجهت اليهِ العافية واتكأ على المخدة . ففرح الوقاد بذلك وقال : الحمد لله على عافية هذا الصبي . اللهمَّ اني اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدي

(الليلة الرابعة والخمسون) . وما زال الوقاد يتعهده ثلثة ايام وهو يسقيه السكَّر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليهِ ويتلطف بهِ حتى سرت الصحة في جسمهِ . ففتح ضوء المكان عينيه . فدخل الوقاد عليهِ فرآه جالساً وعليهِ آثار النشاط فقال له : ما حالك يا ولدي في هذا الوقت . فقال : الحمد لله فاني بخير وعافية ان شاء الله تعالى . فحمد الوقاد المولى على ذلك ونهض الى السوق واشترى له عشرة فراريج واتى بها الى زوجته وقال لها : اذبحي له في كل يوم اثنين . باكر النهار واحداً . وآخر النهار واحداً . فقامت وذبحت له فروجاً وسلقته واتت بهِ اليه واطعمته اياه وأسقته مرقته . فلما فرغ من الأكل قدمت ماء حاراً فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر . فقامت وسلقت له فروجاً آخر واتت بهِ اليه وفسختهُ وقالت له : كل يا ولدي . فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه . ثم انهُ جلس عند رأسه وقال له : ما حالك يا ولدي الآن . فقال : الحمد لله على العافية جزاك الله عني خيراً . ففرح الوقاد بذلك . ثم انه خرج وأتى له بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه . وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمَّام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري له كل يوم بدرهم السكر وماء الورد وشراب البنفسج وماء الخلاف ويشتري له بدرهم فراريج . وما زال يلاطفهُ الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنهُ آثار

المرض وقد توجهت لهُ العافية . ففرح الوقّاد وزوجته بعافية ضوء المكان . فقال لهُ الوقاد : يا ولدي هل لك ان تدخل معي الحمَّام . قال : نعم . فمضى الى السوق واتى لهُ بمكارٍ واركبهُ على حمار وجعل يسنده الى ان وصل معهُ الى الحمَّام فاجلسهُ وأدخل الحمار الى المستوقد ومضى الى السوق واشترى لهُ سدرًا ودقاقًا وقال لضوء المكان : يا سيدي بسم الله ادخل أغسل لك جسدك . فدخل هو واياه الى داخل الحمام واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه . وشرع يغسل لهُ جسده بالسدر والدقاق . واذا ببلّان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يغسله ويحك رجليهِ . فتقدم اليه البلّان وقال لهُ: هذا نقص في حق المعلم . فقال الوقاد : والله ان المعلم غمرنا باحسانهِ . فشرع البلّان يحلق رأس ضوء المكان . ثم اغتسل هو والوقاد . وبعد ذلك اتى بهِ الوقاد الى منزله والبسه قميصًا رفيعًا وثوبًا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزامًا رفيعًا . وكانت زوجة الوقاد ذبحت لهُ فروجين وطبختهما . فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب لهُ السكر في ماء الخلاف وسقاه . ثم قدَّم لهُ السفرة وصار الوقاد يفسخ لهُ من تلك الفراريج ويطعمهُ ويسقيهِ من المسلوقات الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية

وبعد ذلك قال ضوء المكان للوقّاد : انت الذي منَّ الله تعالى عليَّ بك وجعل سلامتي على يديك . فقال لهُ الوقاد : دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين انت فاني ارى على وجهك آثار النعمة . فقال لهُ ضوء المكان : قل لي انت كيف وقعت بي حتى اخبرك بحديثي . فقال لهُ الوقاد : اما انا فاني لما توجهت الى اشغالي وجدتك مرميًا على القمامة قريب الصبح على باب المستوقد ولم اعرف من رماك فأخذتك عندي وهذه

حكايتي . فقال ضوء المكان : سبحان من يحيي العظام وهي رميم . انك يا اخي ما فعلت الجميل الَّا مع اهله وستجني ثمرة ذلك . ثم انهُ قال للوقاد : وانا الآن في ايّ البلاد . فقال لهُ : انت في مدينة القدس . فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق اخته وبكى وباح بسره للوقاد وحكى لهُ حكايتهُ وانشد يقول :

هم حملوني في الهوى غير طاقتي ... ومن اجلهم قامت عليَّ قيامتي
الا فارفقوا يا هاجرون بمهجتي ... فقد رقَّ لي من بعدكم كل شامتِ
ولا تبخلوا ان تسمحوا لي بنظرةٍ ... تخففُ احوالي وفرط صبابتي
سألت فوادي الصبر عنكم فقال لي ... اليكَ فانَّ الصبر من غير عادتي

ثم زاد بكاؤُه . فقال لهُ الوقَّاد : لا تبكِ واحمد الله تعالى على السلامة والعافية . فقال ضوء المكان : كم بيننا وبين دمشق . فقال : ستة ايام . فقال ضوء المكان : هل لك ان ترسلني اليها . فقال لهُ الوقاد : يا سيدي كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير وغريب فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي اروح معك وان سمعتْ مني زوجتي واطاعتني وسافرتْ معي اقمت هناك فانه لا يهون عليَّ فراقك . ثم قال الوقاد لزوجته : هل لكِ ان تسافري معي الى دمشق الشام او تكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليكِ فانهُ يطلب دمشق الشام . فاني والله لا يهون عليَّ فراقهُ واخاف عليهِ من قطَّاع الطريق . فقالت لهُ زوجتهُ : اسافر معكما . فقال الوقاد : الحمد لله على الموافقة واتمام الامر

(الليلة الخامسة والخمسون) . ثم ان الوقَّاد قام وباع امتعتهُ وامتعة زوجته واشترى جملًا واكترى حمارًا واركب ضوء المكان اياه وسافروا . وما زالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق . فنزلوا هناك في آخر النهار

وذهب الوقاد واشترى شيئاً من الاكل والشرب على العادة. وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام . فبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياماً قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى . فعظم ذلك على ضوء المكان لانها كانت تخدمهُ . فلما ماتت حزن عليها الوقاد حزناً شديداً. فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزيناً فقال لهُ : لا تحزن فاننا كلنا داخلون من هذا الباب . فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال لهُ : جزاك الله خيراً يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن. فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا ونتفرَّج في دمشق لينشرح خاطرك . فقال لهُ ضوء المكان : الرأي رأيك . فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسارا الى ان اتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجدا جمالاً محملة صناديق وفرشاً وقماشاً من الديباج وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيداً ومماليك والناس في هرج ومرج . فقال ضوء المكان : يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة. فسأل بعض الخدم وقال : لمن هذه التقدمة . فقال لهُ المسئول : هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر بن النعمان مع خراج الشام .

فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام اغرورقت عيناه بالدموع وانشد يقول :

ايها الغائبون عن جفن عيني انهم في الفؤاد مني حلولُ
غاب عني جمالكم فحياتي ليس تحلو ولا اشتياقي يحولُ
ان قضى الله باجتماعي عليكم اذكرُ الوجد في حديثٍ يطولُ

فلما فرغ من شعره بكى . فقال لهُ الوقاد : يا ولدي نحن ما صدقنا انك جاءتك العافية فطب نفساً ولا تبكِ فاني اخاف عليك من الانتكاس . وما زال يلاطفهُ ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات. ثم انشد هذه الابيات :

تزوّد من الدنيا فانك راحلُ　　واَيقن بانَّ الموتَ لا شكَّ نازلُ
نعيمك في الدنيا غرورٌ وحسرةٌ　　وعيشك في الدنيا محالٌ وباطلُ
ألا انما الدنيا كمنزل راكبٍ　　اناخَ عشيًّا وهو في الصبح راحلُ

ثم جعل ضوء المكان يبكي وينتحب على غربتهِ . والوقاد يبكي على فراق زوجته . ولكنهُ ما زال يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح . فلما طلعت الشمس قال لهُ الوقاد : كأنك تذكرت بلادك . فقال لهُ ضوء المكان : نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلاً قليلاً الى ان اصل الى بلادي . فقال لهُ الوقاد : وانا معك فاني لا اقدر ان افارقك وانا عملت معك حسنةً واريد ان اتممها بخدمتي لك . فقال لهُ ضوء المكان : جزاك الله عني خيرًا . ففرح ضوء المكان بسفر الوقاد معهُ . ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارًا آخر وباع الجمل وعبى زاده وقال لضوء المكان : اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب انزل وامشِ . فقال ضوء المكان : بارك الله فيك وأعانني على مكافأتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله احدٌ مع اخيه . ثم صبرا الى ان جنَّ الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا

هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد . واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيهِ في القدس بعد ان التفت بالعباءة وخرجت لاجل ان تخدم احدًا وتشتري لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي . فخرجت تبكي وهي لا تعلم اين تتوجه وكان خاطرها مشغولاً باخيها . وتفكرت في الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى في دفع هذه البليات وانشدت تقول :

جُنَّ الظلام وهاج الوجد بالسقمِ والشوق حرَّك ما عندي من الالمِ
ولوعة البين في الاحشاء قد سكنت والوجد صيَّرني في حالة العدمِ
وليس لي حيلةٌ في الوصل اعرفها حتى ترحزح من ضعفي ومن سقمي
فنار قلبي بالاشواق موقدةٌ ومن لظاها يظلّ الصبُّ في نقمِ
يا مَن يلومُ على ما حلّ بي وكفى اني صبرتُ على ما خُطَّ بالقلمِ
اقسمتُ بالحبّ ما لي سلوةٌ ابدًا يمين اهل الهوى مبرورة القسمِ
يا ليل بلّغ رواة الحبّ عن خبري واشهد بعلمكَ اني فيكَ لم انمِ

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان بكت وصارت تمشي وتلتفت يمينًا ويسارًا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعهُ خمسة انفار من العرب . فالتفت ذلك الشيخ الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه : ان هذه جميلة تدهش العقل ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بدَّ لي منها . ثم انهُ تبعها قليلًا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها : يا بنية هل انتِ حرَّة او مملوكة . فلما سمعت كلامه نظرت اليهِ وقالت لهُ : بحياتك لا تجدّد عليَّ الاحزان . فقال لها : اني رُزقت ستَّ بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي اصغرهنَّ . واتيت اليكِ لاسألكِ هل انتِ من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان آخذكِ واجعلكِ عندها لتؤانسيها فتشتغل بكِ عن الاحزان على اخواتها . فان لم يكن لكِ احد جعلتكِ مثل واحدة منهن وتصيرين مثل اولادي . فلما سمعت نزهة الزمان كلامهُ قالت في سرها : عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ. ثم أطرقت برأسها من الحياء فقالت : يا عمّ انا ابنة عربية غريبة ولي اخٌ ضعيف . فانا امضي معك الى بنتك بشرط ان

اكون عندها بالنهار وبالليل امضي الى اخي . فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة في قومي فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخي من بلاد الحجاز . واخاف ان اخي لايعرف لي مكاناً . فلما سمع البدوي كلامها قال لها : ما بقي عندي اعزّ منكِ ولا اريدكِ الّا لتؤانسي بنتي نهاراً وتمضي الى اخيكِ من اول الليل . وان شئتِ فانقليهِ الى عندنا . ولم يزل البدوي يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان لانت لهُ ووافقتهُ على الخدمة . ومشى قدامها وتبعته . فغمز من معهُ فسبقوهُ وهيأوا الهجان وحملوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد حتى اذا وصل اليهم ساروا بالجمال وسافروا . وكان البدوي قاطع الطريق وخائن الرفيق ولصاً صاحب مكر وحيل لاعندهُ بنت ولا ولد وما كان الّا عابر طريق . فوقع بهذه المسكينة لامرٍ قدّرهُ الله . وما زال البدوي يحدثها في الطريق الى ان خرج من مدينة القدس الى ظاهرها واجتمع برفقته فوجدهم قد جهزوا الهجان فركب البدوي جملاً واردفها خلفه وساروا الليل كله . فعرفت نزهة الزمان ان كلامه حيلة عليها وان البدوي غرّها . فصارت تبكي وتصرخ طول الليل وهم مسافرون في الطريق قاصدون الجبال خوفاً من ان يراهم احد . فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الهجان وتقدم البدوي الى نزهة الزمان وقال لها : يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تسكتي من البكاء ضربتكِ الى ان تهلكي يا قطعة حضريّة . فلما سمعت نزهة الزمان كلامهُ كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليهِ وقالت لهُ : يا شيخ النحس يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وأنت غدرتني وتريد ان تعذبني . فلما سمع البدوي كلامها قال لها : أَلكِ لسان تجاوبينني بهِ . وقام اليها ومعهُ سوط فضربها وقال : ان لم تسكتي قتلتكِ . فسكتت ساعة . ثم تفكرت في اخيها وما كان فيهِ من النعمة فبكت سرّاً . وفي ثاني يوم التفتت

الى البدوي وقالت لهُ : كيف تعمل عليَّ هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني . فلما سمع كلامها قسا قلبهُ وقال لها : يا بنت النحس ألكِ لسان تجاوبينني به . واخذ السوط ونزل بهِ على ظهرها الى ان غُشي عليها فانكبت على رجليهِ وقبلتهما . فكفَّ عنها وصار يشتمها ويقول لها : وحق طرطوري ان رأيتكِ او سمعتكِ تبكين قطعت لسانكِ . فعند ذلك سكتت ولم تردَّ جوابًا وآلمها الضرب فقعدت على القرفصاء ونكست رأسها ونظرت الى حالها وذلها بعد عزها وما حلَّ بها من الضرب وتفكرت في حال اخيها وفي مرضه ووحدتهِ واغترابهما وارسلت دموعها على وجنتاها وبكت سرًا وانشدت تقول :

من عادة الدهر ادبارٌ واقبالُ ... فما يدوم لهُ بين الورى حالُ
وكل شيءٍ من الدنيا لهُ أَجلٌ ... وتنقضي لجميع الناس آجالُ
كم احمل الضيم والاهوال يا اسفي ... من عيشة كلها ضيمٌ واهوالُ
لا اسعدَ الله اياماً عززت بها ... دهرًا وفي طيّ ذاك العزّ اذلالُ
قدخاب قصدي وآمالي بها انصرمت ... وقد تقطع بالتغريب اوصالُ
يا من يمرُّ على دارٍ بها سكني ... بلّغهُ عنيَ ان الدمع هطالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي وعطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها : انا لا احبُّ من يجاوبني في وقت الغيظ وانتِ بعد ذلك لا تجاوبيني بشيءٍ من هذا الكلام الفاحش وانا ابيعكِ لرجل جيد مثلي يفعل معكِ الخير مثل ما فعلت معكِ . قالت : نعمَ ما تفعل . ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيئًا يسيرًا

(الليلة السادسة والخمسون) . ثم ان البدوي أمر جماعتهُ ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملًا واردف نزهة الزمان خلفه وساروا . وما زالوا

سائرين مدة ثلثة ايام الى ان دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب النائب. ونزهة الزمان قد تغيَّر لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك. فاقبل عليها البدوي وقال لها: يا حضريَّة وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعكِ الَّا ليهودي. ثم انهُ قام وأخذ بيدها وادخلها في مكان وتمشّى الى السوق ومرَّ على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ويقول لهم: عندي جارية اتيت بها واخوها ضعيف. فارسلتهُ الى اهلي ببلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ. وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها ما انفكت تبكي وصعب عليها فراقه. واريد من الذي يحب ان يشتريها مني ان يلين لها الكلام ويقول لها: ان اخاكِ عندي في القدس ضعيف وانا أُرخص لهُ ثمنها. فنهض لهُ رجل من التجار وقال لهُ: كم عمرها. فقال: هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها بهِ وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها. فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال لهُ: اعلم يا شيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتثني على عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطاً ان قبلتها نقدتك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك. فقال لهُ البدوي: ان شئت فاذهب بها الى السلطان واشرط عليَّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما يستحسنها ويعطيك ثمنها ويكثر لكَ الربح فيها. فقال لهُ التاجر: وانا لي عنده حاجة وهي ان يكتب لي مرسوماً في الديوان بان لايؤخذ مني مكسٌ. ثم تكتب انت الى والده عمر بن النعمان بان يكون لهُ التفات اليَّ ورعاية. فان قبل الجارية مني وزنتُ لكَ ثمنها في الحال. فقال البدوي: قبلت منك هذا الشرط. ومشيا

الى ان اقبلا الى المكان الذي فيهِ نزهة الزمان ووقف البـدوي على باب المخزن وناداها : يا ناجية . وكان سماها بهذا الاسم . فلما سمعتهُ بكت ولم تجبهُ . فالتفت البدوي الى التاجر وقال لهُ : ها هي قاعدة . دونك واياها . فاقبلْ عليها وانظرها ولاطفها مثلما اوصيتك . فتقدم التاجر اليها بخلق حسن فرآها بديعـة في الحسن والجمال لاسيما انها كانت تعرف بلسان العرب . فقال التاجر : ان كانت كما وصفت لي فاني ابلغ بها عند السلطان ما اريد . فقال لها التاجر : السلام عليكِ يا بنية كيف حالكِ . فالتفتت اليهِ وقالت : كان ذلك في الكتاب مسطورًا . ونظرت اليهِ فاذا هو رجل محتشم ووجههُ حسن . فقالت في نفسها : أظن ان هذا جاء يشتريني . ثم قالت : ان امتنعت منهُ صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب . فعلى كل حال هذا رجل وجههُ حسن وهو ارجى للخير من هذا البـدوي الجلف . ولعلهُ ما جاء الَّا ليسمع منطقي فاني اجاوبهُ جوابًا حسنًا . كل ذلك وعينها الى الارض . ثم رفعت بصرها اليهِ وقالت لهُ بكلام عذب : وعليك السلام يا سيدي ورحمة الله وبركاته بهذا أمر النبي صلى الله عليهِ وسلَّم . واما قولك كيف حالـكِ فان شئتَ ان تعرفه فلا تتمناهُ الَّا لاعدائكَ . ثم سكتت . فلما سمع التاجر كلامها طار عقلهُ فرحًا بها . ثم التفت الى البدوي وقال لهُ : كم ثمنها فانها جليلة . فاغتاظ البدوي وقال لهُ : أفسدتَ عليَّ الجارية بهذا الكلام لايّ شيءٍ تقول انها جليلة مع انهـا من سافلات الجواري ورعاع الناس . فلا ابيعها لكَ . فلما سمع التاجر كلامه عرف انهُ قليل العقل وقال لهُ : روّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي ذكرتها . فقال البدوي : وكم تدفع لي فيها . فقـال لهُ التاجر : ما يسمّي الولد الَّا ابوهُ فاطلبْ فيها غرضك . فقال لهُ البدوي : ما يتكلم الَّا أنت . فقال التاجر في نفسه : هـذا البدوي غبيٌّ ناشف الرأس . والله انا لا اعرف لها قيمة الَّا انها ملكت قلبي

بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها. لكن هذا البدوي لا يعرف لها قيمة . ثم التفت الى البدوي وقال لهُ : يا شيخ العرب ادفع لكَ فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجاً عن الضمان وحق السلطان . فلما سمع البدوي ذلك اغتاظ غيظاً شديداً وصرخ على التاجر وقال لهُ : قم الى حال سبيلك. والله ان اعطيتني مائتي دينار في قطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك. وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين. ثم صاح عليها وقال : تعالي يامنتنة انا لا ابيعكِ . ثم التفت الى التاجر وقال لهُ : كنت احسبك اهل معرفة . وحقّ طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنَّكَ ما لا يرضيك. فقال التاجر في نفسه : ان هذا البدوي مجنون لا يعرف قيمتها ولا اقول لهُ شيئاً في ثمنها في هذا الوقت لانهُ لو كان صاحب عقل ما قال وحقّ طرطوري . والله انها تساوي ملك كسرى . وانا ما معي ثمنها . ولكن ان طلب مني زيادة اعطيهِ ما يريد ولو اخذ جميع مالي . ثم التفت الى البدوي وقال لهُ : يا شيخ العرب طوّل بالك وروّض نفسك وقُل لي ما لها من الثياب عندك. فقال لهُ البدوي : وما يصلح لهذه المنتنة من الثياب . ان هذه العباءة التي هي ملتفة بها كثيرة عليها

(الليلة السابعة والخمسون) . ثم ان التاجر قال لها : يا سيدتي ما اسمكِ . فقالت لهُ : تسأل عن اسمي اليوم او قبل هذا اليوم . فقال لها : انتِ لكِ اسم اليوم واسم قبل هذا اليوم . قالت : نعم اسمي قبل هذا اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان . فلما سمع التاجر هذا الكلام منها اغرورقت عيناه بالدموع وقال لها : هل لكِ اخ ضعيف . فقالت : اي والله يا سيدي ولكن فرّق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس . فتحيّر عقلهُ من عذوبة منطقها وقال في نفسه : لقد صدق البدوي في مقالته . ثم ان نزهة الزمان تذكرت

اخاها ومرضهُ وغربته وافتراقهـا عنهُ وهو ضعيف وهي لا تعلم ما وقع لهُ وتذكرت كيف جرى لها هذا الامر مع البدوي وبُعدها عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيات :

حيثما كنتَ قد وقاكَ الهي ... ايها الراحلُ المقيم بقلبي
ولكَ الله حيث امسيتَ جارٌ ... حافظٌ من صروف دهرٍ وخطبِ
غبتَ فاستوحشت لقربك عيني ... واستهلّت مدامعي ايَّ سكبِ
ليت شعري بايّ ربعٍ وارضٍ ... انت مستوطنٌ بـدارٍ وشعب
ان تكن شاربًا لماء حيوةٍ ... خضر الورد فالمدامع شربي
ان شهدت الرقاد يومًا لجمرٌ ... من سهادي بين الفراش وجنبي
كلُّ شيءٍ الّا فراقكَ سهلٌ ... عنـد قلبي وغيرهُ غيرُ صعبِ

فلما سمع التاجر ما قالتهُ من الشعر بكى ومدَّ يده ليمسح دموعها عن خدها. فغطت وجهها وقالت لهُ : حاشاكَ يا سيدي . ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها يجري . وكان معهُ مقود جمل فضربها بهِ على اكتافها . فجاءت الضربة بقوة . فاكبّت بوجهها على الارض . فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقتهُ فسال دمها على وجهها . فصرخت صرخة عظيمة وبكت حتى غشي عليها . وبكى التاجر معها . فقال التاجر : لا بدَّ ان اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبًا واريحها من هذا الظالم . وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها . فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعتِ طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول :

وارحمتـا لعزيزةٍ ... بالضيم قد صارت ذليله

تبكي بدمعٍ هاطلٍ وتقولُ ما في الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت لهُ بصوت خفي : بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى . فاني ان بتُّ هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي . فخلصني منهُ يخلصك الله من نار جهنم . فقام التاجر وقال للبدوي : يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعني اياها بما تريد . فقال البدوي : خذها وادفع ثمنها والَّا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلمّ البعر وترعى الجمال . فقال التاجر : اعطيك خمسين الف دينار . فقال البدوي : يفتح الله تعالى . فقال التاجر : سبعين الف دينار . فقال البدوي : يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار . فقال لهُ التاجر : انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم بالف دينار شعيرًا ولكن انا اقول لكَ كلمة واحدة فان لم ترضَ بها غمزت عليك نائب دمشق فيأخذها منك قهرًا . فقال البدوي : تكلم . فقال : بمائة الف دينار . فقال البدوي : بعتك اياها بهذا الثمن واحسبُ انني اشتريت بها ملحًا . فلما سمعهُ التاجر ضحك ومضى الى منزله واتاه بالمال وقبضهُ اياه . فاخذه البدوي وقال في نفسه : لا بدّ ان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيءُ بهِ وابيعه . ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس . فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده

(الليلة الثامنة والخمسون) . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانهُ لما اخذها التي عليها شيئًا من ثيابه ومضى بها الى منزله والبسها افخر الملبوس واخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغًا مما طلبتهُ ووضعهُ في صرةٍ من الاطلس ووضعها بين يدي نزهة الزمان وقال لها : هذا كلهُ من اجلكِ ولا أريد منكِ الَّا اذا ذهبت بكِ الى السلطان نائب دمشق

ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك بهِ وان كان قليلاً في ظفرك . فاذا وصلتِ اليهِ واشتراكِ مني اذكري لهُ ما فعلت معكِ واطلبي لي منهُ منشوراً سلطانياً توصية لي لأذهب بهِ الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني مكساً على نسيج او غيره من جميع ما اتجر فيه . فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت . فقال لها التاجر : يا سيدتي اني اراكِ كلما ذكرت بغداد تدمع عيناكِ . ألكِ فيها احد تحبينه فان كان تاجراً او غيره فأخبريني بهِ فانا اعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم . وان اردتِ رسالةً انا اوصلها اليهِ . فقالت : والله ما لي معرفة بتاجر ولا غيره وانما لي معرفة بالملك عمر بن النعمان صاحب بغداد . فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحاً شديداً وقال في نفسه : والله اني وصلت الى ما أُريد . ثم قال لها : هل عُرضتِ عليهِ سابقاً . فقالت : لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة . فان كان غرضك ان الملك عمر بن النعمان يكتب لك ما تريد فأتني بدواةٍ وقرطاس فاني اكتب لك كتاباً . فاذا دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر بن النعمان وقل لهُ : ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام . حتى بيعت من مكان الى مكان . وهي تقرئك السلام . واذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق . فتعجب التاجر من فصاحتها وقال : ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلكِ وباعوكِ بالمال . فهل تحفظين القرآن . قالت : نعم واعرف الحكمة والطب . ومقدمة المعرفة . وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحتهُ ايضاً . وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار . وتكلمت عن القانون المكي لابن سينا وحللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت

الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم وألفت في علم المنطق والبيان والحساب والجداول واعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها. ثم قالت للتاجر: ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في سفرك الى بلادك ويغنيك عن مجلدات الاسفار. فلما سمع التاجر ذلك منها صاح: بخ بخ فيا سعد من تكونين في قصره. ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس. فلما احضر التاجر ذلك بين يديها قبَّل الارض تعظيماً لها. فاخذت نزهة الزمان الدُرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعرًا:

النوم من مقلتي قد طار او نفرا ... أأنتَ علّمت طرفي بعدكَ السهرا
وما لذكركَ يصلي النار في كبدي ... اهكذا كلُّ صبٍّ للهوى ذكرا
سقياً لايامنا ما كان اطيبها ... ولّت ولم اقضِ من لذاتها وطرا
استعطف الريح ان الريح حاملةٌ ... الى المتيم من اكنافكم خبرا
يشكو اليكَ محبٌّ قلَّ ناصرهُ ... وللفراق خطوبٌ تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول: من اخترمها الفكر. وانحلها السهر. فظلمتها لا تجد لها من انوار. ولا تعلم الليل من النهار. وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق. وهي للنجوم رقيبة. وللظلام نقيبة. قد اذابها الفكر والنحول. وشرحُ حالها يطول. لا مساعد لها غير العبرات. وانشدت تقول هذه الابيات:

ما غردت سحرًا ورقاء في فننٍ ... الّا تحرّكَ عندي قاتل الشجنِ
ولا تأوّه مشتاقٌ به طربٌ ... الى الاحبّة الّا زادَ بي حزَني
اشكو الغرامَ الى من ليس يرحمني ... كم فرّق الوجد بين الروح والبدنِ

ثم افاضت دموع العين. وكتبت ايضاً هذين البيتين:

ابلى الهوى اسفاً يوم النوى بدني وفرّق الهجر بين الجفن والوسنِ
كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ثم افاضت دموع العين. وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج : هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان . الحزينة القلب والجنان . نزهة الزمان

(الليلة التاسعة والخمسون) . ثم لفت الدرج وناولتهُ التاجر . فاخذه وقبلهُ وعرف ما فيه ففرح وقال : سبحان من صوركِ . وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كلهُ . فلما اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء. فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمَّام وأتاها ببلاَّنة وقال لها : اذا فرغتِ من غسل رأسها فالبسيها الاثواب . ثم ارسلي اعلميني بذلك . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم احضر لها طعاماً وفاكهة وشمعاً وجعل ذلك على مصطبة الحمَّام . فلما فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبتهِ وارسلت البلانة اعلمتهُ وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فأكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنَّاع الحمام وحارسه . ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلاً عنها في مكان آخر . فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصاً رفيعاً واخذ كوفية بالف دينار وحلة تركيةً مزركشة وخفاً مزركشاً بالذهب الاحمر مرصَّعاً بالدر والجوهر . وجعل في اذنيها حلقاً من ذهب مرصعاً بلؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقاً من ذهب وقلادة من عنبر فيها عشر أُكر وتسعة اهلّة كل هلال في وسطه فصّ من ياقوت وكل اكرة فيها فصّ من البلخش وثمن تلك القلادة ثلثة الاف دينار . وكل اكرة بعشرين الف درهم. فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال . فلما لبستها امرها التاجر ان تتزيَّن . فتزيَّنت باحسن الزينة وارخت على عينيها خاقونية ومشت ومشى التاجر قدَّامها . فلما عاينها الناس بُهتوا

من حسنها وقالوا: تبارك الله احسن الخالقين . وما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه الى ان دخل على السلطان شركان . فلما دخل على الملك قبّل الارض بين يديه وقال: ايها الملك السعيد اتيت اليك بهدية غريبة الاوصاف معدومة المثال في هذا الزمان حازت الحسن والاحسان . فقال له الملك: ارني اياها عياناً . فخرج التاجر واتى بها وهي خلفهُ الى ان اوقفها قدام الملك شركان . فلما رآها حنّ الدم الى الدم وكانت قد فارقتهُ وهي صغيرة ولم ينظرها لانهُ بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختاً تسمّى نزهة الزمان واخاً يسمى ضوء المكان فكان يبغضها لاجل المملكة . فهذا سبب قلة معرفته بها . ثم ان التاجر قال له: يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية . فقال الملك للتاجر: خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها ورح الى حال سبيلك . فقال له: سمعاً وطاعة . ولكن اكتب لي مرقوماً على اني لا ادفع عشرًا ابدًا على تجارتي . فقال الملك: اني اول ما افعل ذلك . ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها . فقال: وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار . فلما سمع الملك هذا الكلام قال: انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك . ثم دعا بخازن داره وقال له: اعطِ لهذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار فيكون له مائة وعشرون الف دينار فائدةً . ثم احضر السلطان شركان القضاة الاربعة وسلمهُ المال بحضرتهم وقال للقضاة: أشهدكم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها . فكتب القضاة حجة باعتاقها . ثم كتبوا كتابهُ عليها . ونثر الملك على رؤوس الحاضرين ذهباً كثيرًا فصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من المال . ثم بعد ذلك امر الملك شركان بكتابة منشور للتاجر بعد ان سلمهُ المال وكتب التوقيع مخلداً بانهُ

لا يدفع على تجارتهِ عشرًا ولا مكسًا ابدًا ولا يتعرض لهُ احد بسوء في سائر مملكتهِ . وبعد ذلك أمر لهُ بخلعة سنية

(الليلة الموفية للستين) . وعند ذلك انصرف الجميع من عنده ولم يبقَ عنده غير القضاة والتاجر . فقال للقضاة : اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه . فقالوا : لا باس بذلك . فامر بارخاء ستارة بينه وبين من معهُ وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتي مع الجارية خلف الستارة يهنينها ويقبلنَ يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك . ثم سمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية ما مثلها في الجمال والعلم والحكمة والحساب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة وعشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابهُ عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى تجاوبهم على ما يسألونها ويناظرونها بهِ . فطلب النساء الاذن من ازواجهنَّ ومضينَ الى القصر الذي فيهِ نزهة الزمان . فلما دخلنَ عليها وجدنَ الخدم وقوفًا بين يديها . فحين رأت نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة داخلةً عليها قامت لهنَّ على اقدامها وقابلتهنَّ ووقفت الجواري خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم في وجوههنَّ فاخذت بقلوبهنَّ . ثم وعدتهنَّ بكل خيرٍ وانزلتهنَّ في مراتبهنَّ كانها تربَّت معهنَّ . فتعجبنَ من عقلها وادبها مع حسنها وجمالها وقلنَ بعضهنَّ لبعض : ما هذه جارية بل ملكة بنت ملك . فجلسنَ يعظمنَ قدرها وقلنَ لها : يا سيدتنا اضاءت بكِ بلدتنا وشرفت بلادنا واماكننا واوطاننا ومملكتنا . فالمملكة مملكتكِ والقصر قصركِ وكلنا جواريكِ . فبالله لا تحرمينا من احسانكِ والنظر الى حسنكِ . فشكرتهنَّ على ذلك . هذا كلهُ والستارة مرخاة بينها ومن عندها من

النساء وبين الملك شركان والقضاة الاربعة والتاجر وهم جالسون بجانب الملك . فعند ذلك ناداها الملك شركان وقال لها : ايتها الملكة العزيزة في زمانها ان هذا التاجر قد وصفكِ بالعلم والادب وادّعى انكِ تعرفين جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا شيئاً مما ذكرتهِ لذلك التاجر واذكري لنا من هذا الشيء باباً يسيراً . فلما سمعت كلامهُ قالت : سمعاً وطاعة ايها الملك . الباب الاول في السياسات والاداب الملكية وما ينبغي لولاة الامور الشرعية وما يلزم لهم من قِبل الاخلاق المرضية . اعلم ايها الملك ان محاسن الخلق مجموعة في الدين والدنيا فلا يتوصل احد الى الدين الّا بالدنيا لانها نعم الطريق الى الآخرة وليس ينتظم امر الدنيا الّا باعمال اهلها . واعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة . فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة . لان الامارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق الى الآخرة . لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد . فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصلهُ الى الله ولا يتبع في ذلك نفسهُ وهواه . ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى . فتسببت عن انهماكهم بها الخصومات . فاحتاجوا الى السلطان لاجل ان ينصف بينهم ويضبط امورهم . ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم ضعيفهم . وقد قال ازدشير : ان الدين والملك توأمان . فالدين كنز والملك حارس . وقد دلت الشرائع والعقول على انهُ يجب على الناس ان يتخذوا سلطاناً يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوي ويكف بأس العاتي والباغي . واعلم ايها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانهُ قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شيئان في الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء

والامراء . وقد قال بعض الحكماء : الملوك ثلثة . ملك دين . وملك محافظ على الحرمات . وملك هوًى . فاما ملك الدين فانه يلزم رعيتــه باتباع دينهم وينبغي ان يكون أدينهم لانهُ هو الذي يقتدى بهِ في امور الدين ويلزم الناس طاعته فيما امر بهِ موافقــاً للاحكام الشرعية . ولكنهُ ينزّل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار . واما الملك المحــافظ على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعاً بين القلم والسيف . فمن زاغ عما سطر القلم وزلت بهِ القدم فيقوّم اعوجاجهُ بحد الحسام . وينشر العدل في جميع الانام . واما ملك الهوى فلا دين لهُ الّا اتباع هواه فلا يخشى سطوة مولاه الذي ولّاه فمآل ملكه الى الدمار . ونهاية عتوه الى دار البوار . وقالت الحكماء : الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتــاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفاً باخلاقهم ليردّ اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم بعدلهِ ويغمرهم بفضلهِ . واعلم ايها الملك ان ازدشير وهو اول بني ساسان وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها اربعة اقسام وجعل لهُ من اجل ذلك اربعة خواتم لكل قسم خاتم . الاول خاتم البحر والشرطة والمحــامات وكتبَ عليهِ النيابات . والثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة . والثالث خاتم القوت وكتبَ عليــه الرخاء . والرابع خاتم المظالم وكتبَ عليهِ العدل . فبقيت واستمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام

(الليلة الحادية والستون) . وكتب كسرى لابنه وهو في جيشه : لا توسعنَّ على جيشــك فيستغنوا عنــك . ولا تضيق عليهم فيضجروا منــك . واعطهم عطاء قصدًا وامنحهم منحًا جميلًا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة . ورُوي ان اعرابياً جاء الى المنصور وقال لهُ : اجعل كلبك يتبعك .

فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منهُ هذا الكلام . فقال ابو العباس الطوسي : اخشى ان يلوح لهُ غيرك برغيف فيتبعه ويتركك . فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطئ . وأمر للاعرابي بعطية . واعلم ايها الملك ان عبد الملك بن مروان كتب لاخيه عبد العزيز حين وجهه الى مصر : تفقَّد كتَّابك وحجَّابك فان الثابت يخبرك عنهُ كتَّابك . والتوسيم تعرّفك بهِ حجَّابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ اذا استخدم خادماً شرط عليه اربعة شروط : ان لا يركب البراذين . وان لا يلبس الثوب الرقيق . وان لا يأكل من الفيء . وان لا يؤخر الصلاة عن وقتها . وقيل : لا مال اجود من العقل . ولا عقل كالتدبير والحزم . ولا حزم كالتقوى . ولا قربة كحسن الخلق . ولا ميزان كالأدب . ولا فائدة كالتوفيق . ولا تجارة كالعمل الصالح . ولا ربح كثواب الله . ولا ورع كالوقوف عند حدود السنَّة . ولا علم كالتفكر . ولا عبادة كأداء الفرائض . ولا ايمان كالحياء . ولا حسب كالتواضع . ولا شرف كالعلم . فاحفظ الرأس وما حوى . والبطن وما وعى . واذكر الموت والبلاء . وقال علي كرَّم الله وجهه : اتقوا اشرار النساء وكونوا منهنَّ على حذر ولا تشاوروهنَّ في امر ولا تضيقوا عليهنَّ في معروف حتى لا يطمعنَ في المكر . وقال : من ترك الاقتصاد حار عقله . ولهُ آداب نذكرها ان شاء الله . وقال عمر رضي الله عنهُ : النساء ثلاثة . امرأة تقية وَدود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها . واخرى تُراد للولد لا تزيد على ذلك . واخرى غلّ يجعلها الله في عنق من يشاء . والرجال ايضاً ثلاثة : رجل عاقل اذا اقبل على رأيه . وآخر اعقل منه وهو مَن اذا نزل بهِ الامر لا يعرف عاقبتهُ فيأتي ذوي الرأي فينزل عند ارائهم . وآخر حائر لا يعلم رشداً ولا يطيع مرشداً .

والعدل لا بد منهُ في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجنَ الى العدل . وضربوا لذلك مثلًا في قطَّاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب في ما يقسمونهُ لاختلَّ نظامهم . وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق . وما احسن قول الشاعر :

ببذلٍ وحلمٍ ساد في قومهِ الفتى وكونكَ اياهُ عليك يسيرُ

وقال آخر :

في الحلم اتقانٌ وفي العفو هيبةٌ وفي الصدق منجاةٌ لمن كان صادقا
ومن يلتمس حسن الثناء بمالهِ يكن بالندى في حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون : ما رأينا احدًا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية . فلعلها تسمعنا شيئًا من غير هذا الباب . فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمتهُ فقالت : واما باب الادب فانه واسع المجال لانهُ مجمع الكمال . فقد اتفق انه دخل على معاوية رجل من ندمائهِ فذكر اهل العراق وحسن رايهم وزوجته ميسون ام يزيد تسمع كلامهما . فلما انصرف قالت : يا امير المؤمنين احب ان تأذن للقوم من اهل العراق في الدخول عليك ليتحدثوا معك فأسمع حديثهم . فقال معاوية : انظروا من بالباب . فقالوا بنو تميم . قال : ليدخلوا . فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس . فقال له معاوية . اقرب مني يا ابا بحر . وضرب بينهما سترٌ بحيث تسمع كلامهما فقال : يا ابا بحر كيف رأيك لي . قال : افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظفار وانتف الابط وأدم السواك فان فيهِ اثنين وسبعين فضيلةً . وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين

(الليلة الثانية والستون) . قال معاوية للاحنف بن قيس : كيف

رايكَ لنفسك . قال : اطأ بقدمي على الارض وانقلها على تمهل واراعيها بعيني . قال : كيف رايكَ اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء . قال : أطرقُ حياء وابدأُ بالسلام وأدعُ ما لا يعنيني وأقلّ الكلام . قال : كيف رايكَ اذا دخلت على نظرائك . قال : استمع لهم اذا قالوا . ولا اجول عليهم اذا جالوا . فقال : كيف رايكَ اذا دخلت على أمرائك . قال : اسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة . فان قرّبوني قربتُ . وان ابعدوني بعدتُ . فقال معاوية : احسنت في الجواب فقل عن حاجتك . فقال : حاجتي ان تتقي الله في الرعية وتعدل بينهم بالسوية . ثم نهض قائماً من مجلس معاوية . فلما ولّى قالت ميسون : لو لم يكن بالعراق الّا هذا لكفاه . ثم ان نزهة الزمان قالت : وهذه النبذة من جملة باب الادب

(الليلة الثالثة والستون) . قالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت : واعلم ايها الملك انه كان معيقيب عاملًا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب . فاتفق انهُ رأى ابن عمر فاعطاه درهماً من بيت المال . (قال معيقيب) وبعد ان اعطيتهُ الدرهم انصرفت الى بيتي . فبينما انا جالس واذا رسول عمر جاءني . فرهبت منهُ وتوجهت اليه . فاذا الدرهم في يده . فقال لي : ويحكَ يامعيقيب اني وجدت في نفسك شيئاً . قلت : وما ذلك . قال : انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة . وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري كتاباً مضمونه : اذا جاءكَ كتابي هذا فاعطِ الناس الذي لهم واحمل اليّ ما بقي . ففعل . فلما ولي عثمان الخلافة كتب الى ابي موسى مثل ذلك . ففعل . وجاء زياد معهُ . فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فاخذ منهُ درهماً . فبكى زياد . فقال عثمان : ما يبكيك . قال : اتيت عمر بن الخطاب بمثل

ذلك فاخذ ابنهُ درهماً فأمر بنزعه من يده • وابنك اخذ فلم ارَ احداً قال لهُ شيئاً او ينزعهُ منه • فقال عثمان : واين تلقى مثل عمر • وروى زيد بن اسلم عن ابيهِ انهُ قال : خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تُضرم فقال : يا اسلم اني احسب هؤلاء ركباً اضرَّ بهم البرد . فانطلق بنا اليهم . فخرجنا حتى اتينا اليهم . فاذا امرأة توقد ناراً تحت قدر ومعها صبيان يتضوَّرون • فقال عمر : السلام عليكم اصحاب الضوء • وكره ان يقول اصحاب النار • ما بالكم . قالت : اضرَّ بنا البرد والليل • قال : فما بال هؤلاء القوم يتضورون • قالت : من الجوع • قال : فما هذه القدر • قالت : ما أسكتهم بهِ • وانَّ عمر بن الخطاب ليسألهُ الله عنهم يوم القيامة • قال : وما يدري عمر بحالهم • قالت : كيف يتولَّى امور الناس ويغفل عنهم • (قال اسلم) فاقبل عمر عليَّ وقال : انطلق بنا . فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلاً فيهِ دقيق واناء فيهِ شحم • ثم قال : حملني هذا • فقلت : انا احملهُ عنك يا امير المؤمنين • فقال : اتحمل عني وزري يوم القيامة • فحملتهُ اياه • وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها . ثم اخرج من الدقيق شيئاً وجعل يقول للمرأة : ترددي اليَّ • وكان ينفخ تحت القدر • وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ . واخذ مقداراً من الشحم فرماه فيهِ ثم قال : اطعميهم وانا ابرّد لهم • ولم يزالوا حتى اكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها • ثم اقبل عليَّ وقال : يا اسلم اني رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيتهُ

(الليلة الرابعة والستون) • ثم ان نزهة الزمان قالت : قيل انَّ عمر مرَّ براعٍ مملوكٍ فاستباعهُ شاةً فقال لهُ : انها ليست لي • فقال : انت القصد • فاشتراه ثم اعتقه • فقال : اللهمَّ كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر . وقيل :

ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في اعطائهم . واعطى رجلًا اربعة الاف درهم وزاده الفًا . فقيل لهُ : اما تريد ابنك كما زدت هذا . قال : هذا ثبت والده يوم أُحد . وقال الحسن : أُتي عمر بمال كثير فأتتهُ حفصة فقالت لهُ : يا امير المؤمنين حقّ قرابتك . فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومكِ واغضبت اباكِ. فقامت تجرّ ذيلها . وقال ابن عمر : تضرعت الى ربي سنة من السنين ان يريني ابي حتى رأيتهُ يمسح العرق عن جبينه . فقلت لهُ : ما حالك يا والدي . فقال : لولا رحمة ربي لهلك ابوك . ثم قالت نزهة الزمان : اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الاول من اخبار التابعين وسائر الصالحين . قال الحسن البصري : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الّا وهو يتأسف على ثلثة اشياء : عدم تمتعه بما جمع . وعدم ادراكه لما أمّل . وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه . وقيل لسفيان : ايكون الرجل زاهدًا ويكون لهُ مال . قال : نعم اذا كان متى أُبتلي صبر . واذا أُعطي شكر . وقيل : انهُ لما حضرتْ عبدالله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدًا فاوصاه وقال لهُ : يابنيَّ اني لأرى داعي الموت قد دعاني . فعليك بتقوى الله في السرّ والعلانية والشكر لله والصدق الحديث . فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد كما قال بعضهم :

ولستُ ارى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد حقًا وعند الله تلقى ما تريدُ

ثم قالت نزهة الزمان : ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول . قيل لها : وما هي . قالت : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة

جاء اهلَ بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه في بيت المال . ففزعت بنو امية الى عمته فاطمة بنت مروان . فارسلت اليهِ قائلةً انهُ لا بدَّ من لقائك . ثم أتتهُ ليلًا فانزلها عن دابتها . فلما اخذت مجلسها قال لها : يا عمة انتِ اولى بالكلام لان الحاجة لكِ . فاخبريني عن مرادكِ . فقالت : يا امير المؤمنين انتَ أَولى بالكلام ورايكَ يستشفُ ما يخفى عن الافهام . فقال عمر بن عبد العزيز : ان الله تعالى بعث محمدًا رحمة لقومٍ وعذابًا على آخرين . ثم اختار لهُ ما عنده فقبضه اليهِ

(الليلة الخامسة والستون) . وتركَ للناس نهرًا يشربون منهُ . ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضي الله . ثم قام عمر مقامه فعمل عملًا واجتهد اجتهادًا ما يقدر احد على مثله . فلما قام عثمان اشتقَّ من النهر نهرًا . ثم ولي معاوية فاشتقَّ الانهار منهُ . ثم لم يزل كذلك يشتق منهُ يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان . ويبس النهر الاعظم . حتى آل الامر اليَّ فاحببت ان اردَّ النهر الى ما كان عليه . فقالت : قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط . فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لكَ شيئًا . ورجعت الى بني امية فقالت لهم : ذوقوا عاقبة امركم بتزويجكم الى عمر . وقيل : لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع اولادهُ حوله . فقال لهُ مسلمة بن عبد الملك : يا امير المؤمنين كيف تترك اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد في حياتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم . وهذا أولى من ان ترجعهُ الى الوالي بعدكَ . فنظر الى مسلمة نظر مُغضبٍ متعجب ثم قال : يا مسلمة منعتهم ايام حياتي فكيف اشقى بهم بعد مماتي . ان اولادي ما بين رجلين . اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنهُ . او عاصٍ فما كنت لأعينه على معصية . يا مسلمة اني حضرت واياك حين دفن بعض بني مروان . فحملتني عيني عنده فرأيتهُ في المنام افضى الى

امر من امور الله عزّ وجلّ فهالني وراعني . فعاهدت الله ان لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي وارجو اني افضي الى عفو ربي . قال مسلمة : توفي رجل حضرت دفنهُ . فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيتهُ فيما يرى النائم في روضة فيها انهار جارية وعليهِ ثياب بيض . فاقبل عليَّ وقال : يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون . ونحو هذا كثير . وقال بعض الثقات : كنت احلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز . فمررت براعٍ فرأيت في غنمه ذئباً او ذئاباً . فظننت انها كلاب ولم اكن رأيت الذئاب قبل ذلك . فقلت : ما تصنع بهذه الكلاب فقال : انها ليست كلاباً بل هي ذئاب . فقلت : هل ذئاب في غنم لم تضرها . فقال : اذا صلح الرأس صلح الجسد . وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من الطين فحمد الله تعالى واثنى عليهِ . ثم تكلم بثلث كلمات فقال : ايها الناس اصلحوا اسراركم تصلح علانيتكم لاخوانكم وتُكفوا امر دنياكم . واعلموا ان الرجل ليس بينهُ وبين آدم رجل حيّ في الموتى . مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده . فقال لهُ مسلمة : يا امير المؤمنين لو عملنا لكَ متكأً لتعتمد عليهِ قليلاً . فقال : اخاف ان يكون في عنقي منهُ اثمٌ يوم القيامة . ثم شهق شهقة فخرَّ مغشياً عليهِ . فقالت فاطمة : يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا الى هذا الرجل . فجاءت فاطمة تصبّ عليهِ الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال : ما يبكيكِ يا فاطمة . قالت : يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله تعالى للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكاني . فقال : حسبكِ يا فاطمة فلقد ابلغتِ . ثم قام فسقط . فضمتهُ فاطمة اليها وقالت : بابي انت وامي يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا . ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لا تعرفهُ وللقضاة الاربعة تتمة الفصل

الثاني من الباب الاول

(الليلة السادسة والستون) . اتفق انهُ كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل الموسم : اما بعد فاني اشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني أبرأ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان كنت امرت بذلك او تعمدتهُ او يكون امرٌ من اموره بلغني او احاط بهِ علمي . وارجو ان يكون لذلك موضعٌ من الغفران . الَّا انهُ لا اذن مني في ظلم احد فاني مسئول عن كل مظلوم واي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنَّة فلا طاعة لهُ عليكم حتى يرجع الى الحق . وقال رضي الله عنهُ : ما احب ان يخفف عني الموت لانهُ آخر ما يؤجر عليهِ المؤمن . وقال بعض الثقات : قدمت على امير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثني عشر درهمًا فأمر بوضعها في بيت المال . فقلت : يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالًا لا شيء لهم . فلو اوصيت لهم بشيء . والى من هو فقير من اهل بيتك . فقال : ادنُ مني . فدنوت منهُ فقال : أما قولكَ افقرت اولادك فاوصِ اليهم او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد . لان الله خليفتي على اولادي وعلى من هو فقير من اهل بيتي وهو وكيل عليهم . وهم ما بين رجلين . اما رجل يتقي الله فسيجعل الله لهُ مخرجًا . واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم اكن لأقويهِ على معصية الله . ثم بعث اليهم واحضرهم بين يديه وكانوا اثني عشر ذكرًا . فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالبكاء ثم قال : انَّ اباكم ما بين امرين . اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار . واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم الجنة . ودخول ابيكم الجنة احبُّ اليهِ من ان تستغنوا . قوموا عصمكم الله فقد وكلت امركم الى الله . وقال خالد بن صفوان : صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك . فلما قدمت عليهِ وقد خرج بقرابته

وخدمه فنزل في ارض وضربت له خيمة . فلما اخذت الناس مجالسهم خرجتُ من ناحية البساط فنظرتُ اليه . فلما صارت عيني في عينه قلت له : اتمّ الله نعمتهُ عليكَ يا امير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدًا ولا خالط سرورك اذًى ولم اجد لكَ نصيحة يا امير المؤمنين أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك . فاستوى جالسًا وكان متكئًا وقال : هات ما عندكَ يا ابن صفوان . فقال : يا امير المؤمنين ان ملكًا من الملوك خرج قبلك في عامٍ قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه : هل رأيتم مثل ما انا فيهِ وهل أُعطي احد مثل ما أُعطيته . وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه . فقال : ايها الملك انك سألت عن امرٍ عظيم اتأذن لي في الجواب عنه . قال : نعم . قال : أرأيت الذي أنت فيهِ شيئًا لم يزل ام شيئًا زايلًا . فقال : هو شيء زائل . قال : فما لي اراك قد أُعجبت بشيء تكون فيهِ قليلًا وتسأل عنهُ طويلًا وتكون عند حسابه مرتهنًا . قال : فاين المهرب واين المطلب . قال : ان تقيم في ملكك فتعمل على طاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى ياتيك اجلك . فاذا كان السحر فاني قادمٌ عليك . قال خالد بن صفوان : ثم ان الرجل قرع عليهِ بابهُ عند السحر فاذا هو قد وضع تاجهُ وتهيأ للسياحة من عظم موعظته . فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرًا حتى بلّ لحيته وأمر بنزع ما عليهِ ولزم قصره . فأتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا : اهكذا فعلت بامير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته

(الليلة السابعة والستون) . ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان : وكم في هذا الباب من النصائح اني لأعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد . ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير . فقال القضاة :

ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان . ويتيمة العصر والاوان . وما سمعنا بمثلها طول الزمان . ولا طول عمرنا . ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا . فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم : اشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الالوان . في الحال امتثلوا امره وهيئوا جميع الاطعمة . وأمر بنساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لاينصرفنَ حتى يحضرنَ الجلاء والعرس . فما جاء وقت العصر حتى مدَّت السفرة مما تشتهي الانفس وتلذّ الاعين من مشوي واوز ودجاج . واكل جميع الناس حتى اكتفوا . ورسموا لكل مغنية في دمشق تحضرنَ وكذلك جواري الملك الكبار اللاتي يعرفنَ الغناء وطلع جميعهنَّ الى القصر . فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يميناً وشمالاً ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدي الملك شركان واخذت المغاني والمواشط الصبية لتزيّنها وتلبسها فرأتها لاتحتاج الى زينة . وكان الملك شركان قد دخل الحمام . فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليهِ العروس سبع خلع . فلما اصبح جلس على الكرسي وطلع لهُ ارباب دولته وهنأُوهُ . واحضر كاتب سره وأمره ان يكتب كتاباً لوالده عمر بن النعمان بانهُ اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة . وانهُ لا بدَّ من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان . وانهُ اعتقها وكتب كتابه عليها وحملت منهُ وشكر عقلها وانهُ يسلم على اخوته ووزيره دندان وعلى سائر الامراء . وختم الكتاب وارسلهُ الى ابيه صحبة بريد . فغاب ذلك البريد شهراً كاملاً . ثم رجع اليهِ بالجواب وناولهُ اياه فأَخذه وقرأَه . فاذا فيهِ بعد البسملة : هذا من عند الولهان . الذي فقد الولدان . وهجر الاوطان . الملك عمر بن النعمان . الى ولده شركان . اعلم انهُ بعد مسيرك من عندي ضاق عليَّ المكان حتى لا استطيع صبراً . ولا اقدر ان اكتم سرًّا . وسبب

ذلك اني ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهاب الى الحجاز فخفت عليهِ نوائب الزمان ومنعتهُ من السفر الى العام الثاني او الثالث. فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهراً كاملاً

(الليلة الثامنة والستون) . فلما اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيئاً من المال وسافرا مع الحجاج الى الحج خفيةً . فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء. واني يا ولدي قد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيئان معهم . فلما جاء الحجاج سألت عنهما فما اخبرني احد . فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عادم الرقاد غريق دمع العين. وانشد يقول :

خيالهما ما ليس يبرح ساعةً جعلت لهُ في القلب اشرف موضعِ
ولولا رجاء العود ما عشت ساعةً ولولا خيال الطيف لم اتهجعِ

ثم كتب من جملة المكتوب : وبعد السلام عليكَ وعلى من عندك اعرفك انك لا تتهاون في كشف الاخبار. فان هذا علينا عار . فلما قرأ الكتاب حزن على ابيهِ وفرح لفقد اخته واخيهِ واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لاتعلم انهُ اخوها الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق . فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتاً. فارسلت تطلب شركان. فلما رأتهُ قالت لهُ : هذه بنتك فسمها ما تريد . فقال : عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم . ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلث الخرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم. فلما عاين الخرزة معلقةً في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق عينيه وعرف الخرزة حق المعرفة . ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها : من اين جاءتكِ هذه الخرزة يا جارية . فلما سمعت من شركان هذا الكلام قالت لهُ : انا سيدتك وسيدة كل

من في قصرك . اما تستحي وانت تقول يا جارية . انا ملكة بنت ملك . والآن زال الكتمان . واشتهر الامر وبان . انا نزهة الزمان . بنت الملك عمر بن النعمان . فلما سمع منها هذا الكلام لحقهُ الارتعاش واطرق برأسه الى الارض

(الليلة التاسعة والستون) وعرف انها اخته من ابيهِ فغاب عن الدنيا . فلما افاق صار يتعجب ولكنهُ لم يعرّفها بنفسه فقال لها : يا سيدتي هل انتِ بنت الملك عمر بن النعمان . قالت : نعم . فقال لها : احكي لي عن سبب فراقكِ لوالدكِ وبيعكِ . فحكت لهُ جميع ما جرى لها من الاول الى الآخر واخبرتهُ انها تركت اخاها مريضاً في بيت المقدس واخبرتهُ باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر . فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اختهُ من ابيهِ وقال في نفسه : كيف اتزوج باختي . ولكن والله لا بدَّ ان ازوجها لواحد من حجابي واذا ظهر امر ادعي اني طلقتها وزوجتها بالحاجب الكبير . ثم رفع رأسهُ وتأسف وقال : يا نزهة الزمان انتِ اختي حقيقة وانا اقول استغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيهِ فاني انا شركان ابن الملك عمر بن النعمان . فنظرت اليهِ وحققتهُ . فلما عرفتهُ غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت : لا حولَ ولا قوة الَّا بالله قد وقعنا في ذنب عظيم . ماذا يكون العمل وما اقول لابي وامي . فقال شركان : الراي ان ازوجكِ بالحاجب وادعكِ تربي بنتي عنده في بيته بحيث لايعلم احد بانكِ اختي . وهذا الذي قدره الله تعالى علينا لامر اراده . فما يسترنا الَّا زواجكِ بهذا الحاجب قبل ان يدري احد . ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل راسها . فقالت لهُ : وما تسمي البنت . قال : نسميها قضى فكان . ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها . فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها الاشربة وانواع السفوف . هذا كلهُ واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق . فلما كان يومٌ من

الايام اقبل بريد من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعهُ كتاب . فأخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة: اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزناً شديداً على فراق الاولاد . وعدمت الرقاد . ولازمني السهاد . وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول هذا الكتاب تجهز لنا المال والخراج وترسل صحبتهُ الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها . فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانهُ جاءنا من بلاد الروم عجوزٌ من الصالحات وصحبتها خمس جوارٍ وقد حُزنَ من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته . ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان . فانهنَّ حُزنَ انواع العلم والفضيلة والحكمة . فلما رأيتهنَّ احببتهنَّ وقد اشتهيتُ ان يكنَّ في قصري وفي ملك يدي . لانهنَّ لايوجد لهنَّ نظير عند سائر الملوك . فسألت المرأة العجوز عن ثمنهنَّ . فقالت : لا ابيعهنَّ الَّا بخراج دمشق . وانا ما رأيت هذا كثيراً في ثمنهنَّ فان الواحدة منهنَّ تساوي الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك . فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهنَّ بين العلماء فاذا غلبتهنَّ ارسلتها لكَ وصحبتها خراج بغداد

(الليلة السبعون) . فلما علم بذلك شركان اقبل على صهره وقال لهُ . هات الجارية التي زوجتك اياها . فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها : يا اختي ما عندكِ من الرأي في ردّ الجواب . قالت لهُ : الرأي رايك . ثم قالت لهُ وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها : ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكي لابي حكايتي واخبره بما وقع لي مع البدويّ الذي باعني للتاجر واخبره بان التاجر باعني لكَ وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي . فقال لها شركان : وهو كذلك . فاخذ شركان ابنتهُ قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج

واعطاه للحاجب وأمره بالسير مع الجارية والخراج الى بغداد ورسم له بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة اخرى . فاجابهُ الحاجب بالسمع والطاعة. وجهز شركان الجمال والبغال وكتب كتاباً وسلمهُ الى الحاجب وودَّع اختهُ نزهة الزمان وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص الذهب. وسافر الحاجب في تلك الليلة. فاتفق انهُ خرج ضوء المكان وكان معهُ الوقاد يتفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالًا وبخاتي وبغالاً محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة . فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها . فقالوا لهُ: هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد . فقال : ومن هو رئيس هذه المحامل . قيل : هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة . فعند ذلك بكى بكاء شديدًا وافتكر وتذكر امهُ واباه واخته ووطنهُ وقال للوقّاد : ما بقي لي هنا قعود بل اسافر مع هذه القافلة وامشي قليلًا قليلًا حتى اصل الى بلادي . فقال لهُ الوقاد : انا ما أمنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد . فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك . فقال ضوء المكان : حباً وكرامة . فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشدَّ لهُ حمارًا وجعل خرجه على حماره وجعل فيه شيئاً من الزاد وشدَّ وسطهُ وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله . وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد : اركب معي. فقال : لا اركب ولكن اكون في خدمتك. فقال ضوء المكان : لابدَّ ان تركب ساعةً. فركب معهُ . ثم ان ضوء المكان قال لهُ: سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي . وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس . فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول . فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم . ثم أمرهم بالمسير. وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة

فنزلوا واقاموا بها ثلثة ايام

(الليلة الحادية والسبعون) . ثم سافروا حتى دخلوا ديار بكر وهبَّ عليهم نسيم بغداد . فتذكر ضوء المكان اختهُ نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الى ابيه بغير اخته . فبكى . وأنَّ واشتكى . واشتدت بهِ الحسرات . فانشد يقول هذه الابيات :

خليليَّ كم هذا التأني وأصبرُ ... ولم يأتني حولاً رسولٌ يخبرُ
الا انَّ ايام الوصال قصيرةٌ ... فياليت ايام التفرق تقصرُ
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا ... ضنى جسدي لكنني استرُ
فان تطلبوا مني سلوّاً اقلْ لكم ... فوالله ما اسلو الى حين أحشرُ

فقال له الوقاد : اترك هذا البكاء والانين فاننا قريبان من خيمة الحاجب . فقال ضوء المكان : لا بدَّ من انشادي شيئاً من الشعر لعلَّ نار قلبي تنطفئ . فقال له الوقاد : بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت : وانا معك حيث كنت . فقال ضوء المكان : والله لا افتر عن ذلك . ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيئاً مسبلاً انواره ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت . فبينما هي تبكي اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكي وهو ينشد هذه الابيات :

لمع البرق اليماني ... فشجاني ما شجاني
من حبيبٍ كان عندي ... ساقياً كاس التهاني
يا وميض البرق هل م ... ترجعُ ايام التداني
يا عذولي لا تلمني ... انَّ ربي قد بلاني
بحبيبٍ غاب عني ... وزمانٍ قد دهاني

قد نأت نزهة قلبي عند ما ولّى زماني
وحوى لي الهمّ صرفاً وبكاسٍ قد سقاني
وأراني يا خليلي ميتاً قبل التداني
يا زماني بالتصابي عُد قريباً بالتهاني
في سرورٍ مع امانٍ من سهامٍ قد رماني
مَن لمسكينٍ غريبٍ بات مرعوب الجنانِ
ظلّ في الحزن فريداً بعد نزهة الزمانِ
حكمت فينا برغمٍ كفُّ اولاد الهوانِ

فلما فرغ من شعره صاح وخرّ مغشيًّا عليهِ

(الليلة الثانية والسبعون) . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر نزهة الزمان فانها كانت ساهرةً في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان . فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم . فقال لها : ما حاجتكِ . فقالت لهُ : قم وائتني بهذا الذي ينشد هذه الاشعار . فقال لها الخادم : اني لم اسمعهُ ولم اعرفهُ والناس كلهم نائمون . فقالت لهُ : كل من رأيتهُ مستيقظاً فهو الذي ينشد الاشعار . ففتش فلم يرَ مستيقظاً سوى الرجل الوقّاد وضوء المكان فانه كان في غشيتهِ . فلما رأى الوقاد الخادم واقفاً على رأسه خاف منهُ . فقال لهُ الخادم : هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا . فاعتقد الوقاد انها اغتاظت من انشاد الشعر فخاف وقال لهُ : والله ما هو انا . فقال لهُ الخادم : ومن هو الذي كان ينشد فدلني عليه فانت تعرفه لانك يقظان . فخاف الوقّاد على ضوء المكان وقال في نفسه : ربما ان الخادم يضرُّه بشي . فقال : لا اعرفه . فقال لهُ الخادم :

والله انك تكذب فليس هنا احدٌ يقظان الّا انت فانت تعرفه . فقال له الوقاد : والله انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد الشعر رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه . فقال له الخادم : اذا كنت تعرفه فدلني عليهِ وانا امسكه واجيء بهِ الى باب المحفة التي فيها سيدتنا او امسكهُ انت بيدك . فقال له : اذهب انت حتى آتيك بهِ . فخلاه الخادم وانصرف ودخل على سيدته واعلمها بذلك وقال : ما احد يعرفهُ وما هو الّا عابر سبيل . فسكتت . واما ضوء المكان فانهُ لما افاق من غشيتهِ رأى القمر وصل الى وسط السماء وهبَّ عليه نسيم الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته واراد ان ينشد . فقال له الوقاد : ماذا تريد ان تصنع . فقال له : اريد ان انشد شيئاً من الشعر لاطفئ بهِ نار قلبي . قال له : انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الّا لأني استرضيت خاطر الخادم . فقال له ضوء المكان : وماذا كان فاخبرني بما وقع . فقال : يا سيدي قد اتاني الخادم وانت مغشيٌّ عليك ومعهُ عصاً طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون وهو يسأل عمن كان ينشد الاشعار فلم يجد احداً مستيقظاً غيري فسألني . فقلت له : انه كان عابر سبيل . فانصرف وسلمني الله منهُ والّا كان قتلني . ثم قال لي : اذا سمعتهُ ثانياً فأتِ بهِ الينا . فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال : من يمنعني من الانشاد فانا أنشد وليجرِ عليَّ ما يجري فاني قربت من بلادي وما ابالي باحدٍ . فقال له الوقاد : انت ما مرادك الّا اهلاك نفسك . فقال له ضوء المكان : لا بد من انشادي . فقال له الوقاد : قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان في نيتي لا افارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وامك . وقد مضى لك عندي سنة ونصف ما حصل لك مني ما يضرك فما الذي اهاجك على الانشاد

ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا ليستريحوا من التعب وهم محتاجون الى النوم . فقال ضوء المكان : لا أرجع عما انا فيه . ثم حركته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات :

قف بالديار وحيِّ الاربع الدرسا ونادها فعساها ان تجيب عسى
فان اجنَّك ليلٌ من توحُّشها اوقد من الشوق في ظلماتها قبسا
ان صلَّ صلَّ عذاريه فلا عجبٌ ان يجنني لسعاً ان اجتني لعسا
يا جنةً فارقتها النفس مكرهةً لولا التأسي بدار الخلد متُّ اسى

وانشد ايضاً هذين البيتين :

كنَّا وكانت لنا الايام خادمةً والشمل مجتمعٌ في ابهج الوطنِ
من لي بدار احبائي وكان بها ضوء المكان وفيها نزهة الزَّمنِ

فلما فرغ من شعره صاح ثلث صيحات ثم وقع على الارض مغشياً عليه . فقام الوقاد وغطاه . فلما سمعت نزهة الزمان الانشاد الاول تذكرت اباها وامها وأخاها . ولما سمعت الانشاد الثاني المتضمن لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدها بكت وصاحت على الخادم وقالت له : ويلك ان الذي انشد اولاً انشد ثانياً وسمعتهُ قريباً مني والله ان لم تأتني به لانبهنَّ عليك الحاجب فيضربك ويطردك . ولكن خذ هذه المائة دينار واعطهِ اياها وائتني بهِ برفق ولا تضرَّه . فان ابى فادفع له هذا الكيس وفيه الف دينار . فان ابى فاتركهُ واعرف مكانه وصنعتهُ ومن ايِّ البلاد هو وارجع اليَّ بسرعة ولا تغب

(الليلة الثالثة والسبعون) . ثم قالت له : اياك ان ترجع اليَّ وتقول : ما وجدته . فخرج الخادم يضرب في الناس ويدوس في الخيم . فلم يجد احداً مستيقظاً وجميع الناس من التعب نائمون . فجاء الى الوقاد فوجده قاعداً مكشوف

الرأس · فدنا ومسك يده وقال لهُ : انت الذي كنت تنشد الشعر . فخاف على نفسه وقال : لا والله يا مقدم القوم ما هو انا . فقال لهُ الخادم : لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني اخاف من سيدتي اذا انا رجعت اليها بغيره · فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدًا وقال للخادم : والله ما هو انا ولا اعرفهُ وانما سمعت انسانًا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت معكم من بلاد القدس والخليل . فقال لهُ الخادم : قم انت معي واحكِ لسيدتي بفمك فاني ما رأيت احدًا مستيقظًا غيرك . فقال لهُ الوقاد : اما جئت ورأيتني في هذا الموضع الذي انا فيهِ قاعد وعرفت مكاني وما احد يقدر ان ينفك عن موضعه الّا امسكته الحرَّاس فامضِ انت الى مكانك وان عدت سمعت احدًا من هذه الساعة ينشد شيئًا من الشعر سواء كان بعيدًا او قريبًا فيكون انا او احد اعرفهُ ولا تعرفه الّا مني . ثم انهُ قبل رأس الخادم واستعطفهُ . فتركه الخادم ودار دورةً وجاء فاستتر ووقف من وراء الوقاد وخاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة · فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال لهُ : قم اجلس حتى احكي لك ما جرى · فقام فحكى لهُ ما وقع · فقال لهُ : دعني فاني ما عدت افكر ولا ابالي باحد فان بلادي قريبة · فقال الوقاد لضوء المكان : لاي شيء انت مطاوع نفسك والشيطان وانت لا تخاف من احدٍ وانا خائفٌ عليك وعلى نفسي . فبالله عليك انك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك · فاني ما كنت اظنك على هذه الحالة . اما علمت ان هذه السيدة زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكانها مريضة او سهرانة من تعب السفر وبُعد المسافة . وهذه ثاني مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك. فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثًا وانشد يقول هذه الابيات :

تركتُ كل لائمٍ ملامهُ اقلقني
يعذلني وما درى بانهُ حرَّضني
قال الوشاةُ قد سلا قلتُ لحبِّ الوطنِ
قالوا فما احسنهُ قلتُ فما اعشقني
قالوا فما اعزَّهُ قلتُ فما اذلني
هيهات ان اتركهُ لو ذقت كاس الشجن
ولا أُطيع لائماً في حبهِ يعذلني

(الليلة الرابعة والسبعون) . فلما أنشد شعره كان الخادم يسمعهُ وهو مستخفٍ . فما فرغ من شعره وانتهى الّا والخادم على رأسه . فلما رآه الوقاد فرَّ ووقف بعيدًا ينظر ما يقع بينهما . فقال لهُ الخادم : السلام عليكم يا سيدي . فقال ضوء المكان : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . فقال الخادم : يا سيدي اني اتيت اليك في هذه الليلة ثلث مرات لان سيدتي تدعوك اليها . قال : ومن اين هذه الكلبة التي تطلبني لعنها الله ولعن زوجها معها واوسع الخادم شتماً . فما قدر الخادم ان يرد عليهِ جواباً لانها اوصتهُ انه لا يؤذيه ولا يحضره الّا بمراده وان لم يأتِ معهُ فيعطيه المائة دينار . فجعل الخادم يلين لهُ الكلام ويقول لهُ : يا سيدي خذ هذه واذهب معي يا ولدي نحن ما اخطأنا معك ولا جُرنا عليك . فالقصد أن تصل بخطواتك الكريمة معي الى سيدتي تاخذ منها جواباً وترجع في خير وسلامة ولك عندنا بشارة عظيمة . فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس وتخطاهم والوقاد ماشٍ خلفهُ وناظر اليهِ وهو يقول في نفسه : يا خسارة شبابه في غد يشنقونهُ . وما زال الوقاد ماشياً حتى قرب من مكانهم وهم لا يرونه ووقف وقال : ما يكون اخسهُ ان كان يقول عني اني اشرت عليهِ ان ينشد الاشعار

هذا ما كان من امر الوقاد. واما ما كان من امر ضوء المكان فانهُ ما زال ماشياً مع الخادم حتى وصل الى المكان. ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها: يا سيدتي قد احضرت لكِ من تطلبينهُ وهو شاب حسن الصورة وعليهِ آثار النعمة. فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت: دعهُ ينشد شيئاً من الشعر حتى اسمعهُ من قرب. وبعد ذلك فاسالهُ عن اسمه ومن اي البلاد هو. فخرج الخادم اليهِ وقال لهُ: قل ما عندك من الشعر فان السيدة حاضرة بالقرب منك تسمعك وبعد ذلك اسألك عن اسمك وبلدك وحالك. فقال: حباً وكرامة. ولكن اذا سألتني عن اسمي فانه امَّحى ورسمي فني وجسمي بلي. ولي حكاية لا اول لها يعرف ولا آخر لها يوصف. وها انا بمنزلة السكران الذي اكثر من الشراب وحلت بهِ الاوصاب وتاه عن نفسه واحتار في امره وغرق في بحر الافكار. فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والانين وقالت للخادم: قل لهُ هل فارقت احداً ممن تحب مثل امك وابيك. فسألهُ الخادم كما امرته نزهة الزمان. فقال ضوء المكان: نعم فارقت الجميع واعزهم عندي اختي التي فرَّق بيني وبينها الدهر. فسكتت نزهة الزمان لما سمعتهُ يقول هذا الكلام وقالت: الله تعالى يجمع شملهُ بمن يحب

(الليلة الخامسة والسبعون). ثم قالت للخادم: قل لهُ: اسمعنا شيئاً من مفارقتك لاهلك ووطنك. فقال لهُ الخادم كما امرتهُ سيدتهُ. فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات:

كأنَّ ثرى الوادي ممسكُ عنبرٍ اذا ما جرت يوماً بساحتهِ هندُ
سلامٌ على محبوبةٍ بربى الحمى عزيزة قومٍ كلٌّ من حولها عبدُ
خليليَّ ما بعد العشية منزلٌ أريحا فهذا البانُ والعلمُ الفردُ

فلا تسألا من غير قلبي فانهُ حليفُ هوًى لا يستطاع لهُ ردُّ
سقى الله نزهة الزمان سحائباً تسحُّ فلا ينفكُّ عن متنها رعدُ

فلما فرغ من شعرهِ وسمعتهُ نزهة الزمان . كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرتهُ . فلما وقع بصرها على وجهه عرفتهُ وحققتهُ فصاحت قائلة : يا اخي يا ضوء المكان . فنظر الآخر اليها فعرفها فصاح قائلًا : يا اختي يا نزهة الزمان . فالقت نفسها عليه ووقع الاثنان مغشياً عليهما . فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في امرهما والقى عليهما شيئاً سترهما بهِ وصبر عليهما حتى افاقا . فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح . وزال عنها الهمّ والترح . وتوالت عليها المسرّات . وانشدت هذه الابيات :

الدهر اقسم لايزال مكدري حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدي فانهض الى داعي السرور وشمر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضمّ اختهُ الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات :

كلانا سواء في الجوى غير انها تجلدُ احياناً وما بي تجلدُ
تخاف وعيد الكاشحين وانما جنوني عليها حين انهى واوعدُ

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت : قم بنا الى داخل المحفة واحكِ لي ما وقع لكَ وانا احكي لك ما وقع لي . فدخلا . فقال ضوء المكان : احكي لي انتِ اولًا . فحكت لهُ جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها مع البدوي والتاجر وكيف اشتراها منهُ وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها لهُ وان شركان اعتقها من حين اشتراها وكتب كتابهُ عليها . وان الملك اباها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منهُ . ثم قالت لهُ الحمد لله الذي

من عليَّ بكَ ومثل ما خرجنا من عند والدنا معاً نرجع اليهِ معاً . ثم قالت لهُ : ان اخي شركان زوجني بهذا الحاجب لاجل ان يوصلني الى والدي . وهذا ما وقع لي من الاول الى الآخر . فاحكِ لي انت ما وقع لكَ بعد ذهابي من عندك . فحكى لها جميع ما وقع لهُ من الاول الى الآخر وكيف منَّ الله عليهِ بالوقاد وكيف سافر معهُ وانفق عليهِ ماله وانهُ كان يخدمه في الليل والنهار . فشكرتهُ على ذلك . ثم قال لها : يا اختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان فعلاً لا يفعلهُ احد مع احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه . فقالت لهُ نزهة الزمان : ان شاء الله تعالى نكافئهُ بما نقدر عليهِ . ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم . فحضر وقبل يد ضوء المكان . فقالت لهُ : خذ بشارتك يا وجه الخير لانهُ كان جمع شملي باخي على يديك . فالكيس الذي معك وما فيهِ لك . فاذهب وائتني بسيدك عاجلاً . ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليهِ ودعاه الى سيدته . فاتى بهِ ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنهُ فحكت لهُ ما وقع لهما من اوله الى آخره ثم قالت : اعلم ايها الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر بن النعمان فانا نزهة الزمان وهذا اخي ضوء المكان . فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالتهُ وبان لهُ الحق الصريح وتيقن انهُ صار صهر الملك عمر بن النعمان . فقال في نفسه : مصيري ان آخذ نيابة على قطر من الاقطار . ثم اقبل على ضوء المكان وهنأهُ بسلامته وجمع شمله باخته . ثم أمر خدمه في الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة ومركوباً من احسن الخيل . فقالت لهُ اخته : انَّا قد قربنا من بلادنا فانا اختلي باخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا زمناً طويلاً ونحن مفترقان . فقال الحاجب : الامر كما تريدان . ثم ارسل

اليهما الشموع وانواع الحلاوى وخرج من عندهما وارسل الى ضوء المكان ثلاثة اكسية من افخر الثياب وتمشى الى ان جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه. فقالت لهُ نزهة الزمان: ارسل الى الخادم وأمره ان يأتي بالوقاد ويهيء لهُ حصانًا يركبهُ ويرتب لهُ سفرة طعام في الغداة والعشي ويأمره انهُ لا يفارقنا. فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك. فقال: سمعًا وطاعة. ثم ان الخادم اخذ غلمانهُ وذهب يفتش على الوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد على حماره ويريد ان يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول: قد نصحتهُ في سبيل الله فلم يسمع مني يا ترى كيف حالهُ. فلم يتمّ كلامهُ الّا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان

(الليلة السادسة والسبعون). فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفًا فوق راسه ورأى الغلمان حولهُ فاصفرّ لونهُ وخاف وقال وقد رفع صوتهُ بالكلام: انهُ ما عرف مقدار ما عملتهُ معهُ من المعروف فاظنُّ انهُ غمز الخادم وهؤلاء الغلمان عليَّ وانهُ اشركني معهُ في الذنب. واذا بالخادم صاح عليهِ وقال لهُ: من الذي كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لي انا ما انشدت الاشعار ولا اعرف من انشدها وهو رفيقك. فانا لا افارقك من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك. فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه: ما خفت منهُ وقعت فيه. ثم انشد هذا البيت:

كان الذي قد خفتُ ان يكونا   انّا الى الرحمان راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال: انزلوهُ عن الحمار. فانزلوا الوقاد عن حماره واتوهُ بحصان فركبهُ ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون بهِ. فقال

لهم الخادم : ان عدم منهُ شعرة كانت بواحدٍ منكم واوصاهم سرًّا أن : اكرموهُ ولا تهينوهُ : فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال لهُ : يا مقدم ما انا اخوهُ ولا قريبه وانما انا رجل وقاد في حمام ووجدتهُ ملقىً على المزبلة مريضاً . وسار الركب والوقاد يبكي ويحسب في نفسه الف حساب والخادم ماشٍ بجانبه ولم يعرّفهُ بشيءٍ بل يقول لهُ : قد اقلقت سيدتنا بانشادك الشعر انت وهذا الصبي ولا تخاف على نفسك . وصار الخادم يضحك عليهِ سرًّا واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة . فاذا اكلوا أمر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب . لكنهُ لم تنشف لهُ دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما . اما الحاجب فيكون تارةً على المحفة لاجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان واخته نزهة الزمان وتارةً يلاحظ الوقاد . ونزهة الزمان واخوها في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة حتى قرب الركب من البلاد ولم يبقَ بينهم وبين البلاد الّا ثلثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا . ولم يزالوا نازلين الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يتحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجوّ منهُ حتى صار كالليل الداجي . فصاح الحاجب قائلًا : تمهلوا ولا تَحملوا وركب هو ومماليكهُ وساروا نحو ذلك الغبار . فلما قربوا منهُ بان من تحته عسكر جرّار كالبحر الزخار وفيهِ رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال . فتعجب الحاجب من امرهم . فلما رآهم العسكر افترقت منهُ فرقة خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب ومن معهُ واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة بمملوك من مماليك الحاجب . فقال لهم الحاجب : ما الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الفعال . فقالوا لهُ : مَن انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه . فقال لهم : انا حاجب امير

دمشق الملك شركان بن عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان واتيت من عنده بالخراج والهديَّة متوجهاً الى والده ببغداد . فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا لهُ : ان عمر بن النعمان قد مات وما مات الَّا مسموماً . فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان . فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديداً وقال : يا خيبتنا في هذه السفرة . وصار يبكي هو ومن معهُ الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا لهُ من الوزير دندان فأذن لهُ وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس . فلما جلس سألهُ عن خبره . فاعلمه انهُ حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق . فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر بن النعمان . ثم قال لهُ الوزير دندان : ان الملك عمر بن النعمان قد مات مسموماً وبسبب موته اختلف الناس في مَن يولونه بعده حتى اوقعوا القتل في بعضهم . ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشار بهِ القضاة الاربعة لايخالفهم فيهِ احد . فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولدهُ الملك شركان ونأتي بهِ ونسلطنهُ على مملكة ابيهِ . وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انهُ يسمى ضوء المكان ولهُ اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر . فلما سمع ذلك الحاجب علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غماً عظيماً ولكنهُ فرح فرحاً شديداً وخصوصاً بمجيءْ ضوء المكان لانهُ يصير سلطاناً ببغداد في مكان ابيه

(الليلة السابعة والسبعون) . ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال : ان قصتكم من اعجب العجائب . اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني

الآن اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب . لان الله ردّ اليكم ضوء المكان هو واختهُ نزهة الزمان واصلح الامر وهان . فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً ثم قال لهُ : ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما . فحدثهُ بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبرهُ بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره . فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة . ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وتعجبوا من هذا الاتفاق . ثم اجتمعوا كلهم وجاءوا الى الحاجب ووقفوا في خدمته وقبّلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه . ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديواناً عظيماً وجلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء وارباب المناصب على حسب مراتبهم . ثم بلّوا السكر في ماء الورد وشربوا . ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية الجيش اذناً في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلاً قليلاً حتى يُتموا المشورة ويلحقوهم . فقبّلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب . فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر . ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان وقال لهُ : الرأي عندي ان اتقدم واسبقكم لاجل ان اهيّئ للسلطان مكاناً يناسبه واعلمه بقدومكم وانكم اخترتموهُ على اخيهِ شركان سلطاناً عليكم . فقال الوزير : نعم الرأي الذي رأيتهُ . ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيماً لهُ وقدّم لهُ التقادم واقسم عليهِ ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا لهُ التقادم ودعوا لهُ وقالوا : لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا . فاجابهم لما سألوه . ثم أمر غلمانهُ بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر

الفرّاشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم . فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه: ما ابرك هذه السفرة. وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان . ثم جدَّ في السفر الى ان وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم. ثم أمر بالنزول فيهِ لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان بن عمر بن النعمان . ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها . فاستأذنوها في شأن ذلك فأذنت لهُ . فدخل عليها واجتمع بها وباخيها . واخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعلهُ الرؤساء ملكاً عليهم عوضاً عن ابيه عمر بن النعمان وهنأهما بالملك . فبكيا على فقد ابيهما وسألا عن سبب قتله . فقال لهما: الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كلهُ في هذا المكان . وما بقي في الامر ايها الملك الّا ان تفعل ما اشاروا بهِ لانهم كلهم اختاروك سلطاناً . وان لم تفعل بايعوا غيرك وانت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما . فأطرق برأسه ساعةً من الزمان ثم قال : قبلت هذا الامر لانهُ لا يمكن التخلي عنهُ . وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيهِ الرشاد . ثم قال للحاجب : يا عمّ وكيف اعمل مع اخي شركان . فقال : يا ولدي اخوك يكون سلطان دمشق وانت سلطان بغداد فشدَّ عزمك وجهز امرك . فقبل منهُ ضوء المكان ذلك. ثم ان الحاجب قدَّم لهُ الكسوة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين ان يختاروا موضعاً عالياً وينصبوا فيهِ خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليهِ الامراء . ثم امر الطبّاخين ان يطبخوا طعاماً فاخراً ويحضروهُ وأمر السقائين ان ينصبوا حياض الماء . وبعد ساعة طار الغبار حتى سدَّ الاقطار . ثم انكشف ذلك الغبار

وبان من تحته عسكر جرّار مثل البحر الزخار . وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان . ومقدمهُ الوزير دندان . وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان

(الليلة الثامنة والسبعون) . وكان ضوء المكان لابساً خلعة الملك متقلداً سيف الموكب . فقدم لهُ الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكهُ وجميع من في الخيام مشاةً في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه . ووقف الحاجب في خدمتهِ بين يديه ووقفت مماليكهُ في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف . ثم اقبل العساكر والجيوش وطلبوا الاذن . فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامر ان يدخلوا عليهِ عشرةً عشرةً . فاعلمهم الحاجب بذلك . فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز . فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان . فلما رأوه هابوه . فتلقاهم احسن ملتقىً ووعدهم بكل خير . فهنأوه بالسلامة ودعوا لهُ وحلفوا لهُ الايمان الصادقة انهم لايخالفون لهُ امراً . ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا . ودخل عشرة آخرون . ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم . ولم يزالوا يدخلون عشرةً بعد عشرةٍ حتى لم يبقَ غير الوزير دندان . فدخل عليه وقبل الارض بين يديه . فقام اليهِ ضوء المكان واقبل عليهِ وقال لهُ : مرحباً بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز . والتدبير بيد اللطيف الخبير . ثم أمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعاً فحضروا واكلوا وشربوا . ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان : مُر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني عن سبب قتل ابي . فامتثل الوزير قول السلطان وقال : لابد من ذلك . ثم خرج الى وسط الخيام وأمر العسكر بالاقامة عشرة ايام . فامتثلوا امره . ثم ان الوزير اعطاهم اذناً انهم يتجولون ويتفرجون . وأمر ان لا

يدخل احد من ارباب الخدمة على الملك مدة ثلاثة ايام. فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العزّ . ثم اقبل عليهِ الوزير واعلمهُ بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها : هل علمتِ بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان . فقالت لهُ : لم اعلم سبب قتلهُ . ثم انها ضربت لها ستارةً من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه . فقال لهُ : اريد ان تخبرني بالتفصيل عن سبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان . فقال الوزير دندان : اعلم ايها الملك ان والدك الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفره من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما . فعلم انكما قد قصدتما الحج . فاغتم لذلك فازداد بهِ الغيظ وضاق صدرهُ واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شاردٍ ووارد فلم يخبره احد . فبينما نحن بين يديه يوماً من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كأنهنَّ الاقمار . وقد حوينَ من الحسن والجمال ما يعجز عنهُ وصف اللسان . ومع كمال حُسنهنَّ يقرأن القرآن . ويعرفنَ الحكمة واخبار المتقدّمين . فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فأذن لها . فدخلت عليهِ وقبلت الارض بين يديه . وكنت انا جالساً بجانب الملك . فلما دخلتْ عليهِ قرَّبها اليه لما رأى عليها من آثار الزهد والعبادة . فلما استقرَّت العجوز عنده اقبلت عليهِ وقالت لهُ : اعلم ايها الملك ان معي خمس جوارٍ ما ملك احد من الملوك مثلهنَّ لانهنَّ ذوات عقل وجمال . وحسن وكمال . يقرأنَ القرآن بالروايات . ويعرفنَ العلوم واخبار الامم السالفة . وهنَّ بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان . وعند الامتحان يكرم المرء او يهان . فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرَّتهُ رؤيتهنَّ وقال

لهنَّ : كل واحدة منكنَّ تسمعني شيئاً تعرفهُ من اخبار النـاس الماضين والامم السابقين

(الليلة التاسعة والسبعون) . فتقدَّمت واحدة منهنَّ وقبلت الارض بين يديه وقالت : اعلم ايها الملك انهُ ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمةَ من لو أفرد عنهُ لهلك . واساس الادب مكارم الاخلاق . واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة . والقصد من الحياة عبادة الله . فينبغي ان تحسن خلقك مع النَّاس وان لا تعدل عن هذه السنَّة . فان اعظم النـاس خطرًا حوجهم الى التدبير . والملوك احوج اليهِ من السوقة . لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة . وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك . واعلم ان العـدو خصم تعرفهُ وتخصمهُ بالحجة وتحترز منهُ . واما الصديق فليس بينك وبينهُ قاضٍ يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره . فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظاً على اتباع ظاهر الشرع عارفاً بباطنه على حسب الامكان . وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرًّا صادقاً ليس بجاهل ولا شرير . فان الجاهل اهل لان يهرب منـهُ ابواه . والكاذب لا يكون صديقاً لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئاً عن صميم القلب . فكيف بهِ اذا اظهر الكذب على اللسان . واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعهُ . وان ظهر لك منـهُ ما تكره فان قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل :

احرص على صون القلوب من الاذى فرجوعهـا بعد التنـافر يعسرُ
ان القـلوب اذا تنـافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

ثم قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا : ان اصحاب العقول قالوا : خير الاخوان اشدُّهم في النصيحة . وخير الاعمال اجملها عاقبة . وخير الثناء ما كان على افواه الرجال . وقد قيل : لا ينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصاً على نعمتين . العافية والعقل . وقيل : من كرمت عليهِ نفسهُ هانت عليه شهوتهُ . ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها . ومن اطاع الهوى ضيع الحقوق . ومن اطاع الواشي ضيع الصديق . ومن ظن بك خيراً فصدق ظنهُ بك . ومن بالغ في الخصومة أثم . ومن لم يحذر الحيف لم يأمن من السيف . وها انا اذكر لك شيئاً من آداب القضاة . اعلم ايها الملك انهُ لا ينفع حكم بحق الّا بعد التثبت . وينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل . وينبغي ايضاً ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الّا صلحاً احلّ حراماً او حرّم حلالاً . وما اشكلتَ فيهِ اليوم فراجع فيهِ عقلك . وتبين به رشدك لترجع فيهِ الى الحق . فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل . ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسوِّ بين الخصوم في الوقوف . وليكن نظرك على الحق مقصوراً . وفوّض أمرك الى الله عزَّ وجل . واجعل البينة على من ادعى . فان حضرت بينته اخذت لهُ بحقه والّا فحلف المدعى عليهِ وهذا حكم الله . واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر . ويجب على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع . وان يقصد بقضائهِ بين الناس وجه الله تعالى . فان من خلصت نيتهُ واصلح ما بينهُ وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . وقال الزهري : ثلث اذا كنَّ في قاضٍ كان منعزلاً : اذا اكرم اللئام واحبَّ المحامد وكره العزل : وقد عزل عمر بن

عبد العزيز قاضياً فقال لهُ : لمَ عزلتني . فقال عمر : قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك . ويحكي ان الاسكندر قال لقاضيهِ : اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروّتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك . وقال لطبَّاخه : انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيهِ . وقال لكاتبه : انك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبهُ عني

(الليلة الموفية للثمانين) . ثم تاخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت : قال لقمان لابنه : ثلثة لا تعرف الَّا في ثلثة مواطن : لا يعرف الحليم الَّا عند الغضب . ولا الشجاع الَّا عند الحرب . ولا اخوك الَّا عند حاجتك اليه . وقيل : ان الظالم نادم وان مدحهُ الناس . والمظلوم سليم وان ذمهُ الناس . وقال الله تعالى : ولا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم . وقال عليهِ الصلاة والسلام : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى . وايضاً قال عليه السلام : ان في الجسد لمضغةً اذا صلحت صلح الجسد كلهُ واذا فسدت فسد الجسد كلهُ الَّا وهي القلب . واعجب ما في الانسان قلبه لان بهِ زمام امره فان هاج بهِ الطمع اهلكهُ الحرص . وان ملكه الاسى قتلهُ الاسف . وان عظم عنده الغضب اشتد بهِ العطب . وان سعد بالرضا أمن من السخط . وان نالهُ الخوف اشغله الحزن . وان اصابتهُ مصيبة ضمنهُ الجزع . وان استفاد مالاً ربما اشتغل بهِ عن ذكر ربه . وان غصتهُ فاقة اشغلهُ الهمّ . وان اجهده الجزع اقعده الضعف . فعلى كل حالة لا صلاح لهُ الَّا بذكر الله واشتغاله بما فيهِ تحصيل معاشه وصلاح معاده . وقيل لبعض العلماء : من اسر الناس حالاً . قال : من غلبت شهوتهُ مروّتهُ وبعدت في المعالي همتهُ

فاتسعت معرفته وضاقت معذرته. وما احسن ما قالهُ قيس :

واني لاغنى الناس عن متكلف يرى الناس اضلالا وما هو مهتدِ
وما المال والاخلاق الّا معارة فكلٌّ بما يخفيهِ في الصدر مرتدِ
اذا ما اتيت الامر من غير بابهِ ضللت وان تدخل من الباب تهتدِ

ثم ان الجارية قالت : واما اخبار الزاهدين فقد قال هشام بن بشر : قلت لعمر بن عبيد : ما حقيقة الزهد . فقال لي : قد بينهُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم في قوله : الزاهد من لم ينسَ القبر والبلاء وآثر ما يبقى على ما يفنى . ولم يعدَّ غدًا من ايامه وعدَّ نفسه في الموتى . وقيل ان ابا ذرٍّ كان يقول : الفقر احبّ اليَّ من الغنى . والسقم احب اليَّ من الصحة . فقال بعض السامعين : رحم الله أبا ذرٍّ . اما انا فأقول : من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله لهُ : وقال بعض الثقات : صلى بنا ابن أبيّ أوفى صلاة الصبح فقرأ : يا ايها المدثر . حتى بلغ : فاذا نُقر في الناقور . فخرَّ ميتًا

(الليلة الحادية والثمانون) . ويروى ان ثابتًا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاءوا برجل يعالجه . فقال : اعالجه بشرط ان يطاوعني . قال ثابت : في اي شيء . قال الطبيب : في ان لا تبكي . قال ثابت : فما فضل عينيَّ ان لا تبكيا . وقال رجل لمحمد بن عبد الله : اوصني . فقال : اوصيك ان تكون في الدنيا مالكًا زاهدًا وفي الآخرة مملوكًا طامعًا . قال : وكيف ذلك . قال : الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة . وقال غوث بن عبدالله : كان اخوان في بني اسرائيل . فقال احدهما للاخر : ما اخوف عمل عملته . قال لهُ : اني مررت ببيت فراخٍ فاخذت منهُ واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بين الفراخ التي لم آخذها منها . فهذا اخوف عمل عملتهُ . فما

اخوف ما عملتهُ انت . فقال : اما انا فأخوف عمل اعمله اني اذا قمت الى الصلوة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الّا للجزاء . وكان ابوهما يسمع كلامهما . فقال : اللهمَّ ان كانا صادقين فاقبضهما اليك . فقال بعض العقلاء : ان هذين من افضل الاولاد . وقال عبد بن جبير : صحبت فضالة بن عبيدٍ فقلت لهُ : أوصني . فقال : احفظ عني هاتين الخصلتين . ان لا تشرك بالله شيئاً . وان لا تؤذي من خلق الله احداً . وانشد هذين البيتين :

كُن كيف شئت فان الله ذو كرمٍ　　وانفِ الهموم فما في الامر من باسِ
الّا اثنتين فلا تقربهما ابداً　　الشرك بالله والاضرار بالناسِ

وما احسن قول الشاعر :

اذا انت لم يصحبكَ زادٌ من التقى　　ولاقيت بعد الموت من قد تذودا
ندمتَ على ان لاتكون كمثلهِ　　وانك لم ترصد كما كان ارصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت : ان باب الزهد واسع جداً ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيهِ عن السلف الصالح . قال بعض العارفين : انا استبشر بالموت ولا اتيقن فيهِ راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال . فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء . وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً . فقيل لهُ : لمَ ذلك . فقال : اني اريد ان أقبل على امرٍ عظيمٍ وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية . ولذلك كان عليٌّ زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلوة . فسئلَ عن ذلك فقال : اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب . وقيل : كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير . فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطئ . وقال سفيان : اذا كان يوم القيامة أُتي

باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم . وقال سفيان : لو ان النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وشوقاً الى الجنة . وحزناً وخوفاً من النار . وعن سفيان الثوري انهُ قال : النظر الى وجه الظالم خطيئة

ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت : وها انا اتكلم ببعض ما يحضرني من اخبار الصالحين . قال بعض العارفين : فعل الحسنات يكفر السيئات . وقال ابراهيم : التمست من بشر بن الحافي شيئاً من اسرار الحقائق فقال : يا بنيَّ هذا العلم لاينبغي ان نعلِّمه كل احدٍ . فمن كل مائة خمسة مثل زكوة الدرهم . قال ابراهيم بن ادهم : فاستحليت كلامهُ واستحسنته . فبينما انا اصلي واذا ببشرٍ يصلي . فقمت وراءهُ اركع الى ان يؤذن المؤذن . فقام رجل رثُّ الحالة وقال : يا قوم احذروا الصدق الضارَّ ولا باس بالكذب النافع (١) . وليس مع الاضطرار اختيار . ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضرُّ السكوت عند وجود الجود . وقال ابراهيم : رأيت بشراً سقط منهُ دانق . فقمت اليهِ واعطيتهُ درهماً . فقال : لا آخذه . فقلت : انهُ من خالص الحلال . فقال لي : انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة

(الليلة الثانية والثانون) . ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت احمد ابن حنبل فقالت لهُ : يا امام الدين انَّا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمرُّ بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها . فهل يحرم علينا ذلك . فقال لها : من انتِ . قالت : اخت بشر الحافي . فقال : يا اهل بشر لا ازال استشفُّ الورع من قلوبكم . وقال بعض العارفين : اذا اراد الله

(١) ان هذا لبئس القول . فان العقل فضلاً عن الكتب المنزلة يقتضي تجنُّب الكذب سواء ضرَّ او نفع

بعبد خيرًا فتح عليه باب العمل . وكان مالك بن دينار اذا مرَّ بالسوق ورأى ما يشتهيه يقول : يا نفس صابري فلا اوافقكِ على ما تريدين . وقال رضي الله عنهُ : سلامة النفس في مخالفتها . وبلاؤها في متابعتها . وقال منصور بن عمار : حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول : الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك وما انا جاهلٌ بكَ ولكن خطيئةٌ قضيتها (١) عليَّ في قديم ازلك فاغفر لي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي . فلما فرغ من دعائهِ تلا هذه الآية : يا ايها الذين آمنوا قُوا انفسكم واهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة . فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقةً . فمضيت . فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا . واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها . فسألتها عن الميت فقالت : هذه جنازة رجل كان مرَّ بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتًا

ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت : وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار السلف الصالح . كان مسلمة بن دينار يقول : عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر . واذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح . وقال : كل نعمة لاتقرب الى الله فهي بلية . وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وكثيرها ينسيك قليلها . وسئل ابو حازم : من ايسر الناس . فقال : رجل اذهب عمره في طاعة الله . قال : فمن احمق الناس . قال : رجل

(١) انَّ الله لا يريد الخطيئة وانما يسمح بها . لانهُ لمَّا منح الانسان الحريَّة تركهُ واختيارَهُ . فهو يمنع الانسان من ارتكاب الاثم لا جبرًا بل بنهيه ووعده ووعيده (راجع حاشية صفحة ١٤ ترَ بها مزيد بيان

باع آخرتهُ بدنيا غيره . وروي ان موسى عليهِ السلام لما ورد ماء مدين قال : ربِّ اني لِما انزلتَ اليَّ من خيرٍ فقيرٌ . فسأل موسى ربهُ ولم يسأل الناس . وجاء جاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاة . فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيباً عليهِ السلام فقال : لعلهُ جائع . ثم قال لاحداهما : ارجعي اليهِ وادعيه . فلما اتتهُ غطت وجهها وقالت : ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا . فكره موسى ذلك واراد ان لايتبعها ثم قال لها : كوني خلفي وانا امامكِ . فمشت خلفهُ حتى دخل على شعيب عليهِ السلام والعشاء مهيأ

(الليلة الثالثة والثمانون) . فقال شعيب لموسى : يا موسى اني اريد ان اعطيك اجرة ما سقيت لهما . فقال موسى : انا من اهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة . فقال شعيب : يا شاب ولكن انت ضيفي . واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي باطعام الطعام . فجلس موسى فاكل . ثم ان شعيباً استأجر موسى ثماني حجج اي سنين وجعل اجرتهُ على ذلك تزويجه احدى بنتيه . وكان عمل موسى لشعيب صداقاً لها : كما قال تعالى حكاية عنهُ اني اريد ان انكحك احدى ابنتيَّ هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشراً فمن عندك وما اريد ان أشقَّ عليك

وقال رجل لبعض اصحابهِ وكان لهُ مدة لم يرهُ : انك اوحشتني لانني ما رأيتك منذ زمان . قال : اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه . قال نعم هو جاري من ثلثين سنة الّا انني لم اكلمه . قال لهُ : انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لأحببت جارك . اما علمت ان للجار على الجار حقاً كحق القرابة . وقال حذيفة : دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيقٌ البلخيُّ قد حجَّ في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف . فقال ابراهيم لشقيق : ما شأنكم في

بلادكم . فقال شقيق : اننا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا . فقال : كذا تفعل كلاب بلخ . ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا . فجلس شقيق بين يدي ابراهيم وقال لهُ : انت استاذي . وقال محمد بن عمران . سأل رجل حاتماً الاصم فقال : ما امرك في التوكل على الله تعالى . قال : على خصلتين . علمت ان رزقي لا يأكلهُ غيري فاطمأنت نفسي بهِ . وعلمت اني لم اخلق من غير علم الله . فاستحييت منهُ

ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي والدك تسع مرات وقالت : قد سمعت ايها الملك ما تكلم بهِ الجميع في باب الزهد وانا تابعة لهنَّ فأذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين قيل : كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام . الثلث الاول للعلم والثاني للنوم والثالث للتهجد . وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف الليل . فاشار اليهِ انسان وهو يمشي وقال لآخر : ان هذا يحيي الليل كلهُ . فلما سمع ذلك قال : اني استحي من الله ان اوصف بما ليس فيَّ . فصار بعد ذلك يحيي الليل كله . وقال الربيع : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلاة . وقال الشافعي رضي الله عنهُ : ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبهُ عن القيام . وروي عن عبدالله بن محمد السكري انهُ قال : كنت انا وعمر نتحدثُ . فقال لي : ما رأيت أورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي . واتفق انني خرجت انا والحارث بن لبيب الصفَّار وكان الحارث تلميذ المزني وكان صوتهُ حسناً فقرأ الآية : هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . فرأيت الامام الشافعي تغيَّر لونهُ واقشعرَّ جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخرَّ مغشياً عليه . فلما افاق قال : اعوذ بالله

من مقام الكذابين واعراض الغافلين . اللهمَّ لك خشعت قلوب العارفين . اللهمَّ هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملني بسترك واعفُ عن تقصيري بكرم وجهك . ثم قمت وانصرفت . وقال بعض الثقاة : لما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لأتوضأ للصلاة . فمرَّ بي انسان وقال لي : يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك في الدنيا والآخرة . فالتفتُّ واذا برجل يتبعهُ جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره . فالتفتَ اليَّ وقال : هل لكَ من حاجة . فقلت : نعم تعلمني مما علَّمك الله تعالى . فقال : اعلم ان من صدقَ الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى . ومن زهد في الدنيا قرَّت عيناه غدًا . أفلا ازيدك . قلت : بلى . قال : كن في الدنيا زاهدًا وفي الآخرة راغبًا واصدق في جميع امورك تنجُ مع الناجين . ثم مضى . فسألت عنهُ فقيل لي : هذا الامام الشافعي

(الليلة الرابعة والثمانون) . وكان الامام الشافعي يقول : وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الينا منهُ شيء . وقال : ما ناظرت احدًا الَّا احببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره . وما ناظرت احدًا قطُّ الَّا لاجل اظهار الحق وما ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه . وقال رضي الله عنهُ : اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضى من تطلب . وفي اي نعيم ترغب . ومن اي عقاب ترهب . وقيل لابي حنيفة : ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيًا ورسم لك بعشرة آلاف درهم . فما رضي . فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى اليهِ فيهِ بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم . ثم جاءهُ رسول امير المؤمنين بالمال . فلما دخل عليهِ وخاطبهُ لم يكلمه . فقال لهُ رسول الخليفة : ان هذا المال حلال . فقال : اعلم انهُ حلال لي ولكن اكره ان يقع في قلبي مودَّة الجبابرة . فقال لهُ : لو دخلت اليهم وتحفظت من

ودهم . قال : هل آمن ان الح البحر ولا تبتلّ ثيابي . ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنهُ :

الا يا نفس ان ترضي بقولي ... فانتِ عزيزةٌ ابدًا غنيه
دعي عنكِ المطامع والاماني ... فكم امنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى بهِ عليَّ بن حسن السلمي : عليك بالصدق واياك الكذب والخيانة والرياء والعجب . فان العمل الصالح يحبطهُ الله بخصلة من هذه الخصال . ولا تأخذ دينك الّا عمن هو مشفق على دينه . وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا . واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه . واياك ان تخون مؤمنًا . فان من خان مؤمنًا فقد خان الله ورسوله . واياك والجدال والخصام . ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليمًا . وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر تكن حبيب الله . وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك . واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدًا من المسلمين . وصلْ من قطعك . واعفُ عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء . وليكن امرك مفوضًا الى الله في السرّ والعلانية . واخشَ الله خشية من قد علم انهُ ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدي الجبار . واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية . ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري . فلما سمع والدك المرحوم كلامهنَّ علم انهنَّ افضل اهل زمانهنَّ ورأى حسنهنَّ وجمالهنَّ وزيادة ادبهنَّ فرح بهنَّ واقبل على العجوز فاكرمها واخلى لها ولجواريها القصر الذي كانت فيهِ الملكة ابريزة بنت ملك الروم . ونقل اليهنَّ ما يحتجنَ اليهِ من الخيرات . فاقمنَ عنده عشرة ايام والعجوز معهنَّ . وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها

وصيامها في نهارها . فوقع في قلبه محبتهـا وقال لي : يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها

فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها لاجل ان يدفع اليهـا ثمن الجواري . فقالت لهُ : ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل بهِ الناس فاني لا اطلب فيهنَّ ذهباً ولا فضة ولا جواهر قليلًا كان ذلـك او كثيرًا . فلما سمع والدكِ كلامها تعجب وقال : ايتها السيدة وما ثمنهنَّ . قالت : ما ابيعهنَّ لكَ الَّا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى . فان فعلت ذلكَ فهنَّ ملكٌ لكَ في قصرك تصنع بهنَّ ما شئت . فتعجب الملك من كمال صلاحهـا وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال : نفعنا الله بهذه المرأة الصالحـة . ثم اتفق معها على انهُ يصوم الشهر كما اشترطت عليهِ وقالت لهُ : وانا اعينك بدعوات ادعو بهنَّ لك فأتني بكوز ماء . فأتاها بكوز ماء . فأخذته وقرأت عليهِ وهمهمت وقعدت ساعةً تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منهُ شيئًا . ثم غطتهُ بخرقة وختمتهُ وناولتهُ لوالدك وقالت لهُ . اذا صمت العشرة الاولى فافطر في الليلة الحادية عشرة على ما في هذا الكوز فانهُ ينزع حبَّ الدنيا من قلبك ويملأهُ نورًا وايمانًا . وفي غدٍ اخرج انا الى اخواني وهم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجيءُ اليك اذا مضت العشرة الاولى . فأخذ والدك الكوز . ثم نهض وأفرد لهُ خلوة في القصر ووضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة في جيبه . فلما كان النهار صام السلطـان وخرجت العجوز الى حال سبيلها

(الليلة الخامسة والثمانون) . واتمَّ الملـكُ صوم العشرة ايام . وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه فوجد لهُ في فؤاده فعلًا جميلًا . وفي العشرة الايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لا يُشبه ورق الشجر .

فدخلت على والدك وسلمت عليه . فلما رآها قام لها وقال : مرحباً بالسيدة الصالحة . فقالت له : ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة . فأفطر عليها في آخر النهار . ففرح والدك فرحاً زائداً وقال : الحمد لله الذي جعل لي إخواناً من رجال الغيب . ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجواري غاية الاكرام . ثم مضت مدة عشرين يوماً وابوك صائم . وعند رأس العشرين يوماً اقبلت عليه العجوز وقالت له : ايها الملك اعلم اني اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة واعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا لوجودهنَّ عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهنَّ يبالغون لهنَّ في الدعاء المستجاب . فاريد ان اذهب بهنَّ الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهنَّ وربما انهنَّ لا يرجعنَ اليك الَّا ومعهنَّ كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهنَّ وتستعين بالمال الذي يأتينك به على أغراضك . فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها : لولا اني اخشى مخالفتي لكِ ما رضيت بالكنز ولا غيره . ولكن متى تخرجين بهنَّ . فقالت له : في الليلة السابعة والعشرين وارجع بهنَّ اليك في رأس الشهر وتكون انت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهنَّ وصرنَ لك وتحت امرك . والله ان كل جارية منهنَّ ثمنها اعظم من ملكك مرات . فقال لها : وانا أعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة . فقالت له بعد ذلك : ولا بد ان ترسل معهنَّ من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب . فقال لها : عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقتُ منها ولدين انثى وذكر ولكنهما فُقدا منذ سنين فخُذيها معهنَّ لاجل ان تحصل لها البركة

(الليلة السادسة والثمانون) • ولعل رجال الغيب يدعون الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما . فقالت العجوز : نعمَ ما قلت. وكان ذلك اعظم غرضها . ثم ان والدك اخذ في تمام صيامه فقالت لهُ : يا ولدي اني متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لي صفيةَ • فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز فخالطتها بالجواري . ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولتهُ اياه وقالت لهُ : اذا كان اليوم الثلثون فادخل الحمّام ثم اخرج منهُ وادخل خلوة من الخلوات التي في قصرك واشرب هـذا الكأس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك . فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يديها . فقالت لهُ : استودعتك الله • فقــال لها : ومتى اراكِ ايتها السيدة الصالحة فاني اودّ ان لا افارقكِ . فدعت لهُ وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية . وقعد الملك بعدها ثلثة ايام . ثم هلّ الشهر . فقام الملك ودخل الحمّام وخرج من الحمام ودخل الخـلوة التي في القصر وأمر ان لا يدخل عليهِ احد وردَّ الباب عليــهِ ثم شرب الكأس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى آخر النهــار فلم يخرج من الخلوة . فقلنا لعلهُ تعبان من الحمّام ومن سهر الليل وصيام النهــار . فبسبب ذلك نام . فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج . فوقفنا بباب الخلوة واعلنــا برفع الصوت لعلهُ ينتبه ويسأل عن الخبر . فلم يحصل منهُ ذلك. فخلعنا الباب ودخلنا عليــه فوجدناه قد تمزّق وتهرأ لحمــهُ وتفتت عظمهُ • فلما رأيناه على هذه الحالة عظمَ علينا ذلك واخذنا الكأس فوجدنا في غطائهِ قطعة ورق مكتوباً فيها: من اساء لا يستوحش منهُ • وهذا جزاء من يتحيـل على بنات الملوك ويفسدهنَّ • والذي نُعلم بهِ كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء الى بلادنا قد افسد علينـا رأي الملكة ابريزة • وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم . ثم ارسلها

مع عبدٍ اسود فقتلها ووجدناها مقتولة في الخلاء مطروحة على الارض . فهذا ما هو فعل الملوك . وما جزاء من يفعل هذا الفعـل الّا ما حلَّ بهِ . وانتم لا تتهموا احدًا بقتله فما قتلهُ الّا المحتالة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي . وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بدّ ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديّار ولا من ينفخ النار

فلما قرأنا هذه الورقة علمنـا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينـا . فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يُفدنا البكاء شيئًا . واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانًا عليهم فمنهم من يُريدك . ومنهم من يريد اخاك شركان . ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر . ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضي الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك . وهذا سبب موت السلطان عمر بن النعمان . فلما فرغ الوزير دندان من كلامه بكى ضوء المكان هو واختـه نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضًا . ثم قال الحاجب لضوء المكان : ايها الملك ان البكاء لا يفيدك شيئًا . ولا يفيدك الّا انك تشد قلبك وتقوّي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلّف مثلك ما مات . فعنـد ذلك سكت عن بكائهِ وأمر بنصب السرير خارج الدهليز . ثم أمر ان يعرضوا عليـهِ العساكر ووقف الحاجب بجـانبهِ وجميع السلاحدارية من ورائهِ ووقف الوزير دندان قدامهُ ووقف كل احد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته . ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان : اخبرني عن خزائن ابي . فقـال : سمعًا وطاعةً واخبره بخزائن الاموال وبمـا فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليهِ ما في خزانته من الاموال . فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال لهُ : انت في مكانك . فقبل الارض بين

يديه ودعا لهُ بالبقاء ثم خلع على الامراء

(الليلة السابعة والثانون). ثم ان ضوء المكان قال للحاجب: اعرض عليَّ الذي معك من خراج دمشق . فعرض عليهِ صناديق المال والتحف والجواهر . فأخذها وفرَّقها على العساكر ولم يُبقِ منها شيئاً ابداً . فقبل الامراء الارض بين يديهِ ودعوا لهُ بطول البقاء وقالوا لهُ : ما رأينا ملكاً يعطي مثل هذه العطايا . ثم انهم مضوا الى خيامهم . فلما اصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزيَّنت . وصعد السلطان ضوء المكان الى قصر ابيهِ . وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه . فعند ذلك أمر كاتب السرّ ان يكتب كتاباً الى اخيهِ شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره : وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجَّه الى غزو النصارى ونأخذ لوالدنا منهم الثار ونكشف عنا العار . ثم طوى الكتاب وختمهُ وقال للوزير دندان : ما يتوجَّه بهذا الكتاب الَّا انت ولكن ينبغي ان تتلطف بهِ في الكلام وتقول لهُ : ان اردت ملكَ ابيك فهو لك واخوك يكون نائباً عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك . فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر . ثم ان ضوء المكان أمر ان يجعلوا للوقَّاد مكاناً فاخراً ويفرشوه باحسن الفرش . وذلك الوقاد لهُ حديث طويل . ثم انَّ ضوء المكان خرج يوماً الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم لهُ بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان . فاعجبتهُ جارية منهنَّ فاتخذها لهُ امرأةً . وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانهُ قادم عليهِ وقال لهُ : ينبغي ان تخرج وتلاقيهُ . فقال لهُ ضوء المكان : سمعاً وطاعةً . فخرج اليهِ مع خواص دولته

من بغداد مسيرة يوم . ثم نصب خيامهُ هناك لانتظار اخيهِ. وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام . واسد ضرغام . وبطل مصدام . فلما اشرفت الكتائب . وقدمت السحائب . واقبلت العصائب . وخفقت اعلام المواكب . توجه شركان هو ومن معهُ لملاقاتهم . فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل لهُ فاقسم عليهِ شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات . فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسهُ عليهِ فاحتضنهُ شركان الى صدره وبكيا بكاءً شديدًا وعزى بعضهما بعضاً . ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد ونزلوا . ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة . وعند الصباح خرج ضوء المكان وأمر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد . واقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونهُ ويعدونهُ بالجميل الى ان مضى على ذلك مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجاً متتابعة

(الليلة الثامنة والثمانون) . ثم قال شركان لاخيهِ : يا اخي اعلمني بقضيتك . فاعلمهُ بجميع ما وقع لهُ من الاول الى الآخر وبما صنعه معهُ الوقاد من المعروف . فقال شركان : أما كافأتهُ على معروفه . فقال لهُ : يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئهُ ان شاء الله تعالى عند ما ارجع من الغزوة واتفرغ لهُ . فعند ذلك عرف شركان ان اختهُ الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرتهُ بهِ . ثم كتم امره وامرها وارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها . فبعثت لهُ ايضاً معهُ السلام ودعت لهُ وسألت عن ابنتها قضى فكان . فاخبرها انها في عافية وانها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة . فحمدت الله تعالى وشكرته

ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل . فقال لهُ : يا اخي اذا تكاملت العساكر واتت العربان من كل مكان . ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة وجمل ارباب الاقلام واهل الحساب تحت طاعة زوجتـه ورتب لهم الجرايات والجوامك . وسافر في ثالث شهر من حين ترول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان . وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل . وكان اسم رئيس عسكر الديلم رُستم . واسم رئيس عسكر الترك بَهرام . وسار ضو المكان في وسط الجيش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره . ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلاثة ايام لان الخلق كثير . ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم . فنفرت اهل القرى والضياع والصعاليك وفرُّوا الى القسطنطينية . فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي . فانها هي التي دبَّرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها . فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وامنت على نفسها قالت لابنها : قرَّ عيناً فقد اخذت لك بثأر ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان وجئت بصفية . فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية وردَّ عليهِ صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذرٍ ونتجهز بأهبة واسافر انا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية . واظنُّ ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا . فقال لها : امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا . ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز احوالهم . فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدواهي . فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج

لملاقاته . فلما اجتمع افريدون بملك الروم سألهُ عن حاله وعن سبب قدومه . فاخبره بما عملته امهُ ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت : ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاءوا . ونريد ان نكون جميعنا يدًا واحدة ونلقاهم . ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان . فهرعت اليهِ جيوش النصارى . فما مرَّ ثلثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم . ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسا ودوبره وجورنه والبندقية وجنويز وسائر عساكر بني الاصفر . فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتها أمرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية . فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادٍ واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبًا من البحر المالح . فاقاموا ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع ارادوا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام . فاقاموا فيه ثلثة ايام اخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارًا طار حتى سدَّ الاقطار . فلم تمضِ ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار . وتمزق الى الجوّ وطار . ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح . وبريق بيض الصفاح . وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدَّية . واقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحبًا مزرَّدةً على اقمار . فعند ذلك تقابل الجيشان . والتطم البحران . ووقعت العين في العين . فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام . وكانوا ثلثين الف عنان . وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين الف فارس . وطلع من ورائهم رجالٌ من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة . وصارت

عساكر النصارى ينادون : يا لعيسى ومريم والصليب المعظم . ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام . وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي . لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها : كيف العمل والتدبير . وأنتِ السبب في هذا الامر العسير . فقالت : اعلم ايها الملك الكبير . والكاهن الخطير . اني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس .

(الليلة التاسعة والثمانون). وهو انك ترسل خمسين الفاً من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام . فدونكم واياهم . ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البرّ . فلا ينجو منهم احد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء . فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال : نعم الرأي رايكِ يا سيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان في الفتن الثائرة . وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الاَّ والنار تلتهب في الخيام والسيوف تعمل في الاجسام . ثم اقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين الف فارس وفي اوائلهم ضوء المكان . فلما رآهم عسكر النصارى الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم . فلما رآهم ضوء المكان قال : ارجعوا اليهم يا حزب النبي وقاتلوا اهل العدوان في طاعة الرحيم الرحمن . واقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف وعشرين الفاً . وكانت عساكر النصارى نحو الف الف وستمائة الف . فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين : ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان . ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف . وهاج في

الالوف . وقاتل قتالاً تشيب منهُ الاطفال . ولم يزل يجول في جيوش الاعداء . ويعمل فيهم صارمهُ ذا المضاء . وينادي الله اكبر . حتى ردَّ القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام . ونصر الله الاسلام . والناس يقاتلون وهم سكارى من غير مدام . وقد قتل من النصارى في هذه الوقعة خمسة واربعون الفاً وقد قتل من المسلمين ثلثة آلاف وخمسمائة

ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لا هو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة

هذا ما كان من امر المسلمين . واما ما كان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا امراء العسكر وقالوا لبعضهم : انَّا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد . ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا . فقالت لهم العجوز ذات الدواهي : انهُ لاينفعكم الّا ان تتمسكوا بالعزم الصريح . وتهجموا الهجوم الصحيح . فوحق المسيح ما قوَّى عسكر المسلمين الّا هذا الشيطان الملك شركان . فقال الملك افريدون : اني قد عولت في غدٍ على ان اصفَّ لهم الصفوف . واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط . فانهُ اذا برز الى الملك شركان قتلهُ وقتل غيره من الابطال حتى لم يبقَ منهم احد

(الليلة الموفية للتسعين) . فلما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح . وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح . دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في وجوههم . ثم احضر لوقا بن شملوط الذي يسمونهُ سيف المسيح وكان ذلك الفارس لوقا لا يوجد في بلاد الروم اعظم منهُ ولا ارمى بالنبال . ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منهُ بالرمح يوم النزال . وكان

بشع المنظر . لهُ من الليل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته . وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبّل قدميهِ ثم وقف بين يديه . فقال لهُ الملك أفريدون : اني اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وقد انجلى عنّا هذا الشرّ وهان . فقال : سمعاً وطاعة . ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب جواداً اشقر . وعليهِ ثوب احمر . وزردية من الذهب المرصع بالجوهر . وحمل رمحاً لهُ ثلاث حراب كانهُ ابليس اللعين يوم الاحزاب . وتوجه هو وحزبه وبينهم منادٍ ينادي بالعربي ويقول : يا امة محمد (صلعم) لا يخرج منكم الّا فارسكم سيف الاسلام . شركان صاحب دمشق الشام . فما استتم كلامهُ الّا وعلت ضجة في الفلا . سمع صوتها جميع الملا . وركضات فرّقت الصفين . واذكرت يوم حنين . ففزع الاعداء منها والتفتوا الاعناق نحوها . واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان . وكان اخوه ضوء المكان . لما رأى ذلك في الميدان . وسمع المنادي التفت الى اخيهِ شركان وقال لهُ : انهم يريدونك . فقال : احبُّ اليَّ . فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول في الميدان : لايبرز لي الّا شركان . علموا ان هذا المقدام فارس بلاد الروم . وكان قد حلف ان يخلي الارض من المسلمين . والّا فهو من اخسر الخاسرين . لانهُ هو الذي حرق الاكباد . وفزعت من شرّه الاجناد . من الترك والديلم والاكراد . فعند ذلك برز اليهِ شركان . كانهُ اسد غضبان . وكان راكباً على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان . فساقهُ نحو لوقا حتى صار عنده وهزّ الرمح في يده كأنهُ افعى من الحيّات . وانشد هذه الابيات :

لي اشقرٌ سمح العنان مسابقٌ   يعطيك ما يرضيك من مجهودهِ
ومثقفٌ لدن السنان كانما   ام المنايا ركبت في عودهِ

ومهندٌ عضبٌ اذا جردتهُ   خلت البروق تموج في تجريدهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام . ولا حماسة هذا النظام . بل أشرع الرمح نحو شركان وكرَّ عليهِ . ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين . ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان . فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى . ثم ان شركان هزَّها بيده التي اخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصفها ورماها في الجوّ حتى خفيت عن النظر والتقاها بيده الثانية في اقرب من لمح البصر . وصاح صيحةً من صميم قلبه وقال : وحقّ من خلق السبع الطباق . لاجعلنَّ هذا المشؤوم شهرة في الآفاق . ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان . ومدَّ يده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجلهُ شركان بحربة ثانية وضربهُ بها فوقعت في وجهه وفاضت روحه

(الليلة الحادية والتسعون) . فلما رأى الروم لوقا بن شملوط وقع مقتولاً لطموا وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور . ثم اجتمعوا جميعاً عليهِ واعملوا الصوارم والرماح . وهجموا للحرب والكفاح . والتقت العساكر بالعساكر . وصارت الصدور تحت وقع الحوافر . وتحكمت الرماح والصوارم . وضعفت السواعد والمعاصم . وكأن الخيل قد خلقت بلا قوائم . ولا زال منادي الحرب ينادي . الى ان كلت الايادي . وذهب النهار . واقبل الليل بالاعتكار . وافترق الجيشان . وصار كل شجاع كالسكران . من شدة الضرب والطعان . وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات . ولا يعرف الجريح ممن مات . ثم ان شركان اجتمع باخيهِ ضوء المكان والحاجب والوزير دندان . فقال شركان لاخيهِ ضوء

المكان والحاجب : ان الله قد فتح بابًا لهلاك الكافرين والحمد لله ربّ العالمين . فقال ضوء المكان لاخيهِ : لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب وسوف تتحدث الناس جيلًا بعد جيل . بما صنعت بالمشؤوم لوقا واخذك الحربة من الهواء . ويبقى حديثك الى آخر الزمان . ثم قال شركان : ايها الحاجب الكبير والمقدم الخطير . فاجابهُ بالتلبية . فقال لهُ : خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا في السير حتى تكونوا قريبًا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الروم اذا طلعوا من المراكب . ويصل اليكم الصياح من كل جانب . وقد عملت بيننا وبينهم القواضب . فاذا رأيتم عساكرنا تقهقروا الى الوراء منهزمين وجاءت الروم زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام . فكونوا لهم بالمرصاد . واذا رأيت انت علمًا عليهِ : لا اله ألا الله محمد رسول الله فارفع العلم الاخضر وصح قائلًا : الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لا يحول الاعداء بين المنهزمين وبين البحر . فقال لهُ : السمع والطاعة . واتفقا على ذلك الامر في تلك الساعة . ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معهُ الوزير دندان وعشرين الفًا كما امر الملك شركان . فلما اصبح الصباح . ركب القوم وهم مجردون الصفاح . ومعتقلون الرماح . وحاملون السلاح . وانتشرت الخلائق في الربا والبطاح . وصاحت القسوس . وكشفت الرؤوس . ورفعت الصلبان على قلوع المراكب . وقصدوا الساحل من كل جانب . وانزلوا الخيل في البرّ . وعزموا على الكرّ والفرّ . ولمعت السيوف وتوجهت الجموع . وبرقت شهب الرماح على الدروع . ودارت طاحون المنايا على رؤوس الرجال والفرسان . وطارت الرؤوس عن الابدان . وخرست الالسن . وتغشت الاعين . وانفطرت

المرائر . وعملت البواتر . وطارت الجماجم . وقُطعت المعاصم . وخاضت الخيل في الدماء وتقابضوا في المحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلوة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان . وصاحت عساكر الروم بالثناء على الصليب العظيم . وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما . وتقهقرت الجيوش واظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الروم وتهيأوا للطعن والضرب . فاستهلّ اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقرة . وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مندثرة . وصار منادي الروم يقول : ياعبدة المسيح . وذوي الدين الصحيح . يا خدام الجاثليق . قد لاح لكم التوفيق . ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار . فلا تولوا عنهم الادبار . فمكنوا السيوف من اقفيتهم . ولا ترجعوا من ورائهم والّا برئتم من المسيح بن مريم . الذي في المهد تكلم . وظنّ افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الروم منصورة . ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة . فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر . واقسم بالمعجزات وبنتته ابريزة النصرانية المريمية . والمياه المعمودية . اني لا اترك على الارض مجاهدًا بالكلية . واني مصرّ على هذه النية . وتوجه الرسول بهذا الخطاب . ثم صاح الروم على بعضهم قائلين : خذوا بثأر لوقا

(الليلة الثانية والتسعون) . وصار ملك الروم ينادي : يا لأخذ ثار ابريزة . فعند ذلك صاح ضوء المكان وقال : يا عباد الملك الديّان اضربوا اهل البغي والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح . فرجع المسلمون على النصارى واعملوا فيهم الصارم البتّار . وصار ينادي منادي المسلمين ويقول : عليكم باعداء الدين يامحبي النبي المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار . يا راجي النجاة في اليوم المخوف . ان الجنة تحت ظلال السيوف . واذا بشركان قد حمل هو ومن معهُ على العدوّ الغدّار وقطع

عليهم طريق الفرار . وجال بين الصفوف وطاف . واذا بفارس مليح الانعطاف . قد فتح في عسكر الروم ميدانًا . وجال فيهم حربًا وطعانًا . وملأ الارض رؤوسًا وابدانًا . وقد خافوا من حربه . ومالت اعناقهم لطعنه وضربه . قد تقلد بسيفين لحظ وحسام . واعتقل رمحين قناة وقوام . بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر . كما قال فيه الشاعر :

لاتحسن الوفرة الّا وهي منشورة الفرعين يوم النزال
على فتىً معتقل صعدةً يُعلُّها من كل وافي السبال

فلما رآهُ شركان قال : أُعيذكَ بالقرآن . وآيات الرحمن . من انت ايها الفارس من الفرسان . فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان . الذي لا يشغلهُ شأن عن شان . حيث هزمت اهل الطغيان . فناداه الفارس قائلًا : انت الذي بالامس عاهدتني . فما اسرع ما نسيتني . ثم كشف اللثام عن وجهه . حتى ظهر ما خفي من حسنه . فاذا هو ضوء المكان ففرح بهِ شركان . الّا انهُ خاف عليهِ من ازدحام الاقران . وانطباق الشجعان . وذلك لامرين . احدهما صغر سنه وصيانته عن العين . والثاني ان بقاءه للملكة اعظم الجناحين . فقال لهُ : ياملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء . والمصلحة في ان لاتخرج من تلك العصائب . لاجل ان ترمي الاعداء بسهمك الصائب . فقال ضوء المكان : اني اردت ان اساويك في النزال . ولا ابخل بنفسي بين يديك في القتال . ثم انطبقت عساكر الاسلام على الاعداء . واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد . وكسروا شوكتهم . فتأسف الملك أفريدون لما رأى ما حلّ بالروم . من الامر المذموم . وقد ولوا الادبار . وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب . واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير

دندان . مجندل الشجعان . وضرب فيهم بالسيف والسنان . وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام . وهو في عشرين الف ضرغام . واحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن امام . ومالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب . واوقعوا فيهم المعاطب . فرموا انفسهم في البحر وقتلوا منهم جمعًا عظيمًا يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينجُ من ابطالهم صغيرٌ ولا كبيرٌ واخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الّا عشرين مركبًا . وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم احدٌ مثلها في سالف الزمان . ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان . ومن جملة ما غنموه خمسون الفًا من الخيل غير الذخائر والاسلاب . بما لا يحيط بهِ حصر ولا حساب . وفرحوا فرحًا ما عليهِ مزيد . بما منَّ الله عليهم من النصر والتأييد

هذا ما كان من امرهم . واما ما كان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية . وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولًا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين . فقالت العجوز ذات الدواهي : انا اعلم ان ولدي ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية . ويردّ اهل الارض الى الملة النصرانية . ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزيّن البلد فاظهروا السرور . وشربوا الخمور . وما علموا بالمقدور . فبينما هم في وسط الافراح . اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح . واقبلت عليهم العشرون مركبًا الهاربة وفيها ملك الروم . فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروهُ بما جرى لهم من المسلمين . فزاد بكاؤُهم . وعلا نحيبهم . وانقلبت بشارات الخير . الى الغمّ والضير . واخبروهُ ان لوقا بن شملوط حلّت بهِ النوائب . وتمكن منهُ سهم المنية الصائب . فقامت على الملك افريدون القيامة . وعلم ان اعوجاجهم ليس لهُ

استقامة . وقامت بينهم المآتم . وانحلت منهم العزائم . وندبت النوادب . وعلا النحيب والبكاء من كل جانب . ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال . وان هزيمة المسلمين على وجه الخداع والمحال . قال له : لاتنتظر ان يصل من العسكر الّا من وصل اليك . فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشياً عليه . وصار انفه تحت قدميه . وقال: لعلّ المسيح غضب عليهم . حتى اوصل المسلمين اليهم . فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموماً . فقال له الملك: يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء . فقال البطريق : لا تغتموا ولا تحزنوا فانهُ لابدّ ان احدكم فعل ذنباً في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأ لكم الدعاء في البيع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية . ثم بعد ذلك اتت العجوز ذات الدواهي وقالت : ايها الملك ان عسكر المسلمين كثير ونحن ما نصل اليهم الّا بالحيلة . واني عولت ان اعمل حيلة ومكيدة وامضي الى هذه العساكر الاسلامية لعلي ابلغ غرضي من المقدم عليهم واقتل فارسهم مثل ما قتلت اباه . واذا تمت حيلتي عليهِ فما يرجع احد من عساكره الى بلاده فانهم كلهم اقوياء بسببه . ولكني اريد من النصارى القاطنين بالشام الذين يخرجون لبيع بضائعهم في كل شهر وعام . ان يساعدوني فان بهم يتم غرضي . فقال لها الملك: في أي وقتٍ اردتِ ذلك الامر يكون . فأمرت بان يحضر لها مائة رجل من نجران الشام . فاحضروهم عند الملك . فقال لهم الملك : أما تعلمون ما تمّ على النصارى من المسلمين . قالوا : نعم . فقال لهم الملك : اعلموا ان هذه المرأة قدمت نفسها للموت والآن عولت ان تذهب بكم في زيّ الموحدين لتدبير حيلة يعود نفعها علينا . وتمنع المسلمين من الوصول الينا . فهل انتم واهبون انفسكم للمسيح وانا اعطيكم قنطاراً من الذهب . فمن سلم منكم فلهُ المال . ومن مات فيجازيهِ المسيح . فقالوا : ايها

الملك قد وهبنا انفسنا للمسيح ونحن فداؤك . فعند ذلك اخذت العجوز جميع ما تحتاج اليهِ من العقاقير ووضعتها في الماء وغلتها على النار فانحل السواد وصبرت حتى بردت فارخت عليها طرف منديل طويل . ولبست فوق اثوابها ملوطة مطرزة بطراز وبيدها تسبيح . فعند ذلك دخلت على الملك فلم يعرفها ولا احد من الجالسين . فكشفت لهم عن وجهها فما في المجلس احدٌ الّا شكرها على حيلتها . وفرح ابنها وقال : لا عدم النصارى طلعتكِ . فعند ذلك خرجت ومعها النصارى الذين من نجران الشام وساروا طالبين عسكر بغداد

(الليلة الثالثة والتسعون) . اما العجوز ذات الدواهي فكانت كاهنة من الكهان . ومتقنة للسحر والبهتان . مكارة غدارة ولها فم ابخر . وجفن احمر . وخد اصفر . بوجه اغبش . وطرف اعمش . وجسم اجرب . وشعر اشهب . وظهر احدب . ولون حائل . ومخاط سائل . لكنها قرأت كتب الاسلام . وسافرت الى بيت الله الحرام . كل ذلك لاجل ان تطلع على الاديان . وتعرف آيات القرآن . وتهودت في بيت المقدس سنتين . لتحوز مكر الثقلين . فهي آفة من الآفات . وبلية من البليات . فاسدة الاعتقاد . ليست لدين تنقاد . وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم . ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام . وبعدها دخل الملك حردوب على الملك افريدون وقال لهُ : ايها الملك ما لنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه . بل نعمل برأي امي ذات الدواهي . وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين . فانهم بقوتهم واصلون الينا . وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا . فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم : ينبغي ان لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية . والعصابة

الصليبية . خصوصاً اهل الحصون والقلاع . بل يأتون الينا جميعاً رجالاً وركباناً . فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل . قبل حلول الاجل

هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زيّ تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين اطلس معدنيّ وديباج ملكي وغير ذلك . واخذت من الملك افريدون كتاباً مضمونهُ ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا يأخذ منهم عشراً حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم . لان التجار بهم عمار البلاد . وليسوا من اهل الحرب والفساد . ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها : اني اريد ان ادبر حيلة على هلاك المسلمين . فقالوا لها : ايها الملكة مُرينا بما شئتِ فنحن تحت طاعتكِ . فلبست ثياباً من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار لهُ وسم جسيم . ودهنتهُ بدهان دبّرتهُ حتى صار لهُ ضوء عظيم . وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين . فقيدت رجليها من فوق قدميها . وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين . ثم حلت القيد من رجليها وقد اثّر القيد في ساقيها ثم دهنتها بدم الاخوين وامرت من معها ان يضربوها ضرباً عنيفاً وان يضعوها في صندوق وقالت لهم : اعلنوا كلمة التوحيد . وما عليكم في ذلك من باس شديد . فقالوا لها : كيف نضربكِ وانتِ سيدتنا ذات الدواهي . ام الملك المباهي . فقالت : لا لوم عليكم ولا تعنيف . فلاجل الضرورات . تباح المحظورات . وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوهُ في جملة الاموال . واحملوه على البغال . ومرّوا بذلك بين عسكر الاسلام . ولا تخشوا شيئاً من الملام . وان تعرَّض لكم احد من المسلمين فسلموا اليه البغال . وما عليها من الاموال . وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان

واستغيثوا بهِ وقولوا : نحن كنا في بلاد الروم ولم يأخذوا منا شيئاً بل كتبوا توقيعاً انهُ لايتعرض لنا احدٌ . فكيف تأخذون انتم اموالنا . وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونهُ ان لا يتعرض لنا احد بمكروه . فاذا قال : وما الذي ربحتموهُ من بلاد الروم في تجارتكم . فقولوا لهُ : ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض لهُ فيهِ نحو خمسة عشر عاماً وهو يستغيث فلا يُغاث بل يعذبه الروم ليلًا ونهارًا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنا بالقسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في امر السفر . فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط . فلما قربنا منها تأملناها فاذا هي تحركت وقالت : يامسلمون هل فيكم من يعامل رب العالمين . فقلنا : وكيف ذلك . فقالت تلك الصورة : ان الله انطقني لكم ليقوي يقينكم وتخرجوا من بلاد النصارى وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان . وهو الذي يفتح القسطنطينية بهِ ويهلك اهل الملة النصرانية . فاذا قطعتم سفر ثلاثة ايام تجدون ديرًا يعرف بدير مطروحنا وفيهِ صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلًا عابدًا من بيت المقدس اسمهُ عبدالله وهو من ادين الناس. ولهُ كرامات تزيح الشك والالتباس . قد خدعهُ بعض الرهبان وسجنه في سرداب لهُ فيهِ مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه ارضاء رب العباد . لان فكاكهُ من افضل الجهاد

(الليلة الرابعة والتسعون) . ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت : فاذا القى اليكم سمعهُ الملك شركان فقولوا لهُ : فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد

الله المخلصين . فسافرنا مدة ثلثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرّجنا عليهِ وملنا اليهِ واقمنا هناك يوماً في البيع والشراء على عادة التجار . فلما ولّى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات . ينشد هذه الابيات :

كيدٌ اكابدهُ وصدري ضيقٌ وجرى بقلبي بحر همٍّ مغرقُ
ان لم يكن فرجٌ فموتٌ عاجلٌ ان الحمام من الرزايا ارفقُ
يا برق ان جئت الديار واهلها وعلا عليك من البشائر رونقُ
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا تلك الحروب وباب رهنٍ مغلقُ
بلّغ احبتنا السلام وقل لهم اني بدير الروم قاصٍ موثقُ

ثم قالت : اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم ترون كيف ادبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم . فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشدّ الضربات الموجعات تعظيماً لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات . ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا

هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها . واما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم . فقال ضوء المكان لاخيهِ : ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا . فكن يا شركان ممتثلاً لامري في طاعة الله عزّ وجل لاني نويت ان اقتل عشرة ملوك عوضاً عن ابي واذبح خمسين الفاً من الروم وادخل القسطنطينية . فقال لهُ اخوهُ شركان : روحي فداؤك من الردى ولا بدّ لي من الجهاد ولو اقمت ببلادهم الف عام . لكن يا اخي

لي في دمشق ابنة واسمها قضى فكان. وقلبي متعلق بحبها وهي من غرائب الزمان. وسيكون لها شان. فقال ضوء المكان: وانا الآخر تركت جاريتي وهي حبلى على ميلاد وما ادري ما يرزقني الله. فيا اخي عاهدني ان رزقني الله ولدًا ذكرًا تسمح لي بابنتك قضى فكان ان تكون لولدي وتعطيني المواثيق والأيمان. فقال شركان. حبًا وكرامةً ومدَّ يدهُ الى اخيهِ وقال: ان جاءكَ ولدٌ اعطيتهُ قضى فكان. ففرح بذلك وصار يهنئ بعضهم بعضًا بالنصر على الاعداء. وهنأ الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما: اعلما ايها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عزَّ وجلَّ وهجرنا الاهل والاوطان والرأي عندي ان نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعلَّ الله يبلغنا مرادنا ونستأصل اعداءنا. وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البرّ ونصبر على القتال. والطعن في النزال. ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم على القتال. وانشد قول من قال:

اطيب الطيبات قتل الاعادي	واحتمالي على ظهور الجيادِ
ورسولٌ يأتي بوعدِ حبيبٍ	وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ

وقول الآخر:

وان عُمرتُ جعلت الحرب والدةً	والسمهريَّ اخًا والمشرفيَّ ابا
بكلّ اشعث يلقى الموت مبتسمًا	حتى كأنَّ لهُ في قتلهِ اربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعرهِ قال: سبحان من ايدنا بنصره العزيز. واظفرنا بغنيمة الفضة والابريز. ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل. فسافروا طالبين القسطنطينية وجدّوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح. وفيهِ كل شيء مليح. ما بين وحوش تمرح. وغزلان تسنح. وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة

وانقطع عنهم الماء ستة ايام . فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة . والاثمار اليانعة . وتلك الارض كأنها جنة اخذت زخرفها وازدانت . وسكرت اغصانها من رحيق الطل فتمايلت . وجمعت بين عذوبة التسنيم . واعتلال النسيم . فتدهش العقل والناظر . كما قال الشاعر :

انظر الى الروض النضير كأنما ... نُشرَت عليهِ ملاءةٌ خضراء
فاذا سمحت بلحظ عينك لاترى ... الّا غديرًا جال فيهِ الماء
وترى بنفسك عزّةً في دوحهِ ... اذ فوق رأسك حيث سرت لواء

وكما قال الآخر :

النهر خدٌّ بالشعاع موردٌ ... قد دبَّ فيهِ عذار ظل البانِ
والماء في سوق الغصون خلاخلٌ ... من فضةٍ والزهر كالتيجانِ

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت اشجاره . وزهت ازهاره . وترنمت اطياره . نادى اخاه شركان وقال لهُ : يا اخي ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منهُ الا بعد ثلاثة ايام حتى نأخذ لنا راحة لاجل ان تنتشط عساكر الاسلام . وتقوى نفوسهم على لقاء الاعداء اللئام . فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتاً من بعيد . فسأل عنها ضوء المكان . فقيل لهُ : انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين بهذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيئاً من بضائعهم لانهم كانوا في بلاد الروم . وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك . فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم . فحضروا بين يديهِ وقالوا : ايها الملك انّا كنا في بلاد النصارى ولم ينهبوا منّا شيئاً فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم . فاننا لما رأينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا . ثم اخرجوا لهُ

كتاب ملك القسطنطينية . فأخذه شركان وقرأه ثم قال لهم : سوف نرد عليكم ما أخذ منكم . ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد النصارى . فقالوا : يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به احدٌ من الغزاة ولا انتم في غزواتكم . فقال لهم شركان : وما الذي ظفرتم بهِ . فقالوا : ما نذكر ذلك الّا في الخلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما أُطلع عليهِ احد فيكون ذلك سبباً لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين . وكانوا قد خبأوا الصندوق الذي فيهِ ذات الدواهي . فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم . فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما

(الليلة الخامسة والتسعون) . واخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهي . فرقّ قلب شركان للزاهد واخذتهُ الرأفة عليهِ وقامت بهِ الحمية لله تعالى وقال لهم : هل خلصتم هذا الزاهد ام هو في الدير الى الآن . فقالوا : بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا في الهرب خوفاً من العطب . وقد اخبرنا بعض الثقات ان في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر . وبعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منهُ تلك الخبيثة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهي مكبلة بتلك السلاسل والقيود . فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انهُ رجل من خيار العباد وافضل الزهاد خصوصاً وجبينها يضيءُ من الدهان الذي دهنت بهِ وجهها . فبكى ضوء المكان واخوه بكاء شديداً . ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان . فاشارت اليهما وقالت : كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامي . فتركا البكاء امتثالاً لامرها . فقالت : اعلما اني قد رضيت بما صنعهُ بي مولاي لاني ارى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منهُ عزَّ وجلَّ . ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس لهُ وصول الى

جنات النعيم . وكنت اتمنى اني اعود الى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حلّ بي بل لاجل ان اموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات . ثم انشدت هذه الابيات :

الحصن طورٌ ونار الحرب موقدةٌ ... وانت موسى وهذا الوقت ميقاتُ
الق العصا تتلقف كل ما صنعوا ... ولا تخف بحبال القوم حياتُ
فاقرأ سطور العدى يوم الوغى سوَرًا ... فانَّ سيفك في الاعناق آياتُ

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع . وجبينها بالدهان كالضوء اللامع . فقام اليها شركان وقبل يديها واحضر لها الطعام . فامتنعت وقالت : اني لم افطر من مدة خمسة عشر عاماً فكيف افطر في هذه الساعة . وقد جاد عليَّ المولى بالخلاص من اسر الروم ودفع عني ما هو اشقّ من عذاب النار . فانا اصبر الى الغروب . فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان وقدَّما اليها الاكل وقالا لها : كلْ ايها الزاهد . فقالت : ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديَّان . ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل . ولم تزل على هذه الحالة ثلثة ايام بلياليها وهي لم تقعد الّا وقت التحية . فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبهُ حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان : اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فرّاشاً بخدمته . وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ما تشتهي الانفس ويلذّ الاعين . فلم تأكل من ذلك كله الّا رغيفاً واحداً بملح . ثم نوت الصوم . ولما جاء الليل قامت الى الصلاة . فقال شركان لضوء المكان : اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه . وقد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة واتحدث معهُ ساعة . فقال لهُ ضوء

المكان : وانا كذلك ولكن نحن في غدٍ ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعةً مثل هذه الساعة. فقال الوزير دندان : وانا الآخر اشتهي ان ارى هذا الزاهد لعلهُ يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت في الدنيا . فلما جنَّ عليهما الليل دخلا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها . فرأياها قائمةً تصلي فدنوا منهـا وصارا يبكيان رحمةً لها وهي لا تلتفت اليهما الى ان انتصف الليل . فسلَّمت من صلاتها ثم اقبلت عليهما وحيتهما وقالت لهما : لماذا جئتما . فقالا لها : ايها العابد اما سمعت بكاءنا حولك. فقالت : ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون لهُ وجودٌ في الكون حتى يسمع صوت احد او يراه. ثم انهما قالا : اننا نشتهي ان تحدثنـا بسبب اسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فانها خيرٌ لنا من ملك القسطنطينية. فلما سمعت كلامهما قالت : والله لولا انكم امراء المسلمين لما حدثتكم بشيء من ذلك ابدًا . فاني لا اشكو الَّا الى الله . وها انا أُخبركم بسبب أسري . اعلموا انني كنت في القدس مع بعض الابدال وارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعـالى انعم عليَّ بالتواضع والزهد . فاتفق انني توجهت الى البحر ليـلة ومشيت على الماء . فداخلني العجب من حيث لا ادري وقلت في نفسي : من مثلي يمشي على المـاء . فقسا قلبي من ذلك الوقت . وابتلاني الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت في اقطارها سنةً كاملةً حتى لم اترك موضعاً الَّا عبدت الله فيـهِ . فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيـه دير راهب يقال لهُ مطروحنا . فلما رآني خرج اليَّ وقبل يديَّ ورجليَّ فقـال : اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوَّقتني الى بلاد الاسلام . ثم انهُ اخذ بيدي وادخلني ذلك الدير . ثم دخل بي الى بيت مظلم . فلما دخلت فيه غافلني واغلق عليَّ الباب وتركني فيـهِ اربعين يوماً من غير طعام

ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبرًا . فاتفق في بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعهُ ابنة يُقال لها تماثيل . ولكنها في الحسن ليس لها مثيل . فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنا بخبري . فقال البطريق : اخرجوه لانه لم يبقَ من لحمه ما يأكله الطير . ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبًا في المحراب أُصلي واقرأ واسبح واتضرع الى الله تعالى . فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا : ان هذا ساحر من السحرة . فلما سمعوا كلامه قاموا جميعًا ودخلوا عليَّ واقبل عليَّ دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضربًا عنيفًا . فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت : هذا جزاء من يتكبر ويُعجب بما انعم عليهِ ربهُ مما ليس في طاقتهِ . وأنتِ يا نفسي قد داخلكِ العجب والكبر . أما علمتِ ان الكبر يُغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار . ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني . وكان سردابًا في ذلك البيت تحت الارض . وكل ثلثة ايام يرمون اليَّ قرصًا من الشعير وشربة ماء . وكل شهر او شهرين ياتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنتهُ تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها . ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها اربعة وعشرون عامًا وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم احسن منها . وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان ياخذها منهُ لانها تبتلت ووهبت نفسها للمسيح . غير انها تركب مع ابيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن . ولا يعلم من رآها انها جارية . وقد خزن ابوها اموالها في هذا الدير لأن كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعهُ في ذلك الدير . وقد رأيت فيهِ من انواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصي عددهُ الّا الله تعالى . فانتم اولى به من هؤلاء اللئام . فخذوا ما في هذا الدير

وانفقوه على المسلمين وخصوصاً المجاهدين . ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلّمتهم تلك الصورة التي في الحائط لكرامة اكرمني الله بها . فجاؤوا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد ان عاقبوه اشدّ العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فاخذوني . ولم يكن لهم سبيل الّا الهرب خوفاً من العطب . وفي ليلة غدٍ تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها ابوها مع غلمانه لانهُ يخاف عليها . فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل . وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعهُ ابنتهُ فخذوها . فانها لا تصلح الّا للملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان . ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الّا الوزير دندان فانهُ لم يصدقها وما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتاً من كلامها يلوح على وجهه علامة الانكار عليها . فقالت العجوز ذات الدواهي : اني اخاف ان يُقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير . فامر السلطان العسكر ان يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان : ان قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالاً كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير . ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال : اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية . وانت ايها الحاجب عوضٌ عني في الرأي والتدبير . وانت يارستم تكون نائباً عن اخي في القتال . ولا تعلموا احداً اننا لسنا معكم . وبعد ثلثة ايام نلحقكم . ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة الفارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال

(الليلة السادسة والتسعون) . فلمـا اصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيـل . فرحلوا وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير

هذا ما كان من امرهم . واما ما كان من امر شركان واخيـه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار . وكانت الروم اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفيـةً بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديهـا ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بمـا شاءت من المكر . فلما جنّ الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان واصحابه : قوموا معي الى الجبـل وخذوا معكم قليلاً من العساكر . فأطاعوها وتركوا في سفح الجبـل خمسة فوارس وسار الباقون بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها . وصار ضوء المكان يقول : سبحان من قوّى هذا الزاهد الذي ما رأينـا مثله . وكانت الكاهنة قد ارسلت كتاباً على اجنحـة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بمـا جرى . وقالت في آخر الكتـاب : اريد ان تُنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعـان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفيـةً لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتها وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير . وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتمّ الّا بقتله . فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديّار . ولا نافخ نار . فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة . فلما قرأها أنفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم ان يصلوا الى ذلك الدير . فلما وصلوا الى البرج المعروف كمنوا فيه

هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر الملك ضوء المكان

واخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد اقبل لينظر حالهم . فقال الزاهد : اقتلوا هذا اللعين . فضربوه بالسيف وسقوه كأس الحتوف . ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فاخرجوا منهُ من التحف والذخائر اكثر مما وصفتهُ لهم . وبعد ان جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال . واما تماثيل فانها لم تحضر لا هي ولا ابوها خوفاً من المسلمين . فاقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم . فقال شركان : والله قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم . فقال اخوه : انَّا قد اخذنا هذا المال العظيم وما نظن ان تماثيل ولا غيرها ياتي الى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى . فينبغي اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعلَّ الله يعيننا على فتح القسطنطينية . ثم نزلوا من الجبل . فما امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفاً من التفطن بخداعها . ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة آلاف فارس . فلما رأوهم احاطوا بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح . وجردوا عليهم بيض الصفاح . وفوقوا سهام شرهم . فنظر ضوء المكان واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشاً عظيماً وقالوا : مَن اعلم هذه العساكر بنا . فقال شركان : يا اخي ما هذا وقت كلام . بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام . فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب لهُ بابان . ولولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولو كانوا مائة الف فارس . فقال ضوء المكان : لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس . فقال الوزير دندان : لو كان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لاتفيدنا شيئاً . ولكن الله يعيننا عليهم . وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيهِ مفاوز كثيرة

لاني قد غزوت فيهِ مع الملك عمر بن النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية . وكنا نقيم فيهِ . وفيهِ ماء ابرد من الثلج . فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل ان يكثر علينا العساكر ويسبقونا الى رأس الجبل فيرمون علينا الحجارة ولا نملك منهم اربًا . فاخذوا في الاسراع بالخروج من ذلك الشعب . فنظر اليهم الزاهد وقال لهم : ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله . اني مكثت مسجونًا تحت الارض خمسة عشر عامًا ولم اعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله . فمن قُتل منكم فالجنة مأواه . ومن قَتل فالى الشرف مسعاه . فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجَمت عليهم الروم من كل مكان ولعبت في اعناقهم السيوف . ودارت بينهم كاس الحتوف . وقاتل المسلمون اشد القتال . واعملوا في اعدائهم الأسنّة والنصال . وصار ضوء المكان يضرب الرجال . ويجندل الابطال . ويرمي رؤُسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة . حتى افنى منهم عددًا لا يحصى . وجملًا لا تستقصى . فبينما هو كذلك اذ نظر الغادرة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها . وصارت تومىء اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقةً بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها . وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على اعقابها . فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسهِ : ان هذا العابد قد نظر الله اليهِ بعين عنايته . وقوّى عزمي على العدو بخالص نيتهِ . فأراهم يخافونني ولا يستطيعون الاقدام عليَّ بل كل ما حملوا عليَّ يولُّون الادبار ويركنون الى الفرار . ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار . ولما اقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة . وقُتل منهم في ذلك اليوم خمسة واربعون رجلًا . ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له

اثرًا . فعظم عليهم ذلك وقالوا : لعلهُ استشهد . فقال شركان : انا رايتهُ يقوي الفرسان بالاشارة الربانية . ويعيذهم بالآيات الرحمانية . فبينما هم في الكلام واذا بالخبيثة ذات الدواهي قد اقبلت وفي يدهـا رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفًا وكان جبارًا عنيدًا . وشيطانًا مريدًا . وقد قتلهُ رجل من الاتراك بسهم . فلما رأى الروم ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليهِ . واوصلوا الاذية اليهِ . وقطعوه بالسيوف . ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق واتت به والقتهُ بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان . فلما رآها شركان وثب قائمًا على قدميه وقال : الحمد لله على سلامتك ورؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد

(الليلة السابعة والتسعون) . اما ذات الدواهي فاجابتهُ قائلة : يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي بين عسكر الاعداء وهم يهابونني . فلما انفصلتم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بالف فارس فضربتهُ حتى اطحت رأسهُ عن بدنه ولم يقدر احد من الاعداء ان يدنو مني واتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهـاد . وترضوا بسيوفكم رب العبـاد . واريدان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يُهلكون هؤلاء اللئام . فقال شركان : وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالعدو من كل جانب . فقالت الخبيثة : الله يسترني عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لا يجسر أن يُقبل عليَّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيًا في الله . وهو يقاتل عني عداه . فقال شركان : صدقت ايهـا الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضي اول الليـل يكون ذلك اجود لنا . فقال : انا امضي في هذه الساعة وان كنت

تريد ان تجيء معي ولا يراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولي لا يستر غير اثنين . فقال شركان : اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين . وسيف رب العالمين . وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار . ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام . فاصطلحوا واتفقوا على هذا الحال . ثم ان العجوز قالت : امهلوني حتى اذهب قبلكم وانظر حال العدا هل هم نيام او يقظانون . فقالوا : ما نخرج الّا معك ونسلم امرنا لله . فقالت : اذا طاوعتكم لا تلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم . فقال شركان : امضِ اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك . فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وجعل شركان يحدث اخاه بعد خروجها وقال : لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد . وقد انكسرت شوكة العدو بقتل هذا البطريق لانهُ كان جباراً عنيداً . وشيطاناً مريداً . فبينما هما يتحادثان في كرامات الزاهد واذا بذات الدواهي قد دخلت عليهما ووعدتهما بالنصر على القوم . فشكرا الزاهد على ذلك ولم يعلما ان هذه حيلة وخداع . ثم قالت لهما : اين ملك الزمان ضوء المكان . فاجابها بالتلبية . فقالت لهُ : خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية . وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الروم بالحيلة التي عملتها . ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا : ما يجبر خاطرنا الّا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانهُ لم يكن عندنا افرس منهُ . وقالوا للعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين : اذا اتيتِ بهِ نأخذه الى الملك افريدون . ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان

والوزير دندان وهي تتقدمها وتقول لهما : سيرا على بركة الله تعالى . فاجاباها الى قولها . ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر . ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق . وعساكر الروم ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان العجوز اوصتهم بذلك . فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر العدو وعرفوا ان الروم عاينوهم ولم يتعرّضوا لهم قال الوزير دندان : حقاً ان هذه كرامة من الزاهد . ولا شك انه من الخواص . فقال ضوء المكان : ما اظن العدى الّا عمياناً لاننا نراهم وهم لا يروننا . فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعبادته واذا بالروم قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا : هل معكما احد غيركما فنقبض عليه . فقال الوزير دندان : اما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين ايدينا . فقالوا لهما : انا لا نرى احداً غيركما. فقال ضوء المكان : ان الذي حلّ بنا عقوبة لنا من الله تعالى

(الليلة الثامنة والتسعون) . ثم ان الروم وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما . فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما : ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حلّ بنا من الضيق الذي نحن فيهِ . هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان . واما ما كان من امر الملك شركان فانهُ بات تلك الليلة . فلما اصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح . ثم نهض هو ومن معهُ من العساكر وتأهبوا لقتال الروم وقوّى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير . ثم ساروا الى ان وصلوا الى الروم . فلما رآهم الروم من بعيد قالوا لهم : يا مسلمون أنَّا اسرنا سلطانكم ووزيره الذي بهِ انتظام امركم . وان لم ترجعوا عن قتالنا

قتلناكم عن آخركم . واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرّونا بشيء ولا نضركم بشيء . فان طاب خاطركم كان الحظ لكم . وان ابيتم فما يكون الّا قتلكم . وقد عرّفناكم وهذا يكون آخر كلامنا معكم

فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر اخيهِ والوزير دندان عظم عليهِ ذلك وبكى وضعفت قوّتهُ وايقن بالهلاك . فقال في نفسه : يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب في حق الزاهد واعترضا عليهِ او ما شأنهما . ثم نهضوا الى قتال الروم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان . واختضب السيف والسنان . وتهافت عليهم الاعداء تهافت الذباب على الشراب من كل مكان . وما زال شركان ومن معهُ يقاتلون قتال من لا يخاف الموت . ولا يعتريهِ في طلب الفرصة فوت . حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى . فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة . وبانت منهم الغلبة والخسارة . ولم يبقَ منهم الّا القليل . ولم يكن منهم الّا على الله والسيف تعويل . وقد قُتل منهم في هذا النهار خمسة وثلثون فارساً من الامراء الاعيان . وان قُتل بسيفهم من الروم آلاف من الرجال والركبان . فلما عاين شركان ذلك ضاق عليهِ الامر وقال لاصحابه : كيف العمل . فقال لهُ اصحابه : لا يكون الّا ما يريده الله تعالى . فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكر : ان خرجتم للقتال ما بقي منكم احد لانهُ لم يبقَ عندنا الّا قليل من الماء والزاد . والرأي الذي عندي فيهِ الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم من يدخل عليكم فلعل الزاهد يكون قد وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف

فارس فيعينونا على قتال الاعداء ولعلّ الاعداء لم ينظروهُ هو ومن معهُ . فقال لهُ اصحابه : ان هذا الرأي هو الصواب . وما في سداده ارتياب . ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيـهِ وكل من اراد ان يدخل عليهم من الروم يقتلونهُ وصاروا يدفعون الاعداء عن الباب وصبروا على القتال الى ان ذهب النهار . واقبل الليل بالاعتكار

(الليلة التاسعة والتسعون) . ولم يبقَ عند الملك شركان الّا خمسة وعشرون رجلًا لا غير . فقال الروم لبعضهم : متى تنقضي هذه الايام فاننـا قد تعبنا من قتال المسلمين . فقال بعضهم : قوموا لنهجم عليهم فانهُ لم يبقَ منهم الّا خمسة وعشرون رجلًا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار . فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسرى . وان ابوا تركناهم حطباً للنار حتى يصـيروا عبرة لأولي الابصار . ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيهِ النار . فايقن شركان ومن معهُ بالبوار . فسلموا نفوسهم . فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم فقال لهُ : لا يكون قتلهم الّا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله . فينبغي ان نبقيهم عندنا اسرى وفي غد نسـافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد . فقالوا : هذا هو الرأي الصواب . ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حراساً . فلما جنّ الظلام اشتغلوا باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه . وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال . فعنـد ذلك نظر شركان الى اخيهِ وقال لهُ : يا اخي كيف الخلاص . فقال ضوء المكان لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص . فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه وتمطى فانقطع الكتاف . فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس واخذ مفاتيح

القيود من جيبه وفكَّ ضوء المكان وفكَّ الوزير دندان وفكَّ بقية العسكر . ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال : اني اريد ان اقتل من الحراس ثلثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زيّ الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدًا منَّا . ثم نتوجه الى عسكرنا . فقال ضوء المكان : ان هذا الرأي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الروم فيقتلوننا . والرأي السديد ان نسير الى خارج الشعب . فاجابوهُ الى ذلك . فلما صاروا بعيدًا عن الشعب بقليل رأوا خيلًا مربوطة واصحابها نائمون . فقال شركان لاخيهِ : ينبغي ان يأخذ كل واحد منا جوادًا من هذه الخيول . وكانوا خمسة وعشرين رجلًا فاخذوا خمسة وعشرين جوادًا وقد القى الله النوم على الروم لحكمة يعلمها . ثم ان شركان جعل يختلس من الروم السلاح . من السيوف والرماح . حتى اكتفى . ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا . وكان في ظن الروم انهُ لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيهِ ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهرب . فلما خلصوا جميعًا من الاسر وصاروا في أمن منهم وصل شركان الى اصحابه فوجدهم في انتظاره واقفين على نار . وهم من اجله في غاية الافتكار . فالتفت اليهم شركان وقال لهم : لا تخافوا حيث سترنا الله . ولكن عندي رأي ولعلهُ صواب . فقالوا : وما هو . قال : اريد ان تطلعوا الى فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرةً واحدة وتقولوا : لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا بصيحة واحدة بقول : الله اكبر . فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلةً فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين احاطوا بهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربًا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح . فقال ضوء المكان :

ان هذا الرأي غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا احد . فقال شركان : ولو تنبهوا لنا ما علينا بأس . واشتهي ان توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الّا خيرًا . فاجابوهُ الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله . فسمع الروم ذلك التكبير

(الليلة الموفية للمائة) . فصاحوا على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا : قد هجمت علينا الاعداء . ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الّا الله تعالى . فلما كان الصباح فتشوا على الاسرى فلم يجدوا لهم اثرًا . فقال رؤساؤهم : ان الذي فعل بكم هذه الفعال هم الاسرى الذين كانوا عندنا . فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال . ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال . ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الّا لحظة حتى لحقوهم واحاطوا بهم . فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد بهِ الفزع وقال لاخيهِ : ان الذي خفت من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الّا الجهاد . فلزم شركان السكوت عن المقال . ثم انحدر ضوء المكان من اعلى الجبل وكبر وكبرت معهُ الرجال وعوّلوا على الجهاد . وباعوا انفسهم في طاعة رب العباد . فبينما هم كذلك واذا بقوم يصيحون بالتهليل والتكبير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين مقبلين . فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الروم وهلل وكبر هو ومن معهُ فارتجت الارض كالزلزال . وتفرقت عساكر العدو في عرض الجبال . فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان . وازاحوا منهم الرؤُوس عن الابدان . ولم يزل ضوء المكان هو ومن معهُ من المسلمين يضربون في الاعناق الى ان ولّى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم . فلما

اصبح الصباح . وضاء بنوره ولاح . رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون الف فارس . مقبلين عليهم كالليوث العوابس . فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه . فقال لهم ضوء المكان : ابشروا بنصر المسلمين وهلاك قوم العدو . ثم هنأوا بعضهم بالسلامة. وعظيم الاجر في القيامة . وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤوسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا اهل المدينة قد خرجوا الى الاسواق وملكوا الابراج والقلاع . واستعدوا في كل حصن مناع . حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية . والاعلام المحمدية . وسمعوا قعقعة السلاح . وضجة الصياح . ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا وقع حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر . والسحاب المنهمر . وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن . وتسبيح الرحمن . وكان السبب في اعلام الروم بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهي بحيلتها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان . فقال امير الترك لامير الديلم : يا امير انا صرنا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار . فانظر الى تلك الابراج . والى هذا العالم الذي كالبحر العجاج . المتلاطم بالامواج . ان هؤلاء الاعداء يزيدون علينا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس يخبرهم انه ليس فينا من سلطان . واننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم . ولا ينقطع مددهم . خصوصاً مع غيبة ضوء المكان . واخيه والوزير الاجل دندان . فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج . ومن الرأي ان نأخذ انت عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا في طلب اخواننا واصحابنا .

فان اطعتموني كنتم سبباً في التفريج عنهم ان كان الاعداء قد ضيقوا عليهم . وان لم تطيعوني فلا لوم عليَّ . واذا توجهتم ينبغي ان ترجعوا الينا مسرعين . فان من الحزم سوء الظن . فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور

هـذا ما كان من امر سبب مجيئهم . واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي . فانها لما اوقعت السلطان ضوء المكان واخاه شركان والوزير دندان في ايدي الروم اخذت جواداً وركبتهُ وقالت للروم : اريد ان الحق بعسكر المسلمين واتحيل على هلاكهم لانهم في القسطنطينية . فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا . فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم . ثم أدخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدي الملك حردوب ملك الروم واخبرهمـا بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين فيهلكانهم ولا يبقيان احداً منهم . ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل . فلما اصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم . فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت ومشت قليلاً وهي تقول في نفسها : لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية . فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت اعلامهم . فرأتها غير منكسة فعلمت انهم اتوا غير منهزمين ولا خائفــين على ملكهم واصحابهم . فلما عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجري الشديد . مثل الشيطان المريد . الى ان وصلت اليهم وقالت لهم : العجل العجل يا جند الرحمن الى الجهاد . فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها : يا وليَّ الله ما وراءكِ . فقـال : لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال . فان اصحابنا لما اخذوا المـال من دير مطروحنا ارادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرَّار

ذو بأس شديد . ثم ان الماكرة اعادت عليهم الحديث ارجافاً ووجلاً وقالت : ان اكثرهم هلك ولم يبقَ منهم الّا خمسة وعشرون رجلاً . فقال بهرام : ايها الزاهد متى فارقتهم . فقال : في ليلتي هذه . فقال بهرام : سبحان الذي طوى لكَ الارض البعيدة . وانت ماشٍ على قدميك متكئ على جريدة . لكنك من الاولياء الطيَّارة . الملهمين وحي الاشارة . ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعهُ من ذات الافك والبهتان وقال : لاحول ولا قوة الّا بالله . لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأُسر سلطاننا ومن معهُ . ثم جعلوا يقطعون الارض طولاً وعرضاً ليلاً ونهاراً . فلما كان وقت السحر اقبلوا على راس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير . فحمل هو واصحابه واحاطوا بالروم احاطة السيل بالقفار . وصاحوا عليهم صياحاً ضجت منهُ الابطال . وتصدعت بهِ الجبال . فلما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح . فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره . وتعارفوا كما تقدم ذكره . فقبلوا الارض بين يدي ضوء المكان واخيهِ شركان . واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة . فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم : اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم . فعند ذلك اسرعوا في المسير . وتوكلوا على اللطيف الخبير . وكان ضوء المكان يقوّي المسلمين على الثبات . وينشد هذه الابيات :

لكَ الحمد يا مستوجب الحمد والشكرِ ... فما زلتَ لي بالعون يا ربَّ في امري
ربيتُ غريباً في البلاد وكنتَ لي ... كفيلاً وقد قدرت يا قادر نصري
واعطيتني مالاً وملكاً ونعمةً ... وقلدتني سيف الشجاعة والنصرِ
وخوّلتني ظلَّ المليك معمَّراً ... وقد جدت لي من فيض جودك بالغمرِ
وسلمتني من كل خطبٍ حذرتهُ ... بمشورة الصدر الوزير فتى الدهرِ

بفضلك قد صلنا على الروم صولةً وقد رجعوا بالضرب في حلل حمرِ
واظهرت اني قد هزمت هزيمةً وعدت عليهم عودة الصيغم الغمرِ
تركتهمُ في القاع صرعى كانهم نشاوى بكأس الموت لاقهوة الخمرِ
وصارت بايدينا المراكب كلها وصار لنا السلطان في البرّ والبحرِ
وجاء الينا الزاهد العابد الذي كرامتهُ شاعت لدى البدو والحضرِ
اتينا لأخذ الثأر من كل غادرٍ وقد شاع عند الناس ما كان من امري
وقد قتلوا منا رجالاً فاصبحوا لهم غرفٌ في الخلدِ تعلو على نهرِ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأهُ اخوهُ شركان بالسلامة وشكرهُ على افعاله

(الليلة الحادية بعد المائة) . ثم انهما توجها مجدين المسير طالبين عساكرهما هذا ما كان من امرهما . واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبتهُ واسرعت في سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية . ثم انها نزلت واخذت جوادها واتت بهِ الى السرادق الذي فيهِ الحاجب . فلما رآها نهض لها قائماً وقال : مرحباً بالعابد الزاهد . ثم سألها عما جرى . فاخبرتهُ بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت : اني اخاف على الامير رستم والامير بهرام لاني قد لاقيتهما مع عسكرهما في الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معهُ وكانا في عشرين الف فارس والاعداء اكثر منهم . واني اردت في هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم . فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلّت عزائمهم وبكوا . فقالت لهم ذات الدواهي : استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزيّة . فلكم اسوة بمن سلف من الأمّة المحمديّة . فالجنّة

ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدًا ولا بدَّ من الموت لكل احد . ولكنهُ في الجهاد احمد . فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا بأخ الامير بهرام وكان فارسًا يقال لهُ تركاش وانتخب لهُ عشرة آلاف فارس . ابطالاً عوابس . وأمرهُ بالسير . فسار ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين . فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال : ان هذه عساكر مقبلة علينا فأما ان يكونوا من عسكر النصارى فلا اعتراض على الاقدار . ثم انهُ اتى الى اخيهِ ضوء المكان وقال لهُ : لاتخف ابدًا فاني افديك بروحي من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام . وان كان هؤلاء اعداؤنا فلا بدَّ من قتالهم . لكن اشتهي ان اقابل العابد قبل موتي لأسألهُ ان يدعو لي أن لا اموت الاَّ شهيدًا . فبينما هم كذلك واذا برايات المسلمين قد لاحت . فصاح شركان : كيف حال المسلمين . قالوا : بعافية وسلامة وما اتينا الاَّ خوفًا عليكم . وترجل رئيس العسكر عن جواده وقبَّل الارض بين يديه وقال : يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخي بهرام هل هم جميعًا سالمون . فقال : بخير . ثم قال لهُ : ومن الذي اخبركم بخبرنا . قال : الزاهد وقد ذكر انهُ لقي اخي بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا : ان العدى قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الاَّ بخلاف ذلك وانتم منصورون . فقال لهم : وكيف وصول الزاهد اليكم . فقالوا لهُ : كان سائرًا على قدميهِ وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس الجدّ . فقال شركان : لاشكَّ انهُ وليّ الله . واين هو . قالوا لهُ : تركناه عند عسكرنا يحرضهم على قتال العدوّ . ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قُتل منهم وقالوا : كان ذلك في الكتاب مسطورًا . ثم ساروا مجدين في سيرهم . فبينما هم كذلك واذا بغبار قد

طار . حتى سدّ الاقطار . واظلم منهُ النهار . فنظر اليهِ شركان وقال : اني اخاف ان يكون الروم قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سدَّ المشرقين . وملأ الخافقين . ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام . اشدّ سواداً من حالك الايام . وما زالت تقرب منهم تلك الدعامة . وهي اشدُّ من هول يوم القيامة . فتسارعت اليها الخيل والرجال . لينظروا ما سبب سوء هذا الحال . فرأوا الزاهد المشار اليهِ . فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي : يا امة خير الانام . ومصباح الظلام . ان الروم غدروا بالمسلمين . فأدركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من ايدي الاعداء اللئام . فانهم هجموا عليهم في الخيام وحلّ بهم العذاب المهين . وكانوا في مكانهم آمنين . فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبهُ من شدة الخفقان . وترجَّل عن جواده وهو حيران . ثم قبَّل يد الزاهد ورجليهِ وكذلك اخوهُ ضوء المكان . وبقية العسكر من الرجال والركبان . الّا الوزير دندان . فانهُ لم يترجل عن جواده وقال : ان قلبي نافر من هذا الزاهد . لاني ما عرفت للمتنطعين والمرائين في الدين غير المفاسد . فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين . فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين . فكم غزوت مع الملك عمر بن النعمان . ودست اراضي هذا المكان . فقال لهُ شركان : دع هذا الظنّ الفاسد . اما نظرت الى هذا العابد . وهو يحرّض المؤمنين على القتال . ولا يبالي بالسيوف ولا النبال . لان الغيبة مذمومة . ولحوم الصالحين مسمومة . وانظر الى تحريضهِ لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبهُ ما طوى لهُ البعيد من الارض بعد ان اوقعه سابقاً في العذاب الشديد . ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال لهُ : اركب ايها الزاهد . الناسك العابد . فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب . واظهر الزهد لينال المطلوب . وما دروا ان هذا الزاهد الماكر هو الذي قال في مثلهِ الشاعر :

صلّى وصام لامرٍ كان يطلبهُ لمّا قضى الامر لا صلّى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشياً بين الخيل والرجال. كانهُ الثعلب المحتال للاغتيال. وصار رافعاً صوتهُ بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن. وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام. فوجدهم شركان في حالة الانكسار. والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار. وسيف الروم يعمل بين الابرار والفجار

(الليلة الثانية بعد المائة). وكان السبب في خذل المسلمين ان اللعينة ذات الدواهي لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان. سارت هي نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره. وكان قصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا. ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت: أدلوا حبلاً لاربط فيهِ هذا الكتاب وأوصلوه الى ملككم افريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه. من امره ونواهه. فأدلوا اليها حبلاً فربطت فيهِ الكتاب وكان مضمونهُ: من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون. اما بعد فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين. فكونوا مطمئنين. وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهتُ الى عسكرهم واخبرتهم بذلك. فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم. وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى ارسلت اثني عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين. وما بقي منهم الّا القليل. فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم حتى تقتلوهم عن آخرهم. فلما وصل كتابها الى الملك افريدون فرح فرحاً شديداً وارسل في الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي واحضره وقرأ الكتاب عليه. ففرح

وقال : انظر مكر امي فانهُ يغني عن السيوف . وطلعتها تنوب عن هول اليوم الخوف . فقال الملك افريدون : لا عدمنا طلعة امك . ثم انهُ أمر البطارقة ان ينادوا بالرحيل الى المدينة وشاع الخبر في القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية . والعصابة الصليبية . وجردوا السيوف الحداد . فلما نظر الحاجب الى ذلك قال : ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربما هجموا علينا واكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى : يا عسكر المسلمين . وحماة الدين المتين . ان هربتم هلكتم . وان صبرتم نُصرتم . فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة . وما ضاق امر الّا اوجد الله اتساعه . بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة . فعند ذلك كبر المسلمون . وصاح الموحدون . ودارت رحى الحرب . بالطعن والضرب . وعملت الصوارم والرماح . وملأ الدم الاودية والبطاح . وطارت الرؤُوس عن الابدان . ولم يزل السيف يعمل الى ان ولّى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . وقد احاطت الروم بالمسلمين وطمعوا فيهم الى ان طلع الفجر . فركب الحاجب هو وعسكره . وترجى ان الله ينصره . واختلطت الامم بالامم . وقامت الحرب على قدم . وطارت القمم . وثبت الشجاع وتقدم . وولّى الجبان وانهزم . وقضى قاضي الموت وحكم . حتى تطاوحت الابطال عن السروج . وامتلأَت بالاموات المروج . وتأخر المسلمون عن اماكنهم . وملكت الروم بعض خيامهم ومساكنهم . وعزم المسلمون على الانكسار . والهزيمة والفرار . فبينما هم كذلك اذ وصل شركان بعساكر المسلمين . ورايات الموحدين . فلما اقبل عليهم شركان حمل على الاعداء وتبعهُ ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان . وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش . فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم . وغاب معقولهم . وثار الغبار . حتى ملأَ الاقطار . واجتمع

المسلمون الاخيار . باصحابهم الابرار . واجتمع شركان بالحاجب فشكرهُ على صبره . وهنأهُ بتأييده ونصره . وفرح المسلمون وقويت قلوبهم . وحملوا على اعدائهم . واخلصوا لله في جهادهم . فلما نظر الروم الى الرايات المحمدية . وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية . صاحوا بالويل والثبور . وانقبضت ايديهم عن القتال . وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما في الميمنة . والآخر في الميسرة . وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطاً واصطفوا للنزال . وان كانوا في فزع وزلزال . ثم صفّ المسلمون عساكرهم . فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال لهُ : يا ملك الزمان . لا شك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا . ولكن احبّ ان اقدم من العسكر من لهُ عزم ثابت فانَّ التدبير نصف المعيشة . فقال السلطان : ماذا تريد يا صاحب الراي السديد . فقال شركان : اريد ان اكون في قلب عسكر العدو وان يكون الوزير دندان في الميسرة وانت في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم في الجناح الايسر . وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا . وعليك بعد الله اعتمادنا . ونحن كلنا نفديك . من كل امر يؤذيك . فشكره ضوء المكان على ذلك . وارتفع الصياح . وجردت الصفاح . فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم . فلما قرب رأوهُ راكباً على بغلة قطوف . تفرّ بصاحبها من وقع السيوف . وبرذعتها من ابيض الحرير . وعليها سجادة من كشمير . وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة . ظاهر الهيبة . عليهِ مدرعة من الصوف الابيض . ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال : اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الّا البلاغ فاعطوني الامان والاقالة . حتى ابلغكم الرسالة . فقال لهُ شركان : لكَ الامان . فلا تخشَ حرب سيف ولا

طعن سنان . فعند ذلك ترجل الشيخ بين يدي السلطان . وخضع له خضوع راجي الاحسان . فقال له المسلمون : ما معك من الاخبار . فقال : اني رسول من عند الملك افريدون فاني نصحتهُ ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية . والهياكل الرحمانية . وبينت له ان الصواب حقن الدماء . والاقتصار على فارسين في الهيجاء . فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم : اني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه . فان قتلني فلا يبقى لعسكر الروم ثبات . وان قتلتهُ فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات . فلما سمع شركان هذا الكلام قال : يا راهب انَّا اجبناهُ الى ذلك فان هذا هو الانصاف . فلا يكن منهُ خلاف . وها انا ابرز اليه . واحمل عليه . فان قتلني فاز بالظفر . ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفرّ . فارجع اليهِ ايها الراهب وقل له : ان البراز يكون في غدٍ لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم . وبعد الراحة لا عتب ولا لوم . فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك . ففرح الملك افريدون غاية الفرح . وزال عنهُ الهم والترح . وقال في نفسه : لا شكَّ ان شركان هذا هو اضربُهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلتهُ انكسرت همتهم . وضعفت قوتهم . وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له : ان شركان هو فارس الشجعان . وشجاع الفرسان . وحذرت افريدون من شركان . وكان افريدون فارساً عظيماً لانهُ كان يقاتل انواع القتال . ويرمي بالحجارة والنبال . ويضرب بعمود الحديد . ولا يخشى من البأس الشديد . فلما سمع افريدون قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانهُ واثق بنفسه ويعلم انهُ لا طاقة لاحد بهِ . ثم بات الروم تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور . فلما كان الصباح . اقبلت

الفوارس بسمر الرماح . وبيض الصفاح . واذا هم بفارس قد برز في الميدان . وهو راكب على جواد من الخيل الجياد . معدّ للحرب والجلاد . وله قوائم شداد . وعلى ذلك الفارس درع من الحديد . معدّ للبأس الشديد . وفي صدره مرآة من الجوهر . وفي يده صارم ابتر . وقنطارية خولنج . من غريب عمل الافرنج . ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال : من عرفني فقد اكتفاني . ومن لم يعرفني فسوف يراني . انا افريدون المغمور ببركة ذات الدواهي . فما اتمّ كلامهُ حتى خرج في وجههِ فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر . يساوي الفاً من الذهب الاحمر . وعليهِ عدة مزركشة بالدرّ والجوهر . وهو متقلد بسيف هندي مجوهر . يقدّ الرقاب . ويهوّن الامور الصعاب . ثم ساق جواده بين الصفين . والفرسان تنظرهُ بالعين . ونادى افريدون وقال لهُ : ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان . ولا يثبت معك في حومة الميدان . ثم حمل كل منهما على صاحبه . كانهما جبلان يصطدمان . او بحران يتلاطمان . ثم تقاربا وتباعدا . والتصقا وافترقا . ولم يزالا في كرّ وفرّ . وهزل وجدّ . وضرب وطعن . والجيشان ينظران اليهما . وبعضهم يقول : ان شركان غالب . والبعض يقول : ان افريدون غالب . ولم يزل الفارسان على هذا الحال . حتى بطل القيل والقال . وعلا الغبار . وولّى النهار . ومالت الشمس الى الاصفرار . وصاح الملك افريدون على شركان وقال لهُ : وحق دين المسيح . والاعتقاد الصحيح . ما انت الّا فارس كرّار . وبطل مغوار . غير انك غدار . وطبعك ما هو طبع الاخيار . لاني ارى فعلك غير حميد . وقتالك قتال الصناديد . وقومك ينسبونك الى العبيد . وها هم اخرجوا لكَ غير جوادك . وتعود الى القتال واني قد اعياني قتالك . واتعبني ضربك وطعانك . فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة . فلا تغير شيئاً من عدتك ولا

جوادك . حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك . فلما سمع شركان هذا الكلام . اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونهُ الى العبيد فالتفت شركان اليهم واراد ان يشير اليهم ويأمرهم ان لا يغيروا لهُ جواداً ولا عدة . واذا بافريدون هزَّ حربته وارسلها الى شركان . فالتفت وراءهُ فلم يجد احداً فعلم انها حيلة من الخبيث . فردَّ وجههُ بسرعة واذا بالحربة قد ادركته . فمال عنها حتى ساوى برأسهِ قربوس سرجه . فوقعت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت جلدة صدره . فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا . ففرح الملك افريدون بذلك وغاب وعرف انهُ قد قتلهُ . فصاح على الروم ونادى بالفرح . فهاجت الروم وبكى المسلمون . فلما رأى ضوء المكان اخاهُ مائلاً على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوهُ الفرسان . فتسابقت اليهِ الابطال واتوا بهِ اليه . وحملت الروم على المسلمين . والتقى الجيشان . واختلط الصفان . وعمل اليماني البتار

(الليلة الثالثة بعد المائة) . وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه . وقد مال عن جواده فسندوه . ورجعوا بهِ الى اخيه ضوء المكان . ثم اوصوا بهِ الغلمان . وعادوا الى الحرب والطعان . واشتدَّ النزال . وتقصفت النصال . وبطل القيل والقال . فلم يُرَ الَّا دمٌ سائل . وعنقٌ مائل . ولم يزل السيف يعمل في الاعناق . واشتدَّ الشقاق . الى ان ذهب اكثر الليل . وكلَّت الطائفتان عن القتال . فنادوا بالانفصال . ورجعت كل طائفة الى خيامها . وتوجه جميع الروم الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنأوه على ظفره بشركان . ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكتهِ . واقبل عليه الملك حردوب وقال لهُ : قوّى الله ساعدك . ولا زال مساعدك . واستجاب من الامَ

الصالحة ذات الدواهي ما تدعو بهِ لك . واعلم ان المسلمين ما بقي لهم اقامة بعد شركان . فقال افريدون : في غد يكون الانفصال . اذا خرجتُ الى النزال . وطلبت ضوء المكان وقتالهُ . فان عسكرهم يولون الادبار . ويركنون الى الفرار

هذا ما كان من امر الروم . واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن لهُ شغل الَّا باخيه . فلما دخل عليه وجده في اسوإ الاحوال . واشدّ الاهوال . فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة . فلما دخلوا عليهِ اقتضى رأيهم احضار الاطباء لعلاج شركان . ثم بكوا وقالوا : لم يسمح بمثله الزمان . وسهروا عنده تلك الليلة . وفي آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكي . فلما رآه ضوء المكان قام اليهِ فلمس بيده على جرح اخيه وتلا شيئًا من القرآن . وعوّذه بآيات الرحمان . وما زال سهران عنده الى الصباح . فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيهِ وادار لسانه في فمه وتكلم . ففرح السلطان ضوء المكان وقال : قد حصل هذا ببركة الزاهد . فقال شركان : الحمد لله على العافية فانني بخير في هذه الساعة وقد عمل عليَّ هذا الخبيث حيلة . ولولا اني حِدتُ باسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري . فالحمد لله الذي نجاني . وكيف حال المسلمين . فقال لهُ ضوء المكان : هم في بكاء من اجلك . فقال : اني بخير وعافية . وأين الزاهد . وكان عند رأسه قاعدًا . فقال لهُ : عند رأسك . فالتفت شركان اليه وقبَّل يديه . فقال الزاهد : يا ولدي عليك بجميل الصبر . يعظم الله لك الأجر . فان الاجر على قدر المشقة . فقال شركان : ادعُ لي . فدعا لهُ . فلما اصبح الصباح . وبان الفجر ولاح . برز المسلمون الى ميدان الحرب . وتهيأ الروم للطعن والضرب . وتقدمت عساكر

المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح . وجرّدوا السلاح . وأراد الملكان ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضها . واذا بضوء المكان خرج الى الميدان . وخرج معهُ الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان : نحن فداك . فقال لهم : وحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . لا اقعد عن الخروج . الى هؤلاء العلوج . فلما صار في الميدان . لعب بالسيف والسنان . حتى اذهل الفرسان . وتعجب الفريقان . وحمل في الميمنة فقتل منها بطريقين . وفي الميسرة فقتل منها بطريقين . ووقف في وسط الميدان وقال : أين افريدون . حتى أذيقهُ عذاب الهون . فاراد افريدون . ان يولّي وهو مغبون . فلما رآه الملك حردوب على هذا الحال اقسم عليه . ان لا يخرج اليه . وقال لهُ : يا ملك بالامس كان قتالك واليوم قتالي . وانا بشجاعتك لا ابالي . ثم خرج وفي يده صارم . وتحتهُ حصان كأنهُ الابجر . الذي كان لعنتر . وذلك الحصان ادهم مغاير . كما قال الشاعر :

قد سابق الطرف بطرف سابقٍ كأنهُ يريد ادراك القدَرْ
دُهمتهُ تبدي سوادًا حالكًا كأنها ليلٌ اذا الليل اعتكرْ
صهيلهُ يطرب من يسمعهُ كأنهُ الرعدُ اذا الرعد زجرْ
لو سابق الريح جرى من قبلها والبرق لا يسبقهُ اذا ظهرْ

ثم حمل كل منهما على صاحبه . واحترز من مضاربه . واظهر ما في قلبه من عجائبه . وأخذا في الكرّ والفرّ . حتى ضاقت الصدور . وقلّ الصبر للمقدور . وصاح ضوء المكان . وهجم على ملك الارمن حردوب وضربهُ ضربة اطاح بها رأسه . وقطع انفاسه . فلما نظرت الروم الى ذلك حملوا جميعًا عليه . وتوجهوا بكليتهم اليه . فقابلهم في حومة الميدان . واستمرّ الضرب والطعان . حتى سال الدم بالجريان . وضجّ المسلمون بالتكبير والتهليل . والصلاة على البشير النذير .

وقاتلوا قتالاً شديداً . وانزل الله النصر على الاسلام والغلبة على العدى . وصاح الوزير دندان : خذوا بثار الملك عمر بن النعمان. وثار ولده شركان . وكشف رأسه وصاح بالاتراك . وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس . فحملوا معهُ جملة واحدة . فلم يجد الروم لانفسهم غير الفرار . وتولي الادبار . وعمل فيهم الصارم البتّار . فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما يزيد على ذلك . وقُتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام . ثم اغلق الروم الباب . ودخلوا ما وراء الاسوار خوف العذاب . وعاد المسلمون مؤيدين منصورين فدخلوا خيامهم . ودخل الملك ضوء المكان على اخيهِ فوجده في اسرّ الاحوال. فسجد شكراً للكريم المتعال . ثم اقبل عليهِ وهنأه بالسلامة . فقال لهُ شركان : اننا كنا في بركة هذا الزاهد الأوّاب . وما انتصرتم الّا بدعائهِ المستجاب . فانهُ لم يزل اليوم قاعداً يدعو للمسلمين بالنصر

(الليلة الرابعة بعد المائة) . وكنت وجدت في نفسي قوةً حين سمعتُ تكبيركم . فعلمت انكم منصورون على اعدائكم. فاحكِ لي يا أخي ما وقع لك . فحكى لهُ جميع ما وقع لهُ مع الملك حردوب واخبره انهُ قتلهُ . فاثنى عليهِ وشكر مسعاه . فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك حردوب . انقلب لونها بالاصفرار . واغرورقت عيناها بالدموع الغزار . ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكي من شدة الفرح . ثم انها قالت في نفسها : ما بقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيهِ شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية . والعصابة الصليبية الملك حردوب . ولكنها كتمت ما بها . ثم ان الوزير دندان والملك ضوء المكان والحاجب استمرّوا جالسين عند شركان . حتى عملوا لهُ اللزق والادهان واعطوه الدواء . فتوجهت

اليه العافية وفرحوا بذلك فرحاً شديداً واعلموا بهِ العساكر . فتباشر المسلمون وقالوا : في غد يركب معنا ويباشر الحصار . ثم ان شركان قال لهم : انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم وتناموا ولا تسهروا . فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه . وما بقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي . فتحدَّث معها قليلاً من الليل . ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان . ثم غاب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات

هذا ما كان من امر شركان وغلمانه . واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم بقيت يَقظى وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقاً في النوم . فوثبت على قدميها كانها دبَّة معطاء . او آفة رقطاء . واخرجت من وسطها خنجراً مسموماً لو وضع على صخرة لأذابها . ثم جرَّدته من غمده واتت الى رأس شركان وجرَّته على رقبته فذبحتهُ وازالت رأسه عن جسده . ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا . ثم خرجت من الخيمة واتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين . فمالت الى خيمة الوزير دندان . فوجدته يقرأ القرآن . فوقعت عينه عليها فقال : مرحباً بالزاهد العابد . فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت لهُ : ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعتُ صوت وليّ من اولياء الله وانا ذاهب اليهِ . ثم ولَّت . فقال الوزير دندان في نفسه : والله لأتَّبع هذا الزاهد في هذه الليلة . فقام ومشى خلفها . فلما احست الخبيثة بمشيه عرفت انهُ وراءها فخشيت ان تفتضح وقالت في نفسها : ان لم اخدعهُ بحيلة فاني افتضح معهُ . فاقبلت اليهِ من بعيد وقالت : ايها الوزير اني سائر خلف هذا الوليّ لاعرفهُ وبعد ان اعرفهُ استأذنهُ في مجيئك اليهِ واقبل عليك واخبرك لاني اخاف ان تذهب

معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي . فلما سمع الوزير كلامها استحى ان يرد عليها جواباً فتركها ورجع الى خيمته . واراد ان ينام فما طاب له منام . وكادت الدنيا تنطبق عليه . فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه : انا امضي الى شركان واتحدث معه الى الصباح . فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلاً كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين . فصاح صيحة ازعجت من كان نائماً . فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلاً . فضجوا بالبكاء والنحيب . فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر . فقيل له : ان شركان اخاك والغلمان مقتولون . فقام مسرعاً الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا . وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق . ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديداً . وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام . واما الحاجب فانه صاح . واكثر من النواح . ثم طلب الارتحال . لما به من الاوجال . فقال الملك : اما علمتم من الذي فعل باخي هذه الفعال . وما لي لا أرى الزاهد . الذي هو عن متاع الدنيا متباعد . فقال الوزير : ومن جلب هذه الاحزان . الا هذا الزاهد الشيطان . فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر . لانني اعرف ان كل مراء في الدين خبيث ماكر . واعاد على الملك قصته . وانه اراد ان يتبعه فما مكنته . ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب . وتضرعوا الى القريب المجيب . ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد . الذي هو لآيات الله جاحد . ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور . وحزنوا على فضله المشهور

(الليلة الخامسة بعد المائة) . ثم انتظروا باب المدينة ان يُفتح . فما فُتح ولا بان لهم على الاسوار اثر احد . فتعجبوا غاية العجب . فقال الملك ضوء المكان:

لا احول عنهم ولو قعدت سنين واعواماً حتى آخذ بثار اخي شركان واخرب القسطنطينية . واقتل ملوك النصرانية . وان ادركتني المنية . فاستريح من الدنيا الدنية . ثم أمر باحضار الاموال التي اخذوها من دير مطروحنا وجمع العساكر وفرّق الاموال . وما ترك احدًا حتى اعطاه وكفاه من المال . واحضر من كل طائفة ثلثمائة فارس وقال لهم : ارسلوا النفقات الى بيوتكم لاني مقيم هنا سنين واعواماً حتى آخذ ثأر اخي شركان . ولو متُّ في هذا المكان . فلما سمعت العساكر هذا الكلام اخذوا ما اعطاهم اياه من الاموال واجابوا بالسمع والطاعة . واحضر ضوء المكان القصّاد وسلمهم الكتب واوصاهم بايصالها وايصال الاموال الى بيوت العساكر وقال : اخبروهم بانهم سالمون مطمئنون واعلموهم اننا في حصار القسطنطينية اماً ان نخربها او نموت . ولو اقمنا شهورًا واعواماً ما نرحل عنها الاّ بفتحها . ثم أمر الوزير دندان ان يكتب كتاباً الى اخته نزهة الزمان وقال له : اعلمها بما وقع لنا وما نحن فيه وأوصها بولدي لاني لما خرجت كانت زوجتي قريبة من الولادة وما هي الآن الا ولدت . فان كانت رُزقت ولدًا كما سمعت فأسرع في العود وأتني بالاخبار . ثم وهبهم شيئاً من المال فاخذوه وسافروا من وقتهم وساعتهم . وخرج الناس لوداعهم واوصوهم باموالهم . وبعد مسيرهم اقبل الملك على الوزير دندان وناداه ان يأمر الناس بالزحف من قرب السور . فزحفوا فلم يجدوا احدًا على الاسوار . فتعجبوا من ذلك وبقي السلطان مهموماً لذلك حزيناً على فراق اخيه شركان . متحيرًا من الزاهد الخوّان . فاقاموا على ذلك ثلثة ايام فلم يروا احدًا

هذا ما كان من امر المسلمين . واما ما كان من امر الروم وسبب غيابهم عن القتال في هذه الثلثة الايام فان ذات الدواهي لما قتلت شركان اسرعت في

مشيها واتت الى السور وصاحت بلسان الروم للحرّاس ان يُدلوا لها الحبل . فقالوا لها : من انتِ . فقالت : انا ذات الدواهي . فعرفوها وادلوا لها الحبل . فربطت نفسها وسحبوها . فلما وصلت اليهم دخلت على الملك افريدون وقالت لهُ : ما هذا الذي سمعتهُ من المسلمين . فانهم قالوا ان ابني حردوب قُتل . فقال : نعم . فصاحت وبكت وما زالت تبكي حتى ابكت افريدون ومن حضر عنده . ثم اعلمت افريدون انها ذبحت شركان . وثلاثين من الغلمان . ففرح افريدون بذلك وشكرها وقبَّل يديها ودعا لها بالصبر على ولدها . فقالت : اني لم ارضَ بقتل خسيس من المسلمين في ثأر ملك من ملوك الزمان . ولا بد اني اعمل حيلة وادبر مكيدة اقتل بها السلطان ضوء المكان . والوزير دندان . والحاجب ورستم وبهرام . وعشرة آلاف فارس من عسكر الاسلام . ولا ارضى ان يكون رأس ولدي برأس شركان ولا يكون ذلك ابدًا . ثم قالت للملك افريدون : اعلم يا ملك الزمان . اني اريد ان اقيم على ولدي المآتم والاحزان . فقال افريدون : افعلي ما شئتِ فاني لا اخالف لكِ امرًا ولو عملتِ حزنكِ زمانًا طويلًا لكان قليلًا . فان المسلمين لو ارادوا ان يحاصرونا سنين واعوامًا لما نالوا منا اربًا ولا نالهم منا غير التعب والنصب . ثم ان الخبيثة لما فرغت من الداهية التي عملتها . والمخازي التي لنفسها ابدتها . اخذت دواةً وقرطاسًا وكتبت فيهِ : من عند ذات الدواهي الى حضرة المسلمين . اعلموا اني دخلت بلادكم وغششت كرامكم وقتلت سابقًا ملككم عمر بن النعمان . في وسط قصره . وقتلت ايضًا في وقعة الشعب والمغارة رجالاً كثيرين وآخر مَن قتلتهُ شركان وغلمانه . واذا ساعدني الزمان . فلا بد من قتل السلطان والوزير دندان . وانا الذي اتيت اليكم في زيّ الزاهد . وانطلقتْ عليكم مني الحيل والمكايد . فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا .

وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا . فلو اقمتم سنين واعواماً . فلا تبلغوا منا مراماً . والسلام . وبعد ان كتبت الكتاب اقامت في حزنها على الملك حردوب ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع دعت بطريقاً وأمرته ان ياخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين . ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد ولدها وقالت لمن تسلطن بعده : لا بد ان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام

هذا ما كان من امرها . واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلثة ايام . في همّ واغتمام . وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معهُ سهم نشاب . وفي طرفه كتاب . فصبروا عليه حتى رماه اليهم . فامر السلطان الوزير دندان ان يقرأه . فلما قرأه وسمع ما فيهِ وعرف معناه . هملت بالدموع عيناه . وصاح ويضجر من مكرها . وقال الوزير : لقد كان قلبي نافرًا منها . فقال السلطان : وهذه الماكرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين . ولكن لا احول من هنا حتى اسجنها سجن الطير في الاقفاص . وبعد ذلك اربطها من شعرها واصلبها على باب القسطنطينية . وتذكر اخاه فبكى بكاء شديدًا . ثم ان الروم لما توجهت لهم ذات الدواهي واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي . اما المسلمون فرجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انهُ ان فتح المدينة . فرّق اموالها عليهم بالسوية . هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنًا على اخيهِ وعرا جسمه الهزال . حتى صار كالخلال . فدخل عليهِ الوزير دندان وقال لهُ : طب نفساً وقرّ عيناً فان اخاك ما مات الّا باجله . وليس في هذا الحزن فائدة . وما احسن قول الشاعر :

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ ابدًا وما هو كائنٌ فيكونُ

سيكون ما هو كائنٌ في وقتهِ　　واخو الجهالة دائماً مغبونُ

فدع البكاء والنواح . وقوِّ قلبك لحمل السلاح . فقال : يا وزير ان قلبي مهموم من اجل موت ابي واخي . ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي . فبكى الوزير هو والحاضرون . وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان . فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائهِ مضمونها : ان زوجة الملك ضوء المكان رُزقت ولداً وسمتهُ نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان . ولكن هذا الغلام سيكون له شان بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب . وقد امرت العلماء والخطباء ان يدعوا لكم على المنابر ودُبُر كل صلاة . واننا طيبون بخير والامطار كثيرة . وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنهُ الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام . فقال ضوء المكان : الآن اشتدَّ ظهري حيث رزقت ولداً اسمهُ كان ما كان

(الليلة السادسة بعد المائة) . ثم قال للوزير دندان : اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات . واموراً من الخيرات . فقال الوزير : نعمَ ما اردت . ثم أمر بنصب الخيام على قبر اخيه . فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن . فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح . ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات . وانشد هذه الابيات :

خرجوا بهِ ولكل باكٍ خلفهُ　　صعقات موسى يوم دُكَّ الطورُ
حتى اتوا جدثاً كأنَّ ضريحه　　في قلب كل موحدٍ محفورُ
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى　　رضوى على ايدي الرجال تسيرُ
كلّا ولا من قبل دفنك في الثرى　　ان الكواكب في التراب تغورُ

أمجاور الديماس رهن قرارةٍ فيها الضياء بوجههِ والنورُ
كفل الثناء لهُ بردّ حياته لما انطوى فكأنهُ منشورُ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معهُ جميع الناس . ثم أتى الى القبر ورمى نفسه عليهِ وهو حائر . وانشد الوزير قول الشاعر :

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى ومثلك اقواماً فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذي الدار من غير ريبةٍ فعن هذه الدنيا تسرُّ بما تلقى
وكنت من الاعداء تبدي وقايةً اذا ما سهام الحرب حاولتِ الرشقا
ارى هذه الدنيا غروراً وباطلاً وجلُّ مراد الخلق ان يطلبوا الحقّا
حباك الهُ العرش فوزاً بجنةٍ واسكنك الهادي بها مقعداً صدقا
واني وقد امسيت فيك بحسرةٍ ارى الغرب محزوناً بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديداً . ونثرت عيونهُ الدمع دراً نضيداً . ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان . وبكى حتى حكت دموعهُ الخلجان . وذكر ما لشركان من المكرمات . وانشد شعراً مخمساً :

اين العطاء وكفُّ جودك في الثرى والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
يا حاديَ الاظعان سرك ما ترى كتبت دموعي فوق خدّي اسطرا
تعني بها وتلذّ منها منظرا

والله ما حدّثتُ عنك ضمائري كلّا ولا خطرت علاك بخاطري
الّا وقد جرح الدموع محاجري واذا صرفت الى سواك نواظري
جذب الغرام عنانَ طرفي في الكرى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضجَّ جميع العسكر بالبكاء . ثم انهم انصرفوا الى الخيام . واقبل السلطان على الوزير دندان

واخذا يتشاوران في امر القتال . واستمرَّا على ذلك اياماً وليالي وضوء المكان يتضجر من الهمّ والاحزان . ثم قال : اني اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك لعلَّ الله يفرج ما بقلبي من الهمّ الشديد . ويذهب عني البكاء والتعديد . فقال الوزير : اذا كان لا يفرج همك الَّا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الَّا بالحكايات والاشعار . وفي هذه الليلة احدّثك بخبر ينشرح بهِ صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده بهِ ولم يبق لهُ اشتغال الَّا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيهِ الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك . فما ايقن ان الليل اقبل حتى أمر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليهِ من الاكل والشرب وآلات البخور . فاحضروا لهُ جميع ذلك . ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر . وارسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا . فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال لهُ : اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل . وسدل جلابيبهُ علينا واسبل . ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا بهِ من الحكايات . فقال الوزير : حبًّا وكرامة

فهرس

الجزء الاول من كتاب الف ليلة وليلة

وجه

وجه

وجه

تم الجزء الاول بحوله تعالى